

# جامع التواريخ

تاريخ غازان خان



دراسة وترجمة  
الدكتور فؤاد عبد المعطي القباد

تأليف  
رشيد الدين فضل الله الهمداني

الدار الثقافية للنشر

# جَامِعُ التَّوَالِيخِ

تَارِيخُ غَازَانِ خَانٍ

تأليف  
رشيد الدين فضل الله الهمداني

دراسة وتزجئة  
الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد

الدار الثقافية للنشر

Jami'e Al-Tawarikh

عنوان الكتاب: جامع التاريخ الجمالي

Dr. Fouad Abdal-Mousty Al-Sayad

ترجمة ودراسة / د. فؤاد عبد المستي السيد

17 x 24 cm. 446p

١٧×٢٤ سم. ٤٤٦ صفحة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٩/٢٢٨٨

الترقيم الدولي: 977-5875-70-6 ISBN:

اسم الناشر: الدار الثقافية للنشر

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

كافة حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر

الدار الثقافية للنشر - القاهرة



ص.ب. ١٣٤ بالقاهرة - مكتب وفكس ٤٠٢٧١٥٧

Email: sales@thakafia.com

Website: www.thakafia.com

## المقدمة والدراسة

## كيفية نطق الحروف الفارسية

### المستعملة في هذا الكتاب

(١) الحرف الفارسي (پ) ينطق مثل حرف (P) في اللغة الإنجليزية.

(٢) الحرف الفارسي (چ) ينطق مثل حرفي (CH) في اللغة الإنجليزية.

(٣) الحرف الفارسي (ژ) ينطق مثل حرف (J) في اللغة الإنجليزية.

(٤) الحرف الفارسي (گ) ينطق مثل حرف (G) في اللغة الإنجليزية.

في مثل كلمات: Big - Gun - Garden

أو مثل الجيم المصرية في اللهجة الدارجة.

مُقَلَّمَةٌ

هذه ترجمة كاملة قمت بها لتاريخ غازان خان الذي يكون قسما مهما من كتاب جامع التواريخ، تأليف مؤرخ المغول الكبير "رشيد الدين فضل الله اجمشاني". ولا شك أن الترجمة ضرورة إنسانية وفكرية وحضارية لا غنى عنها لكل أمة حية تنشئ الكمال الإنساني أو الاقتراب منه في الأقل. كما أن ترجمة الآثار الفكرية من أجدى أنواع الترجمة وأهمها لأنها تفسح المجال واسعا أمام أبناء مختلف أسمى الأرض للاطلاع على سيرات بعضها والإفادة منه وربما التأثير به أيضا<sup>(١)</sup>.

ولئن يتسنى للشعوب وفى طليعتها العرب أن تنال نصيبها من التراث الإنساني بشقيه العلمى والثقافى إلا عن طريق الترجمة؛ فهى الجسر الوحيد الذى نصير عليه إلى حياة علمية راقية<sup>(٢)</sup>.

وغير ما نذكره فى هذا المقام هو ما سبق أن قاله أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أمين الشواربى: "لو استطاع كل متخصص فى علم من العلوم أو فن من الفنون أن ينقل إلى العربية كتابا واحدا من أمهات الكتب المتعلقة بموضوع تخصصه، لكان للعربية من مجموع هذه الترجمات ثروة طائلة كفيلة بأن تجدد الفكر العربى واللفة العربية تجديدًا كاملاً، ينتهى بنا إلى نهضة كاملة شاملة كالتي حدثت فى أوروبا عندما نقلت إلى لغاتها الكتب العربية والشرقية فى سالف الوقت والزمان، ولاستكملنا بهذه الثروة العربية ما نقصنا فى الفترة التى وقفنا فيه موقف الفنون والتكامل والتخلف والتواكل"<sup>(٣)</sup>.

كان رشيد الدين مؤرخا كبيرا وكاتباً موسوعياً أحاط علمه بكثير من أنواع المعارف والثقافات، ولكن شهرته كمؤرخ كانت تأتى فى المقدمة دائما. وعندما حاول المستشرقون

(١) سياست نامه أو سر للترك، تأليف نظام الملك الطوسى، ترجمة الدكتور يوسف حسين بكاز، الطبعة الثانية، ص ٥ الفقرة دولة فطر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) مجلة الثقافة: مقالة الدكتور زهير عبد الوهاب بعنوان: حاجتنا إلى الترجمة، المجلد الثالث، العدد الرابع والأربعون، ص ١٠، عدد ربيع الأول ١٤١٦ هـ - يولية أغسطس ١٩٩٥ م، للطبعة العربية السعودية.

(٣) تاريخ الأدب فى إيران من القردوسى إلى السعدى، تأليف المستشرق الكبير إدوارد جرناتيل بسرفون، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربى، ص ٢٤، الطبعة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م.

دراسة دراسة متعمقة كان أول ما استرعى نظرهم كتابه جامع التواريخ. وكانوا على صواب فيما ذهبوا إليه، لأن كتابه التاريخي هو الذي أذاع صيته ورفع قدره وسجل اسمه بين النابهين الأخذاء من أبناء الشرق الإسلامي.

ومن المثلق عليه أيضا أن القيمة الحقيقية لهذا الكتاب إنما تتجلى في المجلد الأول المتضمن تاريخ المغول؛ فعندما تحدث رشيد الدين عن هؤلاء القوم ذكر أصلهم ونشأتهم وقبائلهم وعاداتهم وتقاليدهم وفنوحاتهم على نحو دقيق ومفصل لم نشهده في أى مصدر آخر.

ولا شك أن الباحث يهيم عندما يتناول التاريخ المبكر للإمبراطورية المغولية أن يستطيع التمييز بين الحقائق التاريخية المقبولة وبين الأساطير. ثم إن المعلومات عن المغول الأول لثبوت جوهرية للطالب الذى يريد أن يتناول بإحكام علاقاتهم الخارجية فيبرز تأثيرهم فى الجنس البشرى خارج حدودهم. كذلك تبرز أهمية الكتاب فيما تقرأه عن المغول فى الأحداث التى كان يعايشها المؤرخ؛ فقد عاصر دولة المغول فى أبهى فتراتهما، وشاهد حصار بغداد وفتحها على يد هولاكو خان، والتحق بخدمة أعظم سلاطين الإيلخانيين وبلغ أسنى المراتب فى عهد غازان وأولجايتو وفترة من حكم أبى سعيد بهادر خان، ولعب دورا هاما فى سياسة دولة المغول وإدارتها. فإذا جاء هذا المؤرخ وأرخ لهذه الفترة، فإنه يؤرخ لأحداث كان يعاشرها ويشهدها بعين رأسه، ويصفها وصف التقف الجدير بشئون الحياة. كذلك استطاع الاطلاع على الوثائق المكتوبة والإفادة منها. وهذه ميزة كبيرة لم تتوفر لغيره ممن كتبوا عن تاريخ المغول من السابقين أو المعاصرين له.

لكل هذه الميزات لقى المجلد الأول من هذا الكتاب اهتمام المستشرقين والباحثين فخصوه بعنايتهم، وعكفوا على تحقيقه ونشره وترجمته إلى مختلف اللغات الأوربية وجاءت هذه الترجمات مصحوبة بالشروح والتعليقات. وكان فى مقدمة ما عنوا به القسم المشتمل على تاريخ الإيلخانيين "سلاطين المغول فى إيران"، فهو عظيم الأهمية:

أولا: وبالذات لمرض الأحداث التى وقعت فى القرنين السابع والثامن الهجريين "الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين"، وشملت إيران وجورجيا وأرمينية ووسط آسيا وغربها.

ثانيا: للحديث عن الإصلاحات المختلفة التى قام بها غازان خان.



ولم تكن اللغة العربية بمعزل عن الاستفادة من هذا الأثر الحالد أيضا! فقد شاركت المرحومين الأستاذين محمد صادق نشأت والدكتور محمد موسى هندلوى في ترجمة النص المتعلق بتاريخ هولوكو خان، ونشر في القاهرة عام ١٩٦٠م تحت عنوان: "جامع التواريخ: رشيد الدين فضل الله الهمذاني: تاريخ المغول، المجلد الثاني - الجزء الأول - الإلهياتيون: تاريخ هولوكو".

وهذا القسم سبق أن حقق نصه الفارسي المستشرق الفرنسي كازمير مع ترجمة فرنسية للمصنف الفارسي، ونشر الأصل والترجمة في باريس عام ١٨٣٦م. وقد صاحب المتن كثير من الحواشي والتعليقات المستفيضة التي تدل على اطلاع واسع وعلم غزير. وصدرت هذه الطبعة بمقدمة باللغة الفرنسية ذات قيمة علمية كبيرة عن حياة رشيد الدين وأثاره. هذا وقد قام المرحوم الدكتور محمد القصاص بترجمة هذه المقدمة إلى اللغة العربية، تصدرت الترجمة العربية لتاريخ هولوكو خان على النحو الذي ذكرناه سابقا.

كذلك شاركت الأستاذ محمد صادق نشأت في ترجمة النص المتضمن تاريخ أبناء هولوكو خان من آبا قاخان إلى كيخا توخان. وهذا النص سبق أن نشره بالفارسية المستشرق "كارل بان" في براغ عام ١٩٤١م. وقد صدرت الترجمة العربية أيضا في القاهرة عام ١٩٦٠م.

ثم قمت بمفردى بترجمة قسم آخر من هذا الكتاب بعنوان: "جامع التواريخ" تأليف "رشيد الدين فضل الله الهمذاني": "تاريخ خلفاء چنگيز خان من لونغشاي قاآن إلى تيمور قاآن، بيروت ١٩٨٣م. وذلك عن الطبعة التي نشرها بالفارسية المستشرق الفرنسي بلوشيه " Blochet " في لندن سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م ضمن سلسلة جيب التدكارية. وقد تم صدور هذه الأجزاء الثلاثة بإشراف أستاذنا المرحوم الدكتور يحيى الحشاش ومراجعته.

وعلى هذا يتبقى من تاريخ الإلهياتيين قسم هام جدا، وهو الذي يتناول تاريخ غازان خان. ولعل هذا القسم هو أهم أقسام جامع التواريخ لأنه يتضمن الإصلاحات العديدة التي قام بها غازان وتناولت كل شئون الحياة من إدارة واقتصادية وقضائية وعمرانية. وقد قدر لهذه الإصلاحات البقاء الطويل بعد ذلك في الممالك الإسلامية. ولا شك أن هذه الجوانب تجذب أنظار الذين يؤرخون للحضارة الإسلامية. كما تحظى باهتمام الباحثين والدارسين.

وقد لوحظ أن المؤرخ رشيد الدين ذكر تاريخ "بابلو" ضمن تاريخ غازان خان لأن "بابلو" في الحقيقة تولى الحكم لفترة قصيرة جدا لا تزيد على ستة أشهر، من جمادى الأولى إلى ذى القعدة سنة ٦٩٤هـ أبريل إلى أكتوبر سنة ١٢٩٤م، فرأى رشيد الدين أن يكتب تاريخ هذا الإيلخان كجزء لا يفصل عن تاريخ غازان الذى حارب بابلو وانتصر عليه، وتولى الحكم بعده فى سنة ٦٩٤هـ ١٢٩٤م، وذلك على النحو الذى يطالع القارئ فى الترجمة.

هذا قليل من كثير مما حواه النص الفارسى لتاريخ غازان، ويرجع الفضل الكبير فى تحقيق هذا القسم أيضا إلى الأستاذ العالم المشرق كارل يان "Karl Jhan" الذى قام بنشره بعنوان: "كتاب تأريخ مبارك غازاتى: داستان غازان خان" تأليف رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بسعى وإهتمام وتصحيح أقتل العباد كارل يان، هرتفورد، إنجلترا سنة ١٣٥٨هـ مجرى مطابق ١٩٤٠مسيحى. وقد صدر المحقق هذه الطبعة بمقدمة كتبها باللغة الألمانية.

وفى عصرنا الحاضر نال كتاب جامع التواريخ حظا وافرا من عناية الأفراد والحكومات، وحدثت تطورات واتجاهات مختلفة، وكلها تؤكد ضرورة دراسة كائن من آثار الشرق التاريخي.

ونظرا للأهمية القصوى للمجلد المتعلق بتاريخ الإيلخانيين، استقر الرأى على أن يبدأ العلماء الروس بنشره اعتمادا على لؤس المخطوطات الخاصة بكتاب جامع التواريخ والمحفظة بمكتبات العالم. ثم عهد إلى الأستاذ "عبد الكريم على أوغلى على زاده" بتحقيقه ونشره، وصدر ضمن منشورات مجمع علوم جمهورية روسيا السوفيتية الاشتراكية بآذربيجان معهد التاريخ، باكو ١٩٥٧م.

ولما كان هذا المجلد يضم قسما كبيرا يشتمل على تاريخ غازان خان، وكان لا يزال فى نصه الفارسى، عقدت العزم على ترجمته أيضا إلى اللغة العربية؛ إذ رأيت أنه أصبح وأدى بالقياس إلى غيره من الطبعات.

بقى أن نقرر أن رشيد الدين قد أنهى المجلد الأول من كتابه بتاريخه لغازان خان، وأنه لم يستكمل تاريخ الإيلخانيين؛ إذ لا يزال هناك اثنان من كبار الإيلخانيين حكما إيران بعد

## أولا . رشيد الدين وكتابه جامع التواريخ

هو رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير ابن مومن الدولة الممقاني<sup>(١)</sup> كان جده مومن الدولة يعيش مع الخواجة نصير الدين الطوسي في قلاع الإسماعيلية بفغانستان ثم انتقل بمجدة هولاءكو خان علي أثر استيلائه على تلك القلاع<sup>(٢)</sup>.

ولد رشيد الدين في همدان سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م، وأمضى فترة شبابه هناك في تحصيل العلوم المختلفة وبخاصة الطب. وعن طريق مهنة الطب عمل طبيباً في بلاط أبها قاخان (٦٦٣-٦٨٠هـ/١٢٦٤-١٢٨١م) ثم صار يترقى شيئاً فشيئاً إلى أن عين وزيراً في عهد السلطان غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٣م)، واستمر يتقلد أعباء هذا المنصب في عهد السلطان أوحاتيو (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م) وابنه السلطان أبي سعيد بهادر خان (٧١٦-٧٣٦هـ/١٣١٦-١٣٣٥م).

كان رشيد الدين من أصل يهودي<sup>(٣)</sup>. ثم أسلم وخلص إسلامه وكان يسير في حياته الرسمية سير المسلم الصحيح الإيمان الكامل العقيدة. وهناك علماء لا سبيل إلى الشك في حسن نيتهم وكفاءتهم شهدوا بصحة عقيدته في كتاباته وفي حياته، وأن أعماله كلها كانت خيراً وبركة على الإسلام والمسلمين.

(١) سطر الزمرد من التفصيلات في كتاب: موزع الملوك الكبير وسيد القديس فضل الله الممقاني. الطبعة الأولى تأليف الدكتور مژاد عبد المظي العبيد، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م. التي كشور داري در عهد وزارت رشيد الدين فضل الله ميماني، تأليف دكتور هاشم وجب زاده، تهران ٢٥٢٥ شاهنشاهي.

(٢) سطر كتاب الملوك في التاريخ، تأليف الدكتور مژاد عبد المظي العبيد، ص ٢٢٢ وما بعدها، القاهرة ١٩٧٥م.

(٣) انظر مژاد عبد المظي العبيد: موزع الملوك الكبير رشيد الدين فضل الله الممقاني، ص ٩٤ وما بعدها، مجموعة خطابه های خطی در باره رشيد الدين فضل الله ميماني مقال الأستاذ عباس زریاب بختوار. سه ديکه در باره رشيد الدين فضل الله، ص ١٢٢-١٣٥، طهران ١٣٥٠هـ. ش: جامع التواريخ رشيد الدين فضل الله ميماني، به تصحيح وحسنه محمد روشي، مصطفى موسوي، جلد اول، ص ٧٢ وما بعدها من المقدمة، تهران ١٣٧٣هـ. ش: Walter J. Fischel Jews in Economic and Political Life of Mediaeval Islam, Royal Asiatic Society Monographs, Vol. XXII, PP 118-125, London 1937, Encyclopaedia Judaica, Vol 13. P Rec. Second Printing, p. 1566, Jerusalem, 1973.

دکتر خرمي يني اسلامي موشري: دين ودولت در ايران عهد مملوك، حکومت ايماني ميرد ميان دو فرهنگ جلد دوم، ص ٤٩٠-٤٩٣، چاپ اول، تهران ١٣٧١هـ. ش.

استمر رشيد الدين يعيش معمرًا مكرمًا لكنه في أوائل عهد أبي سعيد وقع فريسة للدهاسيس والمؤامرات التي كان يبيكها له ويميله في الوزارة "على شاه الجيلاني" وانتهى الأمر بقتله بغير حق بأمر أبي سعيد بالقرب من تبريز في جمادى الأولى عام ٧١٨هـ / ١٣١٨م، وهو في الثالثة والستين من عمره. وبذلك أنهوا حياة أحد عظماء الحكماء والأطباء والكتاب والمؤرخين والوزراء<sup>(١)</sup>. وعلى أثر مقتله نهبت جميع أمواله وممتلكاته، وحُرقت محلة "الربع الرشيدى" التي أقامها شرقى تبريز، وأُتتعت المكتبة التي كان يصممها هذا الربع، وكانت تحوى ستين ألف مجلد<sup>(٢)</sup>.

كان رشيد الدين رجلاً واسع الأفق عربر الثقافة، يعرف كثيراً من اللغات والثقافات العربية والفارسية والعربية والتركية والمغولية. وعندما تولى غازان خان عرش المغول، وعرف في مؤرخنا السونغ والدكاء وليس فيه الإخلاص والوفاء، لم يكتف بتقليده مصعب الوزارة بحسب، بل كلعه بعمل أدبي كبير هو تأليف كتاب جامع في تاريخ المغول. ولكي تكتمل عناصر النجاح لهذا المشروع، وضع غازان خان تحت تصرف رشيد الدين خير المصادر وأندرها في الإمبراطورية المغولية كالوثائق والسجلات التي كان على رأسها "التون ديمتر" (الكتاب الذهبي) الذي يشتمل على التاريخ الرسمي للمغول. كذلك استطاع رشيد الدين أن يحصل على الكثير من الروايات الشعبية التي كان يدور معظمها على لسان غازان نفسه والأمير "بولاد جينگ سبانگ" سفير الخاقان في بلاط غازان خان. وكان كلا الرحلين قد اشتهر بمعارفه الواسعة وإحاطته التامة بتاريخ المغول<sup>(٣)</sup>. وهكذا نهأت الفرصة لرشيد الدين لأن يكتب كتاباً مدعماً بغير الوثائق، كتاباً يمكن اعتباره فريداً في نوعه في تاريخ المغول منذ أقدم الأزمنة حتى عصر التأليف.

اهتم رشيد الدين بهذا التكليف عناية الاهتمام، ووضع نصب عينيه أن يحجز مهمته على الوجه الأكمل. ورغم أنه لم يكن متفرغاً تماماً لهذا العمل الشاق استطاع أن يقطع شوطاً بعيداً في تأليف هذا الكتاب الذي أطلق عليه اسم "تاريخ غازاني". وببما كان رشيد الدين

(١) على أكبر دمحمدا لغت نامه، خسترة مسلسل ١٢٨، خسترة حرف ر (بخش اول)، ص ٤٦٩، تبريز، روزدري ١٣٤٦هـ.ش.

(٢) ادبيات ایران دو زمان سلجوقيان و خواران، تاليف يونسور "يان ريكا"، ترجمة دكتور بهنوب آزاد، ص ١٤٧، چاپ اول، تهران ١٣٦٤هـ.ش.

(٣) انظر الترجمة العربية.

على وشك العراق من مهمته، مات فجأة السلطان غازان خان في شوال ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، فتولى أخوه أوجلتايو عرش الملوك، وأبقى رشيد الدين في منصبه، وكلفه بأن يحجر تاريخ الملوك، وأن يستمر في إعداداته إلى غازان باعتزامه بالخميل نحو ذكرى هذا الراحل الذي بفضل له كان التكريم في تأليف هذا الكتاب. وفي الوقت نفسه، كلف السلطان أوجلتايو وريثه رشيد الدين بمهمة جديدة هي أن يكتب مجلداً ثانياً يشتمل على تاريخ لجميع الشعوب التي اتصل بها الملوك أثناء فتوحاتهم.

وهي هذه المرة أيضاً استجاب رشيد الدين لطلب السلطان، وأرخ للذول التي قامت قبل الإسلام وبعده في الشرق والغرب، ورجع في استقاء مادته العلمية إلى مصادر متخصصة. كما استطاع بمساعدة العلماء الذين كانوا يفتنون تيريز والسلطانية في ذلك الوقت وكان منهم الصبيون وأهل التبت والأويغوريون والمجوس والبرج أن يعرف من تأليف كتابه في سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، وأطلق على العمل بأكمله اسم "جامع التواريخ"، فكان أقيم كتب التاريخ العامة. كما أن لهيته كبيرة في الكتابة التاريخية بأسرها. كذلك كان أول تاريخ عالمي معروف بالمعنى الصحيح، وأول مجموع منظم للتطور التاريخي لكل الأوطان التي تحتل قارة أوراسيا (أوروبا وآسيا) من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي يقول المشرق الروسي بارتولد. اتخذ مصنف رشيد الدين صورة موسوعة تاريخية ضخمة لم يوجد لها مثيل عند شعب من شعوب القرون الوسطى سواء أكان ذلك بأسيا أم بأوروبا وإن مجرد الاصطلاح بتعبير مشروع صحيح كهذا يستند على مجهود علماء من مختلف الشعوب ليقيم مثلاً حياً للتأليف الإيمانية التي تحض عنها العرو المعول حين ربط بين شعوب باعدت بينها الشقة واختلاف الثقافات، وحين تهيأت الظروف الملائمة لظهور شار ذلك وكان رشيد الدين على ثقة من أن الأجيال القادمة ستفيد كثيراً من مصنفاته<sup>(١)</sup>.

(١) انظر بارتولد، ركستان من الفتح العربي إلى العرو الملوك، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعة الأولى، ص ١٢٠، الكويت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

## أقسام كتاب جامع للتواريخ:

يقع هذا الكتاب في مجلدين:

المجلد الأول: يشتمل على بابين:

الباب الأول: يحتوي على مقدمة وأربعة فصول في تاريخ القبائل التركية والمغولية وأصولها مع تفاصيل مسهبة عن فروع الأتراك والمغول وأنسابهم وأساطيرهم.

الباب الثاني: تاريخ چيگير خان وأجداده وأمهاته وأحفاده إلى غارات خان.

المجلد الثاني: يشتمل أيضا على بابين:

الباب الأول: يحتوي على تاريخ أوجقاتو، وهو مفقود من جميع نسخ هذا الكتاب.

الباب الثاني: ويشتمل التاريخ العام للعالم، ويقع في مقدمة وقسمين:

القسم الأول: في ذكر ملوك الفرس، وذلك منذ عصر كيومرث أول ملوك الفرس الأسطوريين حتى آخر عهد برادر الثالث آخر ملوك الفرس الساسانيين

وهذا القسم يقع في أربع طبقات:

أ - طبقة الپيشداديين.

ب- طبقة الكيانيين

ج- طبقة الإشكانيين

د - طبقة الساسانيين

القسم الثاني: ويقسم بدوره إلى الأقسام الثلاثة الآتية:

١- في ذكر تاريخ النبي ﷺ وتاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين حتى آخر عهد المستعصم.

٢- تاريخ الدويلات التي نُسأت في إيران على أثر ضعف

الخلافة العباسية. وهذه الدويلات هي: الغزنوية

السلجوقية الخوارزمية السلغورية (أتابكة فارس)

الإسماعيلية.

٣ - تاريخ الدول الأخرى مثل تاريخ "تووعوار" جد الأتراك -

تاريخ الخطا والصين - تاريخ يسي إسرائيل - تاريخ

الإفريج والقيصرية - تاريخ الهند. وهذا القسم ينتهي

بمقالة طويلة عن الديانة البوذية<sup>(١)</sup> ومؤسسها ساكيموني.

وكان من المعروف أن يكتب رشيد الدين مجددا ثالثا في جغرافية أقاليم العالم. وقد أشار

تسلطان لولجياتو على وريره بتأليفه أبصارا إلا أنه لم يشر عليه في جميع نسخ كتاب جامع

التواريخ. ويبدو أن المؤلف لم يكتبه أو أنه كتبه، ولكنه فقد.

---

(١) انضمت البوذية بدرجة كبيرة من الهند موطنها الأصلي، وانتشرت انتشارا واسعا في اليابان وكوريا والهند الصينية

وبها والبيت (انظر مرجع تاريخ العلم والمصاهرة في الصين، تأليف جورج بيلهام، ترجمة محمد غريب جودة،

ص ٢٦٦، لمحة للمصرفة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٥م).

## أهمية كتب جامع التواريخ:

بعد رشيد الدين بحق أكبر المؤرخين المعرس في القولة الإبلحانية وكان ينظر إلى كتابه على أنه أحسن وأكمل كتب التاريخ العام في الأدب المعارسى، وخير مثال للانجاء إلى التأليف في التاريخ العالمى الذى ساد العصر المولى؛ إذ كثرت فيه الموسوعات، وتعدد المكثرون من درس الموضوعات التاريخية المختلفة حتى ليصح أن يطلق عليه بحق عصر الموسوعات.

وعن هي الحقيقة إذا رحا مكتب بالتفصيل عن أهمية كتاب جامع التواريخ والوقوف على قيمته الحقيقية، سوف تشعب الآراء وتطول الصفحات. ولذا فصلنا أن يقتصر على إبرر ما يميز هذا الكتاب بالنسبة إلى غيره من الكتب

أولاً: تبدو عقيدة المؤرخ رشيد الدين حقاً فيما كتبه عن تاريخ المولى؛ فقد كشف عن تاريخ هذه الجماعة، وأزال ما كان يكتفه من إبهام وعموص ولا شك أن الوصول إلى تناول الحديث عن الأثر والقتال المولية وعن جينجيز خان وأحداثه، وانصواء مولى تحت لوائه والعبارة المسوية إليه، وغير ذلك من صروب البظولة والصراع لما يعطى قصة رائعة عن الحياة البشوية التى لم تشوه بصروب المحسبات، والتى شير الرغبة الشديدة، وتلقى الأهمية الكبيرة لدى القراء الأثر<sup>(١)</sup>.

يقول الأستاذ أحمد ركنى وليدى : "احتص رشيد الدين المولى والترك لأول مرة في التاريخ بسينهم إلى مدينة أصيلة تجمعهم، وأصبح لهم مجالاً خاصاً بهم"<sup>(٢)</sup>

وإذن فهذا الجزء الخاص بتاريخ المولى ممتاز ورائع؛ حقق فيه مؤلفه كل ما وعد به، ويستطيع أن يشهد بأنه الكتاب الوحيد الذى نثر فيه على أسدق المعلومات عن حياة جينجيز خان وعلمائه وعن عهدهم<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: كان رشيد الدين من مؤرخى البلاط، والمشهور عن هؤلاء أنهم كان بهمهم قبل كل شيء إرضاء السلاطين والأمراء وبحاراتهم بما يريدونه، وكتابة ما يوافق أعراضهم

(١) بارتولد. مجلة العالم الإسلامى ص ٩٩ Mir Islama

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، عالم الإسلام باللغة التركية، ج ٩٨، ص ٢٦، أستانبول ١٩٦٣ م.

(٣) جامع التواريخ، المجلد الثانى، الجزء الأول، تاريخ حولاكو، مقدمة كاترمير، ص ١٠، القاهرة ١٩٦٠



وميوهم؟ فكان لا بد أن يظهر في تأريخهم التحيز والتملق وإخفاء الحقائق. فهل كان رشيد الدين على شاكلة هؤلاء، وهل استطاع ككتاب مسلم أن يتجرد من التعصب عندما كان يتصدى لكتابة تاريخ الأمم الوثنية واليهودية والمسيحية، والذي كان يتعارض تعارضا تاما مع نصوص القرآن ومبادئ الإسلام؟.

للإجابة عن هذا السؤال نقول: على الرغم من أن رشيد الدين كان مؤرخا للبلاد، فإنه انتمز بالحياد الربيه بقدر المستطاع؛ فهو معجب بالمعول، يشيد بأعمالهم، ولكن دون مبالغة ولم يسه قط اتصاله بالمعول من أن يقول فيهم كلمة الحق؛ فكان يحكى قسوتهم المظيعة وإسراهم في القتل. يقول في هذا الشأن: "لا يخفى على من تتبع التأريخ الصحبة وسلك الطريق المعقول أنه لم تكن البلاد مطلقا أكثر خرابا مما كانت عليه خلال هذه السنوات، خصوصا في النواصع التي وصلت إليها جيوش للمعول؛ إذ إنه منذ ابتداء ظهور آدم حتى قيام چنگيز خان ودرجه، لم يتيسر لأى ملك مثل هذه الممفكة العسيحة التي سحروها وجعلوها تحت تصرفهم، ولم يقل أحد في العالم من الخلق مثلمما قتل هؤلاء المعول"<sup>(١)</sup>.

أما كيف أرح رشيد الدين للأمم غير الإسلامية فهذا أيضا مما يدعو إلى الإعجاب والتقدير، فرغم أنه يرهن على نسكه بالإسلام، إلا أنه كان يتجنب الططنة والتعصب وظل وثقا من نفسه طول الوقت؛ إذ كان يعتقد أنه من الضروري أن تعرض تقاليد كل قوم حسب الصورة التي يحفظ بها الناس هذه التقاليد. يقول في هذا الصدد "على المؤرخ أن يكتب تاريخ كل قوم كما يبدو من رعمهم، وليس عليه أن يردد فيه أو ينتقص منه، فإذا كان حقا أو كان باطلا، فليقل كما هو في اعتقاد كل طائفة؛ وذلك يلقى عيب مسغولة الريادة والنقصان والحق والباطل في ذلك التاريخ على أصحابه لا على المؤرخ. وإنسى أعود وأكرر هذا المعنى هنا أيضا حتى لا لأواعد على ما يبدو غير معقول وغير مستساغ، وحتى لا يمتد إلى لسان الطعن فأعتر في هذا المعنى إن شاء الله الواحد العزيز"<sup>(٢)</sup> وعنى سوء هذا الاعتراف الصريح بمسكا أن يقرر أن رشيد الدين لم يكن يعرف النقد التاريخي؛ ونعنى به

(١) انظر فترجة

(٢) جامع الفروع: مخطوط مكتبة الأهلية بطهران، ص ٤٣٦.

النظر في التاريخ بمعنى النقد وبيان ما قد يتصوره من المعالط والأوهام<sup>(١)</sup>. يقول هارتولد "حاول رشيد الدين تسجيل الروايات التاريخية كما سمعها من روايتها بدون تعبير؛ فليس كتابه من هذه الوجهة تاريخاً علمياً بالمعنى المفهوم اليوم، إلا أنه يشغل في آداب العالم مكانة متارة من حيث اتساع دائرته. ولم ير اجتماع علماء جميع الأمم المتخصصة في العالم القديم وجمعهم للروايات التاريخية المتصلة بالتاريخ العام في كتاب واحد لا قبل ذلك الزمان ولا بعده.

وقد كان علماء أوروبا حتى القرن التاسع عشر يرون أن يفهموا من التاريخ العام تاريخ أوروبا الغربية فقط. ومن رواية أحد مساعدي رشيد الدين من كتاب المسلمين يتبين أنه منذ ابتداء القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) كان ينظر إلى تاريخ العرب والفرس كأنه "أحد الأنهر التي تصب في بحر تاريخ العالم العام"<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أتيح لرشيد الدين فرصة الاطلاع على الوثائق المكتوبة واستخدامها على نطاق واسع في استقاء المادة العلمية لتأليف كتابه. لما سلعه عطا ملك الجرجي<sup>(٣)</sup> فعلى الرغم مما كان يتمتع به كتابه "جهانگشاي"<sup>(٤)</sup> من شهرة كبيرة في التاريخ للمعول، كانت نفسه هذه الميزة؛ إذ كان اعتماده على الرواية الشعبية. كذلك عندما أوح رشيد الدين لشعوب العالم المختلفة، كان يستقي معلوماته من أوثق المصادر، ومن أمواه العلماء النساب والمتخصصين في تاريخ كل أمة. ومعنى هذا أن رشيد الدين اعتمد الرواية الشعبية أيضاً مصدراً من مصادر التعرف على التطورات السياسية والتاريخية. ولو لم يكن رشيد الدين ثقة

(١) انظر جرجي زيدان: تاريخ كتاب اللغة العربية، ج ٣، ص ١٤٨، القاهرة ١٩٣١م.

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، الطبعة الثالثة، ص ١٢٩ - ١٣٠، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٨م.

(٣) انظر لازيد من التصيلات من هذا المزارع في القلعة تلطلو التي كتبها العلامة محمد بن عبد الرحاب قزويني، حقق كتاب تاريخ جهانگشاي، ج ١، لندن ١٣٢٩هـ - ١٩١١م عطا ملك الجرجي وكتابه جهانگشاي تأليف الدكتور السبكي محمد السبكي، ص ٧ وما بعدها، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م علاء الدين عطا ملك الجرجي حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية، تأليف الدكتور محمد السيد جمال الدين، ص ٥ وما بعدها، القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٤) أي فاتح العالم وطارده به چنگيز خان.

في كل ما كتب لما أشاد به معاصروه ومن جابوا بعده، ولما قلده كثير من المؤرخين بعد مجاته.

رابعاً: - ترد بالكتاب إشارات جغرافية هامة عن مناطق كثيرة كانت مجهولة لديها لأنها إما لا حظنا أن الأقاليم التي استطاع رشيد الدين أن يجمع عنها المعلومات الإيجابية الصحيحة هي الأقاليم التي لم تكن معروفة لنا فقط، وهي الرقعة الممتدة من بحر قزوين حتى الأطراف الشرقية، وتحتل وسط آسيا جميعه، وتذهب حتى حدود الصين. وفي هذا العهد، كانت تلك الأقاليم تكون جرماً من الإمبراطورية المملوكية. وقد وصفها رشيد الدين أدق وصف وأصدق، وأصاف إلى ملاحظاته الشخصية القيمة ما استطاع أن يجمعه عن مواقع المدن وطبيعة الجو وحاصلات الأرض والعادات والتقاليد الخاصة. يقول كراشكوفسكي: "في العصر المماليكي بلغ الأدب الجغرافي باللغة المارمية أوجه، ويتبين لنا من خلال فحص مصنف رشيد الدين المشهور "جامع التواريخ" الذي وإن كان في جوهره أثرًا تاريخياً صرفاً، إلا أنه يمكن اعتباره بنسب القدر مصعفاً في الجغرافية التاريخية أيضاً"<sup>(١)</sup>.

خامساً: - وفق رشيد الدين في إعطائنا معلومات مفيدة في بعض الأقسام التي يحتويها المجلد الثاني المتعلق بالتاريخ العام قد لا نجدها في غيره من المصادر؛ فقد أفاض في الحديث عن طائفة الإسماعيلية، وذكر خلاصة واقعه لكتاب "مرگدشت سيدنا"<sup>(٢)</sup> الذي يشتمل على معلومات قيمة عن تاريخ الحسن بن الصباح مؤسس هذه الجماعة. فكانت هذه الخلاصة إلى جانب الخلاصة التي كتبها عطا ملك الجويني في الجزء الثالث من كتابه تاريخ جهانگشای في غاية الأهمية والقيمة<sup>(٣)</sup>. ولا عرو أن يكون القسم الذي كتبه رشيد الدين عن هذه الطائفة أحسن ما كتب عن الإسماعيلية<sup>(٤)</sup>.

---

(١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي القسم الأول، نقله إلى اللغة العربية صلاح الدين عثمان هاشم، ص ٣٧٥، القاهرة ١٩٦٣ م.

(٢) أي "سيرة سيدنا" والرد سيدنا عنا الحسن بن الصباح مؤسس فرقة شيعة الإسماعيلية في إيران.

(٣) انظر تاريخ جهانگشای، ج ١ ص ٦٥ من مقدمة المحقق محمد بن عبد القويس القزويني، ليدن ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م.

(٤) انظر جامع التواريخ، قسمت اسماعيليان وعلمايک ووزاريک ودايميان ورفيقان، تأليف حبيب رشيد الدين عبد الله عمالي بکروش محمد علي دانش پروه وعبد مفرس (رحماني)، ص ١٢ من مقدمة المحقق.

كذلك أمكسا أن يعرف من هذا المجلد معلومات مفيدة بهما أن محيط بهاء ههناك مثلاً إشارات عن إقليم التبت واعتناق أهل البوذية وارتفاع شأن هذا الإقليم عند الممول؛ لأن البوذية كانت تنتشر منه، وتجذبهم إليها<sup>(١)</sup>. ويقرر رشيد الدين أن كهان التبت كانوا أعظم كهان البوذية مكانة خصوصاً في عهد قوبلاي<sup>(٢)</sup>. كذلك يذكر هذا المؤرخ معلومات مفصلة عن مي طباعة المكتب الذي كان معروفاً في إيران كما كان معروفاً في الصين منذ زمن بعيد.

وإذا انتقلنا إلى القسم الذي كتبه رشيد الدين عن العرجم، فإننا سوف نجد أنها يشتمل على معلومات مفيدة ومثيرة للدهشة في ذلك الوقت. يذكر أربري Arberry أن الجوابب العديدة لتقافة رشيد الدين كانت مذهلة بحيرة بالنسبة إلى دارس كان يعيش في العصور الوسطى؛ فهذا المؤرخ كان يعرف قصة الكفاح بين البابا والإمبراطور، وأن أسكتلندا تنهع الصراخ لإيجلنزا، وأنه لا توجد ثعالب في أيرلندا<sup>(٣)</sup>. وأما كارل فان فيصرح فثلاً "بالرغم من أن تاريخ العرجم يتمتع بثراء كبير في التفاصيل الممتعة التي ذكرها رشيد الدين، يمكن أن نقول بوجه عام من وجهة النظر التاريخية: إن ما كتبه لا يكاد يأتي بمعلومات جديدة أو غير معروفة تعيد البحث في تاريخ أوروبا في القرون الوسطى. ومع ذلك فإن هذا الكتاب في نظر المحققين، يصف بدقة الأفكار الخاصة بالعالم كما كان يتصورها المسلمون المتحضرين في القرن الرابع عشر الميلادي (الناس المحجرون)، وهي صورة تدل بوضوح تام على أن وجهة نظر المسلمين في ذلك العصر في الجغرافيا والتاريخ كانت تتمتع باتساع والفتح يوق بكثير وجهة نظر الأوروبيين<sup>(٤)</sup>.

كذلك عندما تحدث رشيد الدين عن تاريخ الهند بسط الحديث في جغرافية هذه البلاد، وشرح مختلف العادات والتقاليد والأديان التي كانت تسود هناك<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الرابع، ص: ٥٣.

(٢) انظر جامع التواريخ، جلد دوم در تاريخ بادشاهان مغول از نو گشای دین تا ظهور قالد. تحقيق بطوشيه، ص: ١٥٠  
الترجمة العربية لهذا القسم، ص: ٢٩٨.

(٣) Classical Persian Literature, P 156 on Rashid al Din, London, 1958.

(٤) تاريخ فرج يافعلی از جامع التواريخ، تأليف خواجه رشيد الدين فضل الله و زير همداني، با مقدمه و حواشي و فهرست يکوشش محمد دبير سيالي، ص: ١١١، مدخل "کارل يان"، تهران ١٣٣٩ هـ. ش. ١٩٦٠ م  
مجموعه خطابه های فنيي در باره رشيد الدين فضل الله همداني مقاله کتبه "کارل يان" باللغة الإنجليزية بمركز  
Rashid ge of Europe, PP 9 25, Tehran, 1971.

(٥) انظر نفس المصدر السابق، مقاله کتبه بالإنجليزية K.A.Nizama، بمطابق.

وعلى هذا النحو يكون رشيد الدين قد نهج في تأليف كتابه نهجا خاصا؛ إذ لم يتبع النهج الذي سار عليه بعض المؤرخين من العرب والعُرس الذين كانوا يعرفون أن التاريخ العام هو التاريخ للأُمم الإسلامية فقط، بل إنه كان يرى بحق أن التاريخ العام يجب أن يشمل وقائع الحياة لجميع أُمم العالم المعروفة في العصر المعول، فيكون مشتملا على تاريخ الشعوب ابتداء من العرب حتى الصين في الشرق<sup>(١)</sup>. وإذن فرشيد الدين مؤرخ لا مثيل له في تعدد مصادره واتساع أفقه، ولن يلتقي بمؤلف مثله لا في هذا العصر، ولا في العصور التالية يعالج تاريخ العرب والعُرس باعتباره "جلولا من الجداول العديدة التي تصب في بحر التاريخ العثلي"، ويعمل جاهدا في ترويض مادته من وجهة النظر هذه<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا يمسك أن يشارك دون مشقة مقدار الخدمات الجليلة التي أداها رشيد الدين للباحثين حين قدم لهم هذا السمر الضخم المشتمل على التاريخ الصحيح لجميع البلاد المعروفة في العالم حتى ذلك الحين. فهذا المؤلف يجمع بين سعة المعارف التي لا حد لها وحاسة النقد المستمرة ويمتصع من الأخبار الأسطورية التي كانت شرة الجهل والسذاجة بأخبار صادقة ولذلك يجب أن يحرص على قراءته بشغف كل أولئك الذين يرغبون في تحصيل المعارف الحققة، ويعملون ذهب الحقيقة على طريق الرائب والأخطاء<sup>(٣)</sup>.

سادسا عدل رشيد الدين عى التاريخ حسب نظام الحوليات، ونحس حشد جملة من الأحداث توضع تحت كل سنة، وتصل بدول وشخصيات مختلفة لا تجمعها رابطة، ولا تقوم بينها صلة؛ فتأتى معثرة مشتتة لا يحصل منها على غرض. وفي بعض التواريخ قد نطلى أخبار الوفيات على الحوادث السياسية حتى لتتصلب هذه، وتقتصر فى الغالب على حمل قليلة مقتضبة؛ فيترتب على هذا أن تصبح مهمة الباحث شاقة عسيرة إذا أراد تقصى الموضوع والإلام بأطرافه من كل جوانبه. أما رشيد الدين فقد أرح حسب الموضوعات وتناول تاريخ كل دولة وفقا لثريتها التاريخية. وهذه الطريقة أقرب إلى الدقة وحس التنسيق. كما أنها تساعد الباحث فى الحصول على المعلومات التي يريدها فى سر

• Rashid-al-Din Fadh Allah and India, PP 36-53.

(١) تاريخ إيران از دوران باستان تا پایان سده هجدهم ميلادى، تأليف ن. و. بيكولوسكايا وأنجريس

فرحة كريم كشاورز، ص ٣٠٥. تهران ١٣٥٤ هـ ش.

(٢) تاريخ الادب الإيراني القديم، تأليف كراتشكوفسكى، نقله إلى اللغة العربية صلاح الدين عثمان عامس،

القسم الأول، ص ٣٩٦، القاهرة ١٩٦٣ م.

(٣) جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الأول، تاريخ هولاندا، مقدمة كتيرمر، ص ٩٦، القاهرة ١٩٦٦ م.

وسهولة وإذا كان قد وجد قبله من المؤرخين من دونوا التاريخ فصولا متصلة، فإنه يمتاز عنهم بالوصوح والدقة في توثيق الموضوعات، ووضع المهارس وإدراك الجريئات إدراكا دقيقا والتوفيق في ربط الحوادث وتسيق الوقائع التاريخية هذا فضلا عن أن كتابه - كما سبق أن رأينا - سجل جامع لأخبار اسم للشرق والغرب، يتحدث عن الحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة، يتلو بعضها بعضا إلى وقت تأليفه.

سابعاً: يتميز كتاب جامع التواريخ أيضاً بسلاسة الأسلوب ووصوح العبارة وحسن التعبير والبعد عن التعميد والعموض؛ فرشيد الدين لم يحاول أن يقحم في كتابه أساليب البيان والصنائع البديعية، تلك الآفة التي ابتلى بها التاريخ، فأخرجته في كثير من الأحيان عن العرص الذي وضع من أجله. عظما فعل معاصره وصديقه "وصاف الحضرة"؛ فعلى الرغم من أهمية كتابه "تاريخ الوصاف" في التاريخ للمعصر المعول في العترة ما بين فتح بغداد وأواسط عهد السلطان أبي سعيد أي حتى سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م، نراه قد أفرط في استعمال الصناعات اللفظية وحشد كتابه بأبيات الشعر وأبيات القرآن واقتباسات من عبارات النبلاء والأدباء فقلل ذلك كثيراً من قيمته والاتصاف به<sup>(١)</sup>. أما من يقرأ كتاب رشيد الدين، فإنه يستطيع أن يحصل على مراده في بمر وسهولة، ولا يشعر بسأم أو ملل هذا ويلاحظ بصعوبة عامة أن أسلوب جامع التواريخ يجري على بسق واحد في أعذب أنجزاته. أما عندما يغفل مؤلفه أو يقتبس من كتب المؤرخين الإسلاميين فإن الأسلوب يتأثر قليلاً، ويأتي مشابها لما هذه في المصادر، ولكن هذا كان يحدث في نطاق صيق ومحدود، وبقي بعد ذلك طابع أسلوب رشيد الدين هو الطابع العالب يقول المستشرق ريكا: "كتاب جامع التواريخ الذي كتب بأسلوب سهل سلس له أهمية عالمية. والمجلد الأول المشتغل على تاريخ المعول الذي يعرض جزئيات أكثر وإطلاعات أوفى وأجمع، يعادل في قيمته سائر الكتب المشابهة لا سيما الكتب الصينية والمغولية"<sup>(٢)</sup>.

(١) لتلاقي هذا النص قام الأستاذ عبد الحميد آبي في طهران بعمل يشكر عليه إذ سعى لتاريخ الوصاف من كل أنواع هذا الحشو، وانحصر على الرواية التاريخية فقط، وذلك في دفة بالغة فأبدى بذلك للنظم عمدة جليقة، وشرف هذا الكتاب تحت اسم "تحرير تاريخ وصاف، طهران ١٣٤٦ هـ ش.

(٢) أنبأنا إسماعيل در زمان سلجوقيان ومغولان، ترجمة دكتور بطروب لؤسد، طيبان لول، ص ١٤٨ طهران ١٣٦٤ هـ ش.

بقي أن نقول في صراحة إذا كان كتاب جامع التواريخ قد سلم من التكلف والتعقيد فإنه قد طمى عليه سيل جارف من الألفاظ المعولية والتركية تتعلق بالإدارة ونظم الحكم وعادات الملوك وتقاليدهم، شأنه شأن غيره من الكتب التاريخية التي ألفت في تلك الفترة. وفي الحقيقة بدأت تلك الألفاظ تنسرب إلى اللغة العارسية منذ عهد السلاجقة والأتراك العرب والقراخطائين وآل أفراسياب. ولكن هذا التأثير كان محدوداً في عهود هذه الدول بالقياس إلى ما صار عليه الحال في العصر المعولي<sup>(١)</sup> ولا شك أن هذه الألفاظ المعولية والتركية الكثيرة نحتاج من المترجم مزيداً من البقطة والدقة حتى يصل إلى تحديد معناها الدقيق باللغة العربية وهي سبيل تحقيق ذلك، عليه أن يطلع على المريد من الكتب والمعاجم المتخصصة.

ثامناً: لم تقتصر قيمة كتاب جامع التواريخ على الساحة التاريخية والجغرافية محسب، بل صارت له قيمة هبة كبيرة؛ إذ أن ازدهار من التصوير يرجع إلى حد كبير إلى هذا المؤرخ بل إن أكثر صور المدرسة المعولية توجد مجمعة في مخطوطات كتابه جامع التواريخ وتبدو أهمية هذا الكتاب من الساحة العلمية على وجه الخصوص إذا ما لاحظنا أن أكثر مؤرخي العرب والعرب قبل رشيد الدين كانوا يعولون في تعريف أبطال التاريخ على الأوصاف الشاردة من إطرأ أو إعجاب، ويمدو أن يسيروا إلى وصف المظاهر الطبيعية أو الصناعية أو الأبنية أو غيرها من المراتب ولا كانوا يصورون المواقف ولا الرجال لكرامية الإسلام للتصوير؛ فترتب على ذلك نقص هام في التصوير العربي لخلو كتبه من الخرائط أو الرسوم أو الصور المنقولة من الطليعة<sup>(٢)</sup>.

أما إيران فكانت في طبعة الأسم الإسلامية التي لم يؤثر فيها تحريم التصوير تأثيراً كبيراً على الرغم من أن الفقهاء في هذا البلد، كانوا يكرهون التصوير والمصورين، ويرجع تركر التصوير الإسلامي في إيران إلى أن الإيرانيين شعب مبال إلى الفن بمطهرته، وإلى أن أكثر الإيرانيين كانوا من دوى المحيط العقلي الواسع والأفكار الحرة والتسامح الديني؛ إذ كانوا يرون أن تحريم التصوير في حجر الإسلام إنما كان يقصد به محاربة عبادة الأوثان. أضف إلى ذلك أن الإيرانيين ورثوا عن أسلافهم أساليب قية في النقش والتصوير. والواقع أن كتاب

(١) عباس إقبال - تاريخ مفصل لإيران، جلد أول، في حلة بيكر للنسكيل دوت تيموري،

ص ١٥٠، طهران ١٣١٢ هـ.

(٢) انظر جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، ص ١٥١، القاهرة ١٩٣١ م.

جامع التواريخ بعد من تقدم المخطوطات التي تشتمل على صور دبية. هذا إلى جانب مناظر القتال والمعارك، والمناظر التي تمثل حكام الملوك بين أفراد أسرهم وحاشيتهم<sup>(١)</sup>. وأكبر دليل على اهتمام رشيد الدين بالصورة بصيغة عامة والتصوير بصيغة خاصة أنه أنشأ بالقرب من تبريز ضاحية جديدة أسماها "الربيع الرشيدى"<sup>(٢)</sup> أقام بها المنازل والحدائق ومصانع الورق والعاقد والمستشفيات، ومكتبة صحت ٦٠ ألف محمد من الكتب العلمية والعمية باللغات المختلفة. واستقدم رشيد الدين إلى صاحبه الجديدة رجال العلم وأرباب الصناعات من مختلف الجنسيات. ولقيت أخصاً في "أحياء أهل العلم" مساكن احتشد بها عدد يتراوح بين ستة آلاف أو سبعة آلاف سمة من الأساتذة والطلاب وكات كتون الكتابة بصيغة خاصة أحب الملوك إلى رشيد الدين. وعهد إلى مهرة الخطاطين والنقوشين بسخ عدد من المؤلفات المختلفة وتصويرها. وهي مقفعتها جميع مؤلفاته<sup>(٣)</sup>. هذا ويذكر صاحب تاريخ الوصاف أن رشيد الدين أنفق أكثر من ٦٠٠٠٠ دينار في السخ والتحرير والرخفة والتصوير والتجليد<sup>(٤)</sup>. ولم تقف جهود المؤرخ عند هذا الحد، بل إنه راح يوقع

(١) انظر دون الإسلام، تأليف الدكتور وكى محمد حسى، الطبعة الأولى، ص ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، المجلد ١٩٤٨  
تصوير ولغات الصور في الإسلام، مقالته لنفس المؤلف، ص ٩، هذه للتصوير السوية بصورة  
نواح جيدة من الثقافة الإسلامية القاهرة ١٩٢٨م.

(٢) للحصول على مزيد من التفاصيل عن الربيع الرشيدى انظر مذكرات رشيدى، حررها نواجه رشيد قديم  
فصل في طب، يسمى والشمس وتصحيح محمد شمع، ص ٥٢-٥٦، ٢٣٥، ٢٣٧، ٣١٧، ٣٢١، لأصو  
١٣٦٤هـ-١٩٤٥م ترجمة القنوب، تأليف حمد الله مستوفى قزو، ما قبله وخواتم وعلماء ومهاجر  
بكوش محمد دهر سبكي، ص ٨٧، مهران ١٣٣٦هـ. في الكتاب المذكور (بإضافة) تخلص ذكرى  
"كيشه يراتى"، مقالته محمود عرفان بعنوان "زرگزين تيات غير در ايران"، ص ١٨-٢٠، بيباى ١٩٤٨م  
مجموعة خطابه حياى شيلسى در بارة رشيد الدين فصل في علمائى، مقالته محمد رمضان بنسوان،  
"رشيد الدين وريبع رشيدى"، ص ١١٢-١٢٢، طهران ١٣٥٠هـ. في عبد القيسى كازمى  
آثار باستاني آثار باستان، جلد أول. آثار وأبيسة تاريخى شهرستان تبريز، ص ١٦٢ وما بعدها  
تهران ١٣٥١ هـ.

(٣) انظر كتاب الفتوح الإسلامية، تأليف م. س. ديباند، ترجمة أحمد محمد حسى، مراجعة وتقديم الدكتور أحمد فكرى  
الطبعة الثالثة، ص ٤٢، المجلد ١٩٨٢م.

(٤) انظر كتاب تاريخ الوصاف، تأليف أحمد شرف الدين عبد الله بن فضل الله قشورى، للقب بوصاف اعصره،  
ص ٥٢٩، طبع بيباى.



على الربع الرشيدى الأوقاف الكثيرة من أملاكه وثوراته الطائلة للصرف على المؤسسات التي يصفها هذا الربع وعلى نزلاته من مختلف الطوائف والطبقات، وسجل كل هذا بنفسه بعناية الدقة والتصيل في سجل وقفية الربع الرشيدى "وقفامة ربيع رشيدى"، وذلك وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية. ولحسن الحظ سلمت هذه الوثيقة من الصباغ، وأمكن تصوير نسخة منها نشرت في طهران بإشراف عالين فاضلين هما مجتبی میسوی وهرج افشار سنة ۱۳۵۰هـ. ش ۱۹۷۲م.

وفي احتفائه ثم يكن رشيد الدين مؤرخاً محسوب، بل كان كذلك عالماً أدبياً له مؤلفات عديدة امتدت إلى كثير من أنواع المعارف الإنسانية؛ فقد ألف في الطب وفي علم الأحياء والاقتصاد الزراعى والدين والأدب، وترك في كل ذلك آثاراً قيمة إلى جانب مؤلفه التاريخي، مما يهبط دليلاً قوياً على عظمة هذا الرجل وعمق تفكيره<sup>(١)</sup>. تقول "دوروتيا كرافولسكي": "لم يكتب رشيد الدين في التاريخ فقط، بل ترك أعمالاً ذات طابع كلامي وفلسفي. وهو يظهر في هذه الأعمال سبباً متشدداً"<sup>(٢)</sup>.

وبل جانب هذا التعوق العلمي البارز - الذى كان يزيه خلق طيب كريم - عرف عن رشيد الدين براعة التخطيط وحس الإدارة وتقديره للعلم والعلماء. ونحن لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن رشيد الدين كان آخر نجم لمع في سماء دولة الإيلخانيين؛ فقد صارت الأمور بعد رحيله تغطي سرعة غزو الاحتلال والتدهور ثم الانهيار.

بهذا يكون قد انتهيا من الحديث عن رشيد الدين وكتابه جامع التواريخ، وسنقل في الصفحات التالية إلى الحديث عن رشيد الدين وتاريخ غازان خان.

(١) للحصول على معلومات مفصلة عن مؤلفات رشيد الدين انظر: جامع التواريخ، تاريخ الملوك المملىد قسطنطين، الجزء الأول الإلهاسانيون: تساريخ هولاكو، مطبعة كاتمبرج، ص ١٤٢ - ١٦٥ ترجمة الدكتور محمد المنصاف، القاهرة ١٩٦٠م مؤرخ الملوك الكبير رشيد الدين فضل الله اجملى، ص ٣٧٣ وما بعدها، وقفامة ربيع رشيدى، أثر رشيد الدين فضل الله بن أبى الخير بن عالى اجملى، مشتهر به رشيد الطيب، روى عنه مجتبی میسوی - هرج افشار، ص ٢١-٢٢، تهران ١٣٥٠هـ. ش.

(٢) ممالك الأيوبيين في ممالك الأمصار دولة المماليك الأولى لابن فضل الله المصري دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي، مشهد ص ٢٣، ترجمة العربية

## ثانياً : رشيد الدين وتاريخ غازان

كان عصر المول أحسن العصور بالمؤلفات التاريخية ومن المسلم به أن جامع التواريخ هو أفضل وأجمع هذه المصادر وقد لورد رشيد الدين معلومات قيمة بعيدة عن العرض والموى والتعصب بقدر المستطاع، واتبع عادة الدقة في وصف المسائل السياسية والاجتماعية. فهذا المؤرخ الذي كان يعمل في خدمة المول لا يستطيع أن يحمي وحشية چنكير خان وقسوته وكان لا يتردد في الكشف عن الجوانب المظلمة والمجمعة بحق الأرقام المعلوبة على أمرها. وإذا كان يشي على چنكير خان واعفائه فإنه يبدو من الواضح أن هذا لم يخرج عن مراعاة موقفه الدقيق الذي يقتضيه أحياناً أن يعمى عنه عن الحقيقة المؤلمة وفقط يبدو أن مدحه وشأه على غازان كان نابهاً من صميم قلبه وحقيقة شعوره نحو هذا المعامل المول<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت عقوبة رشيد الدين كمؤرخ قد نجت في تأريجه لچنكير خان، فإنها لتتحلى أيضاً بصورة أنه وأشمل في تأريجه لعماران خان يبدو ذلك واضحاً في إحاطته الكاملة بجميع أطراف حياة هذا الرجل منذ ولادته حتى وفاته، وتتبع ما تم في عهده من إصلاحات؛ فالأقوال التي وردت في هذا الشأن لم تذكر في أي مصدر آخر على نحو ما نراه في مؤلف رشيد الدين من الإفاضة والتفصيل.

وهي الحقيقة حيساً أراد رشيد الدين أن يؤرخ لغازان خان، محسناً أنه قد أخذ على عاتقه تسجيل هذا السلطان ورأى من واجبه الأول أن يبرر تلك الشخصية في صورة كاملة من شتى جوانبها، فكان فيما كتبه عنه موقفاً عزيز المأدبة. ولقد مهد له منصبه الرسمي - الذي كان يشغله أن يكون على علم تام بكل التفاصيل والتنظيمات المعمول بها في حكومة المول وعندما ذكر قصة إصلاحات عازان خان، كان على مقربة منها، وواقعاً على دقائقها وتفصيلاتها وشاهد عيان لكل ما تم من إنجازات، ومشيراً بالرأي السديد والتفكير والعقل الراجح كي تؤتي هذه الإصلاحات شأرها اليازمة وتغلق هذه المشود وهكذا كتب رشيد الدين قصة الإصلاحات هذه بدرجة تفوق المادة العريضة التي كتبها في الأجزاء الأخرى من كتابه، وبصورة حية صادقة قلما تصادفها في المصور الوسطى بين الموزعين في آسيا وأوروبا<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مجموعة خطابه حاي تليفي در باره رشيد الدين فضل الله همداني مقالة بعنوان بررسی اوضاع اجتماعی ایران از خلال جامع التواريخ بقلم د. خیرین بیانی، ص ٦٠، طهران ١٣٥٠ هـ.

(٢) بارتولد، مجلة العالم الإسلامي، Mir Islama، ص ٥٤.

وعن في الحقيقة لا يستطيع أن يأخذ على رشيد الدين ما كتبه عن عازان بتلك الصورة التي قد لا تخفى أحياناً من المألقة، وذلك لسبب بسيط هو أن مؤرخين من "العصرين أو اللاحقين" قد أجمعوا على توحيد عازان خان والإشادة بما قام به من إصلاحات وذلك من قبيل الوصاف والباكني وحمد الله المستوفي القروبي ومحمد ابن علي الشيبانكاري ومحمد بن هندوشاه البخجواني وميراجواند وخواندمير فهؤلاء قد أثروا على عازان خان شاه عاطراً وأشادوا بما قام به من إصلاحات. أما المستشرق الفرنسي جروسية<sup>(١)</sup> "Grousset" فقد راح ينتهم رشيد الدين بالتحيز لعازان إلى أقصى حد؛ إذ رغم أن هذا المؤرخ كان مجبوراً على إحقاق عيوب هذا الإلهام، وعلى العكس راح يطرئ بحاسه بمبالغة تامة. ونحن لا نوافق جروسية على هذا التعميم.

أول ما يلاحظه على تاريخ عازان خان هو أن مؤلفه رشيد الدين كان يستشهد بالعديد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وآيات الشعر العربي والأقوال المأثورة لتأييد وجهة نظره. وكان يصح كل ذلك في موضعه المناسب. ولا عرو فقد كان رشيد الدين يجيد اللغة العربية، ويؤلف بها، وبعد من المختارين من أصحاب اللسانين الفارسي والعربي. وإذن فليس يصحح ما ذكره الأستاذ عباس الحاروي<sup>(٢)</sup> من أن عربية رشيد الدين كانت ركيكة ضعيفة. ولما كان عازان خان يعرف جيداً تعوق رشيد الدين في اللغة العربية، كان يصحبه في حملاته على الشام ليحرر المنشورات بهذه اللغة، بحث فيها المدافعين عن المدن والقلاع على المبادرة بالتسليم حقناً للدماء؛ فكان هذا يحدث أثره الفعال ويحقق عازان غرضه المنشود دون قتال<sup>(٣)</sup>.

أما عن الموضوعات الرئيسة التي اشتمل عليها تاريخ عازان خان، فإنه يمكن حصرها في الأقسام الثلاثة الآتية:

(١) إسماعيل بن سحر بوردان، ترجمة عبد الحسي ميكله، چاپ سوم، ٦٦٨ هـ، طهران ١٣٦٨ هـ.

(٢) فتحي بن سلف، سالتور عن (١) في عهد الرسول وفتح كسان (٦٠١ هـ - ١٢٠٤ م) - ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م.

ص ١٤٦، بغداد ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

(٣) انظر الترجمة العربية

القسم الأول- يختص بحياة غازان حان منذ ولادته وولادته وتربيته تحت إشراف جده أباقا خان، وإعداداته للمهمة الخطيرة التي تنتظره. وقد عهد به إلى أحد كبار العلماء من الخطا يشرف على تربيته ويعلمه الخط المولى الأيوبرى والعلوم والآداب. وفي مدة خمس سنوات، استطاع أن ينفذ تلك المعارف. وبعد أن حصل هذه العلوم، شرع في تعلم العروسة والزراعة، وضعف بالصيد والفنس والرمي والتفغل والارتحال.

وقد شب غازان على البوذية قبل اعتناقه الإسلام، وشيّد لها عدة معابد في خراسان. وكان يسر كثيرًا بمصاحبة الكهنة الذي يمتنون إلى هذا الدين والذي كانوا قد وعدوا إلى إيران في جماعات كبيرة مد عرس المولى سلطانهم على هذه البلاد<sup>(١)</sup>.

ولما اعتلى أرغون والد غازان عرش إيران، اختار ابنه ليكون نائبًا عنه في حكم إقليم خراسان، وعهد إلى "بوروز" بأن يكون ملازمًا لغازان ومساعدًا له في إدارة هذا الثغر الهام. ولكن بعد مدة خرج بوروز على طاعة غازان، وجهر بالتمرد والعصيان. فما كان من غازان إلا أن حاربه بشجاعة واستبسال. ولما وجد بوروز أنه لا يقوى على مقاومته، أعلن الخسوع، وقدم فروض الطاعة، فعما عه غازان وضعه إلى صفه، وصار واحدًا من أخلص أتباعه إلى أن حقد عليه غازان بعد اعتلائه العرش وعمل على التخلص منه.

كذلك مما يسترعى النظر في هذا القسم أن رشيد الدين قد أبرز شجاعة غازان عندما وصل رسل جيخاتو خان (٦٩٠ هـ / ٦٩٤ - ١٢٩١ / ١٢٩٤م) ومعه عدة أجمال من أوراق النقد "الچاو"<sup>(٢)</sup> والأدوات الخاصة به من الورق الأبيض والأحتام وغير ذلك بقصد ترويح هذه العملة في خراسان. وكان غازان في ذلك الوقت نائبًا وابيًا عن عمه جيخا توحان في إدارة هذا الإقليم، وهو نفس المنصب الذي كان يشغله في عهد أبيه أرغون، فقال غازان إنه لا بقاء للأدوات الحديدية والأسلحة في ماربردان وما جاورها من مناطق بسبب جوها الشديد الرطوبة، فكيف يمكن أن يبقى الورق دون أن يتلف؟! .. ثم أمر بإحراقه تمامًا، وامتنع عن تنفيذ قرار السلطان جيخاتو<sup>(٣)</sup> كذلك تخصم هذا القسم نزاع غازان مع هاندو وقبائل الحرب بينهما.

(١) الدعوة إلى الإسلام، تأليف سير توماس، و. فرولند، ترجمه إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرون، ص ٢٦٢، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٧م.

(٢) انظر المزيد من التفصيلات من هذه المسألة الورقية في كتاب الفخر الإسلامى، ص ٢١١ وما بعدها.

(٣) انظر ترجمه.

ولعل أهم ما اشتمل عليه هذا القسم أيضاً هو أن رشيد الدين رَوَدَ الفارسي بتعديلات وإضافة عن الحدث العظيم الذي غير مجرى حياة عاران ومن جاء بعده من حكام المعول في إيران، ألا وهو اعتناقه الإسلام بناءً على مشورة موروز وانجاده هذا الدين - لأول مرة - ديمًا رسميًا للدولة المعول في إيران.

والتواقع أنه قبل غارات خان، كان في الإدارة الإيلخانية بإيران تيارات يتنازعان حول الصورة التي ينبغي أن تكون عليها الدولة الباغضة. أما التيار الأول فيريد إنشاء دولة مركزية قوية المسيطر فيها الإيلخان وكبار موظفيه وضباطه. وأما التيار الآخر فإنه كان لا يزال متعلقاً بقيم الأرستقراطية البدوية المعولية إبان حركة چنگيز خان الكبرى. ولا شك أن الموظفين الإيرانيين الكبار في الدولة كانوا من أنصار التيار الأول لما فيه من تدعيم لمكانتهم ومن محافظة على ثقافتهم المدنية ومدنهم ومجتمعهم. وقد غار هذا التيار بالفعل بوصول عاران إلى العرش. ومع تحول عاران خان إلى الإسلام، سقطت المواصل القائمة بين الحاكم وشعبه<sup>(١)</sup>.

وهكذا لم يكن هناك بد من أن يهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى وأطلال مجده التائد، كما استطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك العائشين التبريريين ويحملهم على اعتناقه. ويرجع العصل في ذلك إلى نشاط الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعاب أشدها لمهاجرة ماضيين قويمين كانوا يحاولون إحرار قصب السبق في ذلك المضمار. وليس هناك في تاريخ العالم نظير ذلك المشهد الغريب، وتلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام، وكل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك العائشين الفساة الذين داسوا بأفئدتهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقطار والأقاليم<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة لاعتناق عاران الإسلام، كان لا بد من تغيير سلوك المعول وقواعدهم ومفرداتهم؛ إذ لم يعد هناك معر من المعول عن العمل بقواعد الياسا التي وضعها چنگيز

(١) انظر كتاب العرب وإيران دراسات في التاريخ والأدب من منظور الإثنولوجي لـجيف دوروي، كرنفولسكي، ترجمه عن الألمانية الدكتور رضوان السيد، ١٩٨٨ - ١٩٨٩، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ترجمة العربية، ص: ٢٥٠.

حان<sup>(١)</sup>، وترك عادات المعول وتقاليدهم القديمة. وكان هذا مما دفع عازان إلى وضع ياسا جديدة عرفت بالياسا العازانية<sup>(٢)</sup>. وليس هناك شك في أن هذه الياسا التي وصحها وشرحها بالتفصيل المؤرخ رشيد الدين هي أرقى وأنسب للحياة الجديدة، وما ذلك إلا لأنها واقعة تحت تأثير الحضارة الإسلامية ووجود وزير مثل رشيد الدين فصل الله<sup>(٣)</sup>.

ولكن ثارت شكوك وشبهات حول إسلام عازان خان في عصره وبعد عصره؛ غير أنه لم ينهض دليل قوي في سيرة هذا الإبلان يزيد هذه التراجم بل على العكس رأينا قد أحد على عاتقه المحافظة على شعائر هذا الدين في حماسة وغيرة طوال عهده<sup>(٤)</sup>؛ حتى أنه وهو على فراش المرض قبل وفاته، لم يسأل أن يوصى الخاضعين بالتمسك بأعقاب الدين الحنيف والمحافظة على الإصلاحات التي قام بها، والتي كانت من وحي اعتناقه للإسلام، ونتيجة مباشرة له كما حثهم على الالتصاف حول أخيه وولي عهده "لؤلؤجاتيو". وأخيراً نصحبهم بضرورة الاتحاد والتآزر وبند الخلافة<sup>(٥)</sup>.

ورشيد الدين وزير عازان ومؤرخ عصره يؤيد بالبرهان صحة عقيدة عازان ورسوخ إيمانه فيقول "وكان ظني أكثر الناس أن سبب إسلامه، يرجع إلى ترعيب بعض الأمراء والمشايع وحظهم له على ذلك. ولكن بعد التمعن، علم أن ذلك الظن خطأ؛ لأنه أثناء الخلوة بي أنا العبد الضعيف مؤلف هذا الكتاب قرر أن هناك عدة ذنوب لا يعفو الله عنها أكثرها أن يسجد شخص لخصم؛ إذ إنه من المؤكد والمقطوع به أن الله لم يعف ذلك الذنب وأن المساكين من الناس المبتلين بالجهل هم الذين يسجدون للأصنام، وأنا أيضاً كنت مثلهم. ولكن الحق تعالى وهبى للنور والعلم، فنجوت وتطهرت من ذلك الإثم بهداية

(١) انظر لمصطلحات من هذه الياسا في كتاب المعول في التاريخ، تأليف الدكتور لؤي عبد المطلب الصباد، ص ٣٣٨ وما بعدها، القاهرة ١٩٧٥م.

(٢) خلاصة تاريخ سياسي واجتماعي ومرعوي إيران ناهان عهد صفوي، مجموعة مقالات دكتور ديج الله صفا (٢)، ص ١٨٨، طهران ٢٠٣٦ شمسلي.

(٣) مجموعة خطابه حاي تحقيقي درباره رشيد الدين فضل الله مصلاتي، رسالة دكتوراه، انكسار لوصاح انجسامي در آثار رشيد الدين فضل الله بقلم د. غلامحسني يوسف، ص ٤٢٢، طهران ١٣٥٠ هـ.ش.

(٤) الفخر الإسلام، ص ٢٥٣ وما بعدها.

(٥) تاريخ وصفا، ص ٤٥٧-٤٥٨، طبع بمسكني عبد الله الفتاشي، تاريخ لؤلؤجاتيو ص ١٣-١٤، طبع طهران ١٣٤٨ هـ.ش.

حصرة الحق تعالى. وتوضيح هذا الكلام أنه ليس هناك شيء قط يحمل الإنسان إلى المحيم سوى الجهل! بل إن الجهل نفسه هو جحيم لا يمكن الخروج منه. فكيف يستسيح العقل السجود أمام حماد؟! إن هذا الإقدام دليل على الجهل الخفى<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر من كتاب تاريخ عاران خان يؤكد رشيد الدين هذا المعنى ويعيد عن اللبس والإبهام يقول: "إن غازان كان صادق المشهور في اعتناقه الإسلام، ويكرر ويقول أن يكون سبب اعتناقه هذا الدين تأثير بعض الأمراء والمشايخ، بل كان يهتدى من الله إذ إنه من الحرب أن المسلمين إذا أجبروا أقل الناس شأنا على أن يكون ملكاً أو حاكماً عليهم، فإنه حسب ميله هو نفسه يدين بعقيدتهم. فإذا وجد الفرصة سانحة في تلك الولاية أو في ولاية أخرى فإنه يرجع إلى عقيدته الأولى. وإذن غاية حاجة تصطر مثل هذا السلطان الرفيع القدر، الباطش القوي إلى الانتماء إلى كلام شخص من الأشخاص في مثل هذا الأمر الخطير، فيتحول عن مذهبه أو يختار دينا آخر مكرهاً لا سيما وأن آباءه قد استولوا على ممالك العالم في زمن كثرهم!"

وبناء على هذه المقدمات علم أن آخره يكون في هذا الأمر مثل أجر إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه فقد أدرك منذ البداية بفضل تور النهاية الربانية صلال عبادة الأوثان، فحطم صممه وعرف الله بإيمانه الوجداني. كذلك كان إسلام السلطان على هذا السؤال. ورغم عظمة الملك وجبروته، فإنه عندما تحول عن عبادة الأصنام واعتنق دين الإسلام، حطم كل الأصنام التي كانت بلاد إيران وخرب تحريماً تاماً كل بيوت الأوثان وجمعة المعابد غير الشرعية، وأدخل في الإسلام جميع عابدي الأصنام والكفار الذين كانوا يريدون على عدد الرمال! بحيث إنه لم يضطر إلى قتل أي مخلوق. ولا بد أن هذا يكون له ريادة في الأجر<sup>(٢)</sup>.

والمتصفون من الباحثين الأوروبيين دافعوا عن عقيدة هذا السلطان وأثبتوا أن إسلامه كان عن صدق وإخلاص لا عن تظاهر وتفاق<sup>(٣)</sup>.

كذلك تحدث رشيد الدين في هذا القسم عن الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضد غازان وصد كبار معاويه من القواد والساسة، وبيان ما اتصف به من حرم وشدة مجاهدة هذه المشاكل والتمتع عليها. وكان يقول في هذا الصدد: إن قتل شخص من

(١) انظر الترجمة

(٢) انظر نفس المصدر.

(٣) انظر الشرق الإسلامي، ص ٢٥٦ وما بعدها.

الأشخاص أمر صعب على جنك، ولكن إذا لم تراخ السياسة والحرم في المحافظة على القضايا الكلية والجزئية فإنه لا يمكن تدوير الملك<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: يتخصص التاريخ السياسي للفترة التي حكم فيها عازان حان، كما يتخصص مبرحاً للحروب التي خاضها، والفتوحات التي تيسرت له. ولعل أهم ما اشتمل عليه هذا القسم أيضاً يتمثل في بكة "توروز" نائب عازان حان، وأكبر شخصية في عهده، فمن المعروف أنه مد أن تصالح بورور مع عازان، وتعهد له بالأمان بخاصة، ثم بوعدده. وكان له فضل كبير في حثه على اعتناق الإسلام. كما شجعه على ضرورة مقاومة بايندو وانتزاع العرش منه. والحق أن "توروز" بذل جهوداً كبيرة في هذا السبيل حتى تم لعازان النصر على خصمه بايندو، واعتلى عرش المغول في إيران في نهاية سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م

ولو كان بورور يفكر في عيانة عازان وطعنه من الخلف والتخلي عنه مرة أخرى لانهزم فرصة إقامته الخيرية عند بايندو، وانضم إلى صفه بعد أن بدلت معه محاولات عديدة من وسائل التهديد والإغراء؛ وما ذلك إلا لأن "توروز" في نظر بايندو وأتباعه هو الساعد الأيمن والعقيلة للمعركة التي ترسم لعازان الخطط وتوجهه التوجيه الصحيح، وأن استقرار البلاد سوط بالاعتماد بين بورور وبايندو<sup>(٢)</sup>. ولكن هذه المحاولات كلها باءت بالفشل، ولم تصح في إقناع توروز بالتخلي عن موقعه المزمع لعازان. وأخيراً لجأوا إلى أخيه "لغري" الذي كان من جملة أشرار بايندو في ذلك الوقت لعله يطلع في إقناع أخيه بالتخلي عن غازان والانضمام إلى صفوفهم، ولكنه فشل في مهمته. وكان رد توروز القاطع في هذا الشأن يتلخص في هذه الكلمات الصريحة: "يا أخى! إنسى منذ ثلاثة أشهر في موضع "شورغان"<sup>(٣)</sup> قد حلفت بعد العصيان والطغيان ليأبانا معنظة، وقطعت اليهود لعازان بالأمان أحالهم بعد هذا ما دمت حياً، ولا أسلك معه سبيل العناد، وإن أكون صديقاً لصديقه وعدوا لعنوه. فبأى وجه أنقص العهد وأنتك الميثاق. أتريد أن أكون ملوماً ومذموماً في الدنيا ومستولاً ومعاقباً في الآخرة؟!". كما أن رابطة المحبة والمودة هي ولائى وخدمتى لعازان هي بدرجة من الاستمرار والدوام والاستحكام بحيث لا تنقسم إلى نهاية العمر

(١) انظر الفرقة.

(٢) انظر كتاب الشرق الإسلامى، ص ٢٣٦

(٣) تكذب أيضاً شيوركان، ونحفظها العامة فنقول شيئاً. متبعة طيبة من الجورجان قرب بلخ، ويسمها وبس أبهر مرحلة من جانب الجنوب وكانت عبارة ألملة لهم لغزو المغول، يخلصها التجار ويبيعون فيها الأمتعة الكثيرة

(مجمع البلدان، ج ٣، ص ٢٢٢، ندر صافر، بيروت ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٦٨)



واقصاء الحياة؛ لأنه اليوم الخائف بالاحتشاق والملك على الإطلاق، وإنني أرى من واجبي أن ألتم بطاعته في كل أمر، فليس لوروز أمير أو ملك سواه، وليس لي شأن بالآخرين". ولما وجد لكري أنه لن يستطيع أن يؤثر على أخيه، قال له: "ها أخي! أنت ما دمت مصرًا على هذه العقيدة، ومتسكًا بهذا الرأي؛ فلي تأس على نفسك من هؤلاء الرهط". فرد عليه نوروز في ثبات وإيمان قائلاً: "رضينا بقضاء الله وقدره. فأى شيء صوره الرمان ولم يمحى، ومن الذي عاش ولم يموت. وإذا قدر الله أجلى على هذا الحو فمن الذي يهكمه رد ذلك أو دعه؟". وإذا لم يقدره سبحانه، فلست أحشى مائة ألف عفو فاهر<sup>(١)</sup>.

ولكن بعد هذه الجهود الجبارة التي بذلها نوروز في خدمة غاران، بدأت عناصر الشر تتجمع وتدير المؤامرات ضده، فأوجها إلى عازان أنه كان يتصل سرًا بسلطان مصر، وأنه أطمعه في انتزاع الملك من المعول في إيران. ولحقك هذه المؤامرة زوّرت عدة رسائل على لسان نوروز تؤيد هذا الاتهام؛ فصدر قرار الإبلهان باستئصال شائقة جميع أفراد أسرة نوروز وأتباعه، وبعد هذا على العور<sup>(٢)</sup>. كذلك كلف عازان قائده "قطع شاه" بمحاربة نوروز والقضاء عليه، ولكنه لاد بالمرار بعد أن انقض حنوده من حوله، وسار هائماً على وجهه إلى أن لجأ إلى حماية "مخبر الدين كرت" ملك هراة الذي توسم فيه نوروز خيراً إذ كانت تربطه به صلة قرابة من جهة. كما كان يطوقه بمتته وأوصاله الكثيرة من جهة أخرى. ولكن الملك فخر الدين تكرر لكل هذا، واعتقل نوروز وأرسله مكبلاً بالقيود إلى القائد المعول قطع شاه<sup>(٣)</sup>.

ويتحدث رشيد الدين عن هذه الواقعة فيقول: "سأل قطع شاه "نوروز" لم فعلت هذا؟ .. أجاب: إن عازان يستطيع محاكمتي لا أنت. وكلما سئل بعد ذلك، لم يجب على الأسئلة الموجهة إليه. وسبب ذلك أنه لم يرتكب ديباً قط، وأنه لا يلزم عليه" ثم أمر قطع شاه بقتله واحتز رأسه وأرسله إلى غاران. وكان هذا في ٢٢ من ذي القعدة سنة ٦٩٦هـ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر رشيد الدين تاريخ بيارك غازي (سلطان غاران خان)، تحقيق كارل باد، ص ٧٣-٧٤

(٢) حمد الله المستوفي القروسي تاريخ كزنده، بانضمام دكتور عبد المحسن موسى، ص ٦٠٩، تهران ١٣٣٦-

١٣٣٩هـ.ش.

(٣) انظر كتاب الشرق الإسلامي، ص ٢٨٢

(٤) انظر الترجمة

إذن رشيد الدين هنا يعترف اعترافاً صريحاً بمرآة نورور من الهممة الموجهة إليه. ولكنه يعود ويتناقص مع نفسه، ويذكر في أكثر من موضع من تاريخ غازان أن نورور عمد إلى الخيانة عدة مرات، وكان السبب في تخريب خراسان، وأنه يعمل على تهديد الأموال. وليس هذا بصحيح لأن "نورور" استمر على إخلاصه لغازان كما سبق أن ذكرنا. ولم يبد على تصرفاته ما يؤخذ عليه.

وعلى هذا يكون رشيد الدين قد وقف إلى جانب غازان يؤيده ويبرر أفعاله بهيم حق لأنه في مركز القوة والسلطة ولا يسعى أن يفسد إلى جانبه شخص آخر يمكن أن يائسه. يقول بروكلمان: <sup>(١)</sup> "صطبح غازان في عرض سلطانه على دوى قرياء وعلى أمراء الملوك أبلغ الفسوة وأقبح العنف، وحتى الأمير نورور الذي كان له الفصل في ارتقاء العرش لم يلبث أن ذهب ضحية هذه السياسة".

والواقع أن صتغ غازان حان بالسلطة المطلقة التي لا تقف عند حد تكون أحياناً مصدرها هي إزبال الكبات والمصائب على رؤوس مروعيه خصوصاً أولئك الذين يقتربون منه. يقول دوسود (٢): "لا توجد صفحة من كتاب جامع التواريخ في اجراء الذي يتناول الحوادث التي وقعت في عهد غازان لم يتحدث فيها المؤلف عن قتل هذه الشخصية أو تلك من الشخصيات البارزة".

ورغم كل هذا يرى رشيد الدين يدافع عن غازان ويجرده من كل عيب! فيصاها مثلاً قوله: "وإذا حلف المظلمون على بواطن الأمور بالأيمان العظيمة أن سلطان الإسلام حلد ملكه لم يقتل أحداً مطلقاً إلا ذلك الشخص السيئ الخلق، ولم يلم القضاء عليه، وأن وجود الأشرار هو عين الضرر للعالمين فإن أيمانهم صحيحة لا نستلزم الكفارة"<sup>(٣)</sup>. فهذا القول لا يخلو أبداً من مبالغة، وبخالف الحقيقة. ولما أن تساءل: إذا كان الشخص المعادي لغازان يستحق العقاب فما ذنب إخوته وأفراد أسرته وأنصاره وأتباعه إذا كانوا أبرياء؟ للأسف كان يقضى عليهم أيضاً. وهذا ما كان يحدث في عهد غازان وغير غازان من ملوك الملوك

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية الدكتور به لى مارس وسير الجليلي، ج ٢، ص ٢٧٤، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٤٩م

(2) Histoire des Mongols, IV, P.200

(٣) انظر الترجمة العربية

السابقين. فحين لا ننسى مثلاً نكبة الجوليين في عهد والده أرغون خان<sup>(١)</sup> أو مأساة الجولانيين في عهد أبي سعيد<sup>(٢)</sup>. ففي شريعة المول أنه ما دام الشخص - كائناً من كان - قد نكب، يعنى أن ينكب كذلك كل من يتصل به من قريب أو بعيد. وهذا لا شك ظلم فادح وتصرف جائر بعيد عن الحق والعدل، ولا يمكن تبريره مهما حاول رشيد الدين. ويدل فالأمر الذى لا شك فيه أن غازان خان على الرغم من أنه يعد أكثراً سلاطين المول في إيران، وأنه ورق الفدرة الكافية على إدارة شئون الحكم، كان قاسياً ومتشدداً إلى أقصى حد، ولا يقيم ورثاً لأى شخص مهما كانت مصلته، وحتى أقاربه ودوره لم ينجوا من بطشه وقتله. روى أنه خلال شهر واحد قتل خمسة من أسراء الأسرة الحاكمة وسبعة وثلاثين من أسراء المول الآخرين<sup>(٣)</sup> وكما يقول هورث "Howorth"<sup>(٤)</sup>. "برهن عاراً بذلك على أنه ليس أقل من أبيه (أرغون) جرأة على سحق الدماء".

وهي موضع آخر جاءت كلمة الحق على لسان رشيد الدين؛ وذلك عندما أهربر من غير قصد السرعة التكتيكية الموفرة في شخصية عاراً خان، إذ يقول عنه "لم يكن يدع سبيلاً لأى أمر لو ورنى كى يعترض ويتحدث عن شأن من الشؤون، ولم يكن يقيم ورثاً أو اعتباراً لأى واحد يعرض فكره أو رأياً، بل يظل الجميع مستظريين ومترقبين إشاراته لتتبع ما يأمر به إلى حد أنه لم يترك عملاً لمخلوق كى يسأله حتى عن يوم الرجل" ويتابع رشيد الدين مبرراً هذا التصرف، فيقول: "وفي الحقيقة لم يشق ذلك على أى شخص منهم لأنهم جميعاً شاعروا أن نفسه هي الأكمل ورأيه هو الأصوب من كل الوجوه وكذلك حركاته وسكاته مرقته إلى أقصى حد، فلا جرم أن رأوا أنفسهم لا شئ بالقياس إلى كفاءته"<sup>(٥)</sup>.

كذلك من الموضوعات الثلاثة للظفر والحديرة بالتأمل في هذا القسم الثامى، الحملات التى شنها غازان على القوات المصرية والسورية في بلاد الشام، والتى انتهت بهزيمة على يد المصريين والسوريين، وتغيبص الإقليم السورى نهائياً من سيطرة المول

(١) الشرق الإسلامى، ص ١٥٣ - ١٦٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٤٨ وما بعدها.

(٣) انظر كتاب فتوحات مغول، تأليف ج. ج. ساندرز، ترجمة طبر قندام حاتم، ص ١٣٤، تهران ١٣٦٣ هـ.

(٤) History of the Mongols, Vol. 3, PP. 404-405.

(٥) انظر الترجمة

قام غازان خان بثلاث حملات على الشام؛ ففي المرة الأولى وجد هذا السلطان الفرصة ساحة خاربة للمالِك بحجة الدفاع عن الإسلام والمسلمين في هذا الإقليم فتقدم الجيش المصري بفؤده السلطان الناصر محمد بن قلاوون، والتقى الجيشان عند "مرج المروج" شرقي حمص حيث دارت معركة عبية في ١٧ من ربيع الأول سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م أسفرت عن انتصار للمول.

وعندما أُرِّخ رشيد الدين لهذه الحملة لاحظنا أنه راح يكيل المدح للسلطان غازان وصار يطرأ شجاعته وبطولته؛ مذكر أنه وقف في القلب كأنه جبل شامخ، وكان المصريون معتمدين إلى أقصى حد على عددهم وعدتهم، غير أنهم لم يكرسوا يتركبون أنهم وضعوا أنفسهم على أداب الحيات، وأيديهم على الأشواك. ولما فتح العرب الكسبي على المول كانت القنرات المولوية تفت لهم بالمرصاد، فلما سمع سلطان الإسلام صوتاً من الوادي الأبيض يقول: لا تخف نجوت من القوم الظالمين<sup>(١)</sup>، فكان لتلك البشري أثر قوى في نفسه الماركة، وصار يرجس كالأسد المحصور، ويتمزق صموف الأعداء، ويجدل أبطالهم بطنع اللسان. ثم صاح على حوده فزولوا وأمطروا الأعداء برابل من السهام، وشوا عليهم هجومًا كاسحًا. وفي النهاية هُزم المصريون. ثم يسترسل رشيد الدين في مدحه وشالته على غازان وإبراز تفوقه على أعدائه<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك ينتقل رشيد الدين إلى الحديث عن الحملة الثانية سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م فيتصق مع غيره من المؤرخين على عدم حدوث التحام بين المول والمصريين نظرًا لسوء الأحوال الجوية، وهطول الأمطار العريرة وكثرة الوحل واشتداد البرودة، بحيث إن قائدين من قواد المول لم يستطع أحدهما أن يتصل بالآخر وهلك كثير من ذوابهما بسبب الوحل والبرد. فما كان من غازان إلا أن أرسل قائداً ثالثاً على رأس عشرة آلاف جدي حتى ينقلوا المحاصرين بدوابهم. وعندما وصلوا إلى هناك، استطاعوا أن ينقذوا أنفسهم بمشقة كبيرة. ولما رأى غازان هذه الصعوبات قرر العودة من حيث أتى دون قتال<sup>(٣)</sup>.

أما عن الحملة الثالثة التي قام بها غازان على الشام، وانحسرت قواته بقوات الناصر محمد ابن قلاوون في الثاني من رمضان عام ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م عند "مرج الصمر" فقد أسفرت

(١) قرآن كريم، سورة القصص، آية ٢٥.

(٢) انظر الترجمة العربية.

(٣) انظر نفس المصدر.

عن انتصار القوات المصرية والسورية انتصارا ساحقا على قوات المملوك. وبصعوبة بالغة نجح من الهلاك القائدان المملوكيان قطع شاه وچوهران، وقليل من الجود. وانتصار المصريين في هذه المعركة تكون قد فشلت ثلاث محاولات للملوك في إحصاع سورية، وتكسب المماليك من قهر أعظم وأشد علو واجهته مصر ضد ظهور الإسلام<sup>(١)</sup>.

وهنا نلاحظ أنه عندما تحدث رشيد الدين عن هذه الحملة، اختصر الحديث وتغلب على صفة الحياد التي تحتم على المؤرخ أن يذكر الحقائق مجردة عن كل غرض أو هوى في حالتي النصر والهزيمة. ولا شك أن رشيد الدين سلك هذا السلوك محافظة على شعور عاراك الذي يود أن يراه منتصرا دائما.

وبعد انتهاء المعركة، أسرع القائد المملوك "قطع شاه" في العودة حيث قابل غازان خان في "كشاف"<sup>(٢)</sup>. ومن المحتمل أن يكون هو أول من أبلغ السلطان بآثار كارثة الهزيمة وعن رد الفعل عند عاراك وسامعه هذه الأخبار المرعبة، وكيفية استقباله لقطع شاه، لم يقل رشيد الدين كلمة واحدة<sup>(٣)</sup>. كذلك نلاحظ أن هذا المؤرخ لم يحدثا بشيء يذكر عما تم في المجلس الذي عقده عاراك في مدينة الإسلام "أوجان" في السادس من صفر سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م للتحقيق في الأخطاء التي ارتكبتها قوات الجيش المملوكي، وكانت سببا في الهزيمة العسكرية التي لحقت بهم وكل ما قاله في هذا الصدد هو أن المحققين كانوا يستجوبون المتهمين على ضوء الملاحظات التي أبدعها عاراك، وأن قواعد الياسا الكبرى قد طبقت في كل الشئون الخيرية<sup>(٤)</sup>. وإذا فالملوك بعد إسلامهم لم يتخلوا عن التمسك بأحكام الياسا كلما وجدوا في ذلك مصلحة لهم هنا على حين أننا إذا نظرنا إلى مؤرخ آخر هو أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله الشيرازي الملقب بوصاف الخصرة، والذي كانت تربطه برشيد الدين علاقة ود وصداقة<sup>(٥)</sup> فإننا نراه يسلك مسلكا آخر مخالفا لرشيد الدين؛ إذ يعطيا تفصيلات وافية عن معركة "مصرح الصمر" في كتابه "تجربة الأمصار وتزجية

(١) تاريخ سورية وبلادها، تأليف الدكتور مهيب حني، ج ٢، ترجمة الدكتور كمال البارزجي، الطبعة الثانية، ص ٢٧٢ بيروت ١٩٧٢.

(٢) كشاف، بالضم، موضح من راب الملوك (إقوت - صميم البلاد)، ج ١، ص ٤٦١.

(3) The Cambridge History of Iran, V.5. Dynastic and Political of the Il Khans, by Boyle, P 394, Cambridge, 1968.

(٤) انظر الترجمة العربية.

(٥) انظر مؤرخ الملوك الكبير رشيد الدين فضل الله القسطلاني، ص ٢٢٢.

الأعصار"، والذي اشتهر باسم "تاريخ وصال"<sup>(١)</sup>. ومنه يعلم أن عدد قتلى المعول بلغ عشرة آلاف جدي والأسرى عشرين ألفاً<sup>(٢)</sup>.

كذلك يروى الوصال بمعلومات عما تم في المجلس الذي عقده عازان هاكمة المسئولين عن الحرب، وكان في مقدمتهم قطع شاه وچويان. وقد تبادل هذان الإنسان الاتهام في حصرة عازان وبدأ چويان بالحديث فادعى أن قطع شاه لم يتم بمعايته كما ينبغي، ولم تغطأ قدمه أرض المعركة لمساعدة الجيود الذين كانوا معرضين للدمار. فرد عليه فتنفخ شاه مدافعاً عن نفسه؛ فزعم أن الوقت لم يكن مناسباً للهجوم، وأن چويان قد خالف الأمر. ولهذا كان كارها لتصرفه، وباء على هذا رأى من المصلحة نجح عوص للمركة إلى جانب چويان في ذلك الوقت<sup>(٣)</sup>. فلما سمع عازان هذا، أمر بتوقيع العقوبة على المقصرين ومعهم من دخول المعسكر عدة أيام. ولم يستش من العقوبة چويان نفسه، إذ صرب بالمراوة ثلاث ضربات<sup>(٤)</sup>.

شيء آخر يشير الإعجاب ويحمد للوصاف باعتباره مؤرخاً، هو أنه على الرغم من اشتغاله بحملة المعول وقصته بأنعامهم وقربهم، كان لا يستطيع أن يحصى مشعوره الذي ظهر

---

(١) بعد هذا الكتاب، واحداً من أهم المصادر في تاريخ المعول في إيران، وروايته في وصف الحوادث المقطع عما جاء في كتاب معاصره رشيد الدين؛ مما يدل على أن كلا المؤلفين قد اعتمد على مصادر مسافة عن تلك التي اعتمد عليها الآخر. هذا فضلاً عن أنه يحصى على أخبار لا توجد في رشيد الدين وقد أخذ عنه القاصرون مثل ميرخوندا مير أن أسلوبه رديء جداً. وقد كتم الوصال كتاب الجويني وبالإضافة إلى هذا تحدث عن الأطراف مثل فارس وكرمان وشبكتار. ولا شك أن مصادر التاريخ اعلمى كذلك قد أخذت من تاريخ الوصال.

Spuler: Die Mongolen in Iran, P 9, Leipzig, 1939.

(٢) انظر التصيلات في كتاب تاريخ وصال، ص ١٠٩ - ١١٣، طبع بمبای.

(٣) يقول بيرس للصورى. وأخبرونا بأنهم لما صال بهم الأمر، وأحاط عليهم المعسكر حوطة انحصار، جاء چويان أحد مقدميه، إلى قنطر شاه، وقال له: "أرد أن تعطى عسكرياً الحجم به على تلمسى، فدا وافقه على ذلك فعليه وقال له: "أنت الذي حررتنا وسقتنا إلى هنا، وحالقت ما رسمت لك به قنار، فإنه لم يأمرك بالقتل إلى هنا المكان، بل أوصاك أن تقيم بحسب ولا تتقدم ولا تتقدم إلى مكان سواد، وصرب عرس وولى عه. وجمع أصحابه وحملوا على حميد، وزلوا من الجبل طلق طرمق الرحمة (اختار الأخبار). تاريخ الدولة الأيوبي ودولة السلاطین البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، ص ١٢٦، حققه دكتور عبد الحميد صاغ حيدان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٤) تاريخ وصال، ص ١١٤، طبع بمبای.

يوضح في أسلوبه حينما تحدث عن ملوك الأطراف البعيدة عن إيران. فقد كان كبيره من الناس لا يزال يقيم على المول ويرى فيهم قوما طاعة جبارين سفاكين للدماء، مكبت بهم الأمم الإسلامية، فكان يتوق إلى أن يرى هذه الأمم نهض من كبوتها وتسرّد بعدها وتستطيع أن تستبدل هؤلاء القوم وتعلمهم على أمرهم. وقد ظهر هذا الشعور بوضوح عندما راح الوصاف يشرح أحوال ملوك مصر من الأيوبيين والمماليك، ويصف الحروب التي اشتبك فيها المماليك مع المول، تلك الحروب التي أسفرت عن نصر محقق للمماليك واندحار تام للمول<sup>(١)</sup> تقول دوروثيا كراثولسكي: "لكن الوعي بالتناقص الذي لا يبدو واضحاً في عمل رشيد الدين التاريخي يظهر في عمل مؤرخ فارسي آخر هو شرف الدين عبد الله بن مهمل الله الشيرازي (عاش بين ٦٦٣ و ٧٣٠ هـ تقريباً / ١٢٦٤ - ١٣٣٠ م) الملقب بوصاف الحصرة، والذي كان يحظى بدعم رشيد الدين وتأييده فقد نجراً وصاف الحصرة، فأشاد بإسلام المماليك ودولتهم وانتصاراتهم على المول أعداء الإسلام أملاً أن يأتي اليوم الذي يستطيع فيه المسلمون التحرر من وحشة المول وحكمهم غير الإسلامي"<sup>(٢)</sup>

كذلك الحال عندما تحدث للزورخون العرب<sup>(٣)</sup> عن الحروب التي دارت رحاها بين عاران من جهة وبين الناصر محمد بن قلاوون من جهة أخرى، نلاحظ أن مؤلفيها حرصوا

- 
- (١) تاريخ وصاف، ص ٨٣ - ٨٤، طبع بساكن مؤرخ للمول رشيد الدين مهمل الله التستقي، ص ٢٢٤  
 (٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار دولة للمماليك لابس مهمل الله المصري. دراسة وتحقيق كراثولسكي، الطبعة الأولى، ص ٣٣ - ٣٤ من المجهود المطبوع، الترجمة العربية، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٦ م.  
 (٣) من هؤلاء المؤرخين علي سبيل المثال لا الحصر، أبو القاسم التزديد حماد الدين، المختصر في أخبار البشر، المجلد الثاني الجزء الثالث، ص ٤٢، ٤٤، ٤٨، ٤٩، نشر مكتبة التتسي، القاهرة بدون تاريخ، ص ٢١٦ - ٢١٨  
 ٣٥١ - ٣٥٩، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ، عن المؤلف: نسخة المملوكية من الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية من الفترة من ٦٤٨ - ٧١١ هـ، تحقيق دكتور عبد الحميد صالح حمدان، ص ١٥٦ - ١٦٦، ١٦٣ وما بعدها، الطبعة الأولى، دار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.  
 نفس المؤلف مختصر الأعصار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ تحقيق دكتور عبد الحميد صالح حمدان، ص ١١١ - ١١٤، ١٢٣ - ١٢٧، الطبعة الأولى، دار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.  
 أبو بكر عبد الله بن أبيك القنوقري. كسر القدر وجامع القدر، الجزء التاسع، وهو الفن القدر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هاشم زوبرت روبر، ص ١٥ - ٢، ٤٥، ٤٧، ٥٨، ٨٨ =

على أن يروودوا بمعلومات صحيحة، ولم يحاولوا إعطاء الحقائق وراحوا يكشفون عن الثغرات التي وجدت في صفوف المصريين والسوريين وكانت سبباً في هزيمتهم أمام قوات المعول في موقعة مرج المروج. وهكذا جاءت رواياتهم صادقة وبعيدة عن العرض والموى وكان من الطبيعي أن تحدث هذه المصادر عن معركة النصر الحاسمة في موقعة مرج الصفر، وتشيد بكفاءة الجيود المصريين والسوريين.

والواقع أن الجهاد الذي أدى إلى هذا النصر المؤزر على المعول لمثل جانباً مهماً من تاريخنا القومي الذي تغرر وعثر به على الدوام. وهناك حقيقة يجب أن نقرها، وهي أن المواجهة الطويلة سبباً بين المعول والمماليك، كانت حدثاً تاريخياً ترك آثاره الواضحة في أذهان الناس وسمى لديهم إحساساً عميقاً بالقومية العربية والإسلامية، وشعوراً قِيَّاساً بالعصر والرهو بالانتصارات الرائعة التي أحرزها المصريون والسوريون في مصر والشام اعتماداً على كفاح الشعوب في هذه المنطقة وخارجها كما أبرر فعالية الأبطال ودورهم اللامع المشرق في التاريخ<sup>(١)</sup>.

هذا وقد شك بعض المؤرخين في إسلام غازان مستندين إلى أنه كان في حروب مستمرة مع المماليك الذين كانوا يمثلون في ذلك الوقت حماة الدين الإسلامي، والذين كانوا يمثلون لواء الرعامة للبلاد الإسلامية. هذا من جهة ومن جهة أخرى كان غازان يرحب بتعاون المسيحيين معه ضد هؤلاء المماليك. وعلى هذا لم يتردد في التحالف مع المسيحيين الأوربيين في سبيل القضاء على عنونهما المشترك<sup>(٢)</sup>. ولكن خاب ظن هؤلاء وهؤلاء بانتصار المماليك انتصاراً حاسماً في موقعة مرج الصفر على النحو الذي ذكرناه سابقاً.

---

- القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م تقى الدين أحمد بن علي القميري. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة ج ١، ٢، ص ٨٨٧ ٨٩٥ ٩٢٣ ٩٣٨، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٠م أحمد بن أحمد بن أبي الحسن بن علي بن زعيم، مناقب الزعمور في وقائع الدهور، الجزء الأول، القسم الأول، تحقيق الدكتور محمد مصطفى، ص ١٠٣ ١٠٤ ١١٢ ١١٦، الطبعة الثانية، مكتبة الصنعة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢هـ - ١٩٨٢م.

(١) انظر مصداق الأبطال في مصداق الأمصار - دولة المماليك الأولى لابن فضل الله العمري (٧٠٠ ٧١٩هـ / ١٣٠١ ١٣١٩م) دراسة وتحقيق كزفر لاسكي، الطبعة الأولى، ص ١٢ ١٣ من المعهد للدراسات، ترجمة الدكتور وصوف السيد، بيروت ١٩٦٧هـ - ١٩٨٦م.

(٢) انظر دكتور حبيب لوى، تاريخ اليهود في بلاد، جلد سوم، ص ١٠٦، طهران ١٣٣٩هـ - ١٩٦٠م سبيل ريسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور السيد الجار العربي، ج ٢، ص ٧٣٧ ٧٣٧، بيروت ١٩٦٩



ورثنا على هذا الادعاء نقول إن عازان كان مسلماً مخلصاً في إسلامه ما في ذلك من عكس. وإذا كان قد حارب الممالك المسلمين فما ذلك إلا استجابة للطبيعة البشرية التي جبت على حب العظمة والظهور والليل إلى السيطرة والتوسع والفرصة في الغزو والفتح. كذلك أقدم عازان على اتخاذ هذه الخطوة تحقيقاً لسياسة جرى عليها أسلافه من قبل لمدة طويلة دون أن يحققوا أهدافهم إذ لحقت بهم المراتم المتكررة، ويريد هو أن ينتقم لهم. وهذا هو العصر الحديث مثلاً نجد الأوربيين رغم اتحادهم في الدين قد اضطرتهم المصاسات السياسية والعوامل الاقتصادية إلى ش الحروب بعضهم ضد البعض، صجروا العالم إلى حربين عالميتين، عانى العالم من وبلاهما مدة طويلة وإذا كان عازان قد اتحد مع المسيحيين ضد المسلمين، فما ذلك إلا لأنه وجد نفسه في حاجة إلى مساعدتهم. وأن التحالف معهم إنما هو وسيلة أمثلتها عليه السياسة فحسب، وليس للدين دخل فيها لا من قريب ولا من بعيد<sup>(١)</sup>.

القسم الثالث: فيه يتحدث رشيد الدين بالتفصيل عن أربعين حكاية الحكايات الست الأولى منها تتضمن عطف المعارف والتفاعلات التي اطلع عليها عازان خان، والخيرف والصاعقات التي مارسها ممارسة فعلية، ويان ما اتصف به من خلق طيب كريم وما صير به من فصاحة وبلاغة وصبر وجلد وسخاء وكرم. غير أن قيمة هذا القسم تلح الضرورة علما يتحدث المؤرخ بالتفصيل عن إصلاحات عازان خان؛ تلك التي تشمل جوانب الحياة المختلفة من إدارية واقتصادية وعمرانية واجتماعية. وهذه الواحي هي التي يهتم بها مؤرخو الحضارة كما تغطي بعناية الفاحش والندارس؛ خصوصاً من يدرس العصر الممولى الذي ذاع عنه أنه عصر تخريب وتدمير وتحطيم للحضارة والمدنية وتشريد للعلماء والأدباء.

وفي الحقيقة عندما اعتلى عازان عرش الممولى في إيران، وأعلن الإسلام ديناً رسمياً للدولة قضى على القوة السحيفة التي كانت تعمل بين الحكام والمحكومين. بسبب اختلاف الدين، وبمع الجميع بأحوة الإسلام، هزمت الحواجز الجنسية والطبقية التي كانت تفصل بين هؤلاء، مما ساعد على اندماج الممولى في المجتمع الإسلامي، واشتد تأثيرهم بالبيئة الحضارية الإسلامية. وفي الحقيقة كان إسلام عازان خان نعمة كبيرة، وسعادة لا حد لها بالنسبة إلى إيران؛ ذلك أن الحكومة الباطشة السبعة الفاسية، نصير محبة بل كارثة تحمل

(١) انظر المصنع العربي، تأليف مجموعة من العلماء كلية الآداب بجامعة عس شمس، الطبعة الأولى،

بالرعايا المظلومين. ولا شك أن البكّة تكون أشد وألكنى إذا كان دهن الحكام يتخالف دهن المحكومين؛ خصوصاً إذا علما أن الكثيرين من أفراد هؤلاء الحكام كانوا يصمرون عداوة صريحاً وحقيقياً دينياً للمسلمين. ومن هنا عدت حكومة المعول في إيران - قبل غاران جان- أقصى وأضعف الحكومات، غير أن كل هذا قد تغيرَ تغيراً كاملاً بفضل إسلام غاران جان<sup>(١)</sup> كذلك في عهد هذا الحاكم المعول تحدد موقف الدولة من الأقليات غير المسلمة التي كانت تغطي منهم بالكثير من العطف والرعاية على حساب المسلمين؛ فقد انتهت هذه السياسة إلى غير رجعة، وفرضت على هذه الطوائف الجبرية بصورة منتظمة، وحددت مكانتهم في المجتمع الإسلامي كأهل ذمة لا يرقون إلى مستوى المسلمين<sup>(٢)</sup>.

ومما هو جدير بالذكر أيضاً هو أن حكم غاران قد هباً للمعول فترة هلواء كمعوا فيها أهدبهم إلى حد ملموس عن القتل والعار، وعادوا إلى الحالة الطبيعية مراد تأثرهم بمصاراة المظلومين، وحلوا في إصلاح ما أحدثه أبائهم وأجدادهم من تخريب وتدمير وصاروا أكثر استعداداً للمساهمة بعبئهم في إنهاء الحصار الإسلامية من كيوتها وهي الحقيقة لم يكف غاران بصنع حياته الخاصة بالصعبة الإسلامية، بل تعدى ذلك إلى رفع الظالم عن طبقات الشعب الكادحة، ومعاربة صروب الفساد في مختلف شئون الحياة، وذلك كله طبقاً لما تنص عليه الشريعة الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

لقد كان هدف غاران هو استقرار الأمور السياسية الداخلية ووضع علاج حاسم للجراح الدامية التي كانت قد وجدت قبله في الجسد العليل بل المستهلك لبلاد إيران. وفي الحقيقة كانت تسود البلاد كلها حالة من العوضى والفساد؛ فكان لا بد من القيام بسلسلة من الإصلاحات الواسعة التي تهدف إلى الترميم من الرعية والعمل على استئصال الداء من جذوره. ولقد رأى مثاقب فكره أن يستعين بالكتاب ولرباب القلم ورجال السياسة المحكيين من الإيرانيين؛ وذلك من أجل تنفيذ برنامج الإصلاح الشامل، فنصّب رشيد الدين الذي

(١) انظر برون. تاريخ قديمي إيران از بهة قرن هفتم تا عصر فرد بهم هجری (إر سندی تاجلی) ترجمة على أمير حكمته ص ١٧، طهران ١٣٢٧ هـ ش ١٩٤٨ م

(٢) الدكتور محمد صالح افشار: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة للبرلوس، ص ٢٩١ - ٢٩٥، قم ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

(٣) انظر الدكتور مصطفى طه بدر: تحول إيران من التبعية والإسلام، ص ٣٧، القاهرة بدون تاريخ.

كان طبيباً ومن أبرز أهل القلم، ومن كبار العلماء والمتقنين، مصته وزيراً لكل الممالك التي يحكمها عاران، فعمل هذا الوزير مع من شاركه في منصب الوزارة على إيجاد حكومة قوية ثابتة ومفتدرة في ظل السيطرة الكاملة والعود المطلق للسلطان عاران وذلك بهدف تقوية أساس دولة الإيلخانيين، فكان رشيد الدين بذلك، العامل الرئيسي في تمهيد كل الإصلاحات التي نمت في هذا العهد.

وهكذا بفضل مساعدة رشيد الدين وجهوده ورأيه الصائب أثمرت جميع الإصلاحات التي كان يتوق عاران إلى تحقيقها في مختلف شئون دولته<sup>(١)</sup>. ونتيجة لهذه الجهود المثمرة أصلح الجهاز الإداري الذي كان يشمل الفلولوى المختلفة كما أدخلت تعديلات جوهرية على جهاز القضاء، وأصبح يسير شاملاً وفق أحكام الشريعة الإسلامية. كذلك أحدث عاران نظاماً جديدة في الجيش. ولم تقف جهوده عند هذا الحد، بل إنه سعى سعياً جدياً في تثبيت حقوق الملاك والمزارعين، وعمل على اتساع رقعة الأراضي المروعة، وذلك بشق الترع والقنوات، مما أدى إلى ازدهار الزراعة<sup>(٢)</sup> وإصلاح الحالة الاقتصادية في البلاد وتحسين أوضاع الناس. ومن الإنصاف أن يذكر أن عاران حان أعاد كذلك النظام والأمن والأمان إلى مختلف المناطق التي تعرضت لكثير من القلاقل والحروب الفصية. كما أنه بذل جهوداً جبارة في سبيل أوضاع الطبقات الفقيرة، والقضاء على المظالم التي تعرضوا لها في عهد أسلافه من حكام الملوك.

وهكذا رأينا عاران حان بمجرد أن اعتلى العرش، أحد يسعى سعياً جدياً في أن يجبر النقص الذي حدث في كل أجهزة الدولة نتيجة لأخطاء السالفين؛ وذلك بما كان يبذله من طاقة جبارة وعزيمة قوية، وبمساعدة وريائه الأكفاء، وفي مقدمتهم رشيد الدين. وفي الحقيقة سعى عاران بإخلاص في تغيير معالم الحياة المختلفة المليئة بالعيوب إلى معالم أخرى

(١) تقي كندوزي في عهد زارت رشيد الدين فصل الله صفائي، تأليف دكتور هاشم رجب راند، ص ٧ - ٨.

تهران ٢٥٣٥ خانداني.

(٢) من الإصلاح الزراعي انظر الترجمة العربية للحكايات السادسة والثلاث والسابعة والثلاثي وتلخيص عن مزيد من التفاصيل انظر كتاب كندوزي وسننات لرسي دو إيران عهد ملوك، تأليف إيليا باونو مع بطرشمسكي، ترجمة كريم كندوزي، جلد أول، چاپ دوم، ص ١٥٢ وما بعدها، تهران ٢٥٣٥ خانداني.

مشركة تعبد الأُمس والاستقرار للناس، وتؤمنهم على حياتهم وأرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم ومن البدهي أن غاران ظل طوال فترة حكمه يتمتع بمرصة قوية لا تغتر. ولم يتحل عن عزمه على تحقيق مأربه. وعندما يرى العقوبات تقف في طريقه، وتحول دون الوصول إلى أهدافه، كان لا يتردد في اللجوء إلى الشدة التي تبلغ حد القسوة يستدل على ذلك بأحداث القتل التي لا أول لها ولا آخر؛ وذلك على العكس من عمه جيحاتو خان (٦٩٠ - ٦٩٤ هـ / ١٢٩١ - ١٢٩٤ م) الذي كان تقصه الشجاعة والجرأة؛ إذ كان في أغلب الأحيان يتمتع عن تنفيذ أوامر القتل والإعدام. وفي عهد غاران بأكمله بدلت جهود كبيرة مرهقة، وشت حملات متعددة ورغم الجهود المصيبة التي بذلها غاران في سبيل الإصلاح، لم تنجح له الفرصة كي تخرج أفكاره كلها إلى حيز التنفيذ؛ فسرعان ما لبست فترة حكمه القصيرة ثوبا حريبا ووضعت موته المبكر حدا فاصلا لهذه الجهود الجبارة التي قام بها والمساعى للتواصل التي بذلها في سبيل إصلاح دولته فالحرث عليه، وقبل هذا على مصير بلده الذي كان في أمس الحاجة إلى حاكم قوى مثله<sup>(١)</sup>.

وإن الروايات التي ذكرها رشيد الدين في كتابه، وشملت الأحداث المعاصرة له لتدل بوضوح تام على أن هذا المؤرخ لم يكن متفرجا غريبا عن هذه الحوادث، أو على أنه المؤرخ الذي يؤرخ فقط، ولكن تدل أيضا على أنه هو الذي يلعب دورا هاما في هذه الأحداث ويشير على غاران بالرأي السديد، ويساعده على تعيد مشروعاته وإصلاحاته، مما يثبت أنه الرجل الذي يهتم بكل التفاصيل التي تتعلق بشئون الدولة. ولا شك أن هذه الإصلاحات هي بمثابة مرآة تبين عليها حياة الناس ووقائع عصرهم، وتعتبر أسلادا تاريخية قيمة جذبرة بالدراسة والبحث ولقد تبه الباحثون إلى أهمية دراسة الواحي الحصارية في حياة الشعوب لأنها النتائج الحقيقي الواقعي لمسيرة التاريخ البشري. ونس إذا عرفنا أن المصادر التاريخية غالبا ما تهتم بالجواب السياسية والحربية في حياة الشعوب، فإنه يسعى أن نشكر ضام التقدير ما كتبه رشيد الدين عن غاران خان الذي استطاع في سنوات قليلة أن يعيد الحياة والازدهار إلى ربوع البلاد التي كان يحكمها.

(١) شوبلر تاريخ دول در ایران سیاست حکومت و فرهنگ دوره پهلوانان، ترجمة دکتر محمود نصیری، ص ٩٧ - ٩٨، تهران ١٣٥١ هـ ش.

والواقع أن حديث رشيد الدين عن الإصلاحات التي تمت في عهد غازان والتي سجلها بفلمه أروع تسجيل في كتابه جامع التواريخ، لا يصادف مثله - على هذا النحو من التفصيل والوصوح - في كتابة أى مؤرخ آخر. وفي الحقيقة عندما أراد هذا المؤرخ الرسمى أن يكتب شيئاً عن السلطان الذى كان يحكم فى ذلك الوقت اعتبر رفع شأنه واجبه الأول. وهو فى الحقيقة جدير بأن يال هذه الدرجة الرهبة عند مؤرخه رشيد الدين.

ما نلاحظه على هذا القسم الثالث هو أن رشيد الدين عندما تحدث فى الحكاية الأولى منه، والتي كتبها بهوان، "فى تنون كمالات سلطان الإسلام وعلومه ومعرفته الصاعات المختصة، ووقوفه على أسرارها" راء قد تناول الصعات التي اتصف بها غازان، والصاعات التي عرفها ومارسها؛ وذكر أن هذا العاقل كان يحب صحة الأدباء والحكماء والمصلاة والعقلاء المنارين وبالسهم ويطرح الأسئلة عليهم ولا يترك مجالاً لأى محال أو مرور يتحدث فى حصرتة بكلام فيه خداع ورياء. وكان على اطلاع تام على الأدباء والمثلى والحل، وواقعاً على معتقدات كل طائفة بحيث إنه عندما كان يتباحث مع أئمة تلك المذاهب، يعجرون عن الإجابة عن واحد من عشرة أسئلة يوجهها إليهم. وأما عن اللغات المختلفة؛ فكانت للمؤلية لغته الأم. وكان يلم بالعربية والعارسية والهندية والكشميرية والنشبة والخطائية والترجمة وسائر اللغات<sup>(١)</sup>.

وكان يعرف أيضاً تاريخ السلاطين المتفهمين والمتأخرين، ويقف على آدابهم وعاداتهم ونظمهم. وأما عن الحرف المختلفة فإنه لا توجد حرفة قط لم يمارسها بيده؛ وذلك من قبيل الصياغة والحدادة والحجارة والنقش وصب المعادن والحراطة. كذلك مارس صعة الكيمياء ووقف على طريقتها فى مدة وجيزة، وأحاط أيضاً علماً بالصاعات الدقيقة النظرية. وقد اطلع على علم الطب وعرف الأدوية ووقف على أكثر خواصها، واكتشف الأعشاب الطبية، وعرف فوائدها. كذلك امتد نشاطه إلى المعادن وكيفية استخراجها وصهرها، وصار يحيط بما يحويه منها كل موضع من الجبال والصحارى التي يراها. وأما التعايرة فإنه يعرف

(١) يقول ابن حجر الصفاتى "كان غازان يتكلم بالفرنسية مع خواصه، ويههم أكثر ما يقال باللسان الفرسى" (الدرر الكامنة فى أعيان تلك القادة، ج ٣، ص ٢١٢، نشر دار الجبل، بيروت ١٣٥٠هـ).

مها ما يقرأ لكل آفة. وأحيرا وليس آخرا فإنه كلاك يحيط أهما بأسرار علم النجوم والفينة. وبهذا يكون عازان قد حصل نصيبا من كل علم يتصور. وقد صرح في النهاية بأن خلاصة «علوم علم الإلهيات. وإلى الآن ما زال عازان يشغل نفسه دائما بالتعليم والتعلم.

وبما لتسائل حقا: هل يمكن لعرد واحد مهما أوتى من ذكاء وعقوبة أن يحيط علما بكل هذه المعارف والتفانعات والقصاعات؟<sup>١٩</sup> ولم لا يكون رشيد الدين قد قال هذا على سبيل التملق والترلف والمبالغة؟

في الحقيقة يرى رشيد الدين نفسه بشعر بهذا الحرج، فيسرع بالدعاع عن وجهة نظره دفعا مطلقيا مستشهدا بالمعاصرين له والتقريريين من مسرح الأحداث يقول: "وأهل هذا العهد واقفون على تلك الحقائق، وهم شهود على أن الحال يجري على هذا السؤال، وذلك حتى لا يطمس القراء في كلامي قائلين. لقد حدثت مبالغة فيما كتبت".<sup>٢٠</sup>

بعد ذلك تنقل إلى الحديث عن أهم الإصلاحات التي قام بها عازان، والتي كانت صادرة من وحى إسلامه وصعاء نيته. وكان مهتديا فيها بتعاليم الإسلام السمحة ومبادئه القوية؛ فدفعه هذا إلى القيام بهذه الإصلاحات التي رعت مسلكه إلى مقام كبار المصلحين والمشرعين، على أن بين بوضوح إلى أي حد وفق رشيد الدين في عرض هذه الموضوعات بعيدا عن المبالغة والتعاق والرياء؟

في الحكاية السابقة بصوت "مى" يذلل الديانة الوثنية وتخريب معابد الوثنيين "نعلم أنه عندما اعتنق عازان الإسلام، أمر بتحطيم كل الأصنام ومعابدها، وهدم بيوت النار والمعابد الأخرى التي لا يجوز وجودها شرعا في ديار المسلمين. كذلك أجزع عازان البودين عبي الدخول في الإسلام، وعدد المتأففين منهم الذين يتظاهرون باعتناق هذا الدين، وحرهم من أمرين: إما أن يرحلوا إلى بلادهم وإما أن يظلوا ثابتين على ما في قلوبهم وصماثهم بشرط ألا يحاولوا تلويث الدين الإسلامي بعقائهم. وعددهم بأنه سوف يجعل للمحالين منهم طعمة للسيف. ويعلق رشيد الدين على هذا الموقف الحازم من جانب عازان خات قائلا: "وهي وقتنا هذا فإن الأقليليين منهم الذين بقوا في إيران لا يجدون فرصة مواتية لإظهار عقيدتهم

أو مندهم، ودلت مثل أقوام الجوس والملاحدة الذين يستوطنون هذه البلاد منذ زمن قديم، ولكنهم ينفون معتقداتهم".

وفي الحكاية التاسعة بعنوان: "في شجاعة السلطان وإعداد الجند للحرب" يرى المؤرخ رشيد الدين بطرى شجاعة غازان ويرى مقدرته العاتقة في قيادة الجيوش وبشى على مهارته في غرض غمار المعارك، وبصوره على أنه قائد محك يرسم لجسوده الخطط الكفيلة بالصمود أمام أعدائهم والانتصار عليهم. كذلك يؤكد ضرورة إرسال الجواسيس بصفا مستمرة لتفصى الخفائى عن العدو والاطلاع على أحواله وجمع المعلومات عنه وبعد جمع هذه المعلومات توصل كل الأفكار والخطط والأعمال موضع التنفيذ وإلا فإن التصرف الذى يقوم على غير هذا الأساس يكون كالملاكمة فى الظلام.

إلى جانب هذه الصفة المادية لا يسى غازان الصفة الروحية، وهى الأخرى ضرورة لازمة لشىات أمام العدو، وإعاق نظرية به؛ فعلى حالة معاداة الجود قواعدهم، عيهم أن يتوجهوا دائما بية طيبة، وأن يشتعلوا بذكر الله تعالى، وأن يطهروا أنفسهم فلا يرتكبوا أفعالا سيئة، وأن يكونوا محبين لمواطنيهم ووطنهم، وعليهم ألا يظلموا أحدا حتى يثق الناس بهم، ويدلوا همهم الطيبة فى سبلهم، ويدعوا لهم بتصرع مستحباب لهم؛ إذ إنه ليس للجد ذخيرة قط أفضل من دعاء الخير والهمة الطيبة

وهى ختام هذه الحكاية يعطى رشيد الدين على مصونها بقوله "وعلى هذا الشوال كان السلطان يصح جماعة الأمراء والجود، وظل ينصحهم، بل إنه تحدث إليهم بكلام كثير أدق من هذا لم يبق فى الذاكرة وإن لو رجا شرح كل ما قاله لأدى ذلك إلى التظويل. وحيث إن المقصود هو إيراد شواهد وأمثلة، يكون هذا القدر كافيا خاصة وأن الزوائد والإضافات معلومة وتحققه للجميع.

وأما الحكاية الحادية عشرة، فقد جاءت بعنوان "فى مع سلطان الإسلام الجود وغيرهم من النعمه بكلمات الكفر؛ إذ لاحظ غازان خان أن بعض الأمراء والجود وغيرهم يطلقون ألسنتهم بالفر والتباهى بأرائهم الصائبة كما دأبوا على التلمظ بالمعاط قد تزدى إلى الكفر. وكان يلاحظ على الجند بصفة خاصة أنهم إذا ما تم لهم النصر على العدو ووقفوا فى حياتهم، سبوا كل هذا إلى أنفسهم، وأطروا شجاعتهم. أما إذا هزموا فى إحدى المعارك أو أنهم لم يوقفوا فى عمل من الأعمال، قالوا: "إن هذا قضاء الله وقدره، وإلا فقد سعيّا وبدنا الجهور الجبارة".

ولتحلولة دون الوقوع في هذا الخطأ أصدر عازان مرسوماً صلى فيه على أن من يتعوه بهذا الكلام يكون مفسداً، وعليه أن يتقن أن الحسة من فصل الله وأن السيئة إنما هي نتيجة الأعمال المستهجة التي يقدم عليها الإنسان. وغازان في إجرائه هذا إنما يسترشد بما جاء في القرآن الكريم: ﴿ما أصابك من حسرة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا﴾ (١).

الحكاية الثالثة عشرة: "في أبواب البر التي أنشأها سلطان الإسلام في تبرير وهدمان البلاد الأخرى، والأوقاف التي وقعها، وتنظيم المساجد".

هذه الحكاية تنصص أعمالاً باررة قام بها عازان. وهي أيضاً من وحى الإسلام ومنفعة مع تعاليمه السامية لأنها تحث على فعل الخير، وتدعو إلى العطف على الطبقات الفقيرة التي هي في أسس الحاجة إلى المساعدة والأخذ بيدها حتى تهض من كبرتها، وتستطيع أن تسير ركب الحياة في المجتمع بطريقة سليمة كريمة بعيداً عن الانحراف والسلوك للشين.

هذه الجهود تتمثل في الأوقاف (٢) الكثيرة التي وقعها عازان على المؤسسات الخيرية القائمة في الولايات المختلفة للقيام بأعمال البر والإحسان. ويصحب ذلك في الإنفاق على المساجد والمدارس والمؤسسات الخيرية والمستشفيات ودور الكتب والقضاء والجماعات والجرائمات والأيتام والأرامل والمسنين وذوي العاهات، وإعانة المحرومين والمستحقين. وكذلك في سبل الإشراف على تربية الأطفال اللقطاء الذين يلقي بهم في عرص الطريق هؤلاء يجدون العناية والرعاية، ويعهد بهم إلى المرصعات اللاتي يوفرن كل ما يحتاج إليه حتى يبلغ الأطفال سن الرشد والنمير. وهذه العناية تشمل أيضاً الإنفاق على دهن الموتى من الغرباء الذين يموتون في تبرير، ولم يكونوا يملكون مالا يفي بإجراءات دفنهم. وفي صراحة وتواضع راح عازان يقول: "مع أنه ليست لنا مرتبة الصالحين، لكن تشبهاً بهم عمدنا إلى إنشاء أبواب البر كي تكون مثوى لأغرتنا. وبذلك نصير لنا خيرات وصدقات جارية، وبركات تلك الخيرات، تأخذ بيدنا رحمة الله تعالى، ويدخر لنا ثواب دائم. وإنه من

(١) سورة النساء، آية ٧٩.

(٢) انظر مقالة بعنوان "توقف صورة مشرقة في التاريخ الإنساني للحضارة الإسلامية" كتبها إبراهيم بويري في مجلة الأنفلة الصادرة في شوال ١٤١٨ هـ. بلغ خريف ١٩٩٨ م، العدد العاشر المجلد السادس والأربعون، ص ٢ ٣، الملحق الملكية العربية السعودية.



الفضل إلى أقصى حد أن سرع في إنجاز هذه المؤسسات في الوقت الذي منح الحق تعالى القدرة، وهباً لنا الفرصة حتى تتم هذه الأعمال بمن التوفيق<sup>(١٦)</sup>

ومما يذكر أيضاً بالخير والثناء على عازان هو أنه لم يقتصر على تقديم مساعداته للإنسان، بل امتدت رعايته إلى الحيوان؛ فقد أمر بأن تشر الحبوب فوق أسطح المنازل في أشهر الشتاء الباردة في إيران عندما تشتد البرودة ويزل الثلج، فتلتقط الطيور هذه الحبوب آمنة مطمئنة، ولا يحارل أحد قط اصطحابها. وكل من يفصدها بسوء تحمل عليه لمة الحق تعالى وسخطه، وعلى الثور وسكان تلك البقاع أن يستعوا المعتدين ويردعوهم وإلا يكونوا آثمين.

كذلك شمل عازان بمطفه العتات المطلوبة على أمرها من العساكر والجنود والأطفال الذين يكلمون بقل الماء، وتكسر أوانيهم والكيران التي يحملونها أثناء نقل الماء إلى المنازل، ويخشون عقاب ساداتهم، فإن الثور يعرضهم عنها أواني جديدة، وذلك بعد أن يتحرى الحقيقة.

وشيجة لإيمان عازان العميق واعتماده على الله وطلب المعونة منه، أنه في كل ولاية حل بها، ورأوده أمل، وعن له مراد ومست حاحة مسترة لجأ إلى حضرة الحق تعالى، وأقضى إليه بسره، والتزم نذراً وأدى صلقة

وهكذا ملأ الإيمان قلب عازان، فكان يمر دائماً إلى الحق تعالى بحاجاته، وهو متأكد - دون أدنى شك - من أنها مقصية لدى المحصرة الإلهية بفصل الخيرات والصدقات والتدور، ولا يصيح أبداً ذلك أمداً.

وفي النهاية يعلق رشيد الدين على أعمال الخير والبر التي قام بها عازان ورصد لها المبالغ الطائلة، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة، فيقول على سبيل المبالغة "ولا شك أن أي مخلوق لم يمر في أي عصر ومن أي سلطان مثل هذه الخيرات الكثيرة والمبرات والإنعامات والصدقات الجارية". وأخيراً يدعو رشيد الدين لعازان قائلاً: "فليصح الحق جل وعلا هذا السلطان العادل الكريم مريداً من التوفيق على هذه الخيرات، وليوصل بركاتهما ومثوباتها إلى أيامه المباركة"<sup>(١٧)</sup>.

(١٦) انظر الترجمة

(١٧) انظر نفس المصدر

خصوصاً بما تم في هذا المجال في عهد ملكشاه ووريثه الكبر نظام الملك الطوسي، فعازان مقتنع تماماً بأن ما صممه هو عين الصواب؛ ولذلك رأى أن يسير على مواسمهم.

ولما كان رشيد الدين هو المستشار المحللص الأسمى لعازان، والذي يساهم بعقله وتمكيره فيما يقوم به المعامل المعول من إصلاحات، ملاحظ أن هذا المؤرخ كان معجباً بالسلاجقة مشيداً بمجهودهم البارزة في شتى المجالات، لا سيما في مجال القضاء؛ إذ كان يرى فيهم المثال الأعلى في تحقيق العدالة بين الناس، وإصدار الأحكام وفقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية. وعلى هذا راح رشيد الدين يذكر صراحة أن عازان اقتدى بالسلاجقة في عدم النظر في القضايا التي مضي عليها أكثر من ثلاثين سنة، كما اقتدى بهم فيما يتعلق بالأوقاف وضرورة مراعاة شروط الواقف وعدم إتاحة الفرصة للتلاعب والتزوير، وتوقيع العقوبة على المخالفين والدليل على إعجاب رشيد الدين بالسلاجقة أنه عندما أرتخ لهم في المجلد الثاني من كتابه جامع التواريخ للمستعمل على التاريخ العام، راح يمدحهم ويذكرهم بالخير. يقول: "م يكن من هؤلاء السلاطين أعظم، وعلى الرعية أشفق، ولرعاية الحق أجدر من ملوك السلاجقة رحم الله الماضين منهم ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾<sup>(١)</sup>. وقال جل ذكره. ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم من الخيرة﴾<sup>(٢)</sup>. وما ذلك إلا أنه قد ظهرت في عهدهم خيرات ومبركات كثيرة من إحياء معالم الدين، وتشيد قواعد الإسلام وإن مآثرهم التي أقاموها من بناء وإشياء للمساجد والمدارس والأربطة والقناطر والأسبلة والأوقاف والخيرات، وما أنفقوه من أموال على العلماء والصالحين والقضاة والسادات والرهاد والعباد والأخبار والأبرار، لم يوجد مثلها في أي عصر، ولا تزال آثارها باقية إلى الآن في الممالك الإسلامية

تلك آثارنا تدل عليها فانظروا بعدما إلى الآثار<sup>(٣)</sup>

(١) قرآن كريم: سورة البقرة، آية ٢٤٧

(٢) قرآن كريم: سورة القصص، آية ٦٨

(٣) رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ، جلد ٢ جزء ٥ ذكر تاريخ علي سليمي، بسعي وإعتناء أحمد بخش،

ص ٣ ٤، أنقرة ١٩٦٠م.

كذلك رأى غازان ضرورة تحرى البتة في اختيار القصة نظراً لعظم المسؤولية التي يتحملونها، وحتى يضمن القيام بواجبهم على الوجه الأكمل. وبذلك تتحقق العدالة على أيديهم أثناء نظر القضايا التي تعرض عليهم. وفي نظير ذلك قرر مسح القصة امتيازات خاصة من قبيل إعفائهم من الضرائب، وإعطائهم مرتبات مجزية حتى لا يميلوا أيديهم إلى غيرهم فيقبلون الرشا والهدايا. وكان يحافظ على كرامة القصة وتوفير الحماية الكافية لهم في قاعة الجلسة. وفي سبيل تحقيق ذلك، كان يعهد إلى الشحنة بتوقيع العقوبة على من يرفع صوته للشوش على القاضي أثناء انعقاد الجلسة أو محاولة التأثير عليه. كما أرم القصة بتنفيذ أحكام الشرع بكل دقة، وعليهم أن يمسوا النظر في المصالح المزورة والمكسوك والسجلات الموهمة، ومحاولة تقصي حقائق الأمور والأحوال حتى يصلوا إلى عورها.

• وبالإضافة إلى ما سبق، أرم غازان القصة بصرفه مراعاة الدقة المشاهية وشدة الاحتياط في الاستماع إلى شهادة الشهود التي يترتب عليها صدور الحكم في القضايا المختلفة؛ فقد رأى غازان شائب فكره أن القصة يسعون تساهلاً في هذا الشأن ولا يجتهدون في تحرى الحقيقة، ودون أن يتطرق الطمأن إلى عيوسهم أو يطلب الظن ويعطى الشك في صحة الشهادة وسلامتها؛ يترتب على هذا الإهمال ضياع حقوق الأبرياء من التفاصيل ومن المعروف أن شهادة الزور هي الدين الإسلامي تعد من أكبر الكبائر؛ فقد ورد في الحديث الشريف عن أنس: "أكبر الكبائر الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور" وعنى هذا يقف القضاة عاجزين أمام شاهدين، ولا يحشون مغبة هذا الإهمال. ومن المعروف أن ثبوت الحق شرعاً، ولو أنه متوقف على شهادة شاهدين؛ إلا أن الشهادة مقيدة بشرط توافر العدالة والعدالة أمر عظيم لا تتوافر إلا في أفراد البشر وعلى سبيل الدرة؛ إذ إن هوى النفس يستول على أكثر الخلق. إذن يجب على القاضي أن يعكر دائماً في أن شهادة زور أو عمرو لا تخلو من هوى النفس أو اغتيال إلى إحدى الجهات أو مراعاة شخص من الأشخاص، ولا يجوز أن يخدع هذا القاضي لجرد أن الشاهد يسو في سمع الرجال الصالحين، ويزين ظاهره بزخرف القول.

وما دام الأمر على هذا النحو، كان على القاضي أن يسعى بسلامة التفكير ولطائف الخيل وصفاء الذهن؛ فيسأل كلا من الشاهدين على انفراد كي يتبين التفاصيل في أقوالهما

ويستمر في سؤال كل منها عدة مرات حتى تتضح الحقيقة، فلما الصحة التي يمكن الاعتماد عليها وإصدار الحكم بموجبها، وإما الشبهة التي توجب التوقف عن إصدار الحكم؛ فيكون ذلك سبباً في النجاة من ورطة الحكم بالباطل. ونتيجة لهذه الإصلاحات الباءة صارت الأمور الشرعية والقضايا الدينية تهرم وفقاً لأوامر الله تعالى ورسوله عليه السلام. وبذلك استقرت حقوق الخلق في مواضعها الصحيحة.

وأخيراً بين رشيد الدين على لسان غاراز الهدف الذي يهدف إليه من وراء إصلاحه القضاء يقول: "إنه لا ينبغي على الجميع أن غافوا من تنميد هذه الأوامر ليست إلا رعاية جانب الحق جل وعلا وتقوية الشرع الإسلامي لا راق معظماً وبسط العدل وراحة الرعية كما أن من التيه هو أن يقتضي القصة آثار الحق والعدل. وإن غرضاً من تكرار التحذير والتخويف هو جبر لخال الإنسان وليس تحطيمه، ورفع قدر القصة لا إعط من شأنهم، وتكريمهم لا إهانتهم. وإذن فالأولى أن يستمع القصة لهذه التعليمات طامعاً وأن يتنعوا بما جاء فيها وأن يتأكدوا من أن كل من يعمل بها ويرجع جانب الحق ويصون منصب الشرع الشريف من شئ<sup>(١)</sup> التليس، ويتخذ الاحتياط التام في الفصل في القضايا سوف يكون مشمولاً بعظماً إلى جانب الأجر الجزيل الجميل<sup>(٢)</sup>.

وهي الحكاية السابعة عشرة بعنوان: "في المحافظة على الرعايا ورعايتهم ودفع الظلم عنهم" ملاحظ أن غاراز كان يسعى سعياً جدياً في سبيل أن يعيش الناس دائماً في راحة تامة وقد صرح بأن العائلة من حاصل عمر المرء هي الدنيا إما تكون في تحقيق الصالح للناس. وعلى هذا الرم نفسه أن يجد ويجتهد إلى أقصى حد في هذا المجال لتدارك العيوب. ومن الإنصاف أن يذكر أن هذا الصاهر قد مجع بجاحاً بامراً في إعادة الأسس والطام إلى ربوع هذه البلاد التي تعرضت للفلاقل والمخزات. كما أنه بذل جهوداً جبارة في سبيل تحسين أوضاع الطبقات الفقيرة والأخذ بيد العناصر المطلوبة على أمرها والقضاء على اللطالم التي تعرضوا لها في عهد أسلافه من حكام المول، ويريد ألا تتكرر هذه المأساة في عهده. ولهذا يتوجه بكلام صريح وواضح إلى أفراد الهيئة الحاكمة من أسرته، ويعظهم على

(١) اثنين: القبح والخبث والفساد يقال خابته خباة شروعه وعابه (المعجم الوسيط، ج ١ ص ٤٠٤)

(٢) انظر الترجمة

سياستهم التي تقوم على التعالي والعطرية اعتمادًا على أنهم هم السادة المسيطرون، وأما غيرهم فهم الميذ المطيعون.

يقول هؤلاء مهذّبًا ومعتدًا: "أنا لا أحابي التاريك (السكان من الإيرانيين) وإذا كانت هناك مصلحة لأنا غير على الجميع، فليس هناك من هو أكثر مني على القيام بهذه المهمة ولكن إذا توقعتم مني بعد ذلك زائدًا أو طمعًا، أو الخسب هذا أو ذلك، وسوف أغضب لكم في القول، وأخذكم بالشدة والنعيم. وبمضي أن تفكروا جيدًا في أنكم لو أنقذتم على الرعية، وأكلتم لحوم أبشارهم، واسترلتم على بنورهم وعلاهم فما عساكم تفعلون بعد ذلك؟". كما أنكم إذا ضربتم سباهم وأطعالمهم وأدتموهم؟ فإن عليكم أن تفكروا كيف أن سباهم وأبأهم أعراء عليها، وأن حال فليدات أكبادهم تكون هي نفس حال أطعالمها، وهم أيضًا آدميون مثلاً ضائعًا. وقد قرّض الحق تعالى أمرهم إليها، وسوف تُسأل عما يصيبهم من خير أو شر فكيف يجب؟ ونحن عندما يؤذيه يكون جميعًا شعبي ولن يعود عليها صرر نتيجة وجودهم. فما الداعي إذن إلى إهانتهم وإحقاق الضرر بهم وأبئة عظيمة وشهامة تحصل لنا من وراء ذلك؟". وماذا نجني غير الشؤم الذي سوف يريق بنا نتيجة سوء عملها، ولن ننجح في أي عمل نقوم به. يجب أن يظهر فرق واضح بين المطيع والعاصي من الرعية. والفرق بين الخالين هو أن الرعايا المطيعين في أمان من الحاكم والعصاة غير آسئس. وإذا فكيف يجوز ألا تؤمس المطيعين فيكون منّا في عذاب ونصب؟. لا بد أن نستجاب دعوتهم بلعنا والدعاء بالسوء عليها. وعلى هذا يسعى التفكير في هذه الأمور. وأنا دائمًا أسدى إليكم هذه النصائح وأنتم عنها عافون"

وهكذا نتيجة لأمثال هذه النصائح بقي واحد من ألف من تلك المشاعب التي كانت تنتحق بالرعايا قبل هذا؛ فلا غرو أن ازداد جمهورهم في مختلف الممالك توجهًا بالدعاء للدولة. فيمكن هذا الدعاء مقروئًا بالاستجابة بحق الحق وعرفته<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن ما جاء على لسان غاران من نصائح غالبية لأبأه قومه وتحذيرهم من مغبة سوء معاملتهم الرعايا لما ينادي به الإسلام الذي يدعو إلى المساواة ويحث على فعل الخير دائمًا.

وفي الحكاية السادسة والعشرين بعنوان: "فني مع إقراض المال بالربا والقضاء على التعامل بالربح العاشر" تحدث رشيد الدين عن الأضرار التي لحقت بالجميع نتيجة التعامل بالربا، وكشف عما جرت به هذه العادة المدمرة من متاعب ومشكلات على مختلف الطبقات، وما سببه من إفساد الدم وغريب الصمات، الأمر الذي أدى إلى تحجج الكبار المخلصين من ماصيهم وإحبارهم على ترك أعمالهم حتى يفسحوا المجال للعابثين والشهازيين ليعرضوا في الاستغلال والإفساد، وحتى لا يكونوا عقبة أمام هؤلاء الضالين للضلال. فكانت النتيجة المتوقعة أن عمت الموصى وكثر الصب والاحتيال، وأدى الأمر إلى إفلاس الكثيرين. وصدق الحكماء الذين قالوا: "إن الملك يفتل ويبرول عندما يحس الأشخاص الإكفاء عن مراوغة الأعمال المناسبة لهم وتسند إلى غير الأكفاء".

فعل السلطان عازي بعد نظره ونائب فكره إلى أن أس كل هذه المعاسد هو التعامل بالربا؛ فإذا منع ذلك؛ فإنه يكون قد قوى الشرع الإسلامي من جهة وأخرج الخلق من ورطة الضلال إلى جادة المظلمة من جهة أخرى.

ولما انتفع عازي بأنه لا بد من وجود علاج لحاسم لهذا الوضع الذي أدى إلى الإفلاس والحسران، أصدر مرسوما في شعبان سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م يقضى بتحريم التعامل بالربا ولكن وجدت معارضة من يادئ الأمر، فلم يصح إليها وأصر على رأيه. وكان يرد على المعارضين قائلا: "إن الله تعالى والرسول عليه السلام يعلمان مصالح العالم أنصلا ما وهذا ما أمر به الله<sup>(١)</sup> ورسوله وإن أسع فط كلاما يخالف ذلك".

ونتيجة لهذا الموقف الحازم والإصرار على الرأي الصحيح، زالت كل الأضرار التي كانت تحدث، واستقامت المعاملات، وعم الإنصاف كافة الطبقات. ثم بحث رشيد الدين للأمر حتى لا يتهم بالمالعة فيصرح قائلا: "ولا شك أن أهل هذا الزمان يتركون قيمة هذه الأمور إذ إنهم شاهدوا هذه المعاسد. أما الذين يعيشون بعد هذا ولم يروا حقيقة ما حدث فأتى لهم أن يذكروا عائدة هذا القانون؟"

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الفرقان الكريم: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ رِبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَمْصِقُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ آسٍ﴾ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأمثل الله البيع وحرم الربا فس جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فلولك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿ (سورة البقرة، آية ٢٧٥).

وأخيراً يدعو رشيد الدين لعاوان بقوله: "عليه الحق تعالى هذا السلطان كى يقضى دائماً على هذه الرسوم المذمومة، وحتى يجعل قواعد الشرع الشريف مهيأة وراسخة"  
 وفى الحكاية السابعة والعشرين يقول: "فى صبح المعالاة فى صداق الرواح" بين رشيد الدين كيف عالج عازان خاد موصوعاً اجتماعياً مُهماً يتعلق بالعلاقة بين الرجل وروجه ومضى هذا أنه كان للأسرة أيضاً نصيب كبير من عاقبته فهو يرى بحق أن الحكمة الإلهية فى تشريع الزواج أن يكون هناك ناسل وتوالد بين الأدميين للحفاظ على النوع البشرى واستمرار الحياة. وعلى هذا لم يدخر عازان وسعاً فى اتخاذ الوسيلة الكفيلة بالحفاظ على الأسرة، والعمل على ترابط أفرادها.

ومن هذا المنطلق حرص عازان على أن تقوم العلاقات الإنسية بين الرجل وروجه على أسس سليمة من التفاهم والتخف. فإذا تعرضت هذه العلاقات لخطر الخلاف والنزاع، وتعددت التوفيق بين الطرفين، فإنه من الأفضل أن يعترف الزوجان. ولكن عازان رأى بحق أنه فى هذه الحالة قد يقع الصداق الممال فيه عقبة كأداء تحول دون التوافق فتتحول الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق.

والواقع أنه إذا روعيت بين الزوجين طرق المحبة والوفاق فإنه لا يستطيع أحد أن يفصلهما الواحد عن الآخر. وإذا لا يكون للروحة نفع من المعالاة فى الصداق ولا يتصور أن يقع صرر على الزوج من هذا الإجراء. أما إذا لم يحدث بين الجانبين اتفاق واتحاد، فإنه عندما يكون الصداق كبيراً، لا يستطيع الزوج أن يطلق زوجته لأن ذلك يتطلب المزيد من المال؛ وهذا من شأنه يؤدى إلى استمرار الخصام والنزاع بين الزوجين، ويجر فى النهاية إلى زيادة الكراهية والحقد والمضب، فيقضى كل منهما حياته فى ضجر وحمية. أما إذا كان الصداق قليلاً، فإنه بالنسبة لمعظم الطلاق تنتهى المرافعة بالمعارفة، ويتخلص كل من الزوجين من شر النزاع والجدال، ويبحث كل منهما عن روج آخر مناسب<sup>(١)</sup>. والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ يَتَرَكَا بَعْضُكُمَا مَالاً مِنْ سَعَتِهِ. وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً عَلِيماً﴾<sup>(٢)</sup>

(١) عورتهم. حبيب السر، ٢٢، ج ١، ص ١٦٨.

(٢) قرآن كريم، سورة النساء آية ١٣٠.

تتبع عاران إلى تلك المعاملة في الصداق، ورأى أنها لا تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية التي تقول على لسان النبي صلى الله عليه وسلم: "خير النكاح أيسره وخير النكاح أقله كلفة"<sup>(١)</sup>. وما دام الرسول صلى الله عليه وسلم قد استحس المهر القليل في الزواج، بمعنى أن يخص الناس الصداق إلى أقصى حد؛ بحيث إنه لا تجب عليه الركاة.

بناء على هذا أصدر عاران أمره بتقليل الصداق، فجعل حده الأقصى تسعة عشر ديناراً ونصف، وكلف القضاة بالآلا يصدقوا على عقود الزواج إذا راد على هذا المبلغ. ولا شك أن مسألة تحديد الصداق هي من شؤون الحياة الموكولة لمعظمها إلى اجتهد المفسرين والمصلحين. ومن رأى المحاكم تحديد ذلك بقدر معلوم يتلاءم مع مصلحة جميع الناس، فإنه جائز قطعاً، وليس في الشرع ما يسمه إذ هو من المصالح التي تتفق مع مقاصد الشارع كما جاء في الحديث الشريف: "يسروا ولا تعسروا"<sup>(٢)</sup>.

وفي الحكاية التاسعة والعشرين بعنوان: "في منع الناس من احتساء الشراب" يتحدث رشيد الدين عن تحريم عاران حلال على الناس احتساء الخمر في الطرقات والأسواق بسبب ما كان يحدث من عريضة ومشاجرة بين السكارى، وإلحاق الأذى والضرر بالناس، غير أن عاران لم يمنع شرب الخمر معاً تماماً؛ لأنه على حد قوله: إذا فعل ذلك فليس بمنعه أحد وللمحافظة على حرمة المساكن أصدر أمراً بالآلا يدخل أي مخلوق مارل الناس للبحث عن السكارى حتى لا يسلك العسس سلوكاً يتجاوز حد الاعتدال، وحتى لا تحمل المتاعب والمشقات بالخلق. وعلى سبيل الاحتياط قرر أن يعرض عليه الموضوعات المهمة التي تتعلق بشئون الدولة في حالة صحوه وبفقطته. وقد اتبع هذه الماعدة داخل إيران وخارجها فحين تعلم أنه بعد أن انتصر غاران على قوات الناصر محمد بن قلاوون في موقعة مرج المروج سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م واحتلاله مدينة دمشق، خرج إليه ابن تيمية في "مرج رابط" ليشكو له ما جرى من التار بعد أمنائه، علم يمكنه الاجتماع به لشعله بالسكّر، فاجتمع بالوزيرين سعد الدين ورشيد الدين فقالا: "لا بد من المال" فانصرف<sup>(٣)</sup>.

(١) الشيخ عبد الله بن زينة آل عسود نسبة تحديد الصداق، ص ١٠، دولة قطر. طبعة ١٣٩٦هـ

(٢) نفس المرجع، ص ١٩.

(٣) السلوك ج ١ ص ٣١، ص ٨٩٢، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ريانه، القاهرة ١٩٧٠م.





وقصارى القول أنه علما يترى رسول في إحدى الغلات، كان السكان هناك يقعون في عذاب ومشقة؛ إذ إن علماء هؤلاء الرسل وحدهم يدخلون منازل الجيران عن طريق أسطحها، ويستولون على الأشياء التي تصادفهم من مأكولات ومشروبات وأصناف علف الدواب. ومهما كان الملاك يصرعون ويوحون كان صياحهم صرخة في واد، لا يمكن أن تصل إلى أى من الأمراء والوزراء. وأدهى وأمر من كل هذا أن هؤلاء الرسل كانوا يدخلون بيوت الناس ويرتكبون أعمالا شائنة محلة بالآداب، كما تروى قصة هذا الشيخ الحرم الذى قدم ذات يوم إلى الديوان، وصار يخاطب الأمراء والوزراء في صراحة تامة قائلا: "إسى رجل هرم ولّى روجة شابة وأولادى مسافرون، وقد ترك كل منهم روجة شابة حساء. كما أن لى بات. وها هم الرسل قد احتلوا منزلى، وجميعهم من الشباب القوي الشيط ويصنعون بحمال الوجه. وقد مضى عليهم زمن يقيمون عدى عيشاهدهم أولئك السوء ولّى يستطعن أن يفتنن بى وأولادى المسافرين، وأنا عاجز عن مراقبة كل ما يحدث ليلا ونهاراً ثم يصيف الرجل في حصرة وألم ميبا أنه إذا كانت الأمور تجري على هذا السط من الاحتلاط المعيب، فإنه لعدة سنوات أخرى لن يوجد طفل شرعى في هذه المدينة وسيكونون جميعاً أبناء أتراك غلطين.

فلما وقف غاران على أطراف هذه المشكلة أمر بأن يكفى بإيقاد رسول واحد، وأن يكون إيعاده لتصرع مصالح الملك الضرورية. وإذا كان يراد إبلاغ السلطان أخباراً مهمة فإنه يختار لهذا العرس الرسل العدائون وسعاة البريد. كذلك مع ما باتا تروى هؤلاء الرسل في مساكن الرعايا، وأمر بتشييد دور خاصة لهم على أن تزود بالمعدات اللازمة من فراش وملابس وكل ما يحتاجون إليه كذلك رصدت مبالغ تنفق بصفة مستمرة على هذه الدور وتعميرها. وبالإضافة إلى هذا، أصدر غاران مرسوماً يقضى بأن يقيم الحكام لأنفسهم ولأبنائهم منازل خاصة بهم أو يستأجروها.

وبهذه الإجراءات الحاسمة زالت تلك المتاعب، وقضى مهالها على الوسطاء فاستراح الناس، ونسوا ما كان يمل بهم من عذاب ومشقة أما جمهور العائين من السكان الذين كانوا قد نرحوا عن أوطانهم، وصاروا يتنقلون مشردين من مدينة إلى أخرى، فإنهم جميعاً قد أخذوا يهودون إلى منازلهم وديارهم الأصلية وذلك بمحض اختيارهم، وألستهم تلهج بالدعاء من صميم قلوبهم وبإخلاص تام فليستجيب الله دعائهم

وأخيراً في الحكاية الأربع التي كتبها رشيد الدين بعنوان: "في حظر إقامة الجوارى بالقوة في دور البغاء" نراه يذكر هذه الحكاية من بين إصلاحات غازان خان الاجتماعية التي تهدف إلى عبارة الرذيلة بشتى الطرق وكافة الوسائل. وكانت العادة قد جرت قبل تولي هذا المعامل أن تغير المعاهرات على السكى في المدن الكبيرة بجوار المساجد والخوانق ويوت الناس. وكان التجار والمستطون يملسون الجوارى من أطراف البلاد، ويفضلون يمعن لأصحاب بيوت الدعارة أكثر من غيرهم؛ لأن هؤلاء الناس الذين لا خلاق هم كانوا يدمعون أثماناً خيالية، خصوصاً للجوارى الجميلات؛ مما يحقق هؤلاء التجار الكسب والإثراء سريعاً وبأسط الطرق وأهمر السبل.

ولقد رأى غازان بحق أن تصح هذه المواخير وإجبار المعاهرات على السكى فيها لممارسة الرذيلة، أمر عظيم ومفهوم، ومخالف لأحكام الشريعة<sup>(١)</sup> ولغنا بمعنى المائدة بعلاج الموضوع، والعمل على علق هذه البيوت ولكنه رأى أن هذه العادة كانت متبعة منذ قديم الأيام، مما يتعذر معه مكافحة البغاء دفعة واحدة. فلا بد إذن من الحذر والتأنى والصبر مؤثماً على هذا للكروه. وإذن فالمسبل إلى تحقيق هذا الهدف هو التدرج في علاج هؤلاء.

وبناء على هذا صغر مرسوم غازان الذي يقضى بأن كل جارية لا ترعب في ممارسة الرذيلة في بيوت الدعارة، لا تباع إلى جماعة الشرهين عليها. وأما من يقص في تلك البيوت، فإن كل من تريد أن تعادها لتعيش عيشة شريفة، لا تصح من ذلك، ويحدد لها شئ تشتري به، وتزوج من الروح الذي يقع عليه اختيارها<sup>(٢)</sup>.

هذا قبل من كثير مما حواه تاريخ غازان خان، صاعه بقلبه وريره ومؤرخه رشيد الدين فضل الله. وقد لاحظنا أن هذا المؤرخ كلما شعر بأن كلامه قد يحمل على سبيل التهويل والمبالغة، والإغراق في المدح والثناء على غازان خان، يسارع إلى الاستشهاد بالمعاصرين هؤلاء قبل غيرهم شهود على ما أحدثه غازان خان من إصلاحات مختلفة وهم وحدهم يستطيعون أن يحكموا بصحة ما كتبه عنه هذا المؤرخ.

(١) يقول الله تعالى في هذا الشأن ﴿لَا يَكْرَهُوا ضَيْقَكُمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (٢٣) ومن يكرهون فإن الله من بعد إكرامهم غفور رحيم ﴿فَرَأَىٰ كَرِيمًا﴾ (سورة التور. آية ٢٣).  
(٢) انظر شرحه.

ولكن رشيد الدين محتاط للأمر ولا يمكنه بالروايات الشفوية، بل يشير أيضاً إلى الوثائق والسجلات المكتوبة التي هي حير دليل على صدق ما يقول. وعلى هذا رأياه في الحكاية السادسة التي كتبها بعنوان: "في بدل سلطان الإسلام وعطاؤه وجوده وسجائه على الوجه المستحسن للقائم على أساس المعرفة"<sup>(١)</sup> يتحدث بالتفصيل عما قام به عاران من مجهودات في سبيل إصلاح شئون المال والاقتصاد، وترجيحه للعدالة في فرض الضرائب وتخصيلها<sup>(٢)</sup>. وفي نهاية الحديث عن هذه الإصلاحات يصرح رشيد الدين بقوله: "لا بد أن الناس يحملون كلامي هذا على سبيل المبالغة ويقولون من الذي رأى الملوك السابقين، ومن وقف على أوضاع خيراتهم حتى يستطيع القيام بهذه المقارنة؟! لكن الشاهد على هذه الأمور هي سجلات الدخل والمخرج لخزائن السابقين، وكلها محفوظة في دار المحفوظات، ولا يرآل قسم منها موجوداً حتى الآن.

فأي شهادة في هذه الدنيا أكثر عدلاً وصدقاً من السجلات والدعائر التي لم ترها عين، ولم تخطر على بال أحد؟! ولكن عند مطالعتها يتضح صدق هذا المقال أو كذبه"<sup>(٣)</sup>

والأمر الذي لا شك فيه أن ما قام به عاران خان من إصلاحات، كان نتيجة اعتناقه الإسلام عن إخلاص وإيمان؛ فلقد أخذ على نفسه أن يعمل بتعاليم هذا الدين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وما نحن نراه يوضح الهدف الأول من وراء هذه الإصلاحات حين يقول: "هو تأكيد تلك الأحكام، حتى يحقق الرفقاء من شدة عتائنا واهتمامنا باستقامة أمور الدين، فتزول من النعموس نقيصة التساهل والتهاون في شئون الشرع، ونحل محلها فصيلة الصلابة والنيات"<sup>(٤)</sup>.

ولقد صدق المستشرق الإعليري يرون حين قال: "على الرغم من أن عاران لم يكن أول سلطان معول يحق الدين الإسلامي، فإنه في الحقيقة كان أول شخص يعيد إلى هذا الدين الحنيف عظيمته وجلاله"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الترجمة.

(٢) حبات الفروخ المكتشفة في آسي ولقنمه والرقابة إلى عهد خلفاء غلزي مصنفه لسا فله رشيد الدين عن هذه الإصلاحات انظر بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ٢، نقله إلى العربية الدكتور به أس نارس وسير الحبيكي، الطبعة الأولى، ص ٢٧٤، بيروت ١٩٤٨م.

(٣) انظر الترجمة.

(٤) نفس المصدر.

(٥) تاريخ آيين إيراني أربعة قرن خلف من آخر قرن هشتم هجري. عصر استيلاي مغول وبانلو. ترجمة وحواشي بقلم علي أصغر حكمت، ص ٢٠، طهران ١٣٢٧ هـش = ١٩٤٨م.

هذا الخلق المتنى وهذه الأعمال المجيدة والإصلاحات المفيدة التي شملت جميع نواحي الحياة لا يمكن أن تصدر إلا من رجل قلبه عامر بالإيمان، يفظ الصمير، بعيد النظر بحسب ربه، ويعمل بأوامره، ويقتد بتعاليمه. ومن هنا كان لنا أن نقرر أن هذه الإصلاحات قامت على أسس إسلامية خالصة<sup>(١)</sup>.

وبناء على هذا لا يوافق على رأى المشرق الألماني شپولر ( Spuler ) الذى يزعم أن نظم عازان فى كثير من النواحي تسير على النمط المنتع فى العرب؛ فاللحاجات متشابهة والأساليب متشابهة، وأجهزة الديوان فى عهد عازان تستند إلى أساليب شرقية قديمة مأخوذة من إدارة إمبراطورية روما الشرقية<sup>(٢)</sup>؛ إذ إنه من الجلبى الواضح أن هذه النظم سواء فى الديوان أو فى المصالح الأخرى تستند كلها إلى أحكام الشريعة الإسلامية.

وفى الحقيقة بعد أن اعتنق عازان الدين الإسلامى صار واحداً من المؤمنين الذين حصلت نيتهم وصلفت سريرتهم، واتجهوا بكل ما فى طاقاتهم إلى رعاية آداب هذا الدين وإقامة شعائره على أحسن وجه. يفتى علينا ابن العوفلى ضمن أحداث سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م أن عازان توجه إلى بغداد، ودخل المدرسة المنتصربة من الدار الجائرة، وكان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ. وكان المدرسون والفقهاء قد جلسوا على عاداتهم، والربعات للشريعة فى أيديهم فلما عابوه قاموا وخدموه؛ فأمر رشيد الدين أن يقول لهم: أنتم مشغولون بقراءة كتاب الله عز وجل كيف جاز لكم تركه، والاشتغال بغيره؟ فقال أحد المفكرين: السلطان ظل الله فى أرضه، وطاعته وتعظيمه والانتقاد له واجب فى الشرع. فدخل خزانة الكتب ولحقها، ثم عاد إلى الدار المذكورة، مات بها<sup>(٣)</sup>.

ورغم أن المشرق الفرنسى "جروسية" يرى أن حكم عازان يحدد اللحظة التى تحول فيها هؤلاء البدو البدائيون شيئاً فشيئاً إلى الحياة المستقرة فى إيران، إلا أنه راح يدعى أن هذا الاستقرار لسوء الحظ لم يتم دون أن يكون له مضار؛ لأن هؤلاء الممولى عندما خرجوا عن تسامحهم العام إلى اعتناق دين خاص هو الإسلام، وإلى اعتناق مذهب خاص فيه لم يلتزموا أن يفتقدوا جنسيتهم، وأن يفتقدوا معها مبادئهم، وأن تركوا أنفسهم للوسط الذى

(١) الشرق الإسلامى، ص ٣٤٠.

(٢) تاريخ يقول فى إيران، ترجمة دكتور محمود مير كعبان، ص ٢٩٢، طهران ١٣٥١هـ ش.

(٣) الحوادث الجسيمة والفتن الجارية فى الملكة السلطنة، ص ٤٩٢ - ٤٩٣، تحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ.

همصهم وشربهم وأجمعهم. ولكن لم يكن الوقت قد اتسع ولا الوسيلة قد تهيأت لظهور هذه النتائج الصارة في أيام عزازن الحارم<sup>(١)</sup>

ونحن لا نوافق على هذا الرأي؛ لأنه إذا كان "جروسه" يتحدث عن التسامح العام للمعول؛ فإننا نرد عليه بأننا نرى أغلب المعول قوما متعصبين ضد الإسلام والمسلمين فجعنتاي بن چنگيز خان مثلا كان أشد أباء المعامل للمعول قسوة وأكثرهم بطشا. وكان يشرف على تعيد أحكام والده وقوانينه كما نصت عليها الياسا. وقد لاقى المسلمون منه الأمرين؛ إذ كان يرل بهم أشد العقاب على أقتل هفوة، وكثيرا ما يكون العقاب الرهيب هو الإعدام<sup>(٢)</sup>؛ فشلا من يذهب الجيوان على الطريقة الإسلامية كان جعنتاي يأمر بفثله على الفور، لأنه خالف طريقتهم التي أقرتها الياسا<sup>(٣)</sup>

والحقيقة أن ما حدث للمعول في إيران من الضعف والتضعف والاعلال ثم الغاء حدث أيضا في جهات أخرى مثل الصين وروسيا وغيرها من الجهات التي كانت تخضع للمعول. والسبب الرئيسي في ذلك هو تفرق أمراء المعول بعد أن كانوا وحدة متماسكة. وسرعان ما دب الصراع والقتال بينهم؛ فكانت النتيجة المحتمة لكل هذا هو السقوط والانتهيار. وبذلك أثبتت الحصارات أنها أقوى من سلطة المعول الجمعية<sup>(٤)</sup>

وهناك أسباب أخرى كان لها أثرها المباشر في ضعف المعول وانهيارهم، فمنها لا نسي الصراع الرهيب الذي نشب بين أفراد الأسرة حول ولاية العرش والحرب الطاحنة التي دارت بينهم في سبيل الوصول إلى كرسي السلطة؛ تلك الحروب التي طالما حذرهم منها جلهم الأعلى چنگيز خان؛ فقد كان يصحهم دائما بالاتحاد والتآزر

بحرور أنه عندما كان على فراش الموت، جمع أولاده وقال لهم: "اعلموا يا أولادي بالهاد أنه قد قرب سعى إلى دار الآخرة ودعا أجلى. وأنا بقوة الإله والتأييد السماوي استخلصت

(1) Grousset: des Steppes, P. 457

الترجمة القاموسية لهذا الكتاب، چاپ سوم، ص ٦٢٥، تهران ١٣٦٨ هـ.ش.

(2) انظر الجورجاني طبقات ناصرية جلد دوم تحقيق عبد الحى حبيبي، ص ١٥٤ - ١٥٧، كابل ١٣١٤ هـ.ش.

(3) انظر القزويني. المعظم، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص ١٤٦ - ١٤٧

(4) هارولد لام چنگيز خان وحجافل للمعول، ترجمة ميري لسي، مراجعة وتقديم الدكتور زكي محمود، ص ١٥٥ - ١٥٦، القاهرة ١٩٦٢ م.

مملكة عربية فسيحة، حيث يملك من وسطها إلى طرف منها مسيرة مئة من أجليكم أنتم يا أولادى وهياتها لكم. فوصيتى إليكم أنكم تشتعلون بعدى بدفع الأعداء ورفع شأن الأصدقاء، وتكونون جميعا على رأى واحد حتى تعيشوا على نعمة وعمر ودلال، وتتمتعوا بالسلطة والجاه<sup>(١)</sup>.

هذا ويذكر الدكتور ركى محمد حسن ميبا أنحر لاميهار دولة الإيلخانيين هو أن حلماة هولاکو لم يعطوا فى بداية الأمر إلى ما فى سمو النظام الإقطاعى فى إيران من خطر على دولتهم؛ فتطرق إليهم الاحتلال، وانقسمت إيران بعد سقوط هذه الأسرة إلى دويلات محلية ظلت قائمة حتى قصى عليها تيمور لنگ فى نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) حين استقر له الأمر فى بلاد ما وراء النهر، وبدأ سلسلة فتوحات أخضع فيها إيران وجرما من جوبى الروميا والمند، وهرم بايريد سلطان الأتراك العثمانيين عند أنقرة سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م<sup>(٢)</sup>.

ونظرا لمرارة المادة العلمية التى كتبها رشيد الدين عن عاران بوجه عام وما قام به من إصلاحات فى مختلف ميادين الحياة بوجه خاص، صار ما كتبه متعبا ومرجعا مهما لمعاصريه ومن جاء بعده من المؤرخين. ونحن نخص من هؤلاء بالذكر محمد بن هندوشاه النخجوانى فى كتابه "دستور الکاتب فى تعيين المراتب"<sup>(٣)</sup> وخواندمير فى كتابه "حبيب السیر"<sup>(٤)</sup>

(١) رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، ج ١، نشر ونص، دكتور بهمن كرىمى، ص ٣٨٥ نهران ١٣٣٨هـ.ش

(٢) قصود الإيرانية فى العصر الإسلامى، ص ٢٨، ناشر دار الفکر العربى، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

عن المؤلف، تصویر فى الإسلام عند الفرس، ص ١١، ناشر دار الفکر العربى، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٣) مؤلف هذا الكتاب هو حسن قاضى محمد بن هندوشاه النخجوانى المعروف بنسب للشعر، الله سنة ٧٦٠هـ وقدمه

إلى السلطان لویس الجلائرى (٧٥٧ - ٧٧٦هـ) وقسم ما فتنش على الكتاب فتنش فى مجموعة

من الإسنادات والرتائق والفرائض المروعة من الأفعال إلى السلطان والأمراء على شكل رسائل

تصل إلى الشؤون الاقتصادية المختلفة من زراعة وعمارة وتقسيم للأراضي ورياضتها وكذلك الأرفاق

والإنشاءات الخاصة بالأسرة الحاكمة والأعمال والكتاب على هذا النحو فتنش على موضوعات مهمة

تصل إلى بعضا خاصة بالتاريخ الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لبلد الشرق الأدنى والأوسط

كما أنه مفيد أيضا لتاريخ كبرى جى. قام بتحقيق هذا الكتاب عبد الكريم على لطفى راده، ونشر فى موسكو

عام ١٩٦٤

(٤) انظر مؤرخ للتلون الكبير، ص ٣٣٤ وما بعدها

أما الأول فقد تأثر بما كتبه رشيد الدين عن إصلاحات غازان بصفة خاصة، فمراه في أكثر من موضع من كتابه بنقل عبارات رشيد الدين بنصها أو بتعبير طفيف، فعلى سبيل المثال عندما تحدث غازان إلى الأمراء المعول ينصحهم بأن يعاملوا رعاياهم معاملة حسنة ويحذروهم من الإساءة إليهم، ويهددهم بإرسال أشد أنواع العقوبات إذا لم يكفوا عن إيذائهم نرى الخجواني يعقب على ما ذكره قائلاً: "يقول الوزير العادل الشهيد الخواجه رشيد الدين فصل الله طاب ثراه الذي دوت أخبار السلطان السعيد المعصور: "إنه بواسطة استماع هذه الصالح، صار يحدث واحد من ألب من المتابع التي كانت تحدث قبل هذا من المتعصبين والمتعديين بالنسبة إلى الرعايا الضعفاء. وقد اشتعل جمهور الرعايا في الممالك بالدعاء للسلطان السعيد نور الله مرقده"<sup>(١)</sup>. كذلك مراه في صفحة ٢٠٣ تحت عنوان: "النوع السادس: في معج المكارم وأمثالهم من إهداء الرعايا" يتأثر بما ورد في كتاب رشيد الدين إلى حد كبير؛ فالعنوان هو نفسه العنوان الذي كتبه رشيد الدين تقريباً في "الحكاية التاسعة والثلاثين". "في معج المكارم والجمالي والسعادة من إهداء الناس"<sup>(٢)</sup>. والعبارات مصنوعة في أسلوب يختلف قليلاً عما ورد في كتاب رشيد الدين. وكذلك فعل الخجواني في حديثه عن الإصلاحات الاقتصادية التي شئت في عهد غازان خان<sup>(٣)</sup>.

وأما "خواندميز" مؤلف كتاب حبيب السير، فقد راح هو الآخر ينقل عن رشيد الدين. وكان يصرح بهذا في أكثر من موضع؛ فهو مثلاً عندما تحدث عن أخلاق غازان خان وإصلاحاته تحت عنوان: "ذكر شمة از محاسن أوصاف ومحمد آثار عاراني، وبيان قواصی پسندیده آن"<sup>(٤)</sup>، مراه يمدح هذا المعامل ويشي عليه، ويكشف عن نواحي العظيمة في شخصيته، ويذكر عه أنه لم يقصر في تأسيس بناء الدولة وتجهيز مراسم العدل والاهتمام بشئون الرعية. وقد اختصر خواندميز الحكايات الأربعين التي ذكرها رشيد الدين في عشرين حكاية لتكون دليل صدق وشاهد عدل على إثبات ما يدعيه، واعترف بأنه نقل هذه الحكايات من كتاب جامع التواريخ<sup>(٥)</sup>.

(١) دستور الكتاب في تبيين المراتب، ص ١٩٩ وما بعدها.

(٢) انظر الفرجة العربية.

(٣) دستور الكتاب، ص ٣١٦ - ٣١٧.

(٤) حبيب السير، ج ٢، ص ٩١ وما بعدها.

(٥) خواندميز: حبيب السير، ج ٢، ص ٩١.



وهكذا فإن من يدرس تاريخ الموعول يرتاح حقاً عندما يتحول فجأة من قراءة ما اقترعه هؤلاء القوم من مفاتيح تشعير لهُولاء الأبدان، وما سحكه من دماء يهر حساب إلى أسس المواطن الإنسانية وأسل المشاعر الرفيقة التي أعلنت عن مصها في سلوك عاران وأعماله المجيدة وإن المرء قد تميزه الدهشة وتملكه الحيرة، لأن هذه الإعجازات كلها قد نقت على يد عاران الذي كان جده الأعلى هولاء عارناً جباراً ساعاًاً للدماء ونح لا يمكن أن نسي أنه عظم الخلافة العباسية وقاتل الآلاف المؤلفة من الأوس البرية. ولكن ما تلت أن تزول الدهشة وتنتهي الحيرة عندما يعلم أن هذا التحول الكبير إنما يرجع أولاً وقبل أي اعتبار إلى الإسلام الذي اعتنقه عاران عن اقتناع وإخلاص، وأنس به إيماناً راسخاً صادقاً، وقد تعاليمه فكانت النتيجة هذه الإصلاحات العظيمة التي قامت على أسس إسلامية قوية<sup>(١)</sup>.

وإن عاران رغم قصر مدة حكمه بعد دون شك واحداً من أكبر السلاطين في الشرق، وذلك بواسطة القواعد والقوانين التي خطفها والإصلاحات التي قام بها. ونح لا نعدو الحقيقة إذ اعتبرناه أيضاً واحداً من السلاطين المشهورين في إيران من حيث السياسة التي انتهجها ومن حيث التنظيم والإدارة، فهو من هذه الوجهة بعد أكبر سلاطين الإلهانيين على الإطلاق.

ولكن يجب أن نضع في الاعتبار أن ما ناله عاران من فخر وعظمة وسمعة طيبة إنما كان بمعونة وريرة العمري المد رشيد الدين فصل الله الممذاني الذي كان من جهة يدير الممالك الواسعة لعاران بكفاءة وتدير. وكان من جهة أخرى الساعد الأيسر لعاران في ترميه من الرعية وإصلاح الشؤون الاقتصادية وتشييد الأبنية والآثار الخيرية

ونح لا نسي جانباً هاماً آخر هو أن رشيد الدين خلّد - على صفحات النهر - في كتابه الدائع الصيت "جامع التورمخ" عماد عاران وأعماله المجيدة ووقائع أيامه بقلمه السلس الجذاب وبالإضافة إلى هذا ينجي ألا نعمل ذكر النسخة الممتازة من العلماء والأدباء والعصلاء الذين اجتمعوا حول رشيد الدين في تيريز نتيجة شغفه بالعلوم والآداب وتشجيعه الأدباء والعلماء والعصلاء الذين بذل كل واحد منهم جهداً مشكوراً في هذا

(١) الشرق الإسلامي في عهد الإلهانيين (أسره هولاء عاران) ص ٣٤٠

السييل؛ بحيث إنه يمكن أن يقول "إن عصر عازان ولولجانبو وأبى سعيد يعد من أكثر العصور إشراقاً في تاريخ إيران"<sup>(١)</sup>.

والآن أكتفى بهذا القدر من الدراسة، وأترك المجال للقارئ كي يحكم على قراءة الترجمة بأكملها، ويستخلص منها ما يشاء. وأنا على ثقة تامة من أنه سوف يظهر بمتعة عقلية كبيرة، ويجد في تاريخ عازان المزيد من العظات والعبر، ويتأكد أنه إذا توافر للإنسان الحر الصادق واليقين الراسخ، سوف يتخطى العقبات ويحقق الأهداف.

لقد أعجبتني كلمة الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ "رجاء النقاش" التي يقول فيها عن التاريخ: "عندما نقرأ التاريخ نشعر بالثقة؛ فالتاريخ هو ملخص الحياة، وفيه مواقف وشخصيات وصراعات ومغامرات، وفيه أيضاً ألوان متعددة من حسن الخط وسوء الخط. والذين يشقون قراءة التاريخ لا يتوقفون وهم يقرؤون عن المقارنة بين ما جرى في الماضي وما يجري في العصور الحاضرة، بل كثيراً ما يقارن قارئ التاريخ بين أحواله الشخصية وبين ما يقرؤه من شخصيات قديمة وأحوال ماضية. وهذا هو ما يصاعف متعة التاريخ في نظر قرائه وعشاقه، فهم يستمتعون مرتين مرة بمعرفة ما حدث وما جرى في عصور سابقة، ومرة أخرى بالتعكير والتأمل والمقارنة بين ما حدث في الماضي وما يحيطه الحاضر من أحداث. والتاريخ آخر الأمر هو فن، ولكنه أكثر من كل الفنون قدرة على التأثير في النفوس؛ لأساً ونحن نقرؤه نعرف أنه حقيقي وصادق ويبعد عن الخيال"<sup>(٢)</sup>.

(١) عباس إقبال: تاريخ مفصل إيران، جلد أول. طر حلفا چنگیز تالشكيل دوست نيموري، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

طهران ١٣١٢ هـ. ش.

(٢) صحيفة الأهرام، ص ٢٤ بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٩٦.



**الترجمة العربية**

**لتاريخ غازان خان**



## غازان خان بن أرغون خان بن آبا قاخان بن هولاكو خان ابن تولوى خان بن چنگيز خان

وهو يشتمل على ثلاثة أقسام:

### القسم الأول:

في تقرير نسبه العريق، وذكر أحواله منذ مولده المبارك حتى عهد جلوس أرغون خان على عرش السلطنة وذكر زوجاته (بنواتيه) وأولاده، وشجرة نسبهم الشريف.

### القسم الثاني:

في مقدمة جلوسه الميمون، وصورة العرش والبنواتين "والأمراء الأبطال" <sup>(١)</sup> والأمراء وجلوسه على عرش السلطنة، وتاريخ حكمه، والحروب التي قام بها، والفتوحات التي نيسرت له.

### [ص ٢٤٧]

### القسم الثالث:

في سيره الحميدة، وسجاياه المحمودة، وأثار عدله وإحسانه وغيراته وميراثه وهون أذابه ومستحب عاداته، والكلمات التي قالها في كل سنة على وجه التحقيق وسبيل التصديق والأحكام المحكمة والقوانين المبرمة المشتملة على رعاية مصالح كافة الخلق، والتي بعدها في كل شأن من شئون الحياة، ونوادر الحكايات والأحوال التي لم تذكر في الأقسام السابقة. وهي نوعان:

أحدهما: ما كان موبيا. وهو عبارة عن أربعين حكاية.

وثانيهما: ما يسجله القلم بصورة متفرقة حسب القضايا والحوادث المختلفة.

(١) ترجمة لكلمة شاه مردغان للتفسير بها ومن كلمة "السير" من غير أبناء القزويني

## القسم الأول

في تقرير سبه العريق، وذكر أحواله منذ مولده المبارك حتى عهد جلوس أرغون خان على عرش السلطنة، وذكر حواتيه وأولاده، وشجرة نسبهم الشريف

عاران خان هو الابن الأكبر لأرغون خان الذي تزوج، وهو في الثانية عشرة من عمره من والدة غازان المسماة "قولتاي" ابنة "ينكجي" المصري من قبيلة "دوربان". وكان أرغون قد خطبها من "كرك تيمور" الذي كان أبا "لأرقتو" و"مولاي" وكان الأمير "تيس" قد تزوج من أختها الكبرى المسماة "أشلون".

كانت "قولتاي" في عاية الكمال والجمال. وكان أرغون يحبها حباً شديداً لدرجة أنه أراد أن يستقبلها، ولكن سمعه من ذلك الأميران "سرتاق" و"جوجعان". ولشدة تعلقه بها صعد برج القصر، وجلس فوق سطحه، وصار يشاهدها من بعيد

وصفوة القول أنه بعد إتمام مراسم الزفاف والرواح، تكونت مواد العنصر الشريف لعاران، واستقر صدف مشيمة ذلك القمر للملكي في در البحر الخفائي. وبعد تسعة أشهر وهي أسعد ساعة [ص ٢٤٨] من فجر ليلة الجمعة التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧١م الموافق (بمير ييكو ميسج آي) عام الحروف جاء من كنه العدم إلى حير الوجود، طالع غازان المبارك تقدم في "أسكون"<sup>(١)</sup> من بواحي مايزدريان، وذلك وقت طالع السعد بريح الغرب، وسهم السعادة وسهم العيب، فأضاء عين الدنيا بجماله

ووقت ولادته رصد الكواكب جماعة المجسمين للمهرة الذين كانوا حاضرين واستخرجوا في احتياط تام طالع المولود، فوجدوه مسعوداً للعابة. فقال كل منهم (شعر فارسي في الأصل ترجمته):

لقد نظرت إلى طالعك فرأيت

إقطاعك سيكون مائة ألف نفس

(١) أسكون جزيرة صغيرة متصلة على بحر قزوين. اشتهرت من شوارع بأنها أعمر مكان لحماً إليه سلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه ماراً من جعقل للمول، ومات فيها ذليلاً في سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م. (انظر: كى لستريج بلدان الخلافة الشرقية نقله إلى العربية، بشرع عيسى وكوركيس عواد، ص ٤٢٠ بغداد ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م الدكتور فتوح عبد المنعم الصبيح المول من شارع، ص ١٢٢ ١٢٣ القاهرة ١٩٧٥م).

ثم عهلوا به إلى مرصعة حسنة الخلق تدعى "معالجس"، وهي روجة رجل خطائي اسمه "إيشك"، وكانت قد جاءت مع "قولتاق حاتون"، وعرف عنها أنها امرأة عفيفة، محمودة السيرة، تلبق بتربية أبناء الملوك. وكان أبها "هفلو" على قيد الحياة.

وصورة القول أن مرضعته الرحمة، صارت تربيته في جحر الشفقة. وكذلك انطلق لسانه في عهد المهدي بالألفاظ المليحة والكلمات العجيبة طبقاً لما يقول الشاعر:

(شعر عربي في الأصل)

في المهدي يطق عن سعادة جده      أنسر السجاسة ساطع البرهسان

بحيث إنه حير الجميع

ولما كانت عادة المول ألا يسمحوا لبعولة مرصعات أبناء الملوك أن يقربوا منهم ولأن "إيشك" الخطائي جامع روجته في ذلك الوقت، فحملت منه - أصيب الأمير عازان بإسهال نتيجة تغير لبس مرضعته. ولهذا السبب استرحوا الأمير معها، وأركبوه جواداً وهو في الثالثة من عمره، وسلموه لأُم حسن الذي كان أميراً على طائفة "توقجيان" من قبيلة "سولتوس"، واسم والده "حسن آشتو" واسم والدته "آشتاي". وكان لآشتو ولد آخر يدعى "تولاي" يعمل ساقياً وطاهياً.

وعندما بلغ الأمير عازان الثالثة من عمره، أرسل أروعون الأمير "قتلغ شاه" من مشتي مازندران إلى حضرة آبا قاخان لإنجاز بعض المهام، فحطى بالثول بين يدي الحصرة في "موغان"<sup>(١)</sup>، فاستعمر آبا قاخان عن أحوال الأمير عازان. فرد "قتلغ شاه" بأنه في الثالثة من عمره ويركب الجواد فأظهر آبا قاخان ميلاً شديداً إلى رؤيته.

وعند عودة "قتلغ شاه" قال له آبا قاخان: لقد بلغت من الكبر عتياً ونطوف بمخاطري - من وقت لآخر فكرة الرحيل إلى الآخرة. وإذا كان ولدى أروعون يحب ابنه غازان حياً

---

(١) موغان: تكتب أيضاً موقان. منطقة بخرمان من أعمال طوس. ولها سوق وسور حصص. وبها تجار كرماء وصهاج وعلف. ولها حصص سبع. ويوجد بها قبر علي بن موسى الرضا. ويحمل موقان معادن القصص والقصص والحديد. وبها كذلك كثير من أحجار المسور. وكانت موقان دار الإسارة بخراسان إلى أيام الطائفة ثم انتقلت منها إلى بهلور. إنظر كتاب الروض للسلطان في غير الأقطار، تأليف محمد بن عبد اللطيف الحسري حققه الدكتور إسحاق عباس، الطبعة الثانية، ص ٥٦٦، بيروت ١٩٨٠ م.



جاء، ولا يريد مفارقتها لأنه وحيدته غلبت أتوق إلى أن يرسله إلى حتى يلهو باليواسق<sup>(١)</sup> والصفور.

فلما بلغ قتلح شاء تلك الرسالة لأرعون، قال: ليس لي غير هذا الآن، فكيف أستطيع أن أرسله إلى والدي؟! غير أن الامتنال لأوامر الأب واجب على. وبدن المصلحة تقتضي أن أتوجه بنفسي إلى حصرة والدي، واصطحب ولدي معي.

وفي أول شهور فصل ربيع من عام ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م، غادر أرعون مازندران قاصدا زيارة حصرة والده [ص ٢٥٠]، واصطحب معه ابنة، ومثل بين يديه في "قونقور أولانك"<sup>(٢)</sup>.

وعندما سمع آبا قاجان خبر قدومها، بادر باستقبالها، وذلك لفرط شغفه بلقاء الأمير المحجل غاران. وما أن رآه حتى رفعه عن صهوة الخواد وأجلسه على مقدم سرجه، وشبهج برؤيته.

وحيث إن آبا قاجان كان يشاهد على غاران أبهة الملك وشمال السلطنة صرح قائلا: "إن هذا الولد جدير بأن يبقى معي، وأن أقوم بنفسى بتربيته" ومع أنه كان يحب ابنة أرعون حبا شديدا، فإن حبه له قد ارتداد، ورسخ في قلبه أكثر من ذي قبل، وذلك بسبب تعلقه بهازان.

وهي تلك العترة من الإقامة، وتبعها بوصول ذلك المحجل، صار آبا قاجان مشغولا بأسباب المتع والتهو واللمح وكان يذل الإنعامات والمدايا للجميع. وبعد عودة أرعون قال آبا قاجان: "ليبق الآن غاران عدي هيا حتى أقوم بنفسى بتربيته" ولما لم يكن لبولغان خاتون الزوجة الكبرى لآبا قاجان ولد ذكر، قال أرعون: إذا صدر الأمر، عني أقدّمه إليها على سبيل المعبودية والمخدمة. فأعجب بذلك آبا قاجان. وكانت بولغان خاتون قد توجهت

---

(١) لعمري "باشق" وهو نوع من جنس البازي، من فصيلة الطياف السريعة وهو من الجوارح يشبه الصقر ويحير بحجم طوله ومثاقير لونه ينادى القوقس (جمع القوقا العربية للمجم الراس، ج ١، ص ٨٠).

(٢) "قنقر أولانك" الاسم القوي للمدينة التي شرع في إنشائها السلطان أرغون خان، وأنها السلطان أولجايو وأطلق عليها اسم "السلطنة" وذلك في سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٥م. وجعلها عاصمة للدولة الإلخانية (انظر كسلي لستريج: بلدان الخلافة الشرقية. ترجمة بشر عرسبيس وكوركيس عسكرد، ص ٢٥٧ بغداد ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م).

إلى ناحية "سورلوق"، فتبعها أرعون مسيرة مرل واحد ولدى لها التحبة والولاء، وسلم لها عاران، ثم عاد إلى خراسان. هسرت بولعان حاتون سرورا شديدا، وقالت إن هذه كرامة، وهدية لي من الله، وهو مثل ولدى من صلي.

ولقد ترك أرعون لابه عاران عشرة من الخدم، هم: حس وكوكا وما جار وأدرم وبوقا وفردغميش وفلجاي والتون وبوقا وأقاجي وهم من قبيلة اويكفوت، [ص ٢٥١] ثم صرح أنها قاضا قاتلا. ليق عاران في هذا المحيم، وبسب إليه، ثم يشول إليه من بعدى، ويقوم مقامى.

وبجمل القول أن الأمير عاران كان يقيم في مقر "بولوعان حاتون"، وملامرا لحصرة آبا قاجان ولأن عاران كان طفلا، كان آبا قاجان يحبه أكثر من ابنه الصغير "گيخاتو"؛ بحيث إنه كان يؤاخذ گيخاتو إذا ما صابق عاران أثناء اللعب.

وعندما كان آبا قاجان يعمل تزدحام الناس وصحيحهم، وفي الوقت الذى يطلب فيه روجته "توادی حاتون" التى شغب بجها، كان يرها على بعد ما يقرب من نصف فرسخ من المعسكرات ولم يكن أى مخلوق من الإخوة والأبناء يقبى هناك ولكنه لمرط حبه لعازان، كان يهرله بجوارها، وكان يصحبه في سكره وصحوه وأوقات صيده وظعنه وإقامته وفي أى وقت يشاء. ولم يكن يطيق صبرا عن بعده لحظة واحدة. وكان يصرح دائما بأنه تتجلى في رأس هذا الصبي السعادة، ويندو عليه الإقبال التام.

ولأن عاران كان عافلا إلى أقصى حد، صار في أول سس الطعونة يجمع الأطفال والأتراب، ويعلمهم القواعد والقوانين، وأساليب الصراع والبرال. كذلك عيب أحد أقرابه من بين كبار أفراد الأسرة، ومن الأصدقاء المقربين؛ بحيث إنه لو تجاوز شخص حده، فإنه كان يؤاخذ طيقا لقواعد الهاسا<sup>(١)</sup>، ويعاقبه بالرجز والتعنيف ولم يصرف إلى اللعب واللهو شأن الأطفال الآخرين، بل كان من عادته في اللعب أن يأمر بأن تحاك له من البلاد والنياب "دمى" على هيئة الأدميين الخيل ثم يذججها بالسلاح، ويجعلها تواجه بعضها بعضا كحيشين متحاربين الواحد منها في مواجهة الآخر، [ص ٢٥٢] ثم يشير بيده للحرب والظعن.

---

(١) للخصون على مفردات مفصلة من الهاسا التى وصفها ينگير حان نظير كتاب لشول في التاريخ لستر حم  
ص ٣٣٨ وما بعدها، القاهرة ١٩٧٥م.

وعندما بلغ غاران الخامسة من عمره، عهد به جده أبا قاحان إلى "هاروق بحشى" الخطائي حتى يشرف على تربيته، ويعلّمه الخط المملوك والأبجدى والعلوم والآداب. وفي مدة خمس سنوات، أنقضى ثلث العصور. وبعد أن حصل هذه المعارف، شرع في تعلم العروسة والرماية.

( شعر فارسي في الأصل ترجمته )

ببما كانت لا تزال رائحة اللبس تفوح من فيه

جاءته الرعية في الطلح بالسيف والرمي بالسهم

وكان دائما يطارد الحيوانات، ويحرق الخيل بطريقة أدهشت البشر.

وفي سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م عندما توجه أبا قاحان إلى خراسان لمقاومة جود القراوة الديس كانوا قد حاربوا فارس، اصطحب معه "بولوغان خاتون" وغاران، فقدم أرغون لاستقبال أبيه. وفي سمان<sup>(١)</sup> لحق بالحصرة، وجد الأوب والابن اللقاء ولما عاين الجميع سمان، مارسوا الصيد عند الجبل الواقع بين سمان ودامغان<sup>(٢)</sup>

وفي ذلك الوقت بلغ الأمير غاران الثامنة من عمره. وهناك شغل بالصيد<sup>(٣)</sup>. ولما كان هذا أول صيد له، مكث ثلاثة أيام في دامغان من أجل طلاء يده بالشحم<sup>(٤)</sup>. وقد أقيمت الولائم وحملات اللهو ثم عمس "بوقا" صاحب السلاح "قورجي" - الذي كان "مركانا" بمعنى أنه يجيد الصيد - يد الأمير غاران في شحم الصيد

(١) سمان. تقع بين دامغان والقرى على طريق خراسان جوها متخذ، وتبعد مائعا من السهر وهي مدينة حسنة ومتوسطة بها أسواق وصناعات، وتنتج القمح والقمح، وتربي بها غلبة الجمود (انظر محمد الله المستوفي القرومي رحمة القلوب بكوشش محمد ديسو سبقي، ص ٢٠٠ قرومى للطاهر، ص ١٣٢١ بشأن الخلافة الشرقية، دائرة العربية، ص ١٠٧).

(٢) سمان تقع بين القرى وبساير، وهي اقرب إلى بساير. وقد أطلق عليها العرب أيضا اسم قومس. يميل جوها إلى الحرارة، وهي قليلة الماء. ومن نواكها الكثيرى الغنية (انظر رحمة القلوب، ص ٢٠٠ قرومى للطاهر، ص ١٣٢١ بشأن الخلافة الشرقية، ص ١٠٥).

(٣) كان للأولاد الصغار عرض يطهرون فيها مهلاتهم من الصيد، ويبدون عدم اكتراثهم بها قد ينجم عن ذلك من اضطراب. وفي الحق كان الصيد يهدف الصغار على مطاردة الأعداء الأدميين ووضعهم في مركز حرج (انظر شنگر خان وجنرال المول، تأليف هارولد لاند، ترجمة منى أميس، ص ٥٤، القاهرة ١٩٦٢م).

(٤) جرى العرب عند المول أن يوضع شحم الصيد الذي يبيده الصبي لأول مرة على إصبعه الأوسط وكذلك يطول مع من يخدم لأول رأس لتقبل غيب الطم في التردد

وعلمنا كان آبا قاقان يماثر دماغان، أمر بأن تسافر بولعان خاتون ومعها عازان عن طريق مارميران؛ ولأن الوقت كان أول الربيع لم يكن العلف قد توافر بعد. وسلك هو طريق بسطام ثم اتحدت بولوعان خاتون ومعها عازان طريق "شهرك بو"، ولحقا بمحصرة آبا قاقان هي "مرعزار رادكان" ثم رحل آبا قاقان إلى كيتو جام وهرة، وسير ابنه أرغون إلى ناحية غور وعرجه لصد القرالوة. [ص ٢٥٣] وعندئذ قال عازان لجدته آبا قاقان: لو أدنسم لي فاني على استعداد للسير كي أكون في خدمة والدي فاستحسن آبا قاقان منه ذلك، وأمر له بزي من الشراب الخاص حتى يلحق بأبيه أرغون. ثم اصطحبه إلى موضع "باج حين" مما يلي طويس حيث قام بتوبيخه ثم قفل راجعا.

بعد ذلك أوفد آبا قاقان "سالخوق خاتون" إلى ناحية دماوند وأعاد معها عازان أيضا. ثم استدعى "مايغو بحشي" والد الأمير "تارمندر" ووالدته "توكال تي"، وقال لهما "بني أئني بكما ثقة مطلقه وأودعكما عازان كاسي لكما، وسوف يكون معكما "باروق بحشي" أيضا. وعليكم أن تذهبوا مع "سالخوق" إلى مصيف "دماوند" حتى يتوافر لعازان الخط السعيد وهكذا أمضوا الصيف ههنا.

ولما عاد آبا قاقان وقت الحريف، لحق بمحصرته عازان في وراميس الري وكان آبا قاقان لعرض حبه الشديد لجدته، يلبس قلنسوة عتيقة في بعض الأحيان، ثم يأتي متكررا إلى مخدع عازان، ويداعبه وهو مستلق في ثياب النوم. وكان يعربه، ويأمر "أتشنا ايكاحي" بالألأ يضع ومادة تحت رأسه وكذلك لم يسمح بأن يصعوا ومادة على سرج فرس غازان جريا على عادة أمراء الملوك، بل يملسوه على سرج بلا عطاء حتى يصير متقشعا.

وكانت توقعات خاتون تكرر قولها "لبيت السلطان يهسي عازان كولد لي أئناه، إذ إنه ليس لي ولد. ولكن لما كان آبا قاقان يحب زوجته بولعان خاتون حبا جما، ويريد أن يجعل مفرها حاصا بهازان، كان يجيبها بقوله: "إن والده أرغون قد وهب لبولعان خاتون كاسي لها [ص ٢٥٤]، فكيف يمكن استزاده منها؟! وكان دائما يصرح بأن آيات السعادة والإقبال تثبو على حين هذا العلام وكان يضرب لذلك مثلا معوليا يقول: "كالضرمس بين الكرشمه. يهسي الكرشمه اللبة لئني ببت منها ضرمس، وكان يدعو بهذا الاسم "كرشمه" مداعبا.

وفي سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م عندما عاد آبا قاسان من بغداد، وتوفي في همدان، كان عاران في العاشرة من عمره، فبكي على جده بكاء حاراً، فكانت الخواتم والأمراء جميعاً يرقون لواجبه وعزله. ولما عاد أروعون خان من خراسان، ولحق بالمعسكرات في مراجه رجع بعد جلوس أحمد على العرش. وكان غازان لا يزال مقيماً عند بولوغان خاتون كما كان مقرراً من قبل.

وفي سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م عندما كانت بولوغان خاتون تضيء الشتاء في بغداد، كان معها الأسيران نكيختو وعازان. وكان أحمد في أرا<sup>(١)</sup>. أما أروعون فقد قدم من خراسان إلى بغداد، ومكث هناك خلال فصل الشتاء. وفي وقت الربيع توجهت بولوغان خاتون إلى خراسان، فتروح منها أروعون خان، وأدخلها في حبائ<sup>(٢)</sup> ولكن ظل غازان في معسكرها جرباً على الفرار والقاعدة.

وعندما توجه أحمد إلى ناحية خراسان، أراد أروعون أن يعود من حيث أتى، وذلك على النحو المذكور في تاريخ أروعون. ثم أوفد أروعون ابنه عاران إلى أحمد ثانية، فأدركه باحبة سمان. وقد لاحظ عليه أحمد أمارات الملك، وشمله بمعطه، وأطرى شجاعته كثيراً. ثم أدن له بالانصراف من بسطام. وعندما قدم أروعون إلى أحمد - الذي كان معه إيلدار - صار أحمد يقول كلاماً مبعياً في مواجهة أروعون مرد عليه عازان، ولبدى فصاحة وبلاغة، بقي الجميع حيارى مذهوشين لحسن جوابه وسؤله.

وبعد أن نصر الحق تعالى أروعون وتمقب أحمد في آذربيجان، سارت بولوغان<sup>(٣)</sup> خاتون أيضاً متوجهة إلى تلك النواحي. أما غازان فقد تركه في خراسان ليحل محل أبيه، وتركوا له أكثر المخيمات. وكان يرفقه الورراء الكبار، وأيضاً "أيس بوقا" الذي كان أميراً لذلك المعسكر [ص ٢٥٥]، كذلك بقيت الخراتي كلها هناك لعازان.

ولما توفيت بولوغان خاتون، تزوج أروعون بعد مدة من سيدة تحمل نفس الاسم "بولوغان خاتون" وهي موجودة الآن، وقد أسكنها محل الأخرى. وعندما شاهدت خراتي

(١) أراي ولاية واسعة وبلاط كثيرة منها جسر "كججه". ويسى قريجان وأراي سهر يقال له طرس وأراي أيضاً قلعة مشهورة من أراضي قزوین (معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٦).

(٢) جرباً على عادة الملوك التي تبيع للأبناء الزواج من زوجات آبائهم ويستثنى من ذلك أمهاتهم.

(٣) يكتب هذا الاسم بولوغان أو بولغان.

بولوعان خاتون المتوفاة، اختارت منها لنفسها قليلا من الثياب وأتوات الذهب والعصاة. وقالت عن الباقي: بموجب فرمان آبا قاجان تكون الخزانة والموطن والمجيم ملكا لعازان يصحى أن تختم هذه الأشياء ويحافظ عليها. وقد أجمع الدين شاهدوا هذه الخزانة على أن مثلها لم يتح لأى شخص آخر مطلقا، إذ كان يوجد بها الكثير من الجواهر واللاكنى الثمينة بحيث لا يمكن وصفها ويرجع السبب فى ذلك إلى أن آبا قاجان - لمرط حبه الشديد لبولوعان خاتون، كان كلما ذهب إلى الخزانة، يأخذ منها جوهرة ثمينة، ويعطيها إياها فى الحناء. ولكن بعد أن توفيت بولوعان خاتون، مد الخزانة أبهى الخيانة إلى محتويات هذه الخزانة. فعلم بذلك عازان، وكان دائما يؤاخذهم على خيانتهم. وحتى لا تحدث هذه السرقات كانت تلك الخزانة تختم بالختم.

ولما توفى أرغون خان، نسروج جيخاتو من بولوعان خاتون رغم إرادتها ولم يدع عازان يذهب إليها، كما سبق أن ذكر فى تاريخه<sup>(١)</sup> ثم أعادها جيخاتو من تبرير متأثرات تأثرا شديدا لتلك الحالة وكانت تصير دائما على هذا الوضع. وقد استمر الأمر على هذا الموال حتى مقتل جيخاتو وانتصار عازان على بايدو، وصار سلطانا، فتزوج من بولوعان خاتون. وفى لواخر دى القعدة سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م وصل الحق إلى مستحقه. وفى الوقت الذى قدم فيه أرغون خان إلى خراسان، وجلس على العرش وترك عازان هناك دائما معه، لم يتح لهما اللقاء بعد ذلك. وسوف يذكر أحواله فى خراسان خلال تلك المدة فى قسمين إن شاء الله تعالى.

(١) انظر جامع التواريخ، المجلد الثانى الجزء الثانى تاريخ أبناء حولاكنو من آبا قاجان إلى جيخاتو خان نقله إلى العربية محمد صادق مشائى ونزاد عبد الشلبي قبياد، ص ١٢٠، القاهرة ١٩٦٠م.

## ذكر زوجات غازان وأبنائه

[ص ٢٥٦] تزوج غازان هي البداية من "بیدی قورتقه"، وهي ابنة مكو تيمور گوركان من قبيلة سولدنوس وكانت والدتها طوقلعشاه بنت مبارکشاه بن قراهورلاكو بن بيسونوی بن موآتوكان بن پچتای. وبعد ذلك تزوج من بولوغان خاتون الخراسانية بنت الأمير نسوگا. وكانت والدتها بنت أرغون آقا. ثم تزوج من آشیل خاتون بنت توفتمور أمير التومان (عشرة آلاف جندي) ابن موقای بارغوچی. ومن بعدها تزوج من كوكاجی خاتون التي جىء بها من مغوليا، وهي من بين قريبات بولوغان خاتون الكبرى، والتي أرسلها هي محيم توقور خاتون وثوقتی خاتون. ومن بعدها تزوج من بولوغان خاتون بنت اوسان بن أغی أنشای بویان. وقد أحب منها ولدا اسمه "آلجو"، توفى في صغره. كذلك كانت لها بنت اسمها "الوجای قتلغ" روجتها من ابن أخيها . وبعدها تزوج من "بیدی خاتون" ثم من "كرمون خاتون" وهي بنت قتلغ تيمور بن أنشای بویان. وقد أحلها عمل كوكاجی خاتون.

ما ذكرناه هو قصة زوجات غازان، وقد تم شرحها. أما جفول شعبة الشريعة لأبائنا فهو على هذا النمط الذي نشته.

## القسم الثاني

### من تاريخ غازان

في مقدمة جلوسه المبارك، وصورة العرش والأمراء الأنجال  
والأمراء عند جلوسه على عرش السلطنة، وتاريخ عهد حكمه  
والحروب التي قام بها، والفتوح التي تبسرت له

مقدمة جلوسه المبارك ابتداء من ذلك العهد  
الذي اختاره فيه أرغون نائباً عنه في خراسان  
إلي أن تغلب على بايدو

وذلك القسم عبارة عن عدة حكايات:

حكاية حله في خراسان في عهد والده:

لما بما أرغون خان بعون الله تعالى من يد أحمد، وتغلبه إلى ديار آدريجان، وجلس  
على عرش الملك، ترك الأمير غازان نائباً عنه في خراسان، وصحبه تلك البلاد مع جيوش  
كثيرة، وعهد إليه بتلك المنطقة التي تعد من أعظم الثغور وظل يقيم هناك طبقاً لأوامر  
والده. وكان يرعى مصالح تلك البلاد، ويرتب شئونها وكانت الرسل تردده دائماً من أجل  
إبرام مختلف المهمات. وظل الأمير مورور يلازمه. وكان عازان يبدل الجهود والمساعدى في  
تصريف شئون الجند والإمارة.

وفي شهر ذي الحجة سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م، عندما عاد غازان خان من مشنى مرو  
وكان مورور في خدمته، توجس هذا خيعة بسبب قتل صديقه بوقا وأتباعه<sup>(١)</sup>. [ص ٢٥٨]

---

(١) الأمير بوقا كان شخصية كبيرة في عهد أرغون وقد عازان. وكان قد عهد إليه بالإسرة والفرار  
وذلك مكافأة له على دوره البار في القضاء على سلطان أحمد تيمور و تولية أرغون عرش العراق في إيران.  
ثم قسم عليه "أرغون" بسبب طغيانه واستبداده. فقتل عليه وعلى جميع أتباعه. ولما كانت تربطه بمورور  
صلة صداقة، صانف مورور على نفسه وثراً على عازان وحزبه. (انظر كتاب الشرق الإسلامي -



فما كان منه إلا أن استأذن عازان قائلا: "مفضل أتيتك عن الثمرديين، فأريد أن أعود إلى ديارى، وأشاهد الألاف من أشاعي. وإذا دعت الحاجة، فسوف أرحب بـ"الحيش". فلما حصل على الإذن عاد إلى دياره. ثم ترك زوجته الأميرة طوعا مع والدته "سرميش" وإخوته "براتاي عازان" و"حاجي" و"تاريس حاجي" وأباه أخيه في ملازمة الحصرة.

بعد ذلك أرسل أروعون الأمير "تككا" على رأس الأمراء بصفته معازنا لعازان في حكم خراسان. ولكن لم ترق لعازان عادات "تككا" وسيروته. ولما لم يكن ذلك مناسباً لطبعه لم يتيسر له أن يفعل ما يريد. وكان الأمير قتل شاه بويان قد عاد من ناحية أذربيجان، وأقام على حدود "خوجان" بسبب اعتلال صحته.

أما بورور فقد سار إلى "وادی جر" حيث للمقر الشوى لجماعته، وأمضى الأمير "كيشو" فصل الشتاء في هراة تبعاً لحكم المرسوم. وعندما حل الربيع، رحل الأمير عازان من مرو إلى ناحية سرخس<sup>(١)</sup> حيث مكث عدة أيام. ثم قدم إلى "قراية" سرخس حتى تسنى الدواب وانصرف إلى اللهور والرمي. ولخوف بورور من أروعون بسبب نهمة بوقا صار يرسل تباعاً، ويتحلل الأعذار قائلا: "إن ما أصابى من وجع في قدمي هو المانع من وصولي إلى الحصرة". ثم أحضر أمراء السرايا من هم تحت إمرته وكذلك أتباعه، وقال لهم: "سمعت أنه قد وصل أمر من أروعون إلى الأمير النجل عازان يقضى بأن "بورور" وأتباعه كانوا يتآمرون مع بوقا، فيسبى اعتقالهم وإعدامهم جميعاً. ولما كان الأمير "كيشو" قد تزوج من أخت "بورور"، أرسل إليه أبعسا رسالة بهذا المعنى، بحيث إنه حووه وحلوه، وجعله متحداً معه. وفي ثلث الأيام القريبة، وصل "ساداتي ترخان" و"بيكلاميش" اللذان أرسلتهما عازان إلى حصرة أروعون. ثم لقيا مدة شهر في "قراية" وهكذا دأب على الأمراء بمرور وختته. وفي تلك الأثناء، وصل أبعسا الأمير قتل شاه.

<sup>١</sup> في عهد الإلخانيين لمسة هولاكو خان، تأليف ليدكتور دؤاد عبد القوي الصبيح، ص ١٦٠ وما يبعث مشهورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، المجلد ١٠٧ / ١٩٨٧م.

(١) سرخس، يقع ثوله وسكون تايه وضح الهاء المصغرة، وأخبره سبي هبله. ويقال سرخس بـ"البريك". والأول أكثر. مدينة قديمة من بولس خراسان، كبيرة واسعة. ويقع بين سياتور ومرو في وسط الطريق. وتكثر فيها مراعى الإبل والأغنام. ولو أن ما يروى من أراميتها محمود المساحة بسبب قلة مائها ولأنها سهابة من صبح المصالح والمصائب للفتوشة للندبة (انظر معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٨ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٣٨).

بعد ذلك استأذنت "سرميش" والدة مورور والأميرة طوعان وكذلك إخوته وأباء إخوته في المسير بحجة أن "مورور" قد روج ابنته من "ساربان بن بيكي"، وأن الجمع في انتظارهم كي يقيموا مراسم الزواج والأعراس على أن يعودوا بعد حفلات الزفاف فلما ذهبوا لحقوا بمورور

وفي أوائل ربيع الأول سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م رحل عازان من "قراته"، وصار إلى ناحية طوس وراذكان<sup>(١)</sup>، ثم أرسل "ساداق" برسالة إلى مورور يقول فيها: "إننا قد ارتحلنا، للاحق بك هناك فيسعى أن تقابلنا عند مهر فرعانة أي عند "كشف رود". فلما وصل "ساداق" إلى نورور، اعتقله وقبضه، ثم استجوبه بصرب العصى والمراوات قائلا: "لقد كنت في خدمة أروعون، فصارحني ما حكمه علي؟" فأجاب: "خير وحسي". وعندما هم نورور بقتله تحدث بصبح كلمات مضطربة خوفا على حياته، غير أن والدة "مورور" "سرميش" والأميرة طوعان حالتا دون قتله، فراح به في السجن ثم سار به في الطريق. وهكذا شرع مورور في إشارة العنة والاضطراب. لما غاراز فقد برل بعد ذلك في منطقة "كشف رود" عند "سد معين".

وفي يوم الخميس ٢٧ من ربيع الأول سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م [ص ٢٩٠] قدم مورور بالجيش الذي معه، ليدلهم المعسكر المعظم لعازان. واتفق أن يوقا وتكنا وكورك والأمراء الآخرين كانوا قد برلوا عند النهر، واجتمع جمع عسير وعسكر الجيش عند حافة ربوة خارج وادي النهر.

ولما كانت العصابة الربانية ترعى عازان، أدرك مورور ذلك التجمع، وطمأن تلك الجحافل تابعة لعازان حال، محاصرههم؛ فأخذوا يهللون ويصيحون جريا على عادة المفلول وبسبب اللطف الإلهي، استيقظ عازان مبكرا، وعسل وجهه، وحضر المقربون إليه، وركب الأمير قتلغ شاه استعدادا للقتال، وأرداد الصبيح. كذلك ركب غازان. وكان الأمير قتلغ شاه في خدمته. وقد سارا إلى ناحية رباط "سگ بست" على طريق نيسابور. وبذلك بما

(١) راذكان أو راذكان. قرية من قرى طوس. وصل بلدة تقع في نصف الطريق بين خويستان وطوس بحرج مسها جماعة وأجرة من أهل الطوس. ويقال إن الزعيم نظام الملك كان مسها (صعجم القناد، ج ٣، ص ١١٢ بلدى الثلاثة الشرقية، ترجمة القرية، ص ٤٣٤).

من تلك العارة المفاجئة بفضل العون الإلهي. وقد أعتق "نورور" الأمير يوقا<sup>(١)</sup> وتكنا وكورك وأمر بإجلاء الجنود من المعسكرات ومنازل الأمراء جميعا، وأرسلهم إلى "بزاوكان" ثم نهوا كل ما وجثوه، وقتل "نورور" يوقا، وكان يحتضن بتكنا والأمراء الآخرين مسجونين معه.

وعندما بلغ غاران يسابور، كان هناك الأميران ساتلميش ومولاى فالتحقا بخدمته. ثم اعترم غازان السير إلى مارندران وتصادف أن الدرع الذى كان فى غلبة الحس والجمال قد أسقطه السياس من العيبة<sup>(٢)</sup> وبجثوا عنه مدة، فلم يهشروا عليه.

أما سيب عريمة غاران على التوجه إلى مارندران، ف يرجع إلى وجود الأمير "هولاجو" بها. وكان يشاع أنه متفق مع نوروز. وكان نوروز يكتب الشورات إلى الولايات بهذا المعنى [ص ٢٦١]، فأراد غاران أن يعتقل "هولاجو" قبل أن يهضم إلى نوروز، فسار بسرعة فائقة؛ بحيث إنه ركب من يسابور، فبلغ ظاهر "شهرك نو" خلال خمسة أيام، وبقى الأمير "كوررتور" بمعهده. وقد انضم إلى المحصرة أمراء جيش مارندران. وكان هولاجو فى ظاهر مدينة جرجان<sup>(٣)</sup> على مقربة من "كورداغى".

وفى يوم الجمعة السابع من ربيع الآخر، تابعوا "هولاجو"، وطلقوا بهلولون ويصيحون قبل أن يصلوا إلى دياره. وكان "هولاجو" يشكو من ألم فى قدمه، فخرج مسرعا قبل أن يلبس بعله، وعزم على الفرار. وعندما وصل الجنود إلى مرله، ولم يجدوه تعقبه الأميران مولاى وباهجار وقصبا عليه بالقرب من "سگ سواد"، وأحصراه. ثم سبب الجنود دياره ولما اقتادوه إلى المحصرة، وسلّوه عن أحوال نورور أنكر وقال: ليست لدى معلومات عن أحواله، وإنسى لم أكن متواطئا معه، ولم تخطر بهال هذه الفكرة قط.

(١) يوقا هذا شخص آخر غير الأمير يوقا ورير لرغون السابق ذكره.

(٢) العيبة وحده من آدم ونحوه، يكون فيه تشايع. الجمع عيب وعيب (انظر المعجم الوسيط، ج ٢، ص ١٦٢٩)

(٣) جرجان مدينة عظيمة بين طهرستان وخراسان، ليس لها نظير فى بلادها. والكتاب على أعمال جرجان للجلال والقلاخ، ويعرف عن أهلها القناعة والبرية واليسار. وبها قرنتون والفخيل والجور والفرمان وتصب السكر والأخرج وبها كنوز الإبريسم ويمثل إلى كل الأمان. وقد خرجت جرجان كثيرا من العلماء والأدباء (معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩ - ١١٢٠ فروغى للطاهر، ص ١٦٠ - ١٦٢).

وفي ذلك اليوم نزل غاران على مقربة من جرجان. وفي اليوم التالي، أرسل "هولاجو" إلى حصرة أرفعون رسالة، وذلك على يد "تايمور" أما غاران فقد أقام يوماً، وتفقد الجود ومن هناك تحرك إلى جانب غوشان<sup>(١)</sup> وطوس ورادكان لمواجهة نوروز؛ بحيث إنه في اليوم السابع، وصل إلى موضع "سلطان ميدان كلندر" الذي كان على بعد شايين فرسخاً. وفي آخر النهار، وصل خير من الخراسان بعيد أنه يبدو ظل جيش المنجيين، فعصر الأمر بأن يتسلح الجيش كله. ولما رأى المنجيون [ص ٢٦٢] الجيش المصور من بعيد، ساروا إلى ناحية رادكان. وفي تلك الليلة ظلت الرهائن السلطانية في "سلطان ميدان". ثم هطل مطر غزير أثلف معظم المشروع وسروج الخيل.

وفي الصباح الخامس عشر من ربيع الآخر، توحشت الرهائن السلطانية إلى رادكان في طلب نوروز، فالتقوا به في موضع يسمى "ابحكه سو". واصطف الفريقان، فأسرع الجيش المنظر إلى مداخلهم، وذلك لمرط شجاعته، وقاتل الحد قتالا عيباً؛ لا سيما الأمير قتلح شاه. ومن الجانب الآخر ثبت كيشو ونوروز وتكنا.

وفي نهاية الأمر طهر وهن في جنود هذا الطرف (أي جود غاران) هولوا الأديار مهريين وكذلك توقعت الرهائن السلطانية مدة طويلة في مواضعها ثم أمر غاران الأمراء قتلح شاه وساتلميش وسوتاي بجمع فلول الجود. ورغم ما بدلوهم من جهد لم يستطيعوا جمعهم. وعدلد تحركت الرهائن السلطانية إلى "جويس"<sup>(٢)</sup> عن طريق أرميان وعقب أمراء الجيش، وصل أيعورنای وغاران والآخرين. ومن كل ولاية جويس لم يقدم أي مخنوق إلى الحصرة سوى "مهتر نجيب الدين الفرائش" الذي خرج على الفور عندما وصلوا إلى قرية

(١) غوشان أو جرجان. مدينة تقع في المستقعات التي تخرج منها سبها لتترك بالقرب من طوس. سمي رستانها "استو" وقد عرف القسوة أرسه، وأعيد هولاجو غاران بناء غوشان من ثلاثة السابعة (ثلاثة عشرة). ثم وسع حبيده أرفعون هذه المدينة كثيراً وعطسها مجدداً. وهي تقع في قسح والقبس وفواكهها كثيرة. وقد وسع حبيده أرفعون هذه المدينة كثيراً (بذلك الخلافة الشرقية، ترجمة القرية، ص ١٣٥).

(٢) جويس. اسم ولاية على طريق القوافل من بسطام إلى سبزوهر. وجميع قرأها متصلة واحدة بعد الأخرى. وأكثر سكانها من الفارسية، ويسمى جويس بالقرية. وحاصلاتها متنوعة. وإلى جويس يسب لمن كثير من الأتمة والطباء. انظر مجمع البلدان لياقوت، ج ٢، ص ١٩٢ - ١٩٣، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ترجمة

الفتوح، ص ١٨٤، تهران ١٣٣٦هـ.ش.

"زير آباد"، وقدم أكمل فروض الطاعة وعسى بالخيل عابدة عاتقة، وقام بالخدمات الجليلة الثلاثة من كل نوع؛ فلا جرم أن سلطان الإسلام عندما تربع على عرش السلطنة، شمله بعبطه، ومسحه كثيرا من الامتيازات، وجعله من حملة المقرين إلى المحصرة. [ص ٢٦٣] ومسحه قرية "زير آباد" التي كانت من أملاكه الخاصة. كذلك مسح مرسوم الترخاية<sup>(١)</sup> وموضع إليه الإشراف على الخزانة، وإدارة الخافاه التي بناها في قرية "بورنجر" من أعمال همذان. وهي عبارة عن عمارة مرتفعة وبهاء رائع وقد لوفى عليها أوقافا كثيرة من الصباغ والنفار، وجعل ولايتها له ولأولاده وأعقابهم، وصار ملحوظا بنظر العامة والمعاملة السلطانية.

وعلى هذا لا يخفى أن كل من يؤدي للسلطان خدمة جليلة ومرصبة لا بد أن يحسب نبيحتها وشرفها، ويكون موقرا ومحترما في نظر الجميع وحتى هذا الوقت في عهد السلطان أواخره خلد الله سلطانه كان هذا الشخص لا يزال يباشر هذه الأعمال ويتمتع بما كان له من توقير واحترام.

والحق أنه رجل شريف ومرتب، طيب الذات، حسن السيرة؛ فلا عرو أن يكون جديرا بملازمة السلاطين، وبإلزامهم دائما بالخيرات والمبرات. وهكذا كان كثيرا من الناس من الصحاء والعلماء وسائر أصناف الطوائف ينعمون في وجود عازان بالراحة والرفاهية. وصعوبة القول أنه عندما وصلت الرايات السلطانية إلى مكان قريب من جاجرم<sup>(٢)</sup> نشاوروا في الأمر، وقالوا إن المصلحة تقتضي بأن نذهب إلى حصرة أرغون خان أو أن

(١) الخزانة هو رجل المني من المصريف، ويكون له حق الاستعانة على ما يتم في الحرب، ويسجل على أعمال الأعظم دون استئذان، ويخصص له عدد من الخيول والأضياع يكرمون تحت تصرفه، ويطلق من القواب والمسير والتفولات ما لا يدخل تحت حد وحصر، وبعض من السلاطين من القواب التسعة الأول التي يتركها ويكون لأهله أيضا حق التسع بهذه الامتيازات. وقلوب الخزانة خاص بهذه الوظيفة (انظر عطا منك الجوهري تاريخ جهانگشاي، جلد أول در تاريخ چنگيز خان والقبائل أو تاتاريك خان، ص ٢٧ - ٢٨، يسمي الوصنام ونصحيح محمد بن عبد القواب القزويني، لندن ١٣٢٩هـ / ١٩١١م).

(٢) جاجرم يدلل له أيضا أرغون، بلدة لها كورة وقعة بين سايور وجرجان مشتمل على ثرى كثيرة وهي بلد حسن وتعتبر مسكنها بالمخاضة تتجج الصبح، وتكثر بها المأكلة (انظر مصمم البلدان، ج ٢، ص ١٩٢ نزعة القنوب، ص ١١٨٤ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٣٣ - ٤٣٤).

نقيم في كالبوش. فرد عليهم عازان بقوله: حيث إننا قد أرسلنا الرسل: يعميش وأرمنى بلا، يعني أن نصر حتى نعرف ما عساه أن يحدث. ثم توقف في كالبوش. ولما كان بها موطن "المعورتاي عازان"، وكان مطلعا أيضا على الأوضاع في ساربدان، قدم هناك خدمات جليلة. بعد ذلك عين عازان طائفة من الحراس ليرابطوا حتى صمقان وجرمقان.

وفي تلك الأيام وصل نظام الدين يحيى من ولاية "يهق"<sup>(١)</sup>، وأحضر معه كل ما تحتاج إليه الحصرة السلطانية، وما يلزم للمعسكر من الخيول الفجائية والآلات النحاسية [٢٩٤هـ] والمضيئة والمحيمات والسرادقات والأواني والعمال والإبل. كما قدم للأمراء خدمات مستحقة، ثم عاد إلى يهق حسب الأمر الصادر إليه كي يعد الأموال والميرة للمجد

وقبل الاشتباك مع نوروز يومئذ، هاجم الأمير "إلادو" وطائفة أمراء الغراواناس ديار نوروز، وسبوا كل ما فيها. فلما وقف نوروز على ذلك الأمر تعقبهم أما كبشو والآخرون فقد أقاموا في رادكان وكما هي عادة القرونة، انقسموا - بعد تلك العارة - إلى فرقتين أو ثلاث فرق وانقسموا من حول الأمير "إلادو"، وانضم بعضهم إلى الأمير نوروز، وسار بعضهم إلى ديارهم، وشرعوا في إثارة الفتى والاضطرابات. وعندما شاهد "إلادو" تشتتهم وتفرقتهم، نقل خيامه إلى حدود "بلادغيد" في واد حصص وانضم إلى الحصرة، فشملة عازان بمائة عظمه ورعايته، وأقام مدة أربعين يوما في "كالبوش". وعندما قدم الجلود من حصرة أرغون، ينقلهم الأمير بابلو، ونوروزي أقبا وابنه انقسموا إلى حصرة غاران، وشعلوا عدة أيام بإقامة الولائم والاحتفالات. ثم رحل عازان من هناك - بطالع السعد إلى "خبوشان" عن طريق صمقان.

وعندما علم نوروز بوصول الجلود من ناحية العراق، وعرف أنهم يقصدونه، نقل خيامه وأمتته إلى هراة، وقدم هو نفسه إلى حدود جرمقان. وعندما رأى أنه لا طاقة له بالمقاومة

(١) يهق: ناحية كبيرة وكورة واسعة، كثيرة البلدان والعمارة من أراضي سبهور تشتمل على ثلاثمائة وأحدى وعشرين قرية بين سبهور وقرمق وجوى. وكانت فصبتها أولا بحسب جرد ثم صارت سرور. وقد خرجت يهق عندها كثيرا من القلاع والقلع والفتن. والمقال على أهلها مدح بالشجاعة والقلة. فانظر مجمع البلدان، ج ١ ص ٥٢٧ - ٥٢٨ تلخيص يهق، تأليف تقي الحسن على بن زيد البيهقي المعروف بابن شمس. مقالة العلامة محمد بن عبد الرحيم القزويني، ص ١ وما بعدها، طهران ١٣١٧هـ. ش.)

عاد من حيث أتى، فصار الجيش المنصور يتعقبه حتى حدود جام. وفي موضع "بحار سراي" التي تلى جام [ص ٢٦٥] دخل في طاعة غازان "تولجيتو" مع جماعة القزويني وشاجي بن بكه بنون من أتباع بورور. ولما بلغوا "خرحرد جام" كان بورور قد ساق كل الدواب التي وجدها في خراسان، سواء أكانت له ولجوده أم كانت للعرب والعرب كان وغيرهم. وكان يأخذها معه.

ولما وصل الحدود المنصورية متعاقبين، شاهدوا ابتداء من مدخل جام حتى مدخل هراة الحروب<sup>(١)</sup> والسهول وكلها تعج بالدواب التي تركها وراءه بورور وجوده. وفي عدة أماكن أخرى شوهد كثير من الدواب قد نفق. ونظرا لشدة المعوية، أصبح السير متعبا فكان الممرل يأخذون تلك الدواب، ويسرون بها. وفي القري كانوا يبيعون كل خروف بدينار واحد. وحيث إنه كان قد صدر أمر بالآلا يهتموا بالعصائم، لم يمرؤوا على أن يأخذوا منها المزيد. وقد حمل بورور كل ما خفف حمله من المتاع ثم سار مع الأميرة "طوعان" وعائلات الإخوة وعدد معدود عن طريق فره وسيروار وهي منطقة صحراوية قاحلة.

ولما كان الوقت صيبا، لم ير غازان من المصلحة في شيء أن يرسل الجند في إثر بورور وأقام عند باب هراة على ضعف مهر "بول مالان". ثم أرسل الأمراء إلى بادعيس لاستدعاء "كيشو" والجيش للعظم. وعلم كيشو بهذا الأمر، فخرج مع سائه وأطفاله وأتباعه إلى جبال النور وغرجستان. أما أمراء المعسكر المعظم ونكا وجنود القزويني الذين كانوا معه فقد رحلوا جميعا إلى هراة. ومما يدل على ثبات "كيشو" وسكوته وأمانته - خلال تلك المدة - أنه لم يستول على دينار واحد من الخرائص الخاصة أو الأموال والدواب التابعة لبيوت الأمراء الذين كانوا هناك، ولم يتصرف فيها. بل إنه في الواقع أدى خدمات جليلة.

[ص ٢٦٦] وبعد عدة أيام رحلوا من هراة، واتجهوا إلى ناحية "رادكان" ومن هناك سير غازان إلى حصرة أرغون "بهورتاي غازان" في صحبة تكتايش خاها له أحوال جيش خراسان. وعلى الرغم من وجود المزيد من الفس والاضطرابات التي كانت تحدث في خراسان، لم يكن غازان يفعل دقيقة واحدة قط عن مراعاة قواعد العدل والإصاف. وكان

(١) مورد حزن. والممرل من الأرض. ما عطف. ومن الدواب ما صبت رصاصته ومن الناس من عشت مغلطة للمحم  
فوسيف، ج ١، ص ١٢١.

يبدل قصصري جهده هي رعاية شئون الرعية. وكان قد سن قانونا يقضى بألا يدع أى مخلوق من الجود أو غيرهم الدواب تتلف مزارع الناس وبساتينهم. وقطعا لا يطعمونها العلات، ولا يهثون في للولايات هداة، وألا يشقوا قط على الرعايا.

بعد ذلك تحرك عاران من رادكان إلى "شتركوه" مع طائفة القلوة الذين كانوا قد تركوا في ناحية "جام"، وذلك كي يصطاف. وهناك شعلوا بالنار والشراب. وقد أكرمهم عازان غاية الإكرام

وفي مساء ذلك ورد بأمر الحراس يفيد أن العصاة قد ظهوروا، فتحركت الريات السلطانية إلى ناحية رادكان وكانت تلك الإشاعة كاذبة. وبسبب إيمان عازان الشراب اعتلت صحته. ثم قدم الجمع من هناك إلى خيوشان. وقد ظل عاران مريضا ما يقرب من أربعين يوما. وبعد ذلك استرد صحته.

وحلال تلك المدة وفد الأمير "شيكور آقا" و"طوعان" من لدن حصرة أرغون، وأمصيا الصيف والخريف مع أتباعهما في منطقة خيوشان ورادكان وشتركوه. فلما صار الجو باردا، استقر الرأي على أن يمضوا الشتاء في تسانور. أما عازان فقد مضاه في "مويدى" ومضاه الأمير بالبلو في موضع "شامكان" الذي يقع بين بيهق ويسانور. ولقد اشتد البرد في ذلك الشتاء، ومزل الثلج بعمرارة ههناك أغلب الدواب، وبقي أكثر الناس مترجلى [ص ٢٦٧].

ولما حل ربيع سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م قصوا الصيف في مناطق رادكان وخيوشان وشتركوه. وفي هذا العام كان الأمن مستبأ في كل الجهات. وقد أحصروا الأموال من لدن أرغون، وقسموها على الجود. بعد ذلك سار طوعان حتى منطقة بادعيس ثم عاد. وفي أوائل الصيف بسبب عدم توافر الميرة في حراسان، صدر الأمر بأن يعود الأمير بالبلو ومن كان معه من الجود الذين كانوا قد ساروا من العراق وأذربيجان، وأن يلازمه "تورين". ثم قدم عازان إلى ناحية بام وأرغيان لتوديع بالبلو، وعاد بعد ذلك.

وفي ذلك الصيف تغيرت نبات طائفة من القلوة، ودخلوا ولاية جويس، يتقدمهم "دانشمد بهادر"، وصاروا يهربون ويخربون، فبعث عازان الأمير "مولاي" لمقاومتهم واستمر عازان طوال الصيف والخريف يشتغل بالصيد والترحلة في سقطنى خيوشان



وراد كان. كما عهد إلى الأمراء بتنظيم الجيش، وإلى أصحاب الديوان بضبط الأموال وإعداد الميرة للجنود. ثم أمر بقضاء الشتاء في "مزن بلورد"، وإقامة سد على النهر الذي يدعى "كال ترن"، وعمر عدة قرى.

وفي ذلك الحريف، وصل المدعو "خوارزمي ترخان" من لندن أروعون خان ليعط شئون خراسان وتدير الأموال في هذا الإقليم. كذلك أمر غازان بأن يباشر الجميع أعمالهم وفقا للفرمان السابق وبموجب الفرمان أيضا أمر باعتقال نواب طوغان في قهستان وإحضارهم إلى الحضرة. وأما الكتاب والعمال في خراسان، فقد رح بهم في السجن، وحقق معهم.

وفي آخر الشتاء شرع جمع من القراوية في التمرد في ناحية سرخس وساروا إلى جهة سر [ص ٢٦٨] ثم تحركت الرهايات السلطانية إلى "وادي مرعه". وقد سير عازان "الإدوبوبان" لنقضاء على فئة القراوية، فحاربهم إلى أن أخضعهم وألزمهم الطاعة. بعد ذلك أقام عازان مئة في ناحية "آرجاه" و"شوكان" ومن هناك سار إلى سرخس، ثم برل "بقرايه" التي تسمى "شيرسيل".

وفي شهور سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وصل نأ يقيد بأن "نورور" سوف يصل قاصدا خراسان بجيش معه ثامنا ومعه ساربان وأبو كان أغول ولور كيمور وقواد يساورور. وكان سبب ذلك هو أن "نورور" عندما هرم قبل ذلك في منطقة هراة، مر هاربا، وسار إلى قاندا<sup>(١)</sup> وبعد أن قدم له خدمات كثيرة، الفس منه أن يمدد بجيش فأجابه إلى طلبه وأرسل إليه جيشا، وسير أيضا ابنه "ساربان" على رأس جيش آخر لمساعدة نورور. فما كان من عازان إلا أن أرسل "قمرتو" مع طائفة من القواد لاستغلال الأحمبار، فساروا إلى "مرعاب" ثم عادوا وقالوا: إن التمرد سوف يصل حقيقة على رأس جيش كبير.

(١) قاندا: هو ابن ناشي من لوغهاي قان من چنگيز خان (انظر جامع التواريخ تاريخ خلفاء چنگيز خان من لوغهاي قان إلى تيمور قايي. نقله إلى العربية الدكتور مؤلف عبد اللطيف الصبيح، ص ٣٦١ - ٣٦٢، بيروت ١٩٨٣ رحلات ماركو پولو، ترجمها إلى العربية عبد العزيز توميق جيلوف، ص ٢٥١ - ٣٥٢، القاهرة ١٩٧٧ مارمولد تركستان من الفتح العربي إلى الغزو للفولق قتله من الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، ص ٧٠ وما بعدها الكويت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م الشرق الإسلامي، ص ٤٧).

ولما لم يكن جنود غازان مجتمعين، رحل الحاضرون منهم إلى موضع آخر حيث مرعاه وكشف رود، وصاروا ينتظرون حتى يصل الأمير قتلغ شاه والجنود الذين كانوا يمهضون الشتاء في هراة كذلك أرسلوا الأمير "كوجيك" لاستدعاء جنود ملازمتان. وعندما وصلوا إلى "جسر معين" "بول معين"، استأذن الأمير مولاي، وسار إلى قهستان حتى يحصر الجنود من هناك. وكانت أخبار الثمرديين تصل ناعا، فرحل غازان من هناك، [ص ٢٦٩]، ورجل في أعلى المشهد الرضوي، وظل في انتظار الأمير قتلغ شاه وأنساء النهار وحصل "قيان احتاجي" من ناحية آذربيجان موهنا من قبل الأمراء الذين كانوا قد أثاروا الفتنة هناك، وفتنوا جوشي ونوردقيا وسعد الدولة، ثم أرسلوا قيان حتى يصرم بار الفتنة في خراسان مع ممر من المصدي كذلک أخبر أن جيوش آذربيجان والعراق سوف تصل من لدن أرمون حان أما عازان خان فقد عرف بما كان له من فراسة وكياسة - أن ما يقوله "قيان احتاجي" كذب ولكن لما كانت الأخبار تصل ناعا عن تحرك الثمرديين، لم يتفحص حقيقة الأمر.

وفي اليوم التالي، وصل الأمير قتلغ شاه، وصرح بأن جيوش مورور للثمرد، قد وصلت إلى رباط "سگ بست"، فعمله عازان بعلمه، وألبه قباهه الخاص، وأعادته ليلا كي يحصر الجيوش صباحا إلى المحصرة في موضع يلي المشهد للقدس، وذلك لخصوص عمار المعركة. وفي منتصف الليل ورد نيا من الخراسان يعيد بأن العصاة احتاروا جسر معين "بول معين"، فانقضى الرأي العالي أن يسير الجيش الأعظم ليلا بمعلمته مع الخواتم إلى "أسمرائين"<sup>(١)</sup>

وفي صباح عرفة ربيع الآخر سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م تحرك عازان من هناك وكان في صحبته الأمراء. موري آقا وإلادو وإهورتاي عازان وغيرهم ثم ارتحل إلى ناحية تقع أسفل المشهد الرضوي، ومكث هناك ساعة واستعرض الجيش، وظل منتظرا وصول الأمير قتلغ شاه كي يجازب الثمرديين. وفي وقت الظهيرة قدم "مجمعة" من قبل قتلغ شاه، وقال:

(١) أسمرائين وتكتب أيضا أسمرائين. بلدة حصية من أراضي مهاباد على منتصف الطريق من جرجان. واسمها القديم "مهرجان" سماها بذلك بعض الملوك لحصنها وحمايتها. ومنها أسواق وسبائك جارية وخانات. وهواؤها رطب وتكثر فيها الأعشاب والقمح (انظر معجم البلدان، ج ١، ص ١١٧٧، فروس السطار، ص ١٥٧، بلدان الخلاصة لشرقية، ص ٤٣٤، ٤٣٥)

عدما وصلنا إلى "سنگ هست"، كانت الجيوش كلها قد سارت على طريق "وجشك" و"اسحاقباد" إلى يسابور [ص ٢٧٠]. وعلى أثره جاء الأمير قتلغ شاه إلى الحصرة وبعد ساعة ظهر سواد الجيود ولما كانوا كثيرين - على حين أن جنود هذا الجانب (أي عازان) كانوا قليلين - مشاور الأمراء في الأمر، ورأوا أن المصلحة تقتضي تجنب الحرب وعدم خوص غمار المعركة. كذلك صرح "إلادو" بقوله: إنه ليس من صالحنا مواجهتهم. ثم صرب هذا المثل المعوى لدى يقول: "إن الالتحام بجيش العدو المتسرد أسر سهلا أما التخلص منه فأمر عسير". وأنتم تعرفون أنهما كثيرة تجييون فيها على أرغون. أما جواب هذا اليوم فعلى أنا.

وأخيرا استقر الرأي المبارك على أن يترعث الحاصرون، وهمودوا، ويرابطوا في أحد المواضيع حتى تتجمع الجيوش بأكملها. ومن هاك تحرك عازان إلى ناحية "زادكان"، فصار المتسردون يتعقبونه. وفي آخر النهار داهم عازان بقواته جنود المتسردين بالقرب من طوس وتحاربوا. ثم ارتحل في اليوم التالي، ورابط في عدة مواضع. ولم يتصادف حدث ذلك ثم برل في "سلطان ميدان" ليلا، ولارتحل صاحبا. وقد عرص "إلادو" قائلا: "ما دام القتال ليس ميسرا. وقد سار أهلى وعشيتى وأكثر الجيود إلى ناحية "جوي". فلو أدن لى قائد، فإني سوف ألتق بهم. فصرح له عازان بذلك، وذهب "إلادو" إلى حال سبيله. كذلك قال "زاتمور" والد "شيرين أيكاجي": لقد ذهب أهلى وجودى أيضا إلى ناحية يسابور، فلأذهب، وأتى بهم ممضى هو كذلك. أما ابهرتاي عازان فكان يحب روجه تورميش خاتون ابنة الأمير مباركشاه. وكان قد سيرها مع أهله إلى "كبود جامه" وفي بيته أن يأخذها ويضم إلى نوروز [ص ٢٧١]، فطلب هو أيضا الإذن بحجة أنه سوف يذهب إلى دياره حتى يعي جنود مارندران، ويحافظ على تلك الخيود. فأذن له هو الآخر ورحل. أما الأمراء نوريس آقا وقلغ شاه وسوناي فقد ظلوا ملازمين للحصرة

بعد ذلك تحرك عازان سالكا طريق أرغيان وكانت أخبار الأعداء تصل نياها. ثم توقف برهة في مدينة إسفراين، ومر من هاك وبرل في قرية "كسرغ"، من أعمال إسفراين وفي منتصف الليل علم نوريس وقلغ شاه وسوناي أن طائفة القراوة الذين كانوا في "هراره"، وحي بهم إلى المعسكر كى يضموا إلى "باتاي" يترون بإثارة الفتى. وقد تشاوروا

فيما بينهم، ثم استقر رأيهم على أن يتمردوا، ويعودوا أحرارهم. فعرصوا تلك الحال على عازان، ورأوا من الصالح أن يعادروا ذلك اللوصع على أن يبقى الأمير قتل شاه ليقتب على حقيقة الأمر. ثم تحركت الزبائن المشاركة إلى ناحية "جوريد"؛ بحيث إن عازان وصل إليها في الصباح. ثم عاد ذلك الجمع من هناك، وهاجوا ديار "كوجك" و"قتلغ خواجه" وبقيّة الحرم وسهوا كل ما وصلت إليه أيديهم، وانصموا إلى المتمردين. وكذلك كان جمود الأعداء يأتون في إثرهم حتى بلغوا "جوريد".

فلما وصل السلطان إلى هناك، أمر بترحيل أسر فاجير من سرنانق وسوغار وسواتو والقراوة الآخرين الذين كانوا قد رلوا هناك في ناحية جاجرم وبسطام<sup>(١)</sup>، وأقام عازان هناك إلى آخر النهار. وعندما وصل الأمير قتلغ شاه، وعرض الأخبار عن وصول المتمردين رل عازان في جاجرم حيث أقام تلك الليلة، وعاد نوروز من جندد. وإن ما حدث في تلك السنة بحراسان من صروب القتل والسلب والتخريب ليعوق حد الوصف والبيان؛ فلقد حاصروا مدينة يسابور، ولكن يمين عازان وإقباله، وفي الحلق تعاني هؤلاء المسلمين شر الكفار<sup>(٢)</sup> [ص ٢٧٧] فلم يسيطروا عليهم لكنهم مع هذا أعاروا على القرى، وأسرؤا كثيرا من السكان. ثم قصد المتمردون "بارونقي" من نواحي يسابور، حيث يوجد محاريون أشداء.

ولما كان اللوصع حصيا للعاية، لجأ كثير من الناس إليه بأموالهم ودوابهم. ثم ذهب المتمردون إلى أحد الوديان، فحاصروهم السكان وسدوا عليهم الطريق من فوقهم، وقتلوا ما يقرب من ألف فارس من الكفار. ثم عاد المتمردون من هناك، وذهبوا إلى مشهد طوس وانتزعوا أربع كرات فضية، كانت قد وضعت كحلبة في أعلى الصريح ولقد قتل الأهالي

(١) بسطام أو بسطام. بلدة بطوس على جادة الطريق إلى يسابور بعد دقيقتين من خاني. منها أبر يرید البستاني الزاهد. وبها نواح جيد يصل إلى العراق وسجيم الهند، ج ١، ص ٤٦١. انظر كتاب بسطام وباريد، بستاني مكارش قبائل بختياري، ص ١٧، تهران ١٣٦٧ هـ ش.

(٢) من الملاحظ هنا أن رشيد الدين يظن على عازان ورفاقه اسم مسلمين ويظهر أفعالهم كفار. هذا على الرغم من أن العكس هو الصحيح؛ إذ إن عازان ورفاقه كانوا ينجسون بالبودية في تلك الوقت. أما عدوه نوروز فكان يعتنق الإسلام.

كثيراً من هؤلاء اليهود؛ بحيث إن الأعداء عندما وصلوا إلى حدود مادعيس<sup>(١)</sup>، واستعرضوا الجيش، لم يجدوا ما يقرب من خمسة آلاف فارس. ولهذا السبب اعتبروا "مورور" مدبياً ومقصراً، وضربوه بالعصا.

وفي اليوم التالي ارتحلت الرابات الملكية عن طريق بسطام ودامعان. وكان جميع الأمراء قد علموا بوفاة أرغون، ولكنهم يخفون ذلك عن عازان. فلما وصل إلى بسطام، أقام بها يوماً؛ لأن الخوارجيين كن هناك. ثم اتجه إلى دامعان. وكان قبل ذلك قد أرسل "أيشفا" آحا إلادو برسالة إلى حصرة أرغون، ولكن لأنه كان قد سمع بوفاة، توقف في دامعان. وكان جميع سكانها قد خرجوا من المدينة، ومضى بعضهم بصحبة "شاه أبلدور" إلى "گردكوه"<sup>(٢)</sup> وبعضهم إلى حصص "دس ماها"، وهو مكان حصص. ولهذا السبب عاد "أيشفا" من دامعان [ص ٢٧٣]، ووصل إلى الحصرة في بسطام وعرض على عازان أحوال سكان دامعان وعندما وصلت الرابات السلطانية بدامعان، لم يتقدم لاستقباله مخلوق قط، ولم يكرس الأهالي قد أعندوا افتدائياً والضعف والليونة، فعصب عليهم عازان. ولما كان الأكابر والأعيان هناك في حصص مايند، أمرهم بالخروج، فأبوا، فأمرهم بمحاصرتهم. وبعد حرب استمرت ثلاثة أيام بلاليتها، طلبوا الأمان، ودخلوا في الطاعة وأعطوا عازان أموالاً كثيرة من النفود والأمتعة وقدموا للجيش المؤن والأبقار والأغنام، فسمح عازان - لمرط عطفه ورحمته - عن دبوب هؤلاء المجرمين. ثم أشار بتخريب القلعة. وبعد جلوسه المبارك أمر بتعميرها

(١) مادعيس أو مادعيس. عبارة عن بلدات وقري كثيرة وسراخ يتواحي هرة وأصلها بالعارسية "مادعير" أي قيام الريح أو هبوب الريح لشدة الرياح بها (التوهم البلدي ص ١٤٥١ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٥٦).

(٢) گردكوه قلعة تقع على بعد ثلاثة فراسخ من دامعان في وسط الجبل برضا القلعة بدامعان. ويقال عن هذه القلعة أيضاً اسم "در جندمان" أي قلعة الخشب. وحرف رستانها الخشب بتصوير أباد، ووراعاتها ومحصولاتها وبرة وگردكوه إحدى قلاع الإسماعيلية التابعة في كانت تسيطر عليها طائفة الإسماعيلية في إيران. وقد قاوم المدافعون عن هذه القلعة قوات النور بلقاعة حولاً كثر مقاومة حثيفة استمرت ٥ ربي سنة إلى أن سقطت في أيديهم في عهد آبا قاجار. ينظر جامع الفوائد، جلد سوم، صفح ٣٦٠ - ٣٦١. نزهة القلوب، ص ١٢٠١ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٠٠. ولوكوف على مرشد من التمهيلات عن التطور التاريخي لهذه القلعة انظر كتاب "قلاع إسماعيلية دو رشتة كوهاني المبره" تأليف دكتور منوچهر ستوده ص ١٤٦ وما يشاهد طهران ١٣٤٥ هـ. ش.

بعد ذلك صار إلى ناحية سمنان. وحلال تلك الأحداث، كان معين الدين مستوفى الديون الأعظم، وجمع من الكتاب يسرون إلى يسابور فقص عليهم، وسبقوا إلى الحضرة فسم بالتعت إليهم غاران إلى أن صدر الأمر باسترداد المراسيم (برليها) والأختام الحمراء (آل نعمها) التي كانت في عهدهم. ثم أدن لهم بالانصراف، فانصرفوا.

وعندما وصل غاران إلى سمنان، شاور الأمراء، فأحاطوه علما بوفاة والده أرغون. فقدم الأمير مراسم الغراء وجريا على عادة المول أمر بانتراع الرمشة من قلائس الخاضعين. ثم قدم الأمير "مولاي" من قهستان إلى سمنان عن طريق الصحراء، وانضم إلى الحضرة فاحتضنه غاران بأنواع العطف والرعاية. ثم صدر الأمر بتروجه من شقيقة الأمير ساتلمش. ولما عاد "أيجورنای غاران" من "سلطان مبدان" متجها إلى "كبود جامه"<sup>(١)</sup> وجرجان كانت تزلزله فكرة فاسدة؛ فاصطحب معه "ترميش"، وقدم حتى حدود "سلطان دوس" واستراياد وصاح قائلا: إن تلك الولاية ملك قايبدو [ص ٢٧٤] وحاصر يشق على جود الممول الدين كانوا يقيمون في تلك المناطق، ويدأب على إثارة الفتى. ولما لم يكن كبار الأمراء حاضرين، اتفق سابعان إياجي وماملاق وآخرون، وهجموا عليه فجأة، وطاردوه من هناك، وصاروا يتعقبونه حتى أخرجه من حدود جرجان وكبود جامه. مهام على وجهه مع نفر قليل ومضى إلى حال سبيله. وكان قبل ذلك يشق كثيرا على جماعة السادات والأهالي والرعايا في مشهد طوس. والسلام.

(١) كبود جامه. ولاية توجد وراء مدينة استراياد التي تقع في إقليم جرجان قرب حدود مازندران. وفي كبود جامه بكسر الحاء والقصر والكروم. وهي كثيرة الغنى والخصرا إلا أن الحرب حقت بها في حروب محمود في ثلاثة فترات (الرابعة عشرة). (زراعة القلوب، ص ١١٩ بلان الخلافة الشرقية، ص ١١٦)

## أحوال غازان خان بعد وفاة أرغون خان حتى وقت رحيله إلي ناحية آذربيجان في عهد جيخاتو خان ثم عودته من تبريز إلي خراسان

بعد ذلك مكثت الزابات السلطانية عدة أيام في سمنان. ثم تحركت نحو فيروزكوه<sup>(١)</sup> وسار حتى حدود دماوند بالقرب من ميشان حيث لُقِمَ عدة أيام. وهناك أُعْيِيت بلغات خاتون الخراسانية ولداً لكنه توفى. ثم قدموا إلى فيروزكوه. وقد ورد بها يعقيد بأن جيخاتو قادم من الروم. أما الأمراء الذين أثاروا الفتنة في المعسكرات فقد تعرفوا، وأقسم بعضهم إلى جيخاتو، ووافق بعضهم "بابلو". وقد مر "طوعان" من بينهم، وقدم إلى خراسان. ولهذا السبب أمر غازان باعتقال "مولاي" وسجنه. وعندما ورد بها اعتقال طوعان، أطلقوا سراح مولاي بشفاعة الأمراء.

ولما تحقق بها اعتقال جيخاتو<sup>(٢)</sup> العرش، أوفد إليه غازان الأمير قطع شاه برسالة، عرّض فيها أحوال الخريب في خراسان، وشئون الجيش هناك. ثم أرسل الأمراء "هورقدان" و"ترا" بن جاورجي" [ص ٢٧٥] وقطع تيمور وآخرين إلى خراسان. وهي صيف سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م بموضع "أسيران" الواقع بين فيروزكوه وسمنان والذي يدعى مصيف "نكاتو" كان غازان يشغل دائماً بالصيد والأخذ بأسباب الثبته. فلما علم على حين أن أصحاب التدبوان كانوا

(١) فيروزكوه قلعة حصينة في جبال غرجستان بين هراة وخرنة اتخذها المغوليون عاصمة لهم. وقد استبدروا في الحكم إلى أن اكتسح المغول بلادهم، وسقطت عاصمتهم في يد چنگيز خان سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م بعد أن أنزل بها الحراب والدمار (انظر معجم البلدان، ج ٤ ص ١٢٨١ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٥٩).

(٢) كان التقليد يقتضي اختيار الأكبر سناً لخلافة الإيلخان للمغول، لكن الأكبر سناً يمكن أن يكون الأخ الأكبر للمؤسس. وبالمثل كان جيخاتو خان هو الأخ الأكبر لأرغون خان. ولقد خازن كما يمكن أن يكون أكبر أبناءه ولم يكن هناك خوف من أن يهين إسمه الجليل الأصغر على الجليل الأكبر في تعاقب السلطة. وكان الاعتقاد أن يتنصر الأكبر والأقرب علي مرض نفسه وسيطرته في حالة تقدم نفس كبرشحي لنزول السلطة. وبذلك الاحتكام إلى السلاح وانظر دوروتيا كرافولسكي: العرب والإيرانيين، ص ١٩٢ - ١٩٣، فترحة العربية، بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

يقومون بجمع المؤن للجود وتدبير أموال الولاية. وقد وصل الأمير فتلح شاه إلى حصرة  
 كجياتو هي أران، وعرض عليه حقيقة الأوضاع في خراسان. ونظرا لاشتعال كجياتو  
 بالتمعة والبهجة والنهوض والأس، لم يعبأ به كثيرا، فرجع هو أيضا من حيث أتى، وقدم إلى  
 حصرة عاران. وبعد ذلك حلت الرهات السلطانية بناحية دامكان وبسطام ثم هناك انتهت  
 إلى كالبوش، وأرسلت "قتلح حواجه" و"الالا" إلى ناحية يهق لاستدعاء "نظام الدين يحيى".  
 لأن هذا الشخص قد جاور حده كثيرا بخراسان؛ إذ قتل جمعا من الأكابر رغم أنهم كانوا  
 تابعين له، واعتصب من الناس أموالا طائلة ولهذا ظل متوجسا خيفة، وتقاعس في الشيء.  
 بعد ذلك دخلت الرهات السلطانية جرجان عن طريق قلعة "جاشك"، وقصبت ذلك الشتاء  
 في "سلطان دوين استراباد".

ولقد أرسل كجياتو إلى غازان حاكم الأمير النجل أنيسارجي والأمراء "فولاداي"  
 و"قوجقبال" و"التمور" لإمداد جيش خراسان، فحفظوا بشرف المثل أمام حصرة غازان في  
 "سلطان دوين". ثم صدر الأمر بأن يصعدوا الشيء في ناحية "قراوغان". وفي أواخر الشتاء  
 أشيع أن "نوروز" قدم إلى يسابور قاصدا "خوين" حتى يخرج نظام الدين يحيى [ص ٢٧٦]  
 من قلعة "أندمد". ولما كان الجو لا يزال باردا والنباب هريفة، تحركت الرهات السلطانية  
 إلى "كالبوش" حيث مكثت عدة أيام. ثم أرسل غازان الجواسيس إلى الأطراف والوحي  
 ورجع مع عدد قليل ناحية "خوين" ثم رجع. بعد ذلك عادت الرهات الملكية إلى جرجان  
 حتى تسكن النباب.

وفي أول ربيع سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م سير غازان الأمير أنيسارجي مع الجود الدين  
 كانوا قد قدموا معه، وذلك عن طريق "دهستان" و"مارر" و"سا" و"آبيورد"، وأرسل معهم  
 "هورافداني" لإعداد المؤن وما يحتاج إليه حتى لا يحوروا على البسدة ويغرموه. كذلك  
 تحركت الرهات السلطانية. وفي تلك السنة حلت بخراسان صائقة شديدة بسبب الفلادل  
 والاضطرابات؛ بحيث تعدد وجود من من العلة بمائة دينار، فعين غازان الصاحب الأعظم  
 الخواجه سعد الدين على رأس أصحاب الديون لإعداد المؤن للجود، وتدبير الأموال في  
 خراسان وماربلوان والري. وفي تلك الرحلة، كان طعام أكثر الجند من لحوم الصيد. بعد  
 ذلك برلت الرهات السلطانية على صماف نهر هرة الذي يسمى "جوقجور". وبسبب  
 عزلة المياه عروا بمشفة بالغة. ثم سار إلى الحصرة الأمير النجل أنيسارجي وأمراء العراق.



بعد ذلك وصل نيا من الحراس يفيد أنهم رأوا ظل للشعردين. فرحلت الرمايات السلطانية إلى ناحية بادغيس، وأقامت في "بولناق بادغيس"، فأرسل عازان الخواصيس إلى الأطراف ولكن لم يكن هناك أثر أو خبر عن العصاة في موضع قط. ولأن مؤن الحشد قد بعدت صار الجود يسرقون حيلو بعضهم البعض [ص ٢٧٧] وماكلون لحومها وبسبب عدم وجود الأعذية وقفوا في مشقة بالغة. وها ذكر الأمراء أنهم على مقربة من هراة حيث توجد مناطق يصح فيها الشعر، وأنه من المصلحة أن يذهبوا إلى هناك. وعلى هذا رحلوا قاصدين تلك الجهة، وروا على جسر مالان "بول مالان". ولكن صدور هراة وأكبرها لم يكو سوا في المدينة بسبب العنق والاضطرابات. وكان الملك "شمس الدين كرت" يقيم في قلعة "خيسار". ومن المعروف أن هذا الملك كان قد سجن ابنه الأكبر "مهر الدين"<sup>(١)</sup> بسبب تأله منه وعصيه عليه. أما ابنه الأصغر "علاء الدين"، فقد أرسله إلى حصرة عازان ليكون ملازما له.

ولما كانت ولاية هراة قد خربت بسبب الشاعب والأصرار التي نتجت عن عبور الجيوش، ولم يحدث فيها عمران، عطف عازان على الأهالي هناك. ولم يثق عليهم.

أما سكان فوشج<sup>(٢)</sup>، فلأنهم كانوا قد لجأوا إلى القلعة عندما وصلت إلى هناك حيوش العراق، ولم يقدموا المؤن المطلوبة، وشنوا الحرب، غضب عليهم عازان بسبب نصرهم هذا وأصدر أمرا بمحاصرة القلعة، واستولى الجود عليها بمشقة بالغة، وأخرجوا منها الدواب والثيران والأغنام والمؤن الوفيرة، وأسروا أغلب السكان هناك.

وعندما عاودت الرمايات السلطانية هراة، وصلت إلى فوشج. وها عرض سكانها ضعف حالهم؛ فعطف عليهم عازان، وأصدر أمرا بإطلاق سراح نسائهم وأطفالهم الذين كانوا قد أسروا، وطيب خاطرهم. ثم ركب بطالع السعد، وقدم ناحية رادكان. ولأن كجبحاتو لم يرسل أموالا إلى جيش غرامان، احتشد هناك جود كثيرون، وتمرصوا لكثير من

(١) انظر كتاب الفتح الإسلامي، ص ٢٨٣.

(٢) فوشج أو فوشج مدينة بها وس هراة عشرة فراسخ وتقع في واد كثير الشجر والنفواكه وهي تصح لقب بأثرها الكثيرة للقلعة وأكثر حيرات مدينة هراة محبوبة منها، وطواحيها كلها تصل بالفراء. ومن هذه المدينة خرجت طائفة مشيرة من أهل القطم (صحيح الفيلان، ج ٤، ص ٤٥٢ - ١٤٥٤ ترجمة القلوق، ص ١٨٨).

المشقات والنساب؛ فصمم عازان على التوجه إلى مخيماتهم، ليس له حقيقة الأوصاف مشافهة، ولكنه عدل عن عرمة، وقدم إلى "شتر كوه".

وظفرا لانقطاع أخبار العصاة، وصاد المؤن، استأذن جلود المراق وأدريجان من الإصراف ثم أمضى عازان الصيف في شتر كوه وشيد بها "جوسق مراد"، [ص ٢٧٨] ولم يكن السلاطين قد أقاموا عمارة في تلك الجهات وفي هذه الأيام وصل بأبي عبد أن الأوغاد والسفلة (رمود ولوباش) قد اجتمعوا، وقتلوا أولاد ملك رور<sup>(١)</sup>، وطائفة من عظماء تلك الولاية، واستولوا على إحدى الفلاح؛ فحضر الأمر بأن يسير الأميران سوتاي ومولاي للقضاء على هؤلاء الغرمين. وعندما اقتربا من القلعة، كان شاه علي ابن ملك سجستان قد جاء من قهستان طمعا في الاستيلاء على "خواف"، وقام بحصار القلعة مداعمة الأميران فجأة، وقتل أغلب أتباعه، وسطوا على أموالهم ودوابهم. غير أن شاه علي خلع نفسه بصعوبة بالغة، ولاد بالفرار. وبعد ذلك أحضر الأسيران المقاتلين في تلك القلعة، وقتل المشايخين ومثري القلعة، واستمالا الرعية ثم عادا.

وفي شعبان سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م صدر الأمر باعتقال "علي عماد الدين" خطيب بيسابور الذي كان رجلا عظيما، غير أنه كان يتدخل لصالح بورور، وكثرة الحديث عنه اعتمادا على صيته؛ فأحضره من بيسابور وأعلنوه. وفي ذلك الصيف لم تحدث وقائع تذكر. وعندما دخل الشتاء أمضاء عازان في "سلطان جوسق استراباد". ثم أوعد الأمير بورور إلى صفقان وشقان.

وفي أوائل الربيع أشيعت أخبار عن ظهور المتمردين، فحركت الرابيات السلطانية إلى ناحية حرجان و"شهر كوه" و"مورجا باد" ثم وصل الأمير "تورين" إلى حصرة عازان. وفي أوائل شهر سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م رحل من هناك، ومكث عدة أيام في "سمنقان" وأرسل الجواسيس إلى مختلف النواحي. وقد اتضح أن الأنباء عن ظهور المتمردين كانت كاذبة. ومرة أخرى راودت عازان فكرة العودة إلى ناحية أدريجان. والسلام.

(١) رور: يضم أوله وقد يفتح ككرة واسطة بين بيسابور وهرات ويسمونها في أصل بيسابور. وهي نقطة مهمة في نظام الطرق ومن أصلها مائة وأربع وعشرون قرية. وفيها بيت ملاك الجوسق. كانت رور تعرف بالحصرة الصغرى لكثرة من خرجت من المصلا، والأدياء ولعل المظلم. فسمي المصلا، ج، ص ١١٥٨. بالملك الخلافة الشريفة ص ٢٩٨.

## حكاية

### توجه غازان إلى ناحية ألتاغ<sup>(١)</sup> بقصد مقابلة جيخاتو

#### ثم عودته من تبريز وهزيمة نوروز

تشاور غازان مع الأمراء، وعند العزم على الرحيل إلى آذربيجان وكلف الأمير الكبير "قتلغ شاه" وبقية الأمراء بالحافظة على خراسان ثم عاد من سمنان وكان في حصرتهم الأمراء بورين وساتلمش وسوتاي؛ الذين دخلوا عن طريق "شهر ك نو" ومازندران. كذلك قدم إلى حصرة الأمير قتلغ شاه، وسار حتى موضع "شيشه" حيث يقيم غازان. وفي هذه الليلة تزوج الأمير قتلغ شاه من ابنة "جبر عوتاي"، وعاد بعد ذلك. أما الراهبات السلطانية فقد سارت من شيشه حتى شوربيل من نواحى مازندران؛ حيث كان المعسكر العظيم. وقد قطع غازان في ليلة واحدة ما يقرب من واحد وثلاثين فرسحاً. وحدث أن أحد رعماء مازندران خاف ولم يحضر إلى الحصرة؛ فاتهم بالتمرد. ولكن غازان لم يمسأ بذلك وعقد العزم على الرحيل إلى العراق وآذربيجان، وسلك طريق "شاه دز" متجهاً إلى "عمرو كوه" وأقام عدة أيام في دماوند. ومن هناك عهد إلى الأمير "ساتلمش" والخواجه سعد الدين بتحصيل أموال خراسان ومازندران وقومس والمرى وإدارة شئون تلك المناطق والحافظة على الولايات وتعيين مؤن الخدم. ثم توجه غازان إلى تبريز، وكان بورين آفا يرافقه وقبل ذلك سير "بعميش" إلى جيخاتو للإعلام بوصولهم، ثم عاد إلى منطقة أبهر، وصرح بقوله: "إن جيخاتو يتساءل. ما الداعي إلى مجيء غازان؟... كان ينبغي أن يعود إلى خراسان، وأن يرسل جماعة من قبله لإيجار المهمات، وتقديم التماسات. فكان رد غازان: "حيث إنا وصلنا إلى هنا، كيف يعود، دون أن يرى الواحد منا الآخر؟" ١٩ \*

وعلى هذا توجه غازان إلى تبريز، وسير الأميرين "إلادو" و"مولاي" لتصريف المهمات وتوجه هو إلى تبريز. وعند قطرة رره [ص ٢٨٠] وصل إلى الحصرة السادة: نجيب وعبر ورمضان من خواص أرغون خان وعندما وصل غازان باليمن إلى تبريز، مكث عدة أيام.

(١) ألتاغ: تكتب أيضاً "الطاف"، وفيها تكثر اليلد، وغشود مزارع الخليل، وتصفه مساطق قصيد. وقد ألتام بها لرغون خان قصراً كان يسمى به أكثر لهم قصير. (برقة القلوب، ص ١١٨).

وكان رسل جيخاتو يصلون تباعا كي يعود عازان. وفي نهاية الأمر وصل "كمنجو" و"باردو"، وصرحا لعازان بقولهما: "إن جيخاتو بأمرك بالعودة أيضا هي نفس هذا اليوم وقد أرسل إليك هدايا قليلة. فلم يلتفت إليها عازان، ورد عليهما قائلا: "حيث إن جيخاتو لا يريد لقاءنا فنحن أيضا لا نريد لقاءه مائة مرة".

بعد ذلك عادر غاران نهر برهغال السعد، وأقام في "بوز آعاج" حيث تروح من "الشبل حاتون" ابنة الأمير "توقتمور" وهناك أقام حفل الزفاف. وقد وصل إلى الحصرة الأمير "محمد الهادي" الذي كان على رأس إمارة إصمهان، فقدم الهدايا اللقمة، وحظي بأتواع الرعاية والتكريم، وصار ملازما لعازان<sup>(١)</sup>.

وبعد شهر توجهت الرهبات السلطانية إلى خراسان. وفي مدينة "أبهر"<sup>(٢)</sup> تقدم إلى الحصرة الخواجة<sup>(٣)</sup>، وطائفة من الرسل الذين كان أرغسون خان قد أرسلهم إلى حصرة آغا<sup>(٤)</sup> لإحصار إحدى قريبات بلغان حاتون الكبرى كي يتزوج منها<sup>(٥)</sup>، فهاجموا بـ "كوكاجين حاتون" مع هدايا أخرى خطائية وصيبية تليق بالملوك وكان عازان مقيما في "أبهر" فتزوج من "كوكاجين"<sup>(٦)</sup>. وبعد إتمام مراسم الزفاف، أرسل إلى جيخاتو هدايا، كان من بينها بير وعدة أشياء أخرى.

بعد ذلك سار إلى ناحية داماولد وعندما رل عد حلود ميروركوه، وصل رسل الأمير قطع، وبشروه قائمين: "لقد حاربا (سورور)، هاندجر، وعر سهزما وراجلا إلى جبال نيسابور. وقد استولى جودنا على كل الأموال والدواب والخيول المحملة بالأدوات والثياب. وعلى أثر ذلك تحركت الرهبات السلطانية إلى دامغان وبسطام وإلى بسطام وصل الأمير

(١) أبهر مدينة مشهورة بين قزو ورجان وسمان من نواحي الجبل (معجم البلدان، ج ١، ص ٨٢)

(٢) هكذا في النص.

(٣) المقصود به قويسلاي لأن الذي كان يحكم في مدينة بكس حاصلة النص (انظر جامع التواريخ تأليف رشيد الدين فضل الله لاهوتى. تاريخ خلفاء چنگيز خان من لوگساي فان إلى نيسور فان الترجمة العربية، ص ٢٣٦ وما بعدها) بمسطورة محمدا، تسميات رسة كروسيه ترجمة عبد الحسي ميكنه، ص ١٨٧ وما بعدها جاب سوم، تهران ١٣٤٨ هـ)

(٤) انظر الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (السيرة حولاكو خان) ص ١٩٧ - ١٩٩

(٥) لأن ليلد أرغون كان قد توفي.

قتل شاه والأمراء وأنعم عليهم غازان بالفضائل التي عموها، واختصهم بأنواع الرعاية والتكريم [ص ٢٨١] ومن هناك دخلوا جرجان عن طريق خرمابه.

بعد ذلك نزل غازان "بسلطان دويس استراباد"، وصار يمارس ضروب المتعة والصيد وبسبب إفراط الأمير قتلغ في الشراب، اعتراه مرض شديد فلزمه الأطباء وفقا للأمر الصادر إليهم، حتى استرد صحته، وصارت كما كانت من قبل. ومنذ ذلك الوقت أُلغى عن الشراب وحتى وقتنا هذا لم يحسن الشراب أبدا.

أما عن "كبا صلاح الدين" فقد تخاضى مقابلة غازان عندما حل هو ومرافقوه بولايته وهم بقصدون آذربيجان. وبعد أن عاد غازان من تبريز، ومثل بين يديه "كبا صلاح الدين" في الري وتشجع له الأمراء الآخرون، عما عه ولكنه عندما عاد إلى ولايته، رجع إلى العصيان مرة أخرى؛ فكلّف غازان الأمير "سوتاي" بالقضاء عليه، فذهب هذا، وأعدمه وأحضر من هناك مالا وميرا ودواب عذبة، فورعها غازان على الجود وفي ذلك الشتاء كانوا في ملازمته، ولم ترد أخبار من أية ناحية.

بعد ذلك تحرك في الريح إلى ناحية دماوند، ثم سار عن طريق "چهار ديه"، ومكث شهرا في دماوند. ثم غادرها إلى هيرور كوه عن طريق "سلطان ميدان" وأقصى الصيف في دماوند. ومن هناك أرسل قائده من قوات الجيش هما مولاي وهورقداق إلى خراسان فأبلغاه بأى عهد أن أهل نيسابور يتوون الخروج عن الطاعة، وليسوا مشغولين بالرحيل، فم بعاً غازان بذلك. ومن غاية لطفه المعطري، سار الرسل مدرين بالوعد والوعيد. ولكن دون جدوى؛ فتحرك بهمه إلى تلك الجهة، ووصل إلى هناك في ذي القعدة سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، ورسول في "موهيدى" ثم أرسل الخواجه سعد الدين إلى المدينة ليحضر أهلها فاستطاع هذا بتناحده ومواعظته أن يعيدهم إلى جادة الصواب، لأنه لبس من المستأخ أن يقتل الأتباع المخلصون التقدماء بواسطة جرائم حمة من المستدين وعندما ذهب الخواجه سعد الدين إلى المدينة تقدم إليه القاضي صدر الدين وإهلوان عمر وأعيان نيسابور وقالوا: "نحن نفكر في أرواحنا فإذا تعهد الخواجه بأن يعطينا الأمان، فإننا سوف نخرج [ص ٢٨٢]، وسؤدى فروص الطاعة. فقبل الخواجه أن يمرض الأمر على الأمير غازان وقال لهم: "سوف أعمل ما في وسعي حتى لا يصيكم أذى. كذلك خرج من المدينة

القاضي صدر الدين واليهلوان عمر مع طائفة من السكان، وتقدموا إلى الأمراء الكبار فأرسلوهم إلى الحصرة. وكان عازان قد رحل من "موهدي" وحل بيسابور، وصرح قائلا: "لن ندمر ملكنا ورعيننا بسبب حصة من الموعاء؛ عيسى أن يسلّموا طائفة المفسدين ومثري الثمن وهم. فخر الدين الرئيس وحسام الدين أنيك الخطائي، أبو بكر علي عابشه وعثمان مشكاي وعمر عبد الملك وعلي السكان أن يؤدوا الخراج بصدق وأمانة؛ حتى يعود من هنا في أمن وسلامة. ولكنهم ماطلوا في تسليم تلك الجماعة وصدر الأمر بمحاصرة بيسابور فلجأ أهلها إلى مسجد حصي، ودخل الأمراء عليهم، كل منهم من ناحية ولما طوفهم الجورد، عجزوا عن المقاومة بسبب خوفهم وفرغهم ثم نهب الجند الأحياء والأرقاء وقصدوا المسجد، وضوا عدة أماكن فيه، وتسلقوا الجدران؛ فصاح هؤلاء المساكين، وطلبوا الأمان. فصيح عازان عنهم لمرط رائته وشغفته. وذلك على الرغم من كثرة دسوس التمرديين، ورغم أن بعض الناس الأبرياء قد قتلوا. كذلك أشار عازان على الجورد بالكف عن السلب والقتل.

ولكن لما كان الجورد قد هجموا مرة واحدة، لم يتيسر منعهم. وعندئذ ركب عازان خان بعصه المباركة، وتحول في المدينة، وقتل واحدا أو اثنين من البوذية، كما أمر بتعليق أعضائهم على البوابات.

وبهذا خاف الجورد وارتدعوا، وكفوا أيديهم عن القتل والنهب. وقد اعتقل الجماعة المذكورون الذين أثاروا الشعب والفتنة وأعدموا، ولم يسمح لعازان بإخراج دابة واحدة من تلك الولاية. كذلك استمال الرعايا، فأسوا على أنفسهم، واتجهوا إلى التعمير والزراعة. بعد ذلك تحررت الراهبات السلطانية إلى ناحية جرجان وقصى عازان ومرافقوه ذلك الشتاء في "سطلان دوين استراهاد"، والسلام.

## خضوع نوروز، ودخوله في طاعة حضرة غازان مرة أخرى، وإقامة الولائم والحفلات وتقديم الهدايا

في أوائل المحرم سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م، وصل غلام "نوروز" موقداً من قبله إلى غازان خان، وذكر أن "نوروز" يقول: "بني عبد وابن عبد قديم، ولكن بسبب اعتزاء الجيش من الناس وبهتانهم شردت نفسي عن الخشوع للحضرة؛ فإذا عطفت على غازان، وصبح عن ذبي، وعما عني، وناسي حرمي؛ فإني سوف أتوجه إلى الحضرة ثم أرحل على أن أقوم بتعميد شروط العبودية.

وسمياً لكمال شفقة السلطان وعدله، تجاوز عن دنوب نوروز وقيل عذره كما شرفه بأجوبة سلطانية كريمة. وفي نهاية الرسالة التي عرضها "ساتلمش" على غازان، جاء فيها: "إذا تعلق السلطان، وأرسل جدياً على سبيل اللد إلى منطقة "مروجو"، فإن المبد سوف ينصم إليهم بعد معارقتهم هذه الجماعة. وإذا تعقبهم أحد، فسوف يكرهون مدداً للقضاء عليه؛ وذلك حتى أنال شرف العبودية بعصل إقبال السلطان. فأجاب السلطان غازان: "حيث إنه الآن فصل الشتاء وليست هناك أخبار واردة من الأطراف والخوانسب، فإني سوف أتحرك بدائي المباركة إلى تلك الجهات باسم الصيد" ثم حص ساتلمش بأنواع التكريم والرعاية، وقفل راجعاً.

وكان جواب الرسالة هو أنه ينبغي على نوروز أن يكون عند كلمته، ثم سار السلطان باليمن والبركة. وكان في ركابه الأمراء الكبار: موريس وقطع شاه آقا. وعندما بلغ ولاية "مار" في موضع "كوشك"، ووصل من قبل نوروز أخوه "حسين حاجي" وأبيل من جاردو بهادر لمس العرض الذي كان ساتلمش قد جاء من أجله شملهما الأمير الجبل بعطمه، ثم سار من هناك حتى سرخس وبعد أن استراح، رحل متخذاً طريق "دالان" قودون".

وعندما خرج الجمع من بين الجبال [ص ٢٨٤] والتلال، وظهرت في صحراء مرو وشورغان الديار والخيام والدواب، صدر الأمر بأن يتحصن أمرهم "باوداي" الذي كان

أميرا للمشرقيين على ثعنة الجيوش. وقد عاد بعد مدة معه سائلمش غلام نورور، فخرضا معا على عاران قائلين: إن مورور قد نزل هناك ينتظر وصول الرهايات السلطانية؛ عوقف السلطان فوق ربوة فما كان من مورور والأمير للجل طعان إلا أن أسرعا، عوصلا إلى الحصرة، وتشرفا بقاء عازان. وقد مكث السلطان ثلاثة أيام في تلك القرية، وأقيمت الولائم والأفراح.

ولما كان الممار بعينا والشراب قليلا، أمر السلطان بأن يقيموا مراسم الصلح بشادل كتوس الماء. وهناك أمر بإقامة ناد يطلق عليه المقول اسم "أوب"، وعما من دبوب مورور وحصه بأنواع الرعاية والتكريم. ثم عاد إلى ناحية "مروجوق"، وساروا إلى طريق "شاح". وقد اعترى "نوريس أفغا" ألم شديد جدا في قدمه، وغسل في تلك الرحلة مشقة بالغة. وقد انضم إلى الحصرة أمراء جيش القراومة "توغاي" وآخرون. ثم رحل عازان عن طريق "اندخوى"، وتشرف بالمثل بين بدي الحصرة أباء عمر أعمل الكو وآخرون. ثم سار إلى طريق فارباب، واشتكت طلائعه بظلالع المتمردين، وفطت منهم كثيرين، وقبض على بعضهم وسبقوا إلى الحصرة. وعندما سئلوا عن الأحوال، ذكروا أن جيش المتمردين يوجد في فارباب وجورجانه. وعندما نزل بفارباب ترك المتمردون الخزان والأمتعة والجنود الذين عجزت دوابهم عن السير هك.

بعد ذلك تحرك عاران إلى ناحية شبورغان حيث الطريق مقعر للغاية، ولا ماء فيه. وأخيرا وصل ليلا بالقرب من تلك المنطقة في موضع "أهجهك سو" وأمر بالآ يشعل أي مخلوق نارا حتى لا يعلم المتمردون بوجودهم، وأن يهاجمهم فجأة عند الصباح. فعلم المتمردون [ص ٢٨٥] أن الرهايات السلطانية قد وصلت إلى فارباب، فعادوا وخرجوا إلى طريق صان وجرهك. ثم نزل الجيش المنصور عند وادي نهر شبورغان. وصدر الأمر بأن يتعقب المتمردين الأمراء الكبار قطع شاه والآخرون، وأقامت الرهايات السلطانية في تلك المناطق. ولما جرد القراونة الذين كانوا قد التحوا إلى أماكن حصية عشية المتمردين فإنهم قدموا جميعا إلى الحصرة. ثم ساروا إلى ناحية سرخس بناء على الأمر الصادر إليهم هنا على حين أن الأمراء الذين كانوا قد تعقبوا العصابة في مناطق جبل "صان" و"جرهك" قد أدركوا هؤلاء المتمردين في أوائل ربيع الأول سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م وشوا عليهم حربا شعواء، وهرموهم، وقتلوا منهم كثيرين، ثم وصل هؤلاء الأمراء إلى الحصرة ومعهم أسرى كثيرين، وعالم لا حصر لها



وقد أقاموا عشرين يوماً في تلك المناطق. وشرع جميع الجيود الذين كانوا مرافقين لمحاصرة في نقل الحلال من المختار، وصاروا يأكلون منها ويقطعون دوابهم. ونظراً لكثرة هذه الحلال لم يظهر نقص فيها.

وفي تلك الأيام انقسم بورور أيضاً إلى المحاصرة. وبعد ذلك رحل غازان من هناك فلما وصل هو ومرافقوه إلى "غراسران" كان هناك الأمير الحجل "طوعان"، وأهل بورور أقاموا الولائم والاحتفالات عدة أيام، واحصروا هناك محبوسة، وقدموا مراسم الخدمات من كل نوع. ومن هناك غرك غازان ومرافقوه عن طريق "سرخس" حتى إذا بلغوا "قراتيه" وصل "بوغدای اورداجی" من لندن جيحاتو، وأطلعه على محاللة باينو والأمراء لجيحاتو، فلم يمس بهذا.

بعد ذلك استأذن بورور، وعاد إلى دياره بساحية "بادعسي". ثم توقفت المراتب السلطانية عدة أيام، وسارت عن طريق "ارجا" و"شوكان" وعندما وصلت إلى وادي "جر" حرمت على المسير إلى "مرج رادكان" لتصطاد طائر الحجلة كذلك وصل من قبل باينو المدعو قنطع شاه وطائفة من الرسل وعرضوا على غازان أسرار المراء بين جيحاتو وباينو، وقالوا إن جميع الأمراء كبيرهم وصغيرهم وأفراد الأسرة الحاكمة وغواصي الأمراء [ص ٢٨٦] قد اتفقوا على أن يسير أمير العالم إلى تلك الساحية، ويجلس على عرش السلطنة التي يستحقها إرثاً واكتساباً. ولكن الأمير الحجل لم يرد ذلك اهتماماً، وأعاد جماعة الرسل ثم تشاور مع الأمراء الكبار، وأرسل رسولا لاستدعاء بورور ثم أقام عدة أيام في "رادكان" و"جشمة" كلذب. ثم قدم وسامعه إلى "خوشان". وعادها بعد عدة أيام وعندما مرل "بنوير" لحق نوروز بالمحصرة.

ولأن الحداد وأغلب الجيود والأمير الحجل "سوكا" لدى قدم من قبل جيحاتو كانوا في مارندران، استقر الرأي المبارك على أن يذهبوا إلى "سلطان دويك". ومن هناك يقصدون العراق وآذربيجان. ثم قدم غازان إلى "شهر ك مو" في جرجان، ورسول في سلطان دويك استراياد. وفي المعسكر المعظم انهمكوا في إقامة الولائم والأفراح والذهو والأس. ثم أرسل أوردانمور ايناخي إلى باينو قاتلاً له: "بنا سوف يصل على الأكر". والسلام.

## حكاية

### توجه غازان من خراسان إلى العراق العجمي ومحاربتة بايدو في منطقة هشتروند وقربان شمير

تحرك غازان خان باليس وطالع السعد من "سلطان دويس" فاصدا العراق وأذربيجان. ثم قدم عن طريق "چهار ده" إلى داسكان. بعد ذلك أراد أن يتجول في قلعة "مگردكوه". لكن الأمراء قالوا: لأن أمنا عملا خطيرا ليس من المناسب الآن التنازل بلوج القلعة. ثم أمر بأن يعاد القلعة أباء تاج الدين الذي كانوا حراسا عليها، وذلك مع سائهم وأملعاهم [ص ٢٨٧]. وقد سلم مفتاح القلعة للحواجة سعد الدين حبش، وعهد إليه بالمحافظة عليها.

وعندما قدم غازان إلى سمان، وحصل "أوردوبوقا" موهدا من قبل كيجياتو، ومعه عدة أحمال من أوراق النقد "چلپاق"<sup>(١)</sup> والأدوات الخاصة به من الورق الأبيض والأحلام وغير ذلك. فقال غازان خان: "إنه لا يقاء للألوات الحديدية والأسلحة في مازندران. وما جاورها من مناطق بسبب جوها الشديد الرطوبة؛ فكيف يمكن أن يبقى فيها الورق دون أن يتلف؟" ١٣... وأمر بإحراقه تماما. ثم قدم من هناك إلى طهران عن طريق فيروزكوه حيث تشرف "بورالعي" وأمراء العراق بلقاء الحصرة. ولما بلغوا موضع "حبل بزرگ" قدم ثانية "أورالتمور ايداحي" من قبل بايدو وعرض قائلا: "إن بايدو قد رجع في كلامه، وظهرت في رأسه الرغبة في السلطة. وقد أثار الأمراء "طماجار" و"قوغبال" و"دولاداي" وغيرهم الغش، ولراقوا دماء أوردوبوقا وجوشى وغيرهما. وبسبب خوفهم من حضرة غازان ووحشتهم منه، اتفقت كلمتهم جميعا على توليه بايدو الحكم، وهم يفكرون في إثارة الغش والشغب.

(١) انظر مزيدا من التفاصيل عن التعامل بهذا النوع من العملة الورقية في كتاب "مجموعة مقالات عباس إقبال آشتياني، شامل بكشف ذلك معاه بالملامة وبصحيح نقاي دكتور محمد دبير سبلي بصري، چاپ آسكاس، ص ٢٣٧ - ٢٣٤، نهري ١٣٥٠ هـ. في الشرق الإسلامي، ص ٢١٢ وما بعدها.

ولما لم يكن عازان هناك يعكر في مخالفة بايندو، لم يحضر معه جسودا كثيرين، ولم يصطحب الفرقة المدرعة بأسلحة الحرب إلى حد أنهم تركوا هناك الطوق المبارك والطفل الخاص وقد تشاور مع الأمراء وبدافع الشجاعة السلطانية، لم ينتصت إلى ما قائلوه. ثم أرسل مولاي ويعميش برسالة إلى بايندو يقول فيها: "إننا سوف نصل بدارنا المباركة ههنا نقابل الواحد ما مع الآخر ١٩ . ثم استدعى "توركاوك".

وعندما قدم باليمن إلى "آل حواجه" من منطقة قزوين، وصل إلى المحصرة "شادي غوركاه" الذي كان قد أرسله بايندو والأمراء فتحدث بشئ الأقوال التي يتكلم بها أصحاب التخليط والتبويه. ويحوى هذه الأقوال التي جاءت على لسان بايندو: "إنه لم يكن لي تفكير ولا رعة في الحكم. ولكن نظرا لعد الأمير السجل عازان، وقعت [ص ٢٨٨] العن والقتال بين الرعية. ولذا السب اتفق أفراد الأسرة الحاكمة على أن أعتلى العرش. والحالة هذه فإن الأمير السجل سوف يجاب إلى كل ما يطلبه. وليس في ذلك محال للمصابقة. ولكن ينبغي أن يعود عازان من حيث أتى"، غير أن هذا الأمير لم يهاب بذلك وسار في طريقه فلما وصل إلى "توقور أولانگ"، قدم مولاي ويعميش، وأحدًا يتحدثان بمثل هذا الكلام المرحرف. وفي نفس ذلك اليوم انفصل "تاوولدار" عن بايندو، ووصل إلى حصرة عازان، فشملة برعايته، واختصه بأنواع العطف والتكريم. ثم رحل عازان من هناك ورجل في طريق "رباط مسلم". ثم استدعى "شادي غوركاه" ورسّل بايندو، وأنهم تأهبوا شديدا للرجة أن شادي غوركاه يس من حياته بعد ذلك أرسل عازان رسائل شديدة اللهجة بخصوص تولي بايندو الحكم.

وفي الوقت الذي ذهب إلى هناك مولاي ويعميش، تموء ايلدار - هي حالة سكره - بكلمات قال فيها لقد اتفقا مع أفراد الأسرة الحاكمة على أن يولي بايندو مقاليد الحكم فإذا لم يتفق مع الأمير السجل عازان في هذا الرأي، فإن المحصورة تقع بيما.

وأخيرا أدن للرجل في العودة. ثم كلف الأميرين الكثيرين. يورين وقطع شاء باستعراض الجنود والتفتيش عليهم. وعلى الفور أرسل "هيسا بوقا" الكاتب برسالة إلى بايندو قال فيها: "نحن سوف نصل"، وعلى أثر ذلك سلك طريق "توكاتو" ثم عبر "سعيد رود"<sup>(١)</sup>. وفي

(١) "سعيد رود" أي نهر الأيخس تسى روهده فكترة أراضي أذربيجان الجنوبية الشرقية. ويؤلف معظم مجرى هذا النهر الحدود الفاصلة بين أذربيجان وإقليم الجبال. ويصب أميرا في بحر قزوين بعد مروره بإقليم جيلان (بلداني الخلافة الشرقية ص ٢٠٣).

اليوم التالى الثلاثاء عرة رجب سنة ١٦٩٤ هـ / ١٦٩٤م الموافق الثانى من شهر "شون آى" وصل إلى بايندو بأ وصول الأمير النجل عازان، فأرسل فى الظليمة الأمير النجل البلدار والأميرى الملبى وحيدك. وأما من هذا الجانب (المقصود به عازان) فكان على الميسرة الأمير قنص شاه ووروى آقا، ووقف فى القلب الأمير النجل "سوكا" و"بورالى" و"بورور" والأمراء الآخرون الذين كانوا فى حصرة عازان.

وعندما اقتربوا من بايندو، أوفدوا أمامهم يوفداى احتاجى وتحدثوا فى كل أنواع الكلام عن الصنع والمودة، وضرورة مراعاة صلة الرحم بين أفراد الأسرة الحاكمة، غير أن عازان لم يلتفت إلى ذلك [ص ٢٨٩]. وانضم الجود من الطرفين بعضهم ببعض. وكان الأمير قتلغ شاه فى المقدمة كالمطود الثابت. ولما كان الأمير النجل "البلدار" قد نموه بكلام خطير اقتضى رأى عازان المعالى للبادة بتأديه.

ولم تكن قد قرعت بعد طول القلب إندانا بدء المعركة، وقبل أن يحرك جود القلب من حاسب العدو، هاجهم الأمير قتلغ شاه، ودحرجهم بحملة واحدة؛ بحيث إنه عندما وصل الخبر إلى القلب فى جيش العدو، كانت الجريمة قد حلت به، وقتل منه ما يقرب من ثلثمائة جسد، وانهزم الباقون وقتل "تعاى" نائب "البلدار". ثم أحصر "أرسلان أوعول" إلى الحصرة مترجلا، وطلب أن يهجم جود غراسان دفعة واحدة لئلا يصلوا شافة أعدائهم ويمسهم. ولكن عازان حال دون ذلك مدعوعا بما فطر عليه من رحمة، وقال إن هؤلاء الجود جميعهم عبيد آبائنا وأجدادنا. وإذن فكيف يقتلهم بسبب حصة من المشاعى ومثرى العت؟ هم أولئك الذين ولوا "بايندو" الحكم؟ .. غير أن بورور وبقية الأمراء صاروا يبالغون مصرين على أنه يفتى اعتنام الفرصة. فما كان من عازان إلا أن صاح فيهم وسهرهم فالتزموا السكون.

وعندما اعتقل "أرسلان أوعول"، وسبق إلى عازان، قال ابن عم بورلتاى: "بما أن "أرسلان" سز السيف فى وجوه عبيد الدولة، فإنى سوف أقتله لو آدن لى السلطان بدلت غير أن عازان لم يلتفت إلى هذا القول. ثم أمر بأن يحصروا من خزائنه الخاصة قباء وقلسوة ومنطقة (حرما) وحداء، وألبسوا الأسير هذه الأشياء، وأركبوه جوادا محصيا من جياد الخاصة كما أمر بإحصار جرحى المعركة، وصار يضع المرحم على جروحهم، وكان

يسقيهم الأدوية المثابة في الشراب. فلا جرم أن الحق تعالى وصح أطراف المالك وأكافئها في قصة سلطته جزاء وفاقا لتلك العاطفة وهذه الرحمة

ولما رأى بايبدو وأمرؤه أن "البلنار" و"توكال" اللذين هما أشجع رجائهم قد هربا، عرفوا أنهم لا طاقة لهم بمقاومة أعدائهم فسلخوا طريق المسألة والشعاعة، وجاء بايبدو وسط ميدان الحركة، ووقع عسى قمة ربوة مع الأمراء: طعاجار ودولاداي وفوجيقبال. [ص ٢٩٠] ومع أن سلطان الإسلام قد خدشهم وهرمهم، نجشهم السير إليهم. وكان الأمراء سوروز ونوريز وفتح شاه وسوناي ملزمين للحصرة وقد اتفق الجانبان على اللقاء، وسأل بعضهم بعضا وقالوا: "يحيى أن يعقد يسا عهد وميثاق نعهد فيه بألا يؤدي بعضنا بعضا. فصاح الأمراء من هذا الجانب (جانب غازان) قائلين: بمعنى أن نحسم أولا أمر الملك والسكة. وبعد ذلك يبرم العهد والميثاق.

والخلاصة أنهم أحصروا الشراب، واحتسوه في الكؤوس. أما المسلمون منهم فتصافحوا وانقسموا بألا يعكروا في الإساءة بعضهم إلى البعض. ثم قالوا: هذا يتقرر أمر الحكم والسلطة. ولما كان النهار قد انتهى، وأذن بالمعيب، عاد كل منهم إلى مقره. وفي تلك الأثناء انفصل عن بايبدو أفراد أسرة الخاتون العظيمة "بولوعان خاتون" منهم الشيخ "هورقاسون" وجمع آخر، وانصموا إلى الحضرة. ولما كان جود بعدد وموعان قد اقتربوا كان بايبدو يرسل إليهم الرسل تباعا لاستدعائهم أثناء المفاوضات وكان الأمراء يصلون مع جودهم لحظة بعد أخرى، فظهرت لهم شوكة كبيرة آخر النهار. وفي اليوم الثاني سار الجيشان حتى "قربان خيره" لمناوشة الواحد منهما الآخر. ثم دخل جيش السلطان غازان واديا ضيقا يبلغ طولُه فرسحا. ولم يكن أمامه غير طريق واحد فأسرع "توكاتو بهادر" مع النعي فارس، واستولى على مدخل الوادي. وكان فوجيقبال يتبعه ليعاونه. فلما علم بايبدو ذلك، وعرف أن هذا التصرف يؤدي إلى الحرب، لوفد على العور رسولا يأمر أتباعه بفتح الطريق أمام جود غازان، ولا يسمعونهم من الحزوح؛ فغضب فوجيقبال من ذلك التصرف.

وصفوة القول أنهم نزلوا في تلك الليلة بعضهم بجوار البعض؛ بحيث إنهم كانوا يشربون من عين واحدة على الرغم من أن جميع الجود كانوا يسكنون بأعنة خيولهم مدججين بأسلحتهم، ولم يستريحوا في تلك الليلة. وفي اليوم التالي الإثنين السابع من رجب، أخذ جمع

من الساعين في الصلح يترددون بين الجانبين. [ص ٢٩١] وأخيراً استقر رأى الأميرى  
توتشيمور وسوتاي على أن يقام سدادق بين الطرفين على أن تحصر "توداي خاتون" التى يقع  
موطها على مقربة من ذلك المكان، وتعقد الصلح بين الطرفين. وفى تلك الأثناء قدم  
"قنجبال" وعرض قتالاً: "إذا كان الظفر من نصيب غازان، فإن الأمير "أقيوقا" سوف  
يقضى عليها. ولهذا السبب قتلوه فى نفس ذلك اليوم.

وبعد حديث طويل تقرر أن يجتمع الأمراء وسط ميدان المعركة، ويقر الطرفان بهسواب  
وجهة نظر الطرف الآخر. وعلى هذا ذهب من هذا الطرف (أى غازان خان) الأمراء  
بورور ووروى وقتلغ شاه وتوتشيمور. ومن طرف بايغو قدم طعاجار وقونجبال ودولاداي  
وصاروا يتناقشون حتى منتصف النهار وكان جلود بايغو يصلون لحظة بعد أخرى  
فصارث تزداد قوتهم.

ولما رأى الأمراء ذلك، استقر رأيهم على أن يرسل بايغو إلى حصرة الأمير الجبل عاران  
المخيمات الخاصة بأرعون خان والخاتون المعظمة بولوغان ولوروك خاتون والأمير الجبل  
خريده مع الأمراء الأجنال الآخرين، وأن تُسلم له أمواله وغرائثه. ويكون لعاران أيضاً من  
الجانب الآخر مناطق "سعيدرود" والعراق وخراسان وقومس ومازندران ونصف إقليم  
فارس مع كل أملاك الخاصة هناك. وعندما عرضوا ذلك الأمر على حضرة غازان، طلب  
أن يسلموه طعاجار أيضاً مع عشرة آلاف من القراوة الديرى هم من خاصة أرعون  
وبموجب هذا الاتفاق سهى الحديث عند هذا الحد ويعود. فأجاب بايغو بمحسور الأمراء  
قائلاً: "إن الأمير الجبل عاران يعلم أن أرعون كان يعتبرى أبناً له من صلبه، وكان يعين  
لكل ابن مشى خاصاً فى جهة من الجهات فى صحة أحد الأمراء. وكان طعاجار مع  
عشرة آلاف جدى من القراوة فى صحبى دائماً فى بغداد. وما أنا أقر ذلك حسب أمر  
أرعون خان، فإنه هو الحاكم". وأخيراً استقر رأى السلطان والأمراء على هذا، وقالوا:  
"فكسلم هذه المقررات لغازان حتى تعود". ثم أرسل بايغو "دولاداي" بحمل الطعام  
والشراب إلى الحضرة، فحفظ بالإنعزاز والرعاية، وبأوله قدحاً من الشراب.

بعد ذلك أشار السلطان عاران قائلاً: لنعد عن طريق "سيه كوه"؟ غير أن بايغو والأمراء  
لم يرضوا بهذا رأى والسبب فى ذلك هو أن جيش القراوة كان مقيماً هناك، فخافوا أن

بصموا إلى غاران غان إذا ما قرّ في تلك الناحية [ص ٢٩٢] فنحدث الفتنة مرة أخرى ثم أوعدوا "بولاد جيسگسانگ"<sup>١</sup> إلى المحصرة ليضع عاران بالعودة من الطريق الذي قدم منه وفي اليوم التالي أرسل يابندو اسمه "قيجاق" مع طائفة من الأمراء إلى محصرة غاران لإبداء رعايتهم وإعراهم له، ولتناول أفداح الشراب، وليلموه أن يابندو يقول: "إن الأمير الجبل قدم إلى هنا باليس والبركة، وتم الصلح والاتفاق بيسا. فإذا ما انصرفا دون أن يرى الواحد من الآخر، ولو للحظة، فسوف يظن اقتراب والبعيد أن الكثير لا يزال بيسا. وإذا ما أدرك أن مجلس ساعة بعضا مع البعض لتجديد عهد اللقاء، ثم يعود الأمير الجبل باليس والبركة". ولإبلاغ هذا الالتئام، قدم أيضا الأميران سوتاي وتوقتيبور عدة مرات. وأخيرا، تقرر أن تمتد دار يرل معها كلا الجانبين مع عدة أشخاص من خواصه، ويقابل الواحد منهما الآخر. وفي ذلك اليوم تودد السلطان غاران إلى "قيجاق اعول" وشمله بقطعة ورعائه، وحلح عليه، وأركه جواده وأعاده. ثم تشاور مع الأمراء مورور وورين وفتح شاه فتم يروا المصلحة في هذا الاجتماع. كما أن المنجمين قالوا: "إنه يوم محس. فأرسل عاران "سوتاي" وتوقتيبور إلى يابندو ليقولا له "إن اليوم محس حسب قول المنجمين، وقد اقترب أيضا وقت الليل، وعدا صباحا سوف يقابل الواحد من الآخر ثم كلّف الأسيرين سورور وتوقتيبور بأن يقيما معه هذه الليلة، على أن ينحبا في الصباح إلى يابندو. وبعد ذلك يصرفان شئون الملك، ويسيران الجود. ثم رحل غاران ليلا باليس والبركة بعد أن أوقدوا السرايا هي كافة البيوت، وسار في طريقه حتى إذا حلّ الصباح كان قد عبر نهر "تيفيرود"، وانضم إلى المحصرة أمراء الجبل الذين كانوا هناك. ثم خرج وسلط طريق "دبه مار"، وبات ليلته في زيجان.

وفي اليوم التالي أرسل عاران "كورتيبور" من "مسلم" إلى يابندو ويقول له: "لقد سرنا إلى ناحية دماوند، وتركنا هناك الأميرين نورور وتوقتيبور فيسبحي أن تكون عند كلمتك فتسهر الجود والحوادث، ونقسم أمر الملك بالمشاهدة". [ص ٢٩٣] ومن هناك مرّ عاران "تقونقور أولنگ"، ووصل إلى موضع "كره رود" الذي يسميه الممول "تركان موران"

(١) كان يعمل سيرا للحاقن في بلاط إيراق، وفتح بئرلة كبيرة بين الأتليانيين (انظر كتاب الفخر الإسلامى،





القريبي والصدائقة عماد تركال مهموماً لعدم الأحاد برأيه، ورحل إلى ولاية جورجيا "گرجستان" حيث موطنه، ولم يعد سها حتى حادث مقتل باينو وعرف موقف طعاجار فظركاً للعداء الذي يكنه له "توداجو" من حكم باينو وكندك الحال بالنسبة إلى "صنر الدين" ويرجع سبب ذلك إلى أن مصعب الوزارة لم يتيسر له عقد على باينو، وصار يحرص "نوروز" عليه، واتفق معه على مؤازرة غازان. كذلك أشار على نوروز بأن يتظاهر بالموافقة على ما يراه باينو وأتباعه، وأن يهرم معهم عهداً على أي نحو يريدونه.

بعد ذلك شمل باينو "نوروز" بمعطيه. وأخيراً استقر الرأي على أن يعقد معه ميثاقاً يتعهد بموجبه بأن يرسل إليه غازان مقيداً<sup>(١)</sup> وعلى هذا سمح باينو لنوروز بالعودة، وخصه بمزيد من الرعاية والتكريم كذلك فوصت إمارة برد من قبل باينو إلى "سطان شاه" بجل نوروز، وحررت له حوالة على برد بعشرة آلاف دينار.

وفي يوم الثلاثاء الخامس عشر من رجب سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م أعادوا نوروز وتوقيتهم وأرسل الآخرين. وفي اليوم التالي عاد إيلجيداي الذي كان يتعقب غازان. ثم لوى باينو الناص، وسار صوب "سوغورلق" وفي يوم السبت التاسع عشر من رجب مرل في موطنه الكبير يسوغورلق. والسلام.

(١) يقول بيرس الفوانير في كتابه ريدنة الذكر في تاريخ الفجر ج ٩، ص ٢٨٨ - ٢٨٩، تحقيق د. ريدنة محمد عطا للملكة العربية السعودية، بدون تاريخ "كما استعزى نوروز من الأشراف الذين استسلموا، علم غازان بالمرحوم، تنجهر نسو من خراسان، وبلغ باينو خبره فأوجس عهده منه، وذكر ذلك لنوروز، فقال له: أنا أكتبك أمراً، وأدفع عليك شراً، ومنى وجهي إليه نيت هناك حزينة، وعلقت حمايته وأرسلته إليك مربوطاً، فاستحلفه أنه لا يكون عهده إلا ففعل من عهده ثم سرجه فصار إلى خراسان، وأخبر غازان بكل ما كان وعرضا مشاً لتقصده باينو وساراً طالعياً الأرندو وأرسل نوروز به فندرك مربوطاً في عهدك. وقال: "حمد وجب بما فقت لك، وأرسلت غازان إليك مربوطاً بالوثاق، ولم أغير ما وقع به فقلتلك. فغضب باينو لرسالة، وتنبأ له مكره به من سقائه" انظر أيضاً لشرق الإسلام في عهد الإيلخانيين (ألسره هولكو خان) ص ٢٣٨

## حكاية

### انفراج الصدر المبارك لسلطان الإسلام غازان بنور الإيمان واعتناقه الإسلام هو والأمراء بحضور الشيخ زاده صدر الدين إبراهيم بن حمويه الجويني دامت بركاته

عندما يكون الله تعالى وتقدس قد أراد من أول الأزل أن يخلق عبداً سعيداً، ويختصه بأنواع الثأيد، يجعل قابلية السعادة [ص ٢٩٥] في طيبته وجبلته محصورة ومركزة. وإن الألفاظ الدرية البوية الدالة على تحقيق هذا المصير، وتصديق هذه الدعوى لدليل واضح وبرهان ساطع. "السعيد من سعد في بطن أمه"<sup>(١)</sup> وبعد ذلك يربيه مربي العناية الربانية في مهد التربية بيد العناية، ويوصله بالتفريج إلى مدارج الكمال، ويرشده بمرور الشهور إلى النظر في حقائق الأمور حتى يتأمل في أحوال الصور والمعاني، ويطلع بذلك على حقيقة كل شيء وبطلانه. وتتحول آثار سعادته من القوة إلى الفعل بفعل ذلك التدبر والتفكير ويتحقق ظهور كل ما تقتضيه سر الحكمة الإلهية القائمة عليه إرادة تلك السعادة، وفقاً لنص القرآن الكريم ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾<sup>(٢)</sup>

وبموجب هذه المقدمات، فإنه لما اقتضت عناية ذي الجلال ومشيئة الأزل أن يتدارك الوهن والعتور اللذين قد نظرنا إلى أطراف الملة الإسلامية بتقلب الشهور والأعوام، وتعاقب الليالي والأيام على يد أحد خواص العباد الذي يتولى حكم الأمصار والبلاد لذلك جعل دامت صفات غاران الملائكية مستعدة لبعض أنوار الهداية والإلهام الرباني

---

(١) أخرجه البيهقي في المدخل والحرر في مسنده عن أبي هريرة. وجاء على هذا نحو "السعيد من سعد في بطن أمه" والنفسي من شفي في بطن أمه". وسنده صحيح. وأخرجه خطير في من الصغير منصرفاً على "السعيد من سعد في بطن أمه" (كتبه الحفاد وعمريل الإتياس عما اشتهر من الأحاديث على لسان الناس). كما في إسماعيل بن محمد المجلوبي الجرجاني، ج ١، ص ٤٨، هـ. حطب بطون تاريخ.

(٢) الآية بأصلها ﴿إِنَّمَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حِجٍّ فَمَا مَرَّسَ اللَّهُ لَهُ سَعَةً اللَّهُ فِي الْقُدْسِ يَخْلُقُكَ مِنْ قَبْلِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (سورة الأحزاب، آية ٣٨).

ولما كان في أوائل طقوله يترى في رعاية جده الأعظم آياتها وكان مهلاً إلى طريقة الكهنة البوذيين، ومعتقداً معتقداتهم، عهد به إلى واحد أو اثنين من كبار الكهنة، وكنعهما بأن يجدا في تعليمه إلى أقصى حد، وحثه على اقتباس مراسم طريقتيهما. وعلى هذا كانا يلازمانه. ودائماً كانا يواظبان على تربيته في تلك الملة

ولكن الأمير السجل لمرط كياسته ودهاله وفضة دمه وذكائه اطلع - في وقت قصير على عيوب تلك الطريقة "عُجْرها وُجْرها"<sup>(١)</sup>، ووقف على عوامس ودقائق أقوال تلك الطائفة وأعمالها وحرار درجة الكمال، بحيث إنه صار متمقاً إلى درجة كبيرة في الطريقة البوذية<sup>(٢)</sup>.

غير أنه بتأثير العناية الأثرية، صار ينظر بعكسه الناقب [ص ٢٩٦] ورأيه الصائب إلى أسرار البوذية كما كان يتأمل حقيقة الأديان والمثل؛ مسطعت ولمعت أشعة أسرار الديانة الحميدة على ضميره السمر، وذلك بسبب فيض الإنعام الإلهي، وصار يظهر في خاطره العاطر الميل إلى هذه الملة الصحيحة.

ولكنه نظراً لتمكنه وتنشئه، ظل سائراً على تلك الطريقة البوذية. وكان في هذا الخيال متمكناً وثابتاً القدم. وبسبب غلوه في تلك العقيدة أنام معابد عالية للأصنام في "خبوشان" بخراسان. وكان يؤدي طقوسها بصورة جعلت جميع اللامات والرهان متمعجين مذهشين من تلك الرياضات والمشقات. ومع هذا كان يجتهد إلى أقصى حد في البحث عن أسرار الحق، وتحقيق طرق الصواب إلى أن اجتمعوا يابلوا وكان الأمراء اخصاصرون يرمون العهد والميثاق؛ فالسلمون منهم كانوا يقسمون بالقرآن الكريم، على حين أن للمول كانوا يقسمون بالذهب.

ولقد اعتم نوروز هذه الفرصة، فعرض على غاران قوله. ماذا يحدث لو يقوى السلطان ملاد العام الدين الإسلامي باغتنامه الإسلام والإيمان به؟ فرد عليه غاران بقوله: إن هذه

(١) عُجْر وُجْر يقال عَجْره وُجْره أي ذكر عيوبه ولغره كله ما أمسى منه وما أبدى. (المصمم الفرنسي ج ٢ ص ٥٨٥).

(٢) انظر دكتور طبريزي (تاريخ الإسلام في إيران) ص ١٤١ وما بعدها، تهران ١٣٧١ هـ.

الفكرة تجول بمخاطري منذ رمى. عدائد أحرص مورور قطعة من اللؤلؤ المصقول النادر، وركع على ركبتيه وقال: "ولو أنه ليس للعبد سبيل إلى هذه الجرأة؛ بحيث يقدم هدايا لأبناء الملوك. ولكني أطمع في أن يتعطف السلطان على عبده، فيحتفظ بهذه الهدية لنفس عودتي من مهنتي ووصولي إلى الحضرة".

عما قدم مورور وبقية الأمراء من لندن يابلو دون أن يحجروا مهنتهم عصب السلطان وصار يهكر في تدارك الأمر. وما طرح مورور تلك القصة مرة ثانية بمحضور الشيخ زاده العظيم صدر الدين إبراهيم ابن قطب الأولياء الشيخ سعد الدين حمويه - أعزه الله وقدهس نفسه - وكان بلامر السلطان في أغلب الأوقات، فيستعصر منه عن الدين الإسلامي وحقيقته، ويتباحث معه في هذا الشأن، فيشرح صدره للإسلام<sup>(١)</sup>. ولقد كان سزول السكينة على صدره المبارك يقوى سطوع أنوار الإيمان في صدره، فيستولى عليه إمداد الهدية، فقال: "حقاً إن الإسلام [ص ٢٩٧] دين منين وميسر للعامة ويحتوى على كل العوائد الدينية. وإن معجزات - الرسول عليه الصلاة والسلام - المؤثرة في القلوب وباهرة وعلامات صحتها على صفحات النهر واضحة وظاهرة ولا شك أن المواظبة على أداء المفروض والواجبات والواصل تؤدي إلى الوصول إلى الحق. وأما عبادة الأصنام فإنها عديمة الجدوى، ويعيده كل البعد عن العقل والعلم. وعند أصحاب الرأي والكتابة يكون وضع الجبهة على الأرض أمام الحمد يحس جهالة وحماقة، ويدو أيضاً من وجهه نظر الحق - أمراً مكروهاً أمام الإنسان الذي هو سيد المرواح والعقل. ولا يوجد أي إنسان كامل يرضى أن يصعب جبهته على الأرض أمام الصمم. وعلى وجه الصدق، فإن صورة الصمم تليق بعنة الباب، يظفوها الناس بلقائهم دون مشقة. ثم إن اتفاق كافة الناس على الإسلام وإنكار عبادة الأوثان، أمر مقطوع به، وليس فيه مجال للتأويل

وصورة القول فإن عبارات حان نطق بكلمة التوحيد في أوائل شعبان سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م بمحضور "الشيخ زاده صدر الدين إبراهيم بن حمويه"<sup>(٢)</sup>، ومعه كافة الأمراء وبهذا

(١) الآية القرآنية ﴿من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كلما يعتد به السيء﴾ كقول الله عز وجل ﴿لا يؤمنون﴾ (سورة الأنعام، آية ١٢٥)

(٢) هو الشيخ المصري فرامد والإمام الخليل صدر الدين أبو الفتح إبراهيم بن الشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد بن أبي بكر بن حمويه الجوهري الشافعي ولد سنة ٦٤٤هـ في أمل بطبرستان، وتعلم على أكثر علماء عصره. وقد =

صار الجميع مسلمين. ولقد أقيمت الولائم والأفراح، واشتعل الحاصرون بالعبادة وشمل غاران برعايته جماعة السادات والأئمة والمشايخ، وأجرى عليهم الإدارات والصدقات وبما يتعلق بتعمير المساجد والمدارس والخوانق وأبواب البر، بالغ في إصدار الأحكام المتبعة بهذه المؤسسات. وعندما حلّ شهر رمضان، صار مشغولاً بالطاعة والعبادة مع طائفة الأئمة والمشايخ.

ولا يخفى على كافة العقلاء أن إسلام وإيمان سلطان الإسلام غازان خان إنما كان عن صدق وإخلاص، ومبرماً من شوائب الرياء والرعونة، وصافياً خالصاً إذ إنه لا يتصور أن يكون هناك إجبار والإرام في اعتناقه الإسلام مع وجود عظمة السلطان وشوكة، وكمال القدرة على إبرام الأمور وتنفيذها. ومن المسلم به أنه في حالة عدم الاحتياج وعسر الاستعانة لا يمكن أن يكون هناك رياء ومراء. والله الموفق.

---

رحل في طلب الضم والهدنة إلى العديد من البلاد وفلسن العربية والإسلامية وفي سنة ٦٧١هـ تزوج من إحدى بنات الخزرج الفارسي عطا ملك الجرجي. وعلى يد أسلم السلطان غازان في سنة ٦٩١هـ ومال حظوة كبيرة في بلاط هذا السلطان. ولقد تولى هذا العالم الجليل في سنة ٧٢٢هـ ودلس في "تكملة آباء" إحدى ثرى جوتن (انظر كتاب شه الزور في خط الأزرل عن روض القرار، تأليف يحيى الدين أبي القاسم جيد شيرازي، بتصحيح ونقشة محمد غزويني وعيسى إقبال، ص ٢٧١ - ٣٧٢، حاشية ٧، طهران ١٣٢٨هـ شرق الإسلامي، ص ٢٥٠، ٢٥١، حاشية ٣).

## حكاية

### توجه الرايات المباركة لسلطان الإسلام إلى بايندو للمرة الثانية وخضوع أمرانه

بعد أن نطق غاران بكلمة التوحيد، وتبعه جمهور الأمراء [ص ٢٩٨] وأعلنوا إسلامهم، وصاروا مشغولين بالعبادة، قدم رسولاً بايندو: المدعو "قلغ شاه"<sup>(١)</sup>، وطبع للمشايخ "محمود"، فتحدثنا عن كل أنواع الكلام عنه وسببه. وقد اعتمد الشيخ محمود الفرصة وعرض كلام الأمراء الذين في معية بايندو وقلوبهم مع غاران، وأبلغ رسالة كل منهم، وأخذ عليها الجواب مختوماً بالختم الذهبي. وفي اليوم الثالث أدن غاران للرسول بالإنصراف ولما عاد الشيخ محمود، وأبلغ تلك الجماعة الإجابة المحترمة بالختم الذهبي عقدوا التبة على بصرة سلطان الإسلام، واتفقت كلمتهم على الإخلاص له.

كذلك لأن "صدر الدين الرجائي" لم يبلغ غايته في عهد بايندو وذلك بسبب إسماعيل مصب الوزارة لجمال الدين المستجرداني، صار هو الآخر يمرض طعاجار على المحالعة والمساواة. ولهذا كان بايندو وأتباعه يتشكون مكائدها فشمولوه برعايتهم الثمينة، ومحوه العرمان والبايرة، وغيوه حاكمًا على بلاد الروم. فلما اجتاز حدود "هشترود"<sup>(٢)</sup> تفرغ بإحدى الحجج، وأرسل إلى شريف أهله وأتباعه مع الأمير "باغلاقو" الذي كان في صحبته. ثم ذهب بنفسه إلى "سراو" بحجة أنه يريد قرضًا، وعرض من ذلك الطريق على "جبلان" ومن سوغورلوق عقد عزمه على التوجه إلى قروم لإحطار أخيه قطب الدين بثلث العكرة فخرج هو الآخر من المدينة متسرعًا بإحدى الحجج. ثم توجه إلى جبلان، وانضم إلى أخيه وذهب معًا إلى سلطان الإسلام غاران خان. وفي فيروزكوه تشربا بتقيل الأرض بين يدي غاران، وبمحمود الأمير نوروز الذي كان قد قدم من خراسان منذ وقت قريب، وقد ذكر الأخوان أنوالاً مرضية نقلًا عن لسان طعاجار.

(١) "قلغ شاه" هذا شخص آخر يحمل نفس اسم "قلغ شاه" أحد أمراء غاران ولقد قوته للسلطة

(٢) هشترود (الأنهار الشمالية) خرجها الجبال خرق مرانته ذات الشبي وتلاشى طلائع (بندان الحفلة الشرقية، ص ٢٠٤).

ولما كان نورور قد شمل برعايته جوده، وهياهم للقتال، أمر عازان بحشد كافة الجيوش. وقد جرت تلك الأحوال في شهر شوال. ولأن باهلو كان خائفاً خائفاً، أرسل "قتلغ شاه" مرة أخرى بالفرار بموعدة؛ غير أن سلطان الإسلام [ص ٢٢٩] - بمرط كياسته عرف أن الأمر لا يخلو من كيد ومكر؛ فأمر بتعريضه، وبصره بالمعصية والمراوات وبهذه تفحص منه حقيقة الأحوال. إذ راح يشرح كل أحوال باهلو وأمراته وجوده وتفكيرهم في إثارة الدسائس والعش والنفس العيوب. ثم أضاف قائلاً: لقد أرسلوني حتى أعلم إن كنتم تروون الرحمة لو لا، فأمر عازان بتقييده وسجنه في قلعة استونايد بهلرود.

وفي يوم الجمعة منصرف شوال توجه عازان باليس والبركة صوب الري، وسار الأميران نورور وفتلغ شاه في المقدمة، وصار نورور حرباً على عادته يذبح الأبناء عن كثرة جلود عازان. وعندما وصل سلطان الإسلام إلى "هبلرود"، فر من باهلو الأمير جويان وفورومشي گور كان بن علياق، وانصبا إلى الخصرة، فسر سلطان الإسلام سروراً شديداً بوصولهما، واعتبر ذلك فائزاً ميموناً، وأكرمهما إكراماً بائناً، ومنح كلاهما قباء وقنسوة ومسلقة (حراناً) مرصعة ثم تحرك من هناك، ونزل عند وادي نهر "قووه" وأقام عدة أيام. وقد انتهر الأميران جويان وفورومشي هذه الفرصة فقالا: لو يتعطف علينا سلطان الإسلام فسوف نرحل ونسير في المقطعة مع الأميرين الكبيرين نورور وفتلغ شاه؛ فادن لهما بذلك وانصبا إليهما.

بعد ذلك ترك سلطان الإسلام عازان حاك زوجته بولوعان الخراسانية هناك، وسار عقب الأمراء. وعندما وصل إلى آمد حووجه قزوين، قدم "أرعا بيتكجي" أحو بوعداي احتجاجي من قبل نورور، وأعلى أن الأميرين طعاجار وبوعداي انفصلا عن باهلو وأنها يقصدان حضرة سلطان الإسلام. وقد انصبا إلى نورور. ثم سار السلطان من هناك عن طريق "سجاس" حيث وصل إلى خدمته الأمير الجبل حريده والأمير الجبل "هبلدار". وعندما قدم عازان إلى بهستان على صفاء "سپهرود"، وصل إلى الحضرة الأمراء دولاداي ابداجي والشمور بن هلوغور مع طائفة أخرى. ثم رحل من هناك، ونزل "بيور آعاج" في انتظار [ص ٣٠٠] نورور وفتلغ شاه اللذين خرجا إلى "نخجوان" و"أرس" يتعقبان باهلو وتوكل.

وبعد ذلك قدم عازان إلى أوجان، ووصل من قتل موروز وقتلغ شاه الأمير "بامسحر" يعني أن يابندو قد أسر، وسبق من ناحية نخجوان إلى تبريز وهو يقول أريد أن أتحدث إلى السلطان بكلمة أو كلمتين. فما هو الرأي؟ غير أن السلطان قد عرف بهرسته أنه ليس لدى يابندو كلام معيد يقوله، وإنما يبحث عن حجة يتدبر بها. وعلى هذا صدر الأمر بعدم إحصاره إلى المحصرة والخلاص منه هناك وكانوا قد أخرجوه من تبريز، ووصلوا به إلى "بام بيكش" حيث أنهموا حياته في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م.

وعلى أثر ذلك، بعد حكم المرسوم الذي يقضى بتخريب كل معابد اليهوديين ودور الأصنام والكنائس والبيع في دار الملك تبريز وبغداد وسائر بلاد الإسلام. وقد شكر المسلمون الله تعالى شكراً كثيراً على هذا المنح المبني لأن أهل الأزمان السالفة لم يبالوا تلك الأمانة.

بعد ذلك عقد سلطان الإسلام الحرم على السير إلى دار الملك تبريز، فاستقله صدر الدين الرجباني الذي كان قد ذهب إلى المدينة لتدبير المصالح، ثم سار حتى بلغ "كندرو"، وكان يريد أن يطلق الناس على مرثته وجنازه، فصار يتحالي وينعطرس إلى حد الوقاحة. وكان يتحدث وهو عبي صهوة جواده وفي ذلك اليوم كانت النتيجة للأمر مولاي، فقال لصدر الدين الرجباني: ليس هذا السلوك هو سبيلك! فلا تتجاسر، والرم حذك". ولكن صدر الدين لم يعبأ به؛ فصره مولاي بالسوط عدة مرات على رأسه، وأقصاه عنه. ولهذا السبب ولأسباب أخرى انقطع شأن صدر الدين.

وفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ذي القعدة نزل سلطان الإسلام في عظمة ثامة بظاهر تبريز في السراي للملوك "بشم".

وبموجب العرمان أعدم الملقب شاي قوشجي دون محاكمة، وأعطى السططان بولوغان الخراسانية ما يملكه. وبعد ذلك وصل موروز وقتلغ شاه وقدمت من "سوقورلوق" بولوغان خاتون والخواتين الأخريات. وفي جوسق المادلية أقيمت الولائم والاحتفالات، وحقق مع فتحقبال وجيجك، وقتل قوغمقال قصاصاً لدم آقوفا [ص ٣٠٩] ثم أسرع عازان من هناك إلى "قراتيه"، وصرب جيجال بالفرولة وأطلق سراح توداجو، وأرسل الأمير "نوريس"



على رأس جيش إلى غراسان ومارندران، ثم عاد إلى تبريز حيث وجّه هذا الساء ومضمونه أن على الجميع أن يراعوا مسلكهم، ولا يظلم بعضهم بعضاً، ولا يثيروا الفتنة والفساد، ولا يعطوا دافعاً دعيّاً قط لأى مخلوق بدون حوالة محتومة بالختم الذهبي.

بذلك نال العالم والعالمين بمصل عدل سلطان الإسلام وميامن إنصافه الزهية والظلم والراحة التامة، ولججت ألسنة القريب والبعيد والترك والتارباك<sup>(١)</sup> بالدعاء للدولة الممتدة أيامها، وتصبراً من الشكر لثقل هذه المؤونة العدة قدموا صفقات لا حد لها. ومن وراء حجاب الغيب، صاح هاتم الإقبال وقال:

(بيت فارسي في الأصل ترجمته)

كان ملك العالم قد بقى بغير سلطان ورئيس

أما الآن فجاء سلطان جليل بأن يزين رأسه

بعد ذلك أرسل السلطان من تبريز الأمير مولاي للإمارة والحكم في ديار بكر وديار ربيعة، ورعى الأمير موروز رعاية تامة، وأصدر مرسوماً يصح على أن تعوض إليه الثورارة لجميع الرعايا. وهو يقيم الآن في تبريز، ويصرف مصالح الناس ثم يجيء عقب ذلك إلى أركان

وهي يوم الإثنين ٦ من ذي الحجة سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م تحرك عساكر غازان من دار الملك تبريز قاصداً مشنئ "أران". وفي ناحية تبريز تزوج من بولوغان خاتون رواجاً شرعياً رغم أنها كانت صبيحة والده أرغون خان. ولكن حيث أن السرواج كان قد تم مع اختلاف الهداية في ذلك الوقت، وأن السلطان والخاتون في الوقت الحاضر، كلاهما على دين الإسلام، فإن هذا الكاح يعتبر نكاحاً صحيحاً شرعاً<sup>(٢)</sup>.

(١) كان الإيرانيون أول من أطلق هذه الكلمة على العرب، ثم انتقلت إلى الصيبي، وبمستل أن تكون قد وصلت إلى الترك. ومن المعلوم أن دلالة هذه الكلمة قد تغيرت، فمثلاً، على القرن الحادي عشر ليليلاي كانت تطلق على غير العرب وربما على الإيرانيين. وأغلب الظن أن الأثر ترك انتقلها على كل للشعبي إلى المدينة الإسلامية. ثم بعد ذلك على الإيرانيين خاصة، لأن الأثر ترك كانوا يهرعهم أكثر من غيرهم من المسلمين. (انظر تاريخ الترك في آسيا الوسطى، تأليف المستشرق الروسي و. بارنولد، ترجمة قدكتور أحمد السعد سليمان، ص ٣٨، القاهرة ١٩٥٨م).

(٢) بخصوص رواج غازان من بولوغان خاتون يقول أبي جابر الصفهاتي عن غازان "فأسلم قبل له إن دين الإسلام يحرم نكاح ساء الآباء، وكان قد انتصاف ساء إليه إلى ساءه. وكان أجبه إليه بولوغان خاتون، وهي أكبر -

وقد رف عليها باليمن والسعادة وجرىً على المعهود والعتاد أقيمت الولائم والأفراح، وأظهروا المباهج والمسرات. ثم خرجوا إلى طريق "تمرويشكين"، وانتهوا إلى موغان، ومرل النوكب عبد (أبو بكر آباد) بموضع "بول حسرو".

وبعد أسبوعين مآل نوروز النشرف بالحضرة، واجتمع في "قراهاغ" من أراي كافة الخوآئي والأمرء والأعمال والأمرء وأركان الدولة وأعيان الحضرة، وانفقوا جميعاً على تولية سلطان الإسلام الحكيم بلا رياء وفاق، وحرروا همتهم بقراراً مكتوباً شاهداً على ذلك. وقد احتاروا لجلوسه المبارك [ص ٣٠٢] يوم الأحد الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٩٤ هـ / ١٢٩٤ م الموافق الثالث والعشرين من شهر طوقسونج آي، فوبس بيل، وأجلسوا سلطان الإسلام على عرش الحماية بالطلاع المسعود. وقد ركع كافة الخوآئي والأمرء الأعمال والأمرء كل في مكانه وأداروا الكوس، وهأوا العالم بجلوسه المبارك وقالوا:

(بيت من الشعر العارسي في الأصل ترجمته)

اسمح بعملك واجتهد لأن الروح العالمية

مرتطة بتلك الروح العريفة لتي شلكتها أنت

---

حسباً لهم، فهم أن يرصد عن الإسلاماً فقال له بعض خواصه إن أبداً كان كسراً ولم يكن يلزم منه في عقد نكاح صحيح، إما كان مسافراً بها، فاعتقد أن عيبها، فإنها قبل ذلك ففعل ولولا ذلك لازد عن الإسلام وانحس ذلك من الذي أقام به لهذه المصلحة والقرر الكتبه ج ٣، ص ٢١٣، حيد ليد قد كن، ١٣٥٠ هـ

## حكاية

### بدء تنظيم شئون الجيش والبلاد بأمر سلطان الإسلام بعد جلوسه المبارك

بعد إقامة مراسم الأعراس والأنس، اتجه رأى عازان - الذى هو زينة للممالك - إلى ضبط وتنظيم شئون المملكة وفى الأربعماء سلخ دى لشجة سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م، أرسل الأمير طعاجار ليتولى إمارة الروم وحمايتها؛ وذلك لأنه رجل سريع القلب. ومن المصلحة أن يكون يمدح عن الحصرة. وفى يوم الجمعة سلخ المحرم سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م قدم الرسل من خراسان، وأخبروا أن الأميرين "دوا" و"ساربان" ابني "قايغو" انتصروا عرسه عياب الرابات السلطانية، ودخلا خراسان ومازملران، وشرعا فى الذهب والذهب، فتشاور سلطان الإسلام مع الأمراء، واستقر رأى على أن يسير الأميران سوكا وبورور لفنصاء عنيهما عبر أن سوكا ذهب إلى دياره. ومهما حاولوا استدعاه كان لا يستجيب متعللاً بشئ الأعداء وأخيراً أرسل سلطان الإسلام "هورقدان" لاستدعائه. ونحت وطأة السكر تعوه بعدة كلمات مثيرة للفتنة؛ فأولوا تلك الحكاية إلى السمع الأشرف؛ غير أن عازان لم يلتفت إلى ذلك لمرط ثباته ووقاره [ص ٣٠٣] وعندما وصل سوكا إلى الحصرة شمله عازان برعايته التامة وعينه على خراسان، وسير معه من أمراء التومان "بارولا" بن الخواجه بن يسور بوبان من قبيلة أولقونوت، وكذلك أرسلان أغول من أحتاد "جوجى قسار"، وأرسل فى الطليعة بورور وهورقدان فى خدمة الأمير طاعبو أغول، وعين للليابة حاجى نارين أحبا بورور وساتلميش من أتباعه المقتضى.

وفى يوم الجمعة ٢١ من صفر غادر بورور وهورقدان المعسكر. وفى يوم الإثنين ٢٤ من صفر سارا عن طريق العراق، وفضاء وصل بها يفيد أن طرقاى گوركان أمير أوبيرات الذى كان فى ديار بكر، وتلك الساحية عزم على المسير إلى ديار الشام مع الأميرين يسوتاي بن طاشمكوتوشجى وكوكتاى بهادر مع أهلهم ومنتاعهم وأتباعهم من كتائب الأوبيرات عركب الأمير مولاي لشعهم، لكنهم همروه ورحلوا وفى آخر ربيع الأول، وصل خير بعيد بأن "بلدار" هرب مع ثلاثائة فارس، فسار إليه شادى بن بوقور وأبوه بك أخو أشك

تو على مع ثلاثة آلاف رجل، وحاربوه وانتصروا عليه. وقد ظل محتباً مدة في منطقة أرزن الروم. وفي النهاية اعتقلوه في إحدى القرى، وقتله إقبال بن لورغوتو بن إهلكاي بويك وكذلك في يوم الخميس العشرين من رجب قتل يسوناي بن طاشمكو قوشجي الذي كان قد أثار العن في ديار بكر. وفي السادس من ربيع الآخر أعدم بولارعي قتاي شكورجي الذي كان متصامناً في أحر عهد أرغون مع الأمراء الشرير للعتة، وحتى يوم مقتله كان له دخل في كل ما حدث من قلاقل. والسلام

## حكاية

# شروع سوکا وبارولا فی المخالفة والتمرد ووضوح ذلك وتوجه الجيش للقضاء عليهما ومآل ذلك الحال

لما سار سوکا وبارولا من أربل تشاورا كثيرًا مع الجنود، فقالوا جميعًا: إنهم يرسلونا إلى حراسان كي يتقاسوا ساءًا وأطعنا ويرزعوهم على جود خراسان وعقب التشاور اتفقوا على أن يتخلصوا من نورور أولًا. وبعد ذلك يداهموا المعسكرات، ثم يخلصوا سوکا على العرش وقد جرى هذا التدبير في موضع "كره رود" الذي يسمونه "تركان موران".

لما علم نورور بذلك المزمرة داهم سوکا وقت الضحى، واقتل الطرفان قتالًا شديدًا فقتل "بارولا" أولًا في ثلث المعركة وهرب سوکا، وابعه إلى خرقان<sup>(١)</sup> وسأوه<sup>(٢)</sup>، فتعقبه هورقداق مع كوكبة من العرسان، وتم اغطفاله في ناحية خرقان، ثم جاءوا به إلى موضع "سركوى رى". فقال هورقداق لساتى بن لاوداى الذى كان متأمرًا معهم: "اقتل أنت سوکا". فذهب إلى السراشق كي يقتله جرمًا على العادة المتبعة في قتل أبناء الملوك. ولكن سوكاى طمس ساتى بمدينة في بطنه، فأرداه قتيلاً. عندئذ دخل المدعو باتيمور من اتباع هورقداق، فانتزع المدينة من يده وأجهز عليه.

في ذلك الوقت كان سلطان الإسلام قد اعترم صيد موع من الأسماك اسمه "أقى باقى" من موضع "أبى بكر آباد". وفي الثامن من ربيع الآخر، قدم "ساتلمش كلجى" من قبل نورور وأبلغ غاران وهو في موضع الصيد نبأ ضرر سوکا. وفي تلك اللحظة عاد

---

(١) خرقان: تقع على بعد أربعة فراسخ من بسطام في الطريق القاصد إلى استراباد وكان هذا شأن كثير من النجاش السابعة والثامنة (الثلاثة عشرة والرابعة عشرة) وعزلها طيب وماؤها كثير ولها نهر قبل أبي الحسن المرقنى (بلدان الحلالاة الفرقة، ص ١٠٠).

(٢) سأوه: مدينة حسنة بن الرى وسمند، ويقربها مدينة يقال لها توه وسأوه مدينة شامية، والنسبة إليها ساروى وساروى. أما توه فأهلها شعبة لامية، وبينها نحو مرسى. وكان بها دار كتب كثيرة. وقد سب إليها طائفة من أهل العلم (مجمع البلدان، ج ٣، ص ١٧٩).

سلطان الإسلام، وهرل على حامية سد "متكو تيمور".<sup>(٢٠٥ ص)</sup> وكان في حصرة عاران الأميران قتلغ شاه وساتلمش. وفي الصباح أصغر غاران قراراً يقصى باعتقال ابن بن قونقورتاي وقورمشي أخي بارولا إذ كان لهما دخل في المؤامرة التي دبرها سوكا. وبعد المحاكمة قتل ابن تيمور و"حريك مغول" الذي كان أميراً على معسكره وكذلك قورمشي.

وقد اتفق الأمراء قتلغ شاه وچوبان وساتلمش وسوتاي وإيلباسميش على تعبئة الجيوش. وفي أثناء ذلك وصل ياساميش أمير مولاييد من خراسان، وأخبر أن "نوروز" قتل سوكا<sup>(١)</sup> وبارولا، وأن الأمير "نورين" اعتقل جيجاك ودولاداي في خراسان، وأن الأمور تسير وفق المراد، وهم أغلب طائفة الأمراء. لما الجماعة التي بقيت فقد نصبت أرسلان أعول رئيساً لها، ثم قدموا إلى يلسوار<sup>(٢)</sup>، ومن هناك ساروا إلى جهة ساري المصورية، وقرية بايي (دنه بايي)، وأقاموا بهما. وفي الحال كلف سلطان الإسلام الأمراء چوبان وسولاميش وقورمشي وطعربلجيه وتايان وإيلباسميش بالسير بمجدهم للقضاء عليهم، هالتحموا في منطقة يلقان<sup>(٣)</sup>، وحاصروا حرماً حامية وكان مع أرسلان أعول من الأمراء تولك ابن عم أرجان الذي كان أمير السلاح، وأبيه بك بن أشك توغلي من الجلائر وغان بن طايكو بهادر وموسى ترخان وسركيس بن مارين أحمد. وكانت لهم الغلبة في ذلك اليوم. وقد أصيب من جودما طعربلجيه بجرح بليغ؛ كاد يسقطه على الأرض، فرعاه قورمشي بن عيساق (ص ٣٠٦) ثم سار هورقوداي وباريم مع ألفي جندي لمدد جيشا، ووقف الجيشان كل في مواجهة الآخر؛ غير أن جيود الأعداء استسلموا وأغلوا حصونهم دون قتال، وبذلك لحقت الهزيمة بأمرائهم.

بعد ذلك عاد هورقوداي، واعتقل سركيس، وأحصره معه.

(١) ذكر لنورخ أن الذي قتل سوكا هو تيمور أحد ألباح هورقوداي

(٢) يلسوار تقع في سهل موغان. يقال إنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى الأمير "يله سوار" الذي ولاه بنو بويه عليها، ومنه نسبة اسم "الفرس الصغرى". (بلقان للحلقة الشرقية، ص ٢١٠).

(٣) يلقان، مدينة قرب الدربند الذي يقال له باب الأبواب. تعد في أرمينية الكبرى قرية من شروان. وقد عليها غوم من أصلان أوران (مجموع البلدان، ج ١، ص ٢٢٣).

كذلك قام الأمراء الآخرون بتعقب المهزمين، واعتقلوا "تولك"، وأحضره معهم، ثم أعدموه مع سركيس. وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م اعتقلوا أرسلان أعزل، وأحضره معهم ثم أعدموه. وعقب ذلك غلصوا أيضاً من غران بن طاجور بهادر.

وفي تلك الأيام اعتقل صدر الدين الربيعي، وطالبوه بالأموال التي كان قد سجلها عليه جمال الدين الدستجرداني<sup>(١)</sup>، ولكن محته بولوغيان حاتون، وبما بشعاعتها. ثم انتقل إلى معسكر فورتول. وفي يوم الخميس السابع من جمادى الآخرة، عزم غازان على زيارة الشيخ إبراهيم الراشد. وبعد يومين قدم إلى المعسكر، وأرسل الأمير "هورقوداي" ليكون أميراً على إقليم فارس، وعهد إلى "ياساميشي" بتصرف الشؤون وجمع الأموال.

وفي تلك السنة وقعت حرب بين نوقا ملك "أولوس" الفيجاق وبوقاي بن ناتار، فقتل بوقاي، وتمرد أتباعه، فقامت إلى حصرة سلطان الإسلام "حبي حاتون" روجة بوقاي و"توري" ابنه الأصغر، وطلبوا المساعدة والمُدَد قاصداً لدم بوقاي، فصار سلطان الإسلام يعطيهم حائلهما بلفظه، ويهدئ من روعهما. وفي ليلة الأربعاء السادس والعشرين من رجب رُوج سلطان الإسلام أخته "تولجاتيمور" [ص ٢٠٧] من الأمير قتلغ شاه، وكانت قبل ذلك زوجة لتوكال.

ولما كان وجود "طعاجار" أساساً للفتن والفساد، وكان سلطان الإسلام يرغب في أن يقضي نهائياً على مصادر الفتن، أرسل الأمير "حرمشي" في ذلك الشتاء إلى الروم كي يتفق مع باليو وعرب وأمراء جيش الروم على الخلاص من طعاجار. وعليهم أن يبادروا أولاً بتسليمه التريلع (المرسوم) الذي يتضمن استماتته والتودد إليه، ثم يتجهون الفرصة لقتله في السر حسب الأمر الصادر إليهم. ومع أن سلطان الإسلام لم يكن يميل إلى القضاء عليه؛ إلا أن مصلحة الملك وإدارة شؤنه حتمت عليه اتخاذ هذا القرار. وفي تلك القصبة قال السلطان غازان لثمقريس إليه: حدث في قديم الأيام في ولاية الخطا أن ملكي تجاربا فاهرم أحدهما، وتفرقت جوده، وحصار الجود المنصورون يتعقبون المهزمين عدة أيام، حتى أدرك أحد الأمراء ذلك الملك المهزم. ولما كان هذا الملك في عاية المجر والصعب أشفق عليه

(١) انظر تفصيلات في كتاب فتوح الإسلام ص ٢٢٠ - ٢٢١

الأمير، وأراد أن يخلصه، فصحبته حتى وصل به إلى بره في تلك المنطقة، وقال له: انزل في هذه البره حتى لا يراك جنودنا. ولما وصلت طائفة الجند المصورين لم يستطيعوا العثور عليه لأن المنطقة كانت رملية، وثارت الرياح فمحت آثار الأقدام. فقال لهم ذلك الأمير: "إن الطريق ليس واضحاً، ولا يعلم إلى أية ناحية ذهب الملك وقد يهوى في طريق، ونحن سلك مائة طريق. وإذن فكيف يمكن العثور عليه؟! - الأول أن نعود. فرجعوا جميعاً. ثم خرج ذلك الملك من البره، وعاد إلى مملكته، وجمع جيشاً بالفتوح والثاني وعاد إلى شن الحرب مرة أخرى، وانصر على ذلك الملك الذي كان قد طلب عليه في المرة السابقة وقتله واستولى على مملكته، وحصل الأمير الذي كان سبب نجاته - بأنواع الرعاية والتكريم وصار مقرباً إليه للغاية، وفوض إليه الإمارة الكبرى والسياسة المطلقة.

وكانت يوم قال أحد الأمراء للملك. إن هذا الشخص تكرر لحقوق مملكته، ولم يكن وفياً له، وكان هو السبب في هلاكه ووصولك إلى الحكم. فكيف يمكن تركه حياً؟ إنه عن قريب سوف يهكم في العرش بك. [ص ٨٠ + ٣] وكان الملك غاية في الذكاء، فاستمع لذلك الكلام، وأشار بقتل منقده؛ فصرح بذلك الأمير قاتلاً: إن لي عليك حقوق إيتادك والحفاظ على حياتك. فيكي الملك، وقال: إن الحق معك، وأنا لا أرفض عن قتلك مطلقاً ولكن لا معر من رعاية مصلحة الملك والحكم. ومن اللازم أن تقتل، ثم قتله وهو يكي.

وهكذا فإن شأن ضبط الأمور يجرى على هذا النمط. ورغم أن قتل شخص من الأشخاص أمر صعب على جدك، فإنه إذا لم تراخ السياسة والحرم في المحافظة على الفصاها الكلية والجرئية، فإنه لا يمكن تدبير الملك.

وحمل القول أن سلطان الإسلام ركب في أول الربيع من "بيلسوار" قاصداً دار الملك تبريز، وورل بالهس والبركة في سراي "شم تبريز" وفي السابع والعشرين من رجب قهر على أمه بك، وأحصر إلى تبريز وفي يوم السبت التاسع والعشرين، قتل في الميدان هناك. وفي يوم الأربعاء العاشر من شعبان وصل الأمير "إلادو" من خراسان، وعرض أحوال ذلك الإقليم كما هي ثم عادر سلطان الإسلام تبريز إلى ناحية "مرعزار صان" الواقعة بين سربو وأردبيل وفي يوم الأربعاء السابع عشر من شعبان عقدوا مجلس الشورى (القول الثاني) في تلك المنطقة، وامن المجلس في التاسع عشر. والسلام



## أحوال نورين آقا وكراهية الأمير نوروز إياه وبدء اختلال وضع نوروز

كان نورين آقا من قبيلة قيات وكان بالنسبة إلى عازان شخصاً موثقاً به محترماً لديه وموضع اعتماده المطلق، ومحرم أسرارهم. وكانت له سلطة كبيرة في خراسان وماربندان. وكان "أويرتاي" أخو نوروز تابعاً له. واعتماداً على عظمة محمد نورين، كان لا يعبأ كثيراً بأويرتاي، فكان هذا يشكوه إلى أخيه نوروزاً فيقول بذلك الكبر والعور. ثم إن "نوروز" عندما وصل إلى منطقة خراسان [ص ٣٠٩] أوجع سبب تغلب المتمردين وسيطرتهم إلى تقصير نورين، وكان يعتابه بكلمات لادعة مرعجة في حضور أتباعه وغيابهم. وعندما وصل الإنسان إلى جرجان، كان كل منهما متأثراً من صاحبه. ثم وصل الأمير الجبل "طايجو" من طريق "تشيته"، فقال له نوروز مدفوعاً بدافع العصب والتهور "لقد أمرت أن أسأل نورين. كيف ترك المتمردين يدخلون هذه البلاد دون إكتراف؟! والآن أسأل هذا السؤال بمحور الأمير طايجو. فتصابق مع الجميع، واستكروا مع هذا الكلام

وكان أول حلل تطرق إلى وضع نوروز بسبب ذلك العاد والندجاج ثم قدم من هناك إلى حيوشان، واستعرض الجيود بعد ذلك قدم رسول من الطليعة يبي أن المتمردين قد شوهوا في مرج رادكان (مرعزار رادگان)، سار إليهم نوروز للفصاء عليهم، ولكن عندما تخصص الأمر اتضح أن الخبر كان كذباً. ثم تشاور مع الأمراء في مشهد طوس قائلاً: "سوف أتحرك إلى مدينة هراة بأربعة آلاف فارس حتى أقف بعسى على أحوال العصاة ثم سار على هذا العزم في السابع عشر من رجب، ولرسل عازان الأمير الجبل طايجو والأمير نورين إلى رادكان.

وفي يوم الخامس والعشرين من رجب عاد نوروز ووزل في معسكر طايجو، وقال دون أن يعمل عملاً أو يبدل جهداً: سمعت أن روجتي مريضة، وسوف أذهب إلى حصرة سلطان الإسلام، فاعتصموا أنتم بثئون الجيش وإعدادهم؛ وذلك لحسن وصولي. ثم سار على العور فاصداً أدرهجان، وأهمل شئون خراسان وجيشها. كذلك سار عقب نوروز المديون الذين كان السلطان عازان قد أرسلهم معه، ليكونوا في مقدمة الجيش وقت الحرب.

وعندما عاد نورور، صار وجود خراسان يذيعون إشاعات كل يوم، فتطرقوا إلى هذا السبب إلى حد أنهم رحلوا جميعاً. وكان المدعو "سوم" أمير هراة<sup>(١)</sup> هو أول من هرب مع أربعمائة من رجاله، وعاد إلى حدود أردبيل<sup>(٢)</sup> حيث موطنه الأصلي. فلما سمع نورور في شروبار خبر هراة "سوم" ورجاله، ركب إلى سرة دون أن يخبر سلطان الإسلام بذلك وهاجم ديارهم، وأرسل بهم الأصرار وعرضهم للمشفات. [ص ٣١٠] فتأثر سلطان الإسلام بسبب رجوع نورور، وأرسل إليه رسولا يقول له: "عند إلى قواعذك". فرد قائلاً: إن زوجتي الأميرة "طوعان" مريضة، فكيف يمكن أن أعود دون أن أراها؟.. فكان هذا الامتناع أيضاً سبباً في تعثر هراة عليه.

وفي يوم الحادي والعشرين من شعبان سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م قدم نوروز إلى حضرة سلطان الإسلام، فاحتضن بالأحرار والاحترام. ثم جاء سلطان الإسلام إلى "لوجان". وفي يوم الاثنين ٢٩ من شعبان تروح من "تشيل حاتون"

وعندما أحس قطع شاه نوبان والأمراء الآخرون تعثر مظرة السلطان إلى نورور، وتأثره منه، عرضوا عليه قاتلين. ليس من المصلحة إرساله إلى خراسان. ومن الواجب التحري عن أحواله؛ إذ إنه من تصرفاته يمكن مشاهدة أمارات الغتة والعباد. غير أن سعة صدر سلطان الإسلام، كانت مثل البحر المحيط لا نهاية له، وحلمه ووفاره تزيد عما يذكره الوصف فقال: مع أن كلامكم صحيح؛ غير أنني لا أستطيع نقض العهد والحث في اليأس.

وفي يوم الأربعاء عرة رمضان عاد نورور إلى خراسان بناء على أمر غاران، وكان يصاحبه نظام الدين يحيى باعتباره نائباً له. فلما وصل إلى خراسان، كان أباء "نوقاي" بارعويي يفتقدون قتله في السر فصاروا لدم أبيهم، فكان نورور خائفاً منهم. وحلال هذه الأحداث توفيت "طوعان" زوجة نورور، وأخذ حاله في التدهور، ولكنه كان يتجند ويحشد ويجهز. وفي الثاني من رمضان سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م نزل غاران خان على صفاء

(١) المقصود قائد كنية جديداً كلف جندي.

(٢) أردبيل، من أشهر مدن أذربيجان. وهي مدينة كبيرة جداً وأنها بالقرب في سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م خرجوا تقع في صفاء فسيح، وبها عدة أنهار ولكن من طرب سداً أنها لا تبت شيئاً من الفواكه فندما للثول غيرة، وغربوها حراً تشاراً غير أنها سرعان ما عدلت إلى الارتفاع في عهدهم. بسبب إليها كثير من أهل القلم في كل من إسماعيل

البلدان، ج ١، ص ١٤٥ - ١٤٦.

"ناوور دولاً" طريق تيرير، حيث شيد الحديقة والجوسق المبارك. وفي تلك الأيام قدم سلطان "ماردين" وأعدى غارات مالا وهيرا من القنود والجواهر، ثم عاد مشحولاً بالرعاية والتكريم التام، وبمرء من الانتهاج وفي الثالث عشر من شوال قتلوا "حسام الدين لر" في "هشترود". وفي السادس والعشرين كان الاحتفال بعرض "نوبدي" والدة الأفرنت. وفي الثامن من ذي القعدة قتلوا بابهوت بس شيرامون بس جورماعون في "سه گبدان". [ص ٣١١].

بعد ذلك قدم سلطان الإسلام إلى مراغة حيث تعقد المرسد<sup>(١)</sup>. وقد أقيم الحكام هناك الولائم والاحتفالات. وفي ذلك اليوم عرسوا على غازان الرسالة التي كتبها إبلندار بس قونقرتاي إلى باشو بخرصة على التمرد والمعيان، فرحل غازان على الفور عائداً إلى المعسكرات. ثم قص على إبلندار وقتل بعد ثبوت التهمة عليه.

---

(١) أقام هذا المرسد العالم الفارسي الفلكي خواجه نصير الدين الطوسي. السني محمد بن محمد بن الحسن بأمر هولاكو خان في مدينة مراغة، وأعد يد بأذل الأجررة المعروضة في رماته، وألحق به مكتبة كبيرة تحوى ما يزيد على أربعة آلاف كتاب علم. وكان هناك علماء في الفلك من الصين يمتدحون الفنون والتصيح إلى جانب المهمة الأساسية التي كان يؤديها هذا المرسد، كان عبارة عن دار للفضاء والملاحة والأطباء انظر جامع التواريخ، المجلد الثاني - الجزء الأول. تاريخ هولاكو، الترجمة العربية، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ وما بعدها، غوت الفريجات تليف ابن شاكر الكتبي ج ٢ ص ٣٠٧ وما بعدها، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥١م، السوفوك للمترسري ج ١ ص ٢٤ ص ١٤٦١ نسخ نامة إبلنداي، تليف خواجه نصير الدين طوسي، باستقمة ونطبقات مغولي وصوى، ص مودع يست ويك (١٩ - ٢١) من مقدمة التحقيق، تهران ١٣٤٨ هـ (ش) موجز تاريخ العلم والمصنعة في الصين، تليف جوريت بيلغام، ترجمة غريب جوده، ص ١٢٨، نظرية للصربية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.

## حكاية

# توجه الرابات السلطانية إلى بغداد، وقتل افراسياب لـ وجمال الدين المستجرداني ومولانا عز الدين مظفر الشيرازي وولادة الأمير النجب أوجاي

في يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م تحركت الرابات السلطانية من مراغة قاصدة مشى بغداد، ثم سارت صوب همدان وفي الرابع والعشرين من الشهر المذكور، وصل نورس آغا من حراسان، هشتمه سلطان الإسلام بقطعه ورعايته. ولما كان بالثو من تشي يعمل في ممالك الروم مد عهد آبا قاخان سيطر هناك سيطرة تامة؛ خصوصاً بعد أن توفي سماعار موبان، وكان ابنه "عرب" لا يزال طفلاً. هذه الأسباب راد استبداد بالثو، واشتد بؤرته. وكلما استدعاه سلطان الإسلام، كان يتحمل الأعداء. وبعد قتل طغاجار جاور بؤرته وعطسته الحد، ولصق به اسم المتمرد.

وفي شهر سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، أبلوا عاراً - في الوقت المناسب، فتوجه الأمير قطع شاه إلى الروم بموجب العرمان مع ثلاث ألف جندي للنعصاء على قبة بالثو الذي احتبأ في كمين خلف أحد الجبال [ص ٣١٢]. فتعقبه الأمير قطع شاه مع سولاميش وعرب وبوركتاي أعول وأيشفا الذي كان في المقدمة - فلما وصل إلى ذلك الجبل، خرج بالثو من الكمين وقد جرح أناس من الطرفين. وعلى الأثر وصل الأمير قطع شاه إلى صحراء "ماليه"، وهزم بالثو بهزيمة واحدة. ثم أرسل الأمير قطع شاه "سولاميش" في إثره وعاد إلى مشى آران.

في ذلك الوقت كانت الرابات السلطانية تقصد بغداد. وعندما عادت إلى "مرج رك" (مرغزار رك) من منطقة همدان، قلد السلطان جمال الدين المستجرداني الوزارة بدلاً من شرف الدين السعدي، وكان ذلك في الثامن من ذي القعدة سنة خمس وتسعين وستمائة وقد أقام غازان هناك شهراً، ونشرف ببقاء حصرت ملك "المراني العجمي" (١)، وأجبروا

(١) لشعور بالمراني العجمي (إقليم الجبال) للمنطقة التي تكون حدودها على البحر القزاق - حلتها الشرقى مغارة حراسان ومارس وأسيهان وخرق غورستان، وحلتها الغربى لدرينجان، والشمالي بلاد الديلم وقزوین والري، وحدها =

للجاعات، ثم استأدوا على الانصراف. وكان "هورقنداق" قد عاد بعد أن هرع من جبابية أموال فارس وكان الأتابك "أفراسياب" قد هم بالرجوع بعد أن وجد الرعاية والتكريم من السلطان. عير أن "هورقنداق" أعاده من الطريق، واصطحبه معه. فلما وصل إلى الحصنة، استعصر منه غازان عن الأوضاع في فارس. فقال: إن العبد يعرض أولاً أحوال هذا "الأتابك" إذ أنه عد دهايي إلى فارس مررت ببلاد "أفراسياب" لم؟ فلم يجب لاستقبال آثار أتباعه في وجهه، وقالوا: لقد استوليا على هذا الملك محمد السيف، فكانت موارده إليهما وأصبحت حقا لنا. وأنا لن أتحديث عن إشارة الفتح الأخرى وقتل ياهو شحنة أصمهان والرحف بالهيش إلى أصمهان وغيرهم، وما صاحب ذلك من اعتقالات، وأمثال تلك التصرفات. فعصب سلطان الإسلام على أثر سماعه تلك للحالعات، وأمر يقتل أفراسياب<sup>(١)</sup>.

وعندما بلغ غازان وأتباعه منطقة قرية سيدان "ديه سيدان" حرص الشيخ محمود وصدر الدين الرجباني جماعة على التمرد والعصيان [ص ٣١٣]، وذلك بوشاية جمال الدين المستجرداني، فحقق معه في الناس والعشرين من ذي الحجة سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م وقتل ومن هلك سائر السلطان الأمير "خرمده" ابن سلطان العالم إلى خراسان ليكون نائباً عنه. وفي تلك الأيام وشى عر الدين المظفر الذي كان حفيد عميد فارس بحاكم ذلك الإقليم الشيخ جمال إبراهيم السوملي، وكان صدر الدين الرجباني متعاوناً معه ولما لم يستطع إثبات تهمة الخيانة على الحاكم، قتل الواشي عر الدين.

---

سالموري العراق وبس غورستان (انظر الدكتور ملحق موعين المصود الدولة الخوارزمية شأنها علاقتها مع القول الإسلامية نظمها العسكرية والإدارية ٤٩٠ ٦٢٨ هـ / ١٠٩٧ ١٢٣١م، ص ٣٢، حاشية ٥٧، بغداد ١٩٧٨م)

(١) يذكر شرف عثمان الديلمي أنه لما تولى غازان عيان كسر العزل. وبسط سلطانه على البلاد، بادى أفراسياب إلى تقديم الطاعة له، وإلى التشرف بالحصنة السلطانية. فخطب عليه السلطان وأبلغه في منصبه في سكرته لرئاسته. وفي سنة (٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) قتل كان غازان قد توجه فيها نحو بغداد كان الأتابك أفراسياب قد تشرف مرة أخرى عند حدود همدان بالجنات المشية، وقال لديها الخطرة والقبول. ولكم حين رجوعه إلى بلاده أفضى به في الطريق الأمير "هورقنداق" الذي كان حاكماً حصن من فارس فاصدا الحصنة للكلية، فقبض على عليه، وأعادته بالقوة والعصب إلى الحصنة ورجع إلى غازان عيان فتمسك ما صدر من أفراسياب من الأعمال الجذرة والتصرفات السيئة، وبلغ في ذلك مبالغة كبره حتى حمله على صفور الأمر بقتله (انظر كتاب شرفه، ج ١، ص ٣١ - ٣٢، ترجمة إلى العربية محمد علي حوي، وراجعه وقدم له يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٥٨م).

رسالة على لسان نوروز إلى حاجي نارين بخصوص هذا الموضوع، وذهب إليه، وتناول كأساً على سبيل الاحترام، ثم وصح الرسالة هي متاعه دون أن ينسه، ثم انصرف بعد ذلك أرسل الشيخ محمود أحماد سليمان إلى الحصرة لإطلاع غاران على ما حدث. وكان سلطان الإسلام قد عاد من موضع الهند على حدود كرمانشاهان، وجد في السير يوماً واحداً حتى بلغ (شهر آبان) التي تبعد ثلاثين فرسخاً.

وهي يوم الأحد الحادي والعشرين من جمادى الأولى، وصل الشيخ محمود وفطلب الدين أخو صدر الدين الرحمان، ومعهما قهصر إلى "شهر آبان" وعرضا على غاران موقف قهصر فقال له سلطان الإسلام: "قل الصدق". عندئذ عرض قهصر الموضوع بطريقة لم يثبت فيها أي ديب على الأمير نوروز. ثم طلبوا عينه، وأخرجوا منها الرسائل والنياب، [ص ٢١٧] وشهدوا جميعاً بأنها كتبت بخط حاجي رمضان كاتب الأمير نوروز. عندئذ أمر السلطان بقتل قهصر ذلك العلام صرباً بالمراوات، وتعهد الشيخ زاده بأن يعثر على العلامين الآخرين.

ثم ذهب بالفعل إلى بغداد لهذا الغرض، ولكن لم يبق له العنبر عليهما ولما لم يستطع القيام بما تعهد به قصوا عليه أيضاً. وكانت ديران العصب تصطرم في صدر السلطان غارن، وتغرق الأخضر واليابس، فقال: حيث إنه قد وقع الإطلاع على أسرار نوروز يعني اتخاذ شروط الحرم والاحتياط قبل ظهور آثار العنبر والمكر.

وعلى أثر ذلك صدرت الأوامر بأن يقوم الأمير نورين وباهجار باعتقال جميع آل نوروز من أبناء وأنصار وأتباع وقتلهم جميعاً. وعلى أثر ذلك رحلت الرايات السلطانية من هناك إلى الماروبية. وكان حاجي قد عزم على السير، فأدركه باهجار واعتقله، وسبق أتباعه إلى جهة أخرى. وكانوا قد قتلوا قبل ذلك ساتلميش نائب نوروز وابنه قتلتمور وأوردو بوقا ابن نوروز، وسبق حاجي نارين إلى مرج خانقي، فحلق معه الأمير نورين ولما ثبت إدانته بإخراج رسالة صدر الدين من أمتعه، جردوه من ملابسه، وطافوا به حول السيوف، ثم قتلوه ونهبوا دياره وأمواله. وفي تلك الظروف فرابه تعالى الذي كان في الثانية عشرة من عمره، ولجأ إلى دار الأمير احميل الذي كان أميراً لمعسكر الختانون المعظمة بولوغان الحراسانية، فحافظوا على الصبي هناك حتى سكن عصب السلطان، ثم عرضوا عليه حاله

وبما من اسلاك. وهو الآن ملازم لحاله الأمير حسبي، وسلموا خاصته وأتباعه لبولوغان حاتون الخراسانية [ص ٣١٨]. كذلك قتلوا كمال الصغير (كمال كويچك) الذي كان أيضا نائباً له. وقتل أيضا لكري في السابع من جمادى الآخرة في ميدان "ماهدهشت"، وعموا عن كشتك ابن أخي بورور، وأحبه يول قتل. وبسبب ذلك العنح سما الميكان الكبير "قتلح ميدان" كذلك أرسلت الأوامر إلى كل البلاد بقتل جميع أقارب بورور وأتباعه، وقصوا أيضا على شيدون وأهل بوقا أبي همدوقور على حدود قصر شيرى.

وفي يوم الثلاثاء العشرين من رجب، وصل إلى المحصرة الأمير المجل خريسته من خراسان. وفي الخامس من شعبان، وصل الأمير قتلح شاه إلى أسد آباد همدان قادما من ناحية موغان. وبعد ذلك قدم من ناحية لرى الأمير جويان وبولادنيا ثم صدر الأمر بأن يسير بولادنيا إلى خراسان لاعتقال بورور، ويلحق بهورقوداق والأمير سوتاي.

وبعد يومين سير أيضا الأمير قتلح شاه. وفي إثره أرسل قتلح كدك وفي أوائل شعبان اعتقل في بلاد الروم سولاميش وعرب بالو بن تجى بسبب ثمردهما، وأحصروهما إلى تبريز. ثم تحرك سلطان الإسلام من أسد آباد قاصدا مصيف آلتاغ، وسير من حدود "كره رود" خريسته ابن ملك العالم للمحافظة على بلاد خراسان وعندما وصل عازان إلى "بوشهر" جاءت الرسل بالشارة من قبل قتلح شاه. وهم يقولون: إن "بورور" اشتبك في القتال وانهرم وأحصر بولج أبا طوغان جوق في الرضاعة

ومؤدى هذه القصة أنه عندما وصل الأمير قتلح شاه إلى دامغان وجد أن هورقوداق وسوتاي كما قد قتلوا شخص بورور الذين كانوا في لرى ورامى وخوار وسما ودامغان وبسطام [ص ٣١٩].

ولما بيع فراد غاران اسفرايى، سار معهم أباء "بوقا تيمور آلمو" للأخذ بقصاص دم أبيهم من بورور. وفي تلك الأيام أعلى المدعو دانشمد قال: إحدى فرق بورور المكونة من ألف جدى، أعلى حصونه ودخله في الطاعة؛ فسيره قتلح شاه في الطبيعة ثم ذهب لوزيرتاي قران إلى نيسابور، وأخطر "بورور" بوصول جيش عازان، فرحل من هناك. وفي إحدى محطات البريد، واجه جيش دانشمد بهادر، فتحارب العريقان. ورغم أن جيش دانشمد كان قبل العدد، انهزم بورور وهرب مع عر قليل. وفي الصباح وقعت أمتهته

وحرائقه عيمة هي بد حصومه. ثم تعقبه بسرعة فائقة هورقوداق وأباء بوقاي يارعوجي مع عشرة آلاف جندي. وفي الليل وصل نوروز إلى ولاية جام حيث توجد قطعان حيوله ونزل بيها، وأمر الخدم بإعداد كمير خلف الجدران. وفي منتصف الليل وصل جنود عازان وأرادوا أن يسوقوا الخيول، ففتح نوروز وخدعه الكمير، وأحسروا ألوتار القسي، وأطلقوا السهام، فقتل خلق، وصار الباقون مشردين. وبهذا انهزم نوروز، وخرج جيش هذا الطرف (أي جيش غاران) غائرا منتصرا. وكان نوروز يسير على غير هدى، وهو مسهرم؛ حتى إذا وصل إلى باب هراة دعاه حاكمها صحر الدين بن شمس الدين كرت إلى داخل المدينة ففكر في ذلك الأمر. ولكن أمرامه بابكر وساربان وسلموم قالوا أيها الأمير! إن قلوبنا لا نطمئن إلى كلام هذا الرجل. والمصلحة تقتضي أن نمر بسلام من وراء هذا الجدار، ولا نتمادى على وعده. فقال نوروز: لقد فاتني أن لأدى صلاة الفرائض ثلاثة أيام، وأنا أريد قصاصها. فمضى الأمراء ونجوا بأنفسهم. ودخل نوروز مدينة هراة مع أربع مائة فارس وصعد القلعة [ص ٣٢٠] أما الأمير فبلغ شاه الذي كان يتعقبه، فإنه عندما وصل إلى مشهد طوس، رار القبر، وصلى ركعتين صلاة الحاجة، ثم سجد وتصرع إلى الله قائلا: "يا إلهي! إنني لا أدرى أمصيب أنا لم حظي في هذا الأمر؟.. فكلا الخصمى مسلم والسلطان مسلم. وأنت يا رب عالم الأسرار فإذا كنت تعرف أن "نوروز" مذنب، وعلى باطل، وغالف غاران وعصاه، فاجعله على يدي أسيرا محمولا".

ثم سار من هناك حتى إذا بلغ هراة، حاصر الجنود المدينة، وشرع الجانبان في القتال وكان الأميران نورعازي وجهجاي يماريان بشدة. وكان الطقس حارا جدا، فقاتلت جماعة من جند قتلغ شاه. إن المصلحة تقتضي بأن يعود لأن سور هراة حصين جدا، ولن يكون من السهل القضاء على الحصم نوروز فتكدر الأمير قتلغ شاه إلى أقصى حد، وقال: لقد صار الحصم ضيعما دليلا، وبقي خلف الجدار بلا أعوان وانصار، فكيف يعود، وما اللعذر الذي تقدمه إلى الحصرة؟! لا بد أن نصمم على الاستمرار في هذا الأمر، ونسمى في سبيل هذا الهدف حتى يتحقق الفتح المبين بفضل التأييد الرباني. ثم كلف شيخ الإسلام "جام" فجأة - الذي كان في صحبة الأمير - بأن يكتب رسالة إلى صهره للملك فخر الدين، يقول فيها على لسان قتلغ شاه: ينبغي أن تدبر هذا الأمر جيدا وإلا فإن مدينة هراة، وكل بلاد



خراسان سوف تروح ضحية لهذه القصة. وقد ديل قلع شاه هذه الرسالة بتوقيعه. ثم أرسلت إلى المدينة على يد أحد الجواسيس. فلما قرأها الملك حملها إلى نورور، فقال هذا للمعريس إليه: إنه ينصح من هذه القصة أن قلب الملك معى فى عاية الصديق والإخلاص. عنده قال حاجى رمضان نورور فى السر: إن المصلحة تقتضى [ص ٣٢١] أن نحتل الملك فخر الدين ونقيه حتى نهاية المركة؛ فإذا كان النصر لنا، فإننا بكرمه وبرعاه ونطلق سراحه، وإلا صيرف الجميع غدره وحياته. وبهذا يكون قد راعينا شروط القطة والاحتياط. ولكن "نورور" لم يسل هذا الكلام. وكان هاك رجل سحرى قد استرق السمع، فمضى على العور، وأبلغ الملك كل ما سمع، فعاف الملك، وتشاور مع عظماء المدينة وأعيانها، وقال: إن حدود عازان سوف يستولون على هذه المدينة ويأسرون ساءما وأبامنا، ونسقط أسرتنا العريقة مد للمقدم ثم إن "نورور" سيق أن أقسم لعازان بالآيمان المعلقة أنه لن يخاله أبدا. وقد حاله. وإذن قمصحتا فى أن سيقه ونقتله بالمكر والحيلة وعلى الخصوص والاطاعة. وعلياً أن نأخذ عهدا بالأمان من الأمير قلع، وسلمه له. فقال أهالى المدينة: إن رأى الملك هو الأعلى، فهو يرم كل ما يرمه صوابا.

بعد ذلك ذهب الملك إلى نورور بعد إجراء هذه المقدمة. وقال له: إن جودنا المرويس والعوريس يتراخون فى القتال. فالرأى أن ترسل رجلين من رجالك على رأس كل عشرة من جودنا كي يصرصوهم على القتال، ولا يسمحوا لهم بالتراخي. وباء عبي نصيحة الملك ورع نورور جميع جوده على تلك الجماعة، فشتتوا وتفرقوا، وبقي هو وحده فى القلعة ثم أوعر الملك إلى جوده بأن يحتفلوا جميع أتباع نورور، ويقدوهم. ثم صعد القلعة هو معه مع عدة رجال من العوريس الشجعان، واعتقل نورور، وأحكم وثاقه، وقال له: إن الفرمان يقضى بتسليمك للأمير قتلغ شاه.

ومن عجائب الأمور أن الملك فخر الدين كان فى عهد أبيه شمس الدين كرت عاقا إلى أقصى حد، وعبينا متفردا ومشاعيا. ولما فیده أبوه الملك شمس الدين، وسجده فى قبة "حيسار". وبعد أن وصل نورور إلى هاك، التمس إلى أبيه أن يطلق سراحه، فقال شمس الدين: أنا أعرفه جيدا، أعرف كيف أن له بها مجردة من الوفاء ومن حيث إنه لم يكن فيها لأبيه، فمن يكون وفيا لك أنت أيضا. ورع هذا صار نورور يبالغ وبلغ فى الشفاعة

له وأخيراً قال الملك: إني أطلق سراحه بشرط أن تعطيني تعهداً بمنى علي أن كل عمل يصدر عنه من الآن فصاعداً، يكون الأمير مسئولاً عنه؛ فأعطاه بورور تعهداً بذلك. وعلى هذا فك الملك شمس الدين قيوده وأطلق سراحه.

وعندما كان الملك فخر الدين يقوم باعتقال بورور، قال له: إني لم أسئ إليّ حتى تنكث العهد وتسمك دمي. وإذا كان لا مفر من العسر، فأعطني جوادى الكميث وسيهي حتى أركب الخواد بنون سرج وأحوص المعركة وسط هذا الجيش، فأقتل في الحرب كي أكون عازياً وشهيداً في آن واحد. فرد عليه الملك قائلاً: منذ الآن سوف ترى الحصان والسيف تحت أقدام الآخرين. وفي قصة أيديهم. وبمجرد أن اعتقل بورور، قطع فخر الدين رأس حاجي رمضان، وأرسله على يد رسول إلى الأمير قلع شاه، يلعبه بأعتقال بورور وإخوته وأتباعه. ثم طلب منه عهداً بالأمان حتى يكون ذلك شعباً له، وحتى لا يؤاخذ عاراً باسم المرويين، وأن يتسم على ذلك بالأيمان المطلقة. ثم التقى الرسول رأس حاجي أمام قلع شاه، وقال له: إن الملك يقدم الخسوع والطاعة، ويقول: لقد نهيأ بصر كبير بسعادة الأمير وإقباله، وأسر بورور وأتباعه واكلوا جميعاً بالأصعاد.

ولما رأى الأمير رأس حاجي رمضان، عرف أن كلام فخر الدين صدق، قال: بناء على شماس المرويين، كتب علاء الدين بصر الخطائي كتاب الأمان المؤكد، وذكر في مقدمته أيما معصية. ثم أرسل الأمير قلع شاه إلى القبة الأمير بولا دقبا وحواجه علاء الدين وشيخ الإسلام "جام" حامل هذا المکتوب بصواب الرسالة، فتلقى الملك مقدمهم بالترحيب والتكريم، وأعادهم معرّضين قائلاً لهم: سوف أرسل بورور لبلا مقبداً إلى حصرة الأمير.

بعد ذلك عاد الرسل على هذا النحو، وأطلقوا الأمير على ما حدث. وفي الليل أرسل الملك "بورور" مقبداً، وفي حراسة طائفة من الصباط المرويين؛ فسر قلع شاه بذلك الفتح سروراً بالغا. ثم سأل بورور: لم فعلت هذا؟ فرد عليه بقوله: إن عاراً يستطيع محاكمتي لا أنت وكلما سألوه بعد هذا، لم يجب عن أسئلتهم، وسب ذلك أنه لم يرتكب ذنباً قط، وأنه لا إثم عليه. ثم أمر قلع شاه بإرساله، وشقوه بصر، وأرسل رأسه إلى الحصرة. ومن هناك أرسل إلى بغداد، وظل في باب النوى عدة سنوات معلقاً على رأس عمود من الخشب كدلت قتل هاك أخواه أرعون حاجي وبولدوق. وكان ذلك في الثالث والعشرين من شوال سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م. والسلام.

## مكايبة

**ارتفاع شأن صدر الدين الترنجاني، وازدهار عمله**

**بسبب قتل الأمير نوروز، ووصول الرايات**

**السلطانية من ألتاغ إلي تبريز**

**ووضع أساس القبة العالية**

**في شم تبريز**

بعد قتل موروز رحل الأمير قتلغ شاه من ظاهر هراة، ومرل في مرج شوران (مرغور شوران)، كذلك قصي على قواد توروز؛ بوراجر والبهاق وتوكتال قرا وطائفة أخرى. [ص ٣٢٤]. أما قراسون فقد لاد بالمرل، وكان في حجة الأمير قتلغ شاه. كذلك رحل سلطان الإسلام من ألتاغ. وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة وصل إلى تبريز. وفي اليوم التالي قتل يالغو وابه في ميدان تبريز.

وعلى إثر قتل موروز، ارتفع شأن صدر الدين، وشمله السلطان برعايته، ومسحه الختم الأحمر (التمغا). وفي عرة ذي الحجة قدم سلطان الإسلام من شم إلى تبريز، وذهب إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة، وتصدق على الفقراء والمساكين بأموال طائلة. وكذلك فعل في الجمعة التالية. وفي يوم السبت السادس عشر من ذي الحجة سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م وضع أساس قبة عالية وسط حديقة العادلية بموضع "شم". وقد شجعت شععا كبيرا بهذا الأمر، وكان يتردد دائما على هذا المكان ليتعقد أعمال السائي والعمال. ولما رجعوا بآء سرداب القبة على وجه الأرض، سأله المهندسون عن عدد ما ينبغي أن يفتحوا من منافذ للإضاءة. صألم: لماذا؟ فأجابوا: كي يكون السرداب سيرا. فأجاب هو نفسه على هذا السؤال. ينبغي إيصال النور من هنا إلى هناك، وإلا فلا فائدة للسراء من ضوء الشمس غير الثابت. وفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة وصل قتلغ شاه بوبان من خراسان. وفي منتصف المحرم سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م وضع عازان العمامة على رأسه هو وكافة الأمراء. وفي اليوم التالي أقاموا الولائم والحفلات. وبعد أداء الصلاة في يوم الجمعة العشرين من المحرم سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م غادر عازان تبريز قاصدا مشتي أران. وفي ذلك الوقت كانت

تداع أبناء عن وقوع اضطرابات في جورجيا<sup>(١١)</sup>، فأرسل الأمير قتلح شاه وهو في الطريق إلى هالك كئي يتخصص شئون هذه الولاية، فقام بمهمته، وعاد سريعاً مصطحباً معه أخا الملك داود "وختانك" فوجدنا الرعاية والتكريم.

بعد ذلك غرقت المراهبات السلطانية إلى ناحية ياكو [ص ٣٢٩] وغادرت هذا الموضع بعد عدة أيام. وفي يوم الجمعة التاسع من ربيع الآخر سنة ١٢٩٧هـ/١٢٩٧م توفي الأمير السجل "ختاي أعل" في "دالان ناوور". وفي هذا البلد أيضاً ولد الأمير السجل "الجنو" في التاسع من جمادى الأولى سنة ١٢٩٧هـ/١٢٩٧م، وصار الجميع مسهكين في إقامة الولايات والاحتضانات والأعد بأسباب اللهو والفتنة والسلام.

---

(١١) تسمى أيضاً جورجستان. يسكنها جبل من الناس يرمون باسم الكرج (الجرج)، وهم عساري. فتحها تيمور في عام ١٣٨٥ (الربيع عشرة) وتطلى فصبه جورجيا، وضع في أعمال نهر الكر، وأرضها خصبة كثيرة الخيرات. (انظر معجم البلدان، ج ٤، ص ١٤٤٦ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢١٦).

## اختلال أحوال صدر الدين الزنجاني وإعدامه

في يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م جنا على ركبته السيد قطب الدين الشيرازي<sup>(١)</sup> ومعه القديس الخراساني، وعرضا على غازان موضوع خيانة صدر الدين الزنجاني وتلاعه في أموال البلاد.

وفي أغلب الأوقات كان بين مؤلف هذا الكتاب رشيد الطبيب وبين صدر الدين صداقة ومودة. وقد حاولت طائفة من أصحاب الديوان تكدير صمو العلاقات بين الصديقين وصاروا يفتلون الكلام من كل نوع للإيقاع بيسا. ولكني لم أكن ألتفت إلى مثل هذه المحاولات. ولما يتسوا سي، مصوا إلى صدر الدين، وكبوه على تحليطهم وشويهم وتلقهم؛ غير أنني لم أكن أعيا كثيرا بمثل هذه الأمور. وفي يوم الأحد منتصف جمادى الآخرة، ركب صدر الدين على ركبته في حصرة السلطان، وحاول إهانت بطريق العمر والدمر فشعلت بالرد عليه. ولكن نهره السلطان وقال له: إنه لم يتناولك بسوء مطلقا.

(١) هو العلامة قطب الدين محمود بن مسعود الكاروزي شيرازي. ولد سنة ٦٣٤هـ. وكان أبوه طبيا درس مقدمات علم الطب على يد والده وعنه كذلك برع في الحكمة والطب، واستكمل دراساته وسفره بعد أن اتصل بالخواجة نصير الدين الطوسي وشاركه في الأعمال الطبية التي يقوم بها في مرصده بمرافقه. وكان يتمتع بكاه باهر وعلمية مستمرة بعد ذلك رحل إلى بلاد الروم، وشغل منصب قاضي سيواس وملطية ثم سافر إلى الشام والقي بالضيوعي الكبير جلال الدين قروسي. وتوفي بلى لعل الفصول ثم عاد إلى تبريز، وكان معرا مكرما لدى السلطان أوجاينو. وفي مدينة تبريز كانت وفاته في سنة ٧١٠هـ.

بعد العلامة قطب الدين الشيرازي أحد العلماء الخراساني في العلم. وقد عرف عنه أنه رجل مرح. يتمتع بالطف وطرف، ويحب لعب الشطرنج والفرع على الرباب. وحكايات تروي عن روحه اللطيفة ومطباته العديدة. له مؤلفات عديدة باللغتين الفارسية والعربية منها شرح كتاب القانون في الطب لابن سينا وشرح حكمة الإشراف لشهاب الدين الشهرودي القننولي، وشرح مصابيح العلوم للسكاكي، وكتاب درة الشاه لشجرة الدماخ. وهو بالفارسية، ويتناول عموما عظمة (انظر عباس القبال. تاريخ مفصل إيران في استيلاي ممول في إعلان مشروطيت جلد أول في حلة بنگیر تاشكيل دولت پيسوری. ص ٢١٢، ٥٠٦، ٥٠٧. طهران ١٣١٢هـ. ش) بجموعه مقالات عباس القبال اختياني شامل مكشوفاتك مقلدة با مقدمه ومصحيح آقای دکتر محمد دیر سبانی بعنوان علامه قطب الدين شيرازي ومطابيات لؤ، ص ٢٩٠ - ٢٩٦، تهران ١٣٥٠هـ. ش) الشرق الإسلامي، ص ٣٥٥

وعندئذ شرعت في الكلام؛ غير أن السلطان قال لي: لا تلوث لسانك بالرد عليه، وحافظ على سريتك ومسدكك ولما انتهت براءتي، استاء صدر الدين من تلك الجماعة استياء شديدا؛ لأنها هي التي قامت بالسعاية والدمى لإفساد العلاقات بينا

وفي يوم الأحد سلع حمادى الأخيرة، قبض على طاجو أعول وأصحابه [ص ٣٢٦] وذلك بسبب إثارتهم الفتنة. كما قبض على الشيخ الذى يرافقه، والذي وعده بتقليده الحكم. وفجأة أبلغ السلطان تلك القصة. وفي الثاني من شهر رجب قتل طاجو أعول مع أربعة من أتباعه على صفة النهر الذى كانوا قد شقوه فى منطقة "دالان ماوور". وقد عر السلطان النهر، وشرل فى المعسكرات فى موضع "جوى نو" وعندما كان السلطان فى "دالان ماوور"، وكان الأمير قتل شاه قد عاد من جورجيا (جرجستان) أحد السلطان يعاتب صدر الدين بخصوص الأموال التى غلبى من هناك، فحافه صدر الدين، وعرض قتالا. إن أتباع قتل شاه خربوا ولاية جورجيا ولهذا السبب صار السلطان يعاتب الأمير فى صحوه وسكره. فما كان من الأمير إلا أن سأل صدر الدين قتالا: ألا تعلم من شكائى إلى حصرة غاران حتى صار يعاتبى؟!

فأجاب صدر الدين: إنه وشيد الدين.

وفي يوم "تورور"<sup>(١)</sup>، خرج الأمير قطع شاه من لندن حصرة غاران، وتصادف أن قابلى، فقال لي: لقد كنا سويا فى حاشية واحدة ولم يحدث بينا شيء قط يعكر صحو علاقاتنا وبسبب الأذى. وإذا فكيف أسأت إلى فى حصرة السلطان؟! . فرددت عليه قائلا: الحقيقة أنه لم يحقق ضرر منك مطلقا، بحيث أسىء إليك... بمعنى أن تصرح لي باسم الشخص الذى قال لك هذا الكلام، وإلا سوف أعرض الموضوع على حصرة السلطان. فلما لم يذكر اسم هذا الشخص، عرضت هذا الكلام على غاران. حال فى موضع الصيد. فاستدعى السلطان الأمير قطع شاه، وقال له: تلبية لرغبتى الشديدة، أصدقنى القول: من قال لك هذا الكلام؟! أجاب صدر الدين: فتصان سلطان الإسلام صيقا شديدا، وقال: مهما حاولت أن يترك هذا الرجل الحذاع والتمويه وإشارة العنى، كان ذلك دون جلوى؛ لأن طبيعته تجرى على هذا النمط.. [ص ٣٢٧]

(١) للوقوف على تفصيلات من تورور انظر كتاب تورور واقرء فى الأدب العربى، تأليف الدكتور مزاد عبد المطلب المصيلد، بيروت ١٩٧٢م.

وفي يوم الأربعاء السابع عشر من رجب صدر الأمر باعتقال صدر الدين، وأخيه قطب الدين أيضا. وفي يوم الجمعة التاسع عشر من رجب شرعوا في محاكمة صدر الدين، وكان يرد على المحققين بإجابات جريئة ودون مبالاة، ولم يكن يكثر بالفضاضة، ولو أنه أعطى فرصة الكلام لخص نفسه من تلك الورطة المائلة، غير أن السلطان أمر بأن يهوى قنطع شاه حياة صدر الدين.

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من رجب سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م وفي وقت الضحى وفي موضع "جوى جاندار" أسك الأمير سوتاي بإحدى يدي صدر الدين، وأمسك الپهلوان ملك عوري بيده الأخرى ثم قده الأمير قنطع شاه نصص<sup>(١)</sup>.

تعالى الله، فإن صدر الدين قد بذل من السعي والاجتهاد الشيء الكثير بحيث إنه في كل وقت، كان يهدف إلى إردعاه شأنه. وإن كل الصبي والفلاقل التي أثارها، كانت في سبيل تحقيق هذا الغرض. ولكن كانت عاقبة أمره، أن عندما وصل إلى غايته، لم يتمتع بما حصل عليه، ولم يبل بعينه.

بعد ذلك تحركت الرميات السلطانية من هناك إلى "ييلسوار" وواصل عازان عخان ومن معه الرحلة نحو الرحلة حتى يوم السبت الثاني عشر من شعبان عندما وصلوا إلى دار الملك تبريز. وفي يوم الإثنين الحادي والعشرين من شعبان قتل القاصي قطب الدين وابنه عنه قوام الملك علي باب بوابة "ورجوة" بتبريز أما القاصي زين الدين الذي كان من أقاربهما، فقد هرب ليلا من سجن تبريز وسار ناحية گيلان، وعاد بعد سنتين أو ثلاث سنوات ثم هرب ثانية. وأخيرا اعتقل وقتل.

---

(١) يقول عبد الله التوحي في أحداث سنة ٦٩٧هـ عنها أمر السلطان غازي بقتل صدر الدين أحمد بن عبد شروق الخلعي صاحب ديوان الملك لما ظهر من سوء حركاته، وكان غير محمود السمعة ظاهرا، أظهر الجاؤ، ولحق الناس على التماسه به، فأمر بهم، وبضمت مهابتهم ولطلب لمرورهم إلى أن لطف الله تعالى، ولحق السلطان (غياثي) إبطاك ثم صاعدا المردج كما سئل جمال الدين التمشيقي، ويبلغ في التصانيف والفتايات فلما قتل أمر بقتل أخيه قطب الدين بقتل، وطلب أخوه زين الدين الذي كان قاصي القصص ببنفاد، مهرب، ولحق بصاحب حيلان صال من السلطان الصغرى عنه، فأجاب سؤله فقال أن يند إلى القصص بالمرافق، فأعد وحبس بتبريز فهرب من الحبس، فأدرك وأبعد إليه وقتل. (المردت الحاضرة والتجارب النافعة من الملائكة السابعة، تحقيق الأستاذ مصطفى جولاء، ص ٤٩٥ - ٤٩٦، بغداد ١٣٥١هـ).

وفي يوم الأحد العاشر من شوال سنة ١٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م أثار عوام تبريز الشعب، وخربوا  
 باقي الكنائس، فعذب عليهم سلطان الإسلام، وعوقب بعض هؤلاء المشاعيين من مشيرى  
 العنة. وفي يوم الإثنين التاسع من دى القعدة توفي ساربان بن سونخاق موبان في تبريز  
 وفي الخامس والعشرين من دى القعدة توفي "بورلتاي أعلو" من دربة جوجى قسار.  
 والسلام.



## حكاية

### توجه الرايات السلطانية من دار الملك تميز إلى مشتى بغداد، وتفويض منصب الوزارة إلى الخواجه سعد الدين، ووصول خبر تمرد سولاميش، وزحف الجيش للقضاء عليه

في يوم الخميس الثالث من ذي الحجة سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م سار سلطان الإسلام من دار الملك تميز جنوب لوجان<sup>(١)</sup>، قاصدا مشتى بغداد وفوض منصب الوزارة إلى الصاحب الأعظم الخواجه سعد الدين الذي كان قد أكد سوابق حقوق التأييد بلواحق أنواع الوفاء وقام بشروط ومراسم اللازمة، والمرافقة في السراء والصراء، وفي الخل والترحال. ثم أرسل السلطان الأمير "نوريس" من دربند إلى لران للمحافظة على الأمن. وفي يوم الجمعة الثاني من المحرم سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م برل في مرج رك (مرعزار رك) على حدود همدان.

وفي شهر المحرم أيضا توفي ليس يوقا گوركان بن نوقاي يارغوجي ثم رحل السلطان في الناس من المحرم من مرهان. وفي منطقة بروجرد أعدم أبو بكر داذ قابادي الذي كان واليا على همدان بعد ثبوت إدانته.

بعد ذلك سار إلى ناحية جبل الأكراد وفي يوم السبت الثاني والعشرين من صفر، نزل في مرج جوقين (مرعزار جوقين) من أعمال واسط. ومن هناك مر ببطائح شيب، ودخل واسط. وفي ثلث الأيام كانت تصل نبأعا أبناء تمرد سولاميش في ولاية الروم.

وتتلخص تلك الحكاية في أنه بعد قتل بالنتو، عهد سلطان الإسلام بإسارة الروم إلى الأمراء باليسجار وبوجقور ودفور تيمور. وكان سولاميش يحسه أمير أسراء جيش الروم

---

(١) لوجان أو أجان مدينة تقع على بعد عشرة فراسخ من تبريز في طريق ميانة وقد وصفت بقوت أبنان لقبال عنها إنها مدينة عليها سور وبها سوق. إلا أن الخراب خفي بها ولكن بعد عصر بقوت أحماد غازان بناتها ولقام فيها رما، وأطلق عليها اسما جديدا هو "شهر إسلام" أي مدينة الإسلام. وكانت نواحيها وقرى والغارات، يكثر عنها القتل والفسح والفرار (مجمع البلدان، ج ١، ص ١١٠٠، نزهة القلوب، ص ١٩١، مارتولد، تذكرة جغرافية تاريخي إيران، ترجمة حمزة سرفاتور، ص ٢٧٣، طهران ١٣٠٨هـ، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٩٨).

**[ص ٣٢٩].** ولما عزل السلطان مسعود بتهمة انتمائه لباتو عهدوا بالسلطة إلى ابن أخيه علاء الدين كيقباد بن فرامرر فذهب مع الأمراء المذكورين إلى الروم. وفي ذلك الشتاء كان البرد شديدا جدا في تلك المناطق، ونساقطت ثلوج كثيرة سدت الطرق، فانقطعت الأخبار وقد شاعت أنباء تعبد بأن أحوال المعسكر قد ساءت واصطربت.

وقد اغتنم سولاميش هذه الفرصة، فاتفق مع قبائل طاشتمور وطائفة أخرى، وهجأة ألقى القبض على يامسجار وبوجفور وقتلهما، وشرع سولاميش في المصيان والمخالعة. ثم استدعى الجيود من أطراف الشام وبواحيها، وأدخل في طاعته الجيود الذين كانوا يقيمون في ولاية دانيشمد، واستفروا في صحراء "قازاندله". ثم جمع عددا كبيرا لا يحصى من الصعاليك والرعاغ. وكان يهدق على الجيود أموال الولايات وأملاكها حتى اجتمع حوله ما يقرب من خمسين ألف فارس، وكذلك قتل السوريون أن يمدوه بعشرين ألف جندي وأطلق اسم الأمراء على طائفة منهم، وأعطاهم الأعلام والطبول. وقد اشتدت حرارته لأن الطريق كان مسدودا، ولا يصل الرسل والسعاة من هذه الجهة.

فلما وصلت تلك الأنباء إلى السمع المبارك لسلطان الإسلام عازان، أمر بأن يسير الأمير قتلغ شاه على رأس جيش في يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م عن طريق ديار بكر فاصدا بلاد الروم للقضاء على سولاميش، وأسرع الأمير چوپان بهادر، فسار في القفمة، وفي إثره الأمير قتلغ شاه أما الأمير سوناي فقد سار على رأس جيش آخر. وفي فصل الربيع تقابل الجيشان في صحراء أقشهر التابعة لأردرجان. وقد دارت الحرب في الرابع والعشرين من رجب سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م. وبعد أن انهزم سولاميش، توجه إلى ديار الشام، فقبض عليه الأمراء وأحضره **[ص ٣٣٠]**

بعد ذلك رحل سلطان الإسلام من جوقين فاصدا بغداد. وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى توجه من مدينة بيل (شهرنيل) إلى مشهد أمير المؤمنين علي (رحمى الله عنه) مراره، وشمل بعظمه ورعايته القميين والنجافيين للمشهد المقدس وخصهم بالإنعامات والصفقات.

وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى، قدم جمع من أسراء الشام ومصر وهم سيف الدين قنجاك وسيف الدين بيكيمور والبيكي وعرار الدين كانوا قد انقلبوا على

حاكم مصر لاجئ بسبب تألهمه. وكان معهم ثلاثمائة فارس. وهي رأس العبي سمعوا خبر وفاة لاجئ، فماتوا. ولكن لم تكن هناك حملة أخرى. وقد تحسّنوا إلى غارات خان بأنواع من الكلام لث والسم. وفي الثالث من جمادى الآخرة، نزل سلطان الإسلام في بغداد. وفي يوم الخميس الخامس عشر من الشهر المذكور، ركب السلطان من بغداد واتجه إلى الموصل ومن حملة المصريين الذين دخلوا في الطاعة "بورلار" الذي فر مع طائفة أخرى فتعقبهم الجيش المصري، وقتل أغلب السوريين، وأسر سبعة أشخاص، وفر بورلار وحده وبها.

وفي أوائل شعبان سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م هرب هوج من القراواس، ومقدمهم المدعو بوقا، وهؤلاء كانوا يقيمون في صواحي طارم، وساروا عن طريق العراق، واحتاروا حدود كرد وكرمان. وفي الطريق صاروا يهرون ويهون، ثم انضموا إلى الكورد في "بيسي كاو" [ص ٣٣١] وفي يوم السبت الرابع عشر من شعبان وصل بالبشارة من الروم بملاقو سكورجي معلنا أن الأمير جويان وباشرد قد هزما سولاميش، ولكنه هرب مع عدد قليل. غير أن جميع الجنود الذين كانوا تحت إمرته دخلوا في الطاعة، وقتل العدو أخو ايلجيداي فوشجي الذي كان قد ذهب معه. كذلك اعتقل إقبال بن أوردقو بن ايلكاي بومان وطاشتمور الخطائي، وجاءوا بهما.

بعد ذلك نزل سلطان الإسلام في قوجي الكبرى (قوجي بزرگ) من منطقة سهورلوق ووصل "بورس آقا" إلى "قرية شيرة" عائدا من أراك. وفي الخامس والعشرين من شعبان نزلت الرايات السلطانية في أوجان. كذلك وصل الأمير النحل خربنده من منطقة غراسان فاستبشر الأخوان بلقاء الواحد منهما الآخر وصاروا أكثر تعاوناً وتآزراً. ثم شرع السلطان

---

(١) عرف الكورديون بهذا الاسم نسبة إلى دهمهم "كورد" وهو من سلالة چنگر خان. وقد اتفق أول الأمر بتمتع هؤلاء خان، ثم ثار عليه، وهاجر مع قبيلته وأتباعه إلى أراضي الساسان الحالية. وانضاب هؤلاء الكورد فيهم الذين كانوا قبيلة "هزاره" هناك، وكانوا يذهبون للإغارة على غراسان وسجستان وكرمان ومارس وعلى أديهم دمرد فارس عام ٦٧٧هـ. بعد أن نجحت من غارات لقلول عند دمرد إيران. هذا، وقد ظل الكورد يهرون يهرون على حدود إيران وخطمون ويهرون. كذلك أماروا على فرد في عهد مبارز الذي عهد المظفر، وظل يحاربهم إلى أن استسلمت شملتهم (مظفر مارولد تذكره جغرافياي ملوكي إيران، ترجمة حمزة سرمدانور "مطلب راند" ص ١٣٤، چاپ لول، طهران ١٣٠٨هـ. ش) شرف خان القليلي، شرقنامه ج ٢، ص ٢٧).

وأعوانه في عقد مجلس الشورى (القوريلتاي)، وأقاموا الولائم والاحتفالات. ولما فرغوا من المشاورات والمداولات في مجلس الشورى، قتلوا "بئسال" في الثامن من شعبان وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رمضان قتل أمراء الروم: كوره وجركس وأيس الذهب كانوا متحدين مع سولاميش. وفي يوم الخميس السادس عشر من شوال سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م تزوج سلطان الإسلام من كرامون خاتون ابنة قتلغيمور بن أباتاي بويك، ودفع مهرها لها ستين ثوباً من القندم والمزحر، وأقام حفل الزفاف، وأمرها في المعسكر الأعظم في مكان "دوقور خاتون". وفي أوائل ذي الحجة أمر بأن يهود الأمير السجل "خريده" إلى خراسان وأن يحفظ ذلك الإقليم من الاضطرابات.

وفي يوم الجمعة الرابع عشر من ذي الحجة مرلت الرايات السلطانية [ص ٣٣٢] في العاصمة تبريز. وأخيراً قبض على "سولاميش"، وأحصر من الروم وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ذي الحجة، قتل في ميدان تبريز بصورة يشعة ثم أحرقت جثته، ودروا رمادها في الهواء. وعلى أثر ذلك شعر سلطان الإسلام بتعب بسبب رمذ أصابه، فصار الناس يحرقون الخمريل (نوع من البخور) للدفع بإصابة العين عنه. وكانوا يدعون الله، متمسكين له بالشعاع والسلام.

## حكاية نوجه سلطان الإسلام إلي ناحية الشام ومصر ومخاربه المصريين وهميمهم وفتح ولاية الشام

في تلك الأيام التي قدم فيها سلطان الإسلام باليمن والإقبال إلى ثبر، كان الرسل يصلون متتابعين من ناحية الروم وديار بكر ويبلغون أن السورس زحفوا إلى حدود تلك الولاية يهاجمون ويقطعون الطريق ويحرقون العلات ويشقون على المسلمين. وقد حاصروا ماردس، وأسروا الكثير من المسلمين. وفي شهر رمضان هتكوا أعراس بنات المسلمين وشرب بعضهم الخمر كذلك. ولكن سلمت قلعة ماردس وحدها من شرهم، إلا أنهم أعادوا على بقية المدينة والولاية. ثم مضوا من هناك إلى ديسر<sup>(١)</sup>، وارتكوا هذه المكرات وأرادوا تكرارها في "رأس العين"<sup>(٢)</sup> أيضا. ولكن الناس هناك كانوا جودا شجعان التحموا بالمتدين في معركة في الأرفة الضيقة بالمدينة، فمضوا عن التغلب عليهم؛ غير أنهم نهوا كل ما وجنوه خارج المدينة من الدواب وغيرها. وفي حلب صاروا يبيعون - على سبيل الشكر والامتنان - أسرى المسلمين بأعلى الأثمان.

فلما بلغت هذه الأخبار السمع المبارك لسلطان الإسلام، تميز عيضا لشدة غيظه على الدين وحمة الإسلام [ص ٣٣٣]، ورأى لزاما عليه المبادرة بالقضاء على شر أولئك الطغاة وبعد أن استمضى أئمة الدين وعلماء الإسلام، أفتوه جميعا أن دفع شرهم عن ممالك المسلمين

(١) ديسر بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردس، بينهما فرسخان. ولما اسم أشهر هو "جوج حصار" رآها بالوقت وهو صبي وقد صارت قرية، ثم رآها بعد ذلك بنحو ثلاث سنين. وقد صارت "مصر" لا تظهر لها كثرة وكثرة لعل وعظم أسواق. ليس بها نهر جار إنما يشرب الأهل من آبار عذبة طيبة، وهولاءها صحيح (مصمم القلعة، ج ٢، ص ٤٧٨)

(٢) رأس العين هي من الجزيرة على مسيرة يومين من حرقة، وتشتهر بكثرة عيونها التي تبلغ ٣٦٠ عينا تصب في نهر الخابور، وتخرج هذه العيون فتنسج بساتينها وتغلبها كأنها بستان واحد. وتنتج رأس العين بطنين جميل جدا، ويكثر بها الفلفل والقمح والكروم. (تقويم القلعة، ص ١٢٧٩ ترجمة القسوس، ص ١٢٢ بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٥).

الذين هم في دمة همة السلطنة؛ فأمر بمشدد الجيوش وسير حسب ما تقتضيه المصلحة -  
الأمراء من اليمن واليسار.

وفي يوم الجمعة التاسع عشر من المحرم سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م تحركت الرابات من دفر  
الملك تبرير نحو الشام. وفي اليوم التالي رحل من ظاهر مدمجة مراغة، واستدعي "تورين آقا"  
من دهجواركان كي يسير إلى أراش، وعبر نهر الراب في العاشر من صفر، وعسكر في  
مقابل قلعة كشاف. وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من صفر تحرك بالطالغ المبارك لبرج  
الحوت، وودع الخواتم الثلاثي كي قد سرن من الموصل لتوديعه، ثم عدل من حيث أتى.  
وفي يوم السبت الخامس والعشرين من صفر، وصل إلى حدود نصيب<sup>(١)</sup>، واستعرض  
الجيوش، وفي يوم الإثنين السابع والعشرين من صفر سير قطع شاه نوبان في المقدمة على  
رأس جيش. وفي يوم الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول، عبر باليمن والفرقة نهر الفرات  
في معاداة قلعة جعفر وصفي، ووصلت أناء حسنة تبيد أن خلافا قد وقع بين الأعداء<sup>(٢)</sup>

وفي يوم الأحد السابع والعشرين من ربيع الأول، وصلت الرابات السلطانية إلى مدينة  
حلب، ثم رحلت من هناك. وفي الطريق صادف جيود عاران المروح والخقول، فاتبهوا  
برؤيتها فأتى. سوف نطعم العلات عندك لوى السلطان العالي، وخرج من جانب الرورع  
وصرح قائلا: إن كل غنوق يمد يده إلى هذه العلال أو العلال الأخرى [ص ٢٣٤] التي  
سوف تصل إليها، ويحاولها أو يطعمها غيره، سوف يقتل على الفور، لأنه ليس مستساعا أن  
نطعم الدواب عداة الإنسان.

وفي يوم الثلاثاء التاسع عشر من ربيع الأول ركلوا بمسطقة "سرمين"<sup>(٣)</sup>، وهر معلكاش  
أجاسي مع أتباع قيجاق. وفي يوم الإثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول اجتاز مدينة  
حماة وبرل بجوار مدينة سلمية. وهناك ظهر برك<sup>(٤)</sup> الأعداء

---

(١) نصيب. من نظم مند الجزيرة شانا، وهي محصورة بالورد الأبيض ولا توجد فيها ورود حمراء. وتقع شمال  
سجلار وجبل نصيب هو الجودي وهو الذي يقال إن سبعة نوح استقرت عليه. وتعتبر نصيب بكثره علائها من  
الحبوب والقمح والتمر (تقويم البلدان، ص ١٢٨٢ بلدان الثلاثة الشرقية، ص ١١٢).

(٢) المقصود المؤامرة الخطيرة التي دبرها وعملها قبيلة الأورمية (العمورية) بالتعاون مع الأمراء الفاطميين؛ وذلك بقصد  
استيلاء السلطان وإعادة صاحبهم كتبها إلى عرش مصر. وبالرغم من أن هذه المؤامرة قد انحطت، كانت سببا في  
تأخر رحيل الجيش المصري، وأصبح الروح المعنوية للجنود (التقويم السلوكي، ج ١، ص ٨٨٣ - ٨٨٤).

(٣) سرمين. تقع جنوبي حلب وهي على منتصف الطريق بين حمص وحلب. وتعتبر سرمين بأنها ذات أشجار كثيرة  
من زيتون وغيره. وليس لها ماء إلا ما يقع من الأمطار في الشتاء. (تقويم البلدان، ص ٢٦٤ - ٢٦٥)

(٤) البرك وليس القسي، ومن يراقب من معنى هذه (أبو الحباس ابن تيري بردي النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٧٣).

وعندما رأى سلطان الإسلام جوده كأنهم في علة، داهى عن التأهب للحرب، سار باليس والإقبال مع طائفة من الأبطال الشجعان كي يتخذ الحيلة في تحشد مكان المعركة ولينطلق على أحوال الأعداء، ثم لم يأن يبادى في المعسكر أن الأعداء قد وصلوا. عندئذ استعد جنود المعول لخص للركة، وشغل الجميع بإعداد أسلحتهم، وصاروا متأهبين للقتال بعد ذلك عاد الأمير جويان وقال: ليس هناك أثر لجيش الأعداء. وكان الفرض من إداة هذا البأ على حد قول السلطان: أن سه إلى أنسا قد اقتربا من الأعداء، فعليكم أن تكونوا يفتي متنبهين، وأن تقفوا مستعدين متحضرين. وكان عازان قد احتاط للأمر وعرف أن المصريين قد نزلوا في نفس الموضع الذي كان قد احتشد فيه الجسد في عهد "مكوتيمور"، وأنهم قد احتلوا المكان الأصيل وحتى يكون المكان الرديء لجسد هذا الطرف (أى جند عازان)، فكر في إفساد خططهم، ورأى من المصلحة عدم مواجهتهم فعال بمسيرته التي تقابل ميمة الأعداء.

وهي يوم الأربعاء السابع من ربيع الأول، نزل عازان على صعايف نهر صغير على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة حمص وأمر جوده بأن يأخذوا كفاتهم من الماء لمدة ثلاثة أيام، وأن يسدكوا طريق الصحراء، ويتعقبوا الأعداء حتى يجبروهم بالضرورة إلى التوجه إلى تلك الساحة، فيظل بذلك خططهم التي وصوها. وقد شغل الناس بأخذ حاجتهم من الماء، وظن المصريون أن جنود المعول قد اتجهوا إلى اليسار لتوقعهم الفريسة. وكان من المقرر أن يمدروا في يوم الخميس، ولإيهام الأعداء بالمريمة، ركبوا دفعة واحدة في يوم الأربعاء [ص ٣٣٥] وتقابلوا وجهها لوجه.

ولما علم سلطان الإسلام عازان عن وصول الأعداء، صلى ركعتين بنية صادقة مع جميع الجيود، ثم ركب، وجاء في مواجهة الأعداء مع من كان حاصرا معه من الجيود. وكان الأمير "مولاي" على رأس الميمنة، ويلي الأمير راده ساتلميش، وبعده الأمير قلع شاه ومن بعدهم "بمس" و"مرتد"، كل مع فرقة المكومة من عشرة آلاف جندي (تومان). أما سلطان الإسلام فقد وقف في القلب كأنه جبل شامخ وكان في مقعدة القلب الأمراء: جويان و"سلطان جويان" على اليمين، وسلطان على اليسار. وكان على ميمة القلب طمريلجه بن آجو سكورجي، وخلف القلب وريرا السلطان من ذوي المرتبة السامية وبعد

المعروف للجميع أن حكم هؤلاء القوم آل إليهم اتفاقا وليس استحفاقا، فكلهم كانوا عبيدا لأسرة جد سلطان الإسلام المشهور. ثم قال لهم سلطان الإسلام [ص ٢٣٧]: ليس هناك خير من وجودكم أحياء، ولكن يوجد في الموتى من أسلافكم كثير من الخير والبركة، وبني لأحظركم بأنى سوف اصبح عكم أنتم المهال إكراما هؤلاء الموتى فاستشر بذلك أهالى دمشق إلى أقصى حد، وقويت عزائمهم، ودعوا للدولة كثيرا

وهي الثانية من ربيع الآخر ذهب إلى ميدان الحصا للتصريح. وعندما وجد زحاما ناصرا للعبادة، رأى من الواجب صيانتها والحفاظ عليه. ثم هي جماعة من الحراس على بوابة "باب نوما" حتى لا يدعوا الجيود يشقون على سكان المدينة، وأمر بإغلاق البوابات السبع الأخرى وبألا يتجول الجيود في الساتى، ولا يخرجوها. ثم ولي "قبحاق" إمارة دمشق؛ إذ إنه كان من قبل أميرا هناك، وبذلك دخل في الطاعة. وعين قتلعا شحة على المدينة، وقرر أن يهد بالتصرف في الأموال والمحافظة عليها إلى ناصر الدين أمين الشيرازي وسيد ريس الدين كما كان الوصع سابقا، وكلعهما بالتصرف حسب القواعد المعهودة والمعتادة. وإذا عرض لهما أمر هام، فإن عليهما أن يعرضا على وزيرى الحصرة. وهناك طائفة من ملازمى السلطان الدين كانوا هناك مثل كتاب الخزانة والجيوش وغيرهم، وهؤلاء جميعا شملهم برعايته، وقرر أن يستمروا في أداء أعمالهم.

بعد ذلك عرض الأمراء رأيهم على عازان قاتلى "حيث إن أهل القلعة لا يدخلون في طاعتنا، لا يمكن أن نخلص لنا سكان المدينة وإذن فالمصلحة تقتضى بأن نغير على المدينة. ولقد اتفق جميع الأمراء على هذا الرأى. ولقد استولى القلق والرعب على أهل المدينة إلى أقصى حد. ولكن سلطان الإسلام رقى لحافهم، ولم يقبل هذا الرأى، وأصدر فرمانا بقضى بألا يشق أى مخلوق على أهل المدينة، ولا يتعرض لهم بسوء، وأن يسمع صعا باتا كل واحد من الأمراء والجيود يريد أن يدخل المدينة، ما لم يكن لديه تصريح خاص من الديوان.

وهي يوم الثلاثاء الثامن عشر من الشهر شعبان للأمر الذى كان قد صدر بخصوص السماح بارتداد الخدائق، وقطع الأغصان الملائمة للمسجدين [ص ٢٣٨] بقصد الاستيلاء على القلعة، ألقى جمع من سياس الجيول والأرمن والكرك والأتباع بأنفسهم فى ساحة الصالحية وقاموا بالقتل والنهب والأسر؛ فعصب سلطان الإسلام من ذلك التصرف. وعلى



الغور أمر أرعى من قوعى بن كيتوبوقا بالذهاب إلى هناك وحماية الناس، وقتل الأشخاص الذين شربوا العارات، واعتصموا أموال الناس. فلما وصل هذا القائد تعرفت جموع الجند الذين كانوا قد عاثوا فسادا. وأحد جهود أرعى يبحثون عن دهار الكرج والأرمن واستعادوا منهم الأسرى، وأطلقوا سراحهم.

وفى يوم السبت التاسع والعشرين من ربيع الآخر عام مولاي الذى كان قد تعقب المهزمين حتى عرة. وحيث أن الجو كان قد مال إلى الحرارة، لم يهتم السلطان عازان بأهل القلعة الذين كانوا قد خرجوا على طاعة مصر.

وفى يوم السبت الثامن عشر من جمادى الأولى عام من دمشق، وترك الأمير فتبع شاه والأمير جويان للمحافظة على استتباب الأمن هناك على أن يعودا إذا ما حل الربيع. ثم كلف الأمير مولاي بأن يقيم هناك على رأس جيش كبير، وعين ناصر الدين يحيى ليكون فى خدمة قهچاق وأسد عملا مناسباً لكل من ييكبوز وأيليكى الدينى كانا قد قدما إلى المحصرة ولكنهما وكذلك قهچاق سوا حق نعمة سلطان الإسلام ورعايته لهم. وكانوا يشعرون بالإشاعات المختلفة مما كان سببا فى عودة الأمير مولاي والجماعة.

وصفوة القول أن سلطان الإسلام عبر نهر العرات فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى فى محادثة قلعة جعير على جسر كان قد اقترح إنشائه، وهو مصنوع من حرم القصب، ومربوط بحبال من ليف الأشجار. وفى تلك اليوم أهدا لحق بمصارب الخيام ووصل "سلطان يسارول" الذى كان قد سار إلى عرة. وعلى حدود مسجار لحق السلطان بالخوئين. كذلك وصل رسل كرماد، وعرضوا على عازان بخان بأشرد محمود شاه وأشياعه، وقتل علامة العالم مولانا فخر الدين [ص ٣٣٩] فاضى حراة ولولاده بسبب العث الذى أثاروها.

وفى يوم الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الآخرة، وصل السلطان إلى الموصل وفى يوم الأحد الخامس من رجب، قدم قتلغ شاه بويان من الشام، وأخبر عازان بمخالفة قهچاق وأتباعه. وفى عرة شعبان عبر سلطان الإسلام نهر دجلة. وفى السابع عشر من شعبان وصل الأمير مولاي من دمشق. وفى التاسع عشر من شعبان سعد بشرى لقاء المحصرة - هى منطقة دربند ريكى الأمير نورى وجيجاك وطوغان الدينى كانوا قد عادوا من أران، وفى

يوم السبت الخامس عشر من رمضان، نزلت الرابيات السلطانية في مرادة وذهب في اليوم التالي لمشاهدة المرصد، ورأى كل أعماله وأجهزته، وتمحصها بأكملها بشأن تمام، واستعسر عن كيفية استعمال كل منها. ورغم وجود مفصلات دقيقة تتعلق بها، فهم أكثرها. ثم أمر بأن يقام مرصد آخر بجوار القبة العالية ومواضع أبواب البر في "شم"، على أن ينتص بعدة أعمال شرحها كلها بوصوح، لدرجة أن الحاضرين من الحكماء قد أعجبوا بحسن استنباطه إذ إنهم لم يقوموا مثل هذا العمل في أي عهد من العهود وقد بين الحكماء لعاريان حان أن إقامة هذا المرصد أمر متعذر للعالية؛ فعلمهم ولرشدتهم، وشرعوا في إقامة هذا المرصد على سبيل الشجيرة والاختيار، وأنصوه حسب تعليمات السلطان. وهم وجميع المهندسين المهرة مجتمعون على أن أحدا لم يقم مثل هذا المرصد، ولم يعرف له نظيرا. ثم رحل عازان من هناك، وقدم إلى أوجان.

وهي يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شوال، شرعوا في عقد مجلس الشورى (القموريات). وبعد أن انقضى المجلس توفي الأمير النجل آلبو في يوم السبت الثالث من ذي الحجة سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م في أوجان، وحمل جثمانه إلى القبة العالية بتبرير. وهي السادس من ذي الحجة استأذن الأمير النجل غريمده في العودة إلى خراسان. أما غاريان فكان معه فقد عزم على الرحيل باليمن والإقبال إلى دار الملك نيربر وكان يذهب كل يوم للإشراف على تشييد القبة العالية. والسلام.

## حكاية توجه سلطان الإسلام إلي الشام ومصر للمرة الثانية

لما دخل فصل الحريف عقد عازان حاد عرمة على السر مرة ثانية إلى ديار الشام وهي يوم الإثنين عرة المهرم سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م سير الأمير قتلح شاه في المقدمة على رأس جيش كبير.

وفي الخامس عشر من الشهر المذكور غادرت الرايات السلطانية تبرير، وهي على هذا العزم. وفي الثالث من صفر أعاد يوربي أنفا من "جماتو" كتي يمتص إلى أرن. وفي الرابع من ربيع الأول وصل باليمن والإقبال إلى مدينة الموصل، وأمضى يومين أو ثلاثة في الأُس والسُرور ثم سار إلى منطقة "أبو ميري" بناء على اختيار الجند وسير الأميرين چوهران ومولاي في المقدمة.

وفي ذلك الوقت توفيت طعناشاه خاتون بنت مبار كشاه في منطقة سنجار. وفي السادس من ربيع الآخر عادت الخوارجي اللاتي قدمن من رأس العين لتوديع عازان. وفي الثاني عشر من ربيع الآخر وصل "شيفا" من قبل الجيش، وأخير قائلا إن يركسا (رئيس عسسا) ذاهب بعدة فرسان، "كوشلوك" طليعة جيش الأعداء، وقتل مهم أسيرا

وفي السابع من صفر عبر سلطان الإسلام المرات بمحادثة جعير وصعين. وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من صفر برز في أعلى "جول" على مفرة من حلب ثم وصل "قبرنو بهادر"، ومعه العديد من السوربي الذين كان قد أسرهم. وفي السابع والعشرين شاعت الأراجيف عن وصول الأعداء، فهب الجيش كله دفعة واحدة. ولكن اتضح بعد التدقيق أن هذه الأخبار ملفقة تتحلوا عن حالة التأهب الفصوى. وفي الخامس من جمادى الأولى اجتاروا حلب، وبرلوا في رباط "رصيحي" على ضفاف نهر "توقق" الذي هو عبارة عن وادي نهر مدينة حلب. وفي السابع من الشهر حلوا بمحادثة قسري.

ولما لم تكن هناك أخبار عن الأعداء، ولم يخرج سلطان مصر خوفا ورعبا، رأى سلطان الإسلام بيلاذ للمسلمين، ولم يتقدم أبعد من ذلك، ولمر بأن يربط قتلح شاه مع جيشه في

"سرمين". وكان المطر غزيراً في ذلك الشتاء. [ص ٣٤١] وقد اتفق أن نزل في موضع ردى الأمير سوتاي مع بعض من جود الأمير "شباوجي" الذين قدموا من الروم وعجأة هطل مطر غزير<sup>(١)</sup>، واشتد البرد، وظهر وحل كثيراً بحيث إنه لم يستطع الأميران أن يتصل أحدهما بالآخر وذلك كثير من دوابهما بسبب الوحل والبرد. ولهذا أرسل السلطان عازان الأمير مولاي مع تومان من الجنود (عشرة آلاف جندي) حتى يقبضوا المحاصرين بدوابهم وعندما وصلوا إلى هاك، استطاعوا أن ينقذوا أنفسهم بألف حيلة (بصعوبة بالغة).

وفي الناس والعشرين من جمادى الأولى عاد السلطان، واحترق الجسر الذي كان قد أقيم بمحاذاة مدينة الرقة، وزار قبر عمال من باسر وشهداء صميم (رعى الله عنهم). وفي يوم السبت الخامس عشر من جمادى الآخرة لحق بالخوانسار والجنود في موضع "چهار طاق" أدبي سجار. وفي سلخ ربيع الآخر توفي الأمير ساتلميش بن بورالغى من أقارب "التاجو آقا" على حدود كشاف، فعزل السلطان حرباً شديداً لئلا وفاته. وفي يوم الخميس الحادي عشر من رجب وصل من الشام "سلطان يساول" وفي منتصف رجب عاد أيضاً الأمير قنص شاه، وأمضى مع مرافقيه عدة أيام في تلك المنطقة في الأسى والمتعة والصيد.

وكانت يوم كان سلطان الإسلام يدعو وراء أحد المرال ورماء سهم. وبدا كأن السهم لم يصبه. ولكن سقط المرال فجأة فاحتاط أتباع السلطان للأمر غير أنه اتضح أن المرال أصيب من ذلك السهم بتسعة جروح. وقد شاهد هذا المظهر عامة الخلق، وتبين لهم كيف حدثت تلك الجروح التسعة؛ وذلك أن سهماً يسميه العلوي "توبه" يصله له ثلاث ريشات حادة إلى أقصى حد قد أصاب المرال عند ثوبه في الخواء، فتفارت بداء ورحلاه، فأصاب السهم قوائمه الأربعة وجرحها، ومرق منها، فأصاب صدره وبطنه، ونجت أذنه كذلك. وقد أحدثت كل ريشة من الصل جرحاً طويلاً. وعندئذ وصل تأثير السهم إلى عنقه وحلقه [ص ٣٤٢]، فجرحه جرحين آخرين؛ بحيث إنه قد ظهرت فيه بالتحديد على هذه الصورة تسعة جروح.

(١) انظر تفصيلات من هذا الحدث في كتاب ديدة العنكرة في تاريخ الجزيرة، ج ٩ ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

بهذه الرواية تكون قد محيت عموماً تماماً حكاية "بهرام گور"<sup>(١)</sup> الذي رمى بمهارته عراً لاً  
 مربوط ظفله بأذنه، تلك الحكاية التي أعجب بها الناس كثيراً. وعلى مدى ألف وخمسمائة  
 عام ظنوا بمقتولها على الجدران، وبصورونها في الكتب. ولقد شاهد هذا الحادث ما يريد  
 على ألقى شخص.

وفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شعبان، وصل رسل توتنای ملك الومس جوجي  
 وتشرفوا بلقاء المحصرة ثم عادوا سريعاً. وفي يوم الأربعاء سلب شعبان عبر غاران خان بهر  
 دجنة، وأمر وهو في الطريق باعتقال الأكراد الذين كانوا يرتكبون كل أنواع الجرائم  
 ويمشون في الأرض فساداً، وقُتل منهم الكثيرون. وفي الرابع والعشرين من رمضان رل  
 عازان خان في أوجيان. والسلام.

---

(١) تكتبه المصادر العربية: "بهرام گور" ولتضرب به بهرام الخامس بن يزدجرد الأول المعروف بيزدجرد الإثم أحد  
 ملوك الساسانيين. تولى بهرام عرش إيران بمساعدة قنصلان بن لشتر ملك الحيرة. حكم من سنة ٤٢٠ - ٤٣٨ م  
 كان بهرام مثلاً أعلى للجماعة والفروسية ونظراً لولته بعيد حمار فرسخ (گور) أطلق عليه "بهرام گور" كان  
 ينظم الشعر بالفارسية والعربية. أحبه الإيرانيون لبله إلى الفرو والفتح والانتصار على الأعداء، ولكنه عيب عس  
 الرعباء إذ أباح لهم أن يأخذوا بصبيهم من الذهب والفضة إلى أقصى حد. وقد اشتهرت سيرته بولمه بالفريد وعشقه  
 النساء.

## حكاية تكريم الخواجه سعد الدين صاحب الديوان وقتل حساده

بعد أن عاد سلطان الإسلام باليمن والبركة والإقبال من رحلته بالشام، مرل بمدينة الإسلام "لوجان". وفي السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م كرم الخواجه "سعد الدين"<sup>(١)</sup>، وشمله برعايته إلى أقصى حد، وصحه "الختم الأحمر" "التمها"<sup>(٢)</sup> وعرض إليه شئون صاحب الديوان وفي غرة ذي الحجة كان رفاق قتلح شاه بوبان على "أهل قتلح" ابنة گهجاتو.

وفي ذلك المصيف كان جماعة من المقربين وأصحاب الديوان مثل صابر القاضي والشيخ محمود والسيد قطب الدين لاجو الشيرازي وغيرهم من الأنباغ قد عقدوا جلسة للمشاورة بقصد إقصاء السادة من كبار موظفي الدولة.

[ص ٣٤٣] وفي المجلس الذي كان "يحتس في السلطان الشراب"، صار يذكر الأمراء. وكان السيد قطب الدين الشيرازي حاضراً، فقال: "إن باسمي كان رجلاً حسن السيرة فقال السلطان: أنت تتحدث عن حسن سيرته لأنك ذهبت معه إلى شيراز، وكان أداة لكسك، وجلب المنعة لك، وحصلنا على أموال طائلة من هناك. ثم أضاف السلطان قائلاً: إنك وأمثالك تسعون دائماً إلى العنة والشر. فرد قطب الدين غمت وطأة السكر. إن السلطان يظهر الكرمات كأنه كان معاً أثناء المشاورة. فأدرك السبعان بحدسه وعراسته ما دار بين المتأمرين. وفي تلك الليلة أبعأ أمر باعتقال الشيخ محمود. وفي الصباح تبص على

(١) انظر تفصيلات عن هذا الزور في كتاب مؤرخ النول الكبير، مكتب الدكتور مؤيد عبد المظني الصباد، القاهرة

١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.

(٢) كلمة مقولة مركبة من كى بمعنى أحرعنا بحسن عظم، أى الختم الأحمر. وأحياناً يكتب هذا اللفظ "تمهاى آل". وكان هذا الختم أول الأمر مربع الشكل، ونظم به للشجرات والقرمذات والأحكام، وذلك بملفد الأحمر. وبعد على طلب من زورر لاسد السلطان غزى لمره بأن يفر هذا الختم، عسر مستطراً بدلاً من أن يكون مربعاً وذلك بقصد قسب والتريك والعلال (انظر الجوى تاريخ جهانگشاى، ج ١، ط ١ من الطبعة مؤرخ النول ص ٧٧).

صاين القاضى والسيد قطب الدين ومعين الدين الخراسانى وامين الدين الابداجى وسعد الدين حبش، وشرع المحققون فى استجوابهم. وبعد سبعة ايام اطلقوا سراح امين الدين. وبعد عشرة ايام اطلقوا ايهما سراح سعد الدين حبش لأن كلا الاثنى لم يرتكب دنيا، وهى يوم الاثنين الثانى والعشرين من دى الحجة قتل صاين القاضى والسيد قطب الدين ومعين الدين فى موضع "دول". وفى يوم الأربعاء متصفع المحرم سنة ١٣٠١/٨٧٠١م اطلق سراح الشيخ محمود بشماحة بلوغان خاتون.

كان سلطان الإسلام غازان رحيم القلب إلى أقصى حد، ولا يميز إسهاء أى مخلوق لدرجة أنه إذا سقطت دهاية فى الطعام فإنه كان يخرجها بيده المباركة بحيث لا يكسر جاحها ويدعها تستعيد قوتها، ثم يطيرها. مع هذا كان يصرح بقوله 'إن قتل يهوضة برهنة أشق على من قتل إنسان مدس؛ لأن ترك الإنسان الكثير للعتة حيا يؤدي إلى خلل كبير لا سيما فى شئون المملكة والسلطة'.

**نوجه سلطان الإسلام غازان خان إلى ألتاغ  
ثم تتركه من هناك عن طريق نخجوان  
إلى مشتى أران، ووصول الرسل  
الذين كانوا قد ذهبوا إلى مصر**

في يوم الأربعاء منتصف المحرم سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م توجهت الرابيات السلطانية إلى ألتاغ. وفي الحادي والعشرين من الشهر المذكور سار قطع شاه يوهان على رأس جيش قاصداً ديار بكر عن طريق مراغه. وفي يوم الخميس الثاني من صفر، سار سلطان الإسلام في قصر ألتاغ. وفي يوم الأحد الثاني من ربيع الأول تحرك من ألتاغ قاصداً أران عن طريق نخجوان. ثم صدر الأمر بعودة الأمير قتلغ شاه إلى ديار بكر. وفي يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الآخر وصل كمال الدين الموصلى وعلى خواجه اللذان كان قد سارا برسالة إلى مصر. ولأن الحيوش عسكرت في منطقة قزاق، لم يمكث سلطان الإسلام هناك طويلاً، وسار للصيد في جبال شروان ولكرستان حيث مارس الصيد عدة أيام. ومن هناك توجه إلى ناحية غاوباري للصيد الإزور. كما اشتغل هناك مدة بصيد الطيور والأسماك ثم سار بموضع "حلبرى" التي سماها السلطان "قوش قيون"، وهي التي تقع على شاطئ البحر، وتبعد إلى حدود برمكى، وشر بها كافة أنواع الكركى والطيور المائية التي تعود من المشتى إلى المصيف. ولما حلت الأتوية السلطانية بتلك المنطقة على مقربة من "درسد"، انهرم ملك الأتومس، كما انهرم [ص ٣٤٥] أمراؤه الذين كانوا على مقربة من هذه الناحية طائس أن الأتوية العارية متوجهة إليهم، وأن الجنود عثروا الأنهار. وبعد مدة عرفوا أن الأمر على خلاف ظههم، فعاد التجار إلى التنقل مرة أخرى. وقد دخل في الطاعة جميع أمراء لكرستان الذين كانوا قد أعلنوا العصيان والتفرد ضد مدة طويلة، واحترأوا في الجبال النبعة فتوجهوا إلى المحصرة عن إخلاص وورعاً وشكروا بالمعزة الوثقى طائعين متقادين. وقد اعتقل جماعة اللصوص والرعاة الذين كانوا قد قدموا من ولاية آذربيجان واعتصموا بالجبال، وكانوا يمارسون أعمال اللصوصية وقطع الطرق فقتلوا جميعاً. ثم عاد عاران خان



من تلك الجهات، ونزل في المعسكرات هي بيلسوار و"همه شهرة". بعد ذلك خرج معترفاً الصيد في المناطق الواقعة على طريق تالشان واسيهيد. ثم أمر بإقامة جدارين من الخشب والحسك وسط تلك الجبال، وذلك في مدة ما يقرب من يوم واحد؛ بحيث كانت الفتحة الخارجية الواقعة بين الجدارين بقدر مسيرة يوم واحد تقريباً. وكانت تضيق شيئاً فشيئاً على شكل مخروطي حتى تصبح الفاصلة بينهما خمسين ذراعاً. وهي قاعها أقاموا - من الخشب - ما يشبه الحظيرة. وبعد ذلك أعد الجود حديقاً دائرياً، وأخذ المصائدون يسوقون الصيد<sup>(١)</sup> بين الجدارين، حتى جمعوا الحيوانات كلها في تلك الحظيرة. وكان من يسها البقرة الجليلة وحمار الوحشي والعرال وابن أوى والتعلب والتذب والتذب وغير ذلك من أنواع وأصناف الوحوش والنبات.

ولما كانت هذه الحيوانات محصورة بين الجدارين وليس لها مخرج كان لا مفر لها من الدخول في الحظيرة. وكان سلطان الإسلام يجلس مع بولوعان خاتون في عريشة صعدت من الخشب، وأقيمت وسط تلك الساحة، فكانا يشاهدان تلك الحيوانات. وقد اصطادا بعضها، وأطلقا بعضها الآخر. ثم رحلا من هناك، وكانا يتجولان ويتقلدان من مكان إلى آخر إلى أن وصلا إلى دار الملك ميرير. فصار أهل ولاية ادريجان من رجال ونساء وكبار وصغار يستولون أيديهم بالدعاء عن طواعية وإخلاص. كما لمجت ألسنتهم بالثناء على حصرة السلطان. ثم خرج جميع أهل تبرير مع علماء الإسلام بنظام وترتيب تام، وقاموا براسم الاستقبال، فأظهر لهم سلطان الإسلام كل عطف ورحمة، وأمعاهم من التكاليف والمؤن غير الملائمة. والسلام.

(١) جرماً على عبادة آلهة وأجداده الذين كانوا يعبدون بالصيد اقتلتاً كبيراً، ويحذون فيه ربحهم الغنية ويحذرون وسيلة للإغناء والتعريب إذا ما جد الجهد، ودعوا إلى حمل السلاح وغزوهم فصار للملك منهم في حركات الصيد يتنصبون على ما سيجعلونه وقت الحرب (نظر الجوهري: تاريخ جهانشاه، ج ١ ص ١٩ - ٢٠ د. الشامي: محمد القاسم. عفا ملك الجوهري وكتابه جهانشاه ص ٢٣١ - ٢٣٢، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م القول في التاريخ، ص ٣٤٢ - ٣٤٤).

## حكاية

### الاحتفال العام الذى أقيم بأمر سلطان الإسلام فى المعسكر الذهبى بموضع حديقة أوجان وختم القرآن هناك، وبذل العطايا والصدقات

كان سلطان الإسلام قد أمر الصاع البارعين والمهندسين المهرة بإقامة سرادق مسوح مخيوط ذهبية، وعرش مطلى بماء الذهب. وكان هذا السرادق مروجاً بالآلات والأدوات المناسبة. وقد ظلت مجموعة كبيرة من الصاع، تعمل مدة ثلاث سنوات فى إعداد ذلك السرادق. وما أن حل عاران بدار الملك تبرير فى هذا الوقت حتى كان السرادق قد تم.

وفى أواخر ذى القعدة سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م سار عاران خان من تبرير إلى أوجان. وهناك كانوا قد أقاموا سوراً حول مرج ماضر بهيج للغاية، أعد لروحه المبارك حيث تجرى الأنهار والبحايع. وقد أقيمت الأحواض والبحيرات العظيمة، فاختدتها أنواع الطيور ماوى لها، وقسم ذلك الربع المتساوى الأصلاخ إلى أقسام متساوية، وعلى جانبى كل عرمر منها غرست أشجار الصفصاف والخور ليسر الناس من تلك الممرات، ولا يسير أى مخلوق وسط المرج. وقد عيّن طريق لكل طائفة لتعرف من أين تدخل، ومن أين تخرج ثم أمر بإنشاء الخواصق والأبراج والخمائم والعمارات العالية، [ص ٣٤٧] وبأن يقام كذلك السرداق المطرز بمخيوط ذهبية وسط تلك الحديقة، وكذلك المحيم السلطاني والمطلات الخاصة به. وقد احتشد جميع العمال والمهندسين، واستنظفوا إقامة المحيم فى مدة شهر. وكان غاية فى المعظمة ثم وضعوا العرش المرصع بالجواهر والبراقيت.

وتعظيماً للإسلام بادر عاران خان قبل إقامة الحفل بدعوة السادات والأئمة والمشايع والقضاة والصالحين وبالتبعية دعا لعل الأمم من الطوائف الأخرى، ثم توجه إلى الجميع، وعاطبهم بلسان فصيح وبیان عذب، وساق على لسانه حديثاً دقيقاً فى باب الحكمة والمعرفة. وكان يصحح طبقات الناس ويعظهم، وصار يشكر العمم والآلاء الإلهية. وخلال حديثه قال: إني أنا العبد الضعيف أعترف وأقر بالمعجز والقصور وكثرة الذنوب وبأنى لست جديراً بهذا العطاء، ولا لائقاً لهذه الموهبة؛ غير أن فيص الرحمة والرأفة الإلهية

وآثار لطف وكرم البارئ عز و علا عظيمة في حق عباده إلى أقصى حد. ولا شك أن نعمه من الكثرة بحيث لا يستطيع ابن آدم، ولا جميع الخلائق أن يوفوها حقها من الشكر ولست عاجلاً حتى أن شكرها واجب ولزم بمائة ألف لسان؛ إذ إن الله - فضلاً وإحساناً - مه قد أدخل جميع خلائق إيران الذين هم ودائع المحصرة الإلهية في دائرة طاعته. ولست أجدع بمرور الملك السريع الروال، والذي استرع من عدة آلاف من الأشخاص، ومن بين أصناف النعم التي من الله بها على أنه محصى ما لم يسحه للملوك الآخرين. وقد حقق لي آمال إسلامي وإن أفضله أن عباده قد أسوا بطشي [ص ٣٤٨]، وهم راضون بحكمي وراغبون فيه.

وبناء على هذه المعاني والمقدمات لم أنشأ أن أدخل هذا السرداق والمهيم بالجاء والجبروت ويسعى في هذا الزمان أن يؤدي شكر هذه النعمة العظمى عن وأنتم أي الحاكم والمحكومون؛ وذلك يكون بالتصام، ودون معاق ورياء، ويطلب من الله عفوان ديوها مخلصين متصرفين.

والآن بدأ جعلاً بتلاوة القرآن الكريم، ويؤدي الطاعة والعبادة، ثم مشغل باللهو والطرب.

هكذا يطلق غاران بهذه الكلمات المهدية، وذكر اسم الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم بالتعظيم. ثم وضع قدمه المبارك في السرداق وأسد ظهره إلى مسد التوفيق والنجاح. ثم أمر بإحضار ما لا يعد ولا يحصى من قطع الذهب والنياب، وتصدق بها كلها بعد إطعام الناس بأصناف الأطعمة المختلفة شكراً لله؛ بحيث مالت كافة الطوائف نصيبها منها. بعد ذلك اشتغلت كل طائفة على طريقتها مدة ثلاثة أيام بلياليها بحتم القرآن، وأداء عروض العبادة.

وفي يوم الاحتمال وصح غاران على رأسه تاجاً مرصعاً بالجواهر لم ير أحد مثله، وشطق بمسطقة مناسبة له، وليس الثياب المر كشة المشمة للعباءة، وأسر أيضاً بتزين الخواتين وجميع الأمراء الأتجال والأمرء والمقرين بكل أنواع الرمة وكان الجميع ينتظون الجياد التي لا نظير لها، وصاروا يتجولون.

وبعد انتهاء الحفل انصرف إلى ضبط شئون المملكة، وتدير مصالح السلطنة والتزويه عن الرعايا، ورعاية كافية للبرايا. وكان قد تشاور مع أمراء الدولة وأعيان المحصرة، فاستقر

الرأى على أن يقيم الأمير خربنده في مازندران وما جاورها خلال الشتاء، ويمضى الصيف في نواحي طوس وأبيورد ومرو وسرخس ومنطقة بادغيس. وأما الأمير نورى فيستوفى أران مع جنوده للمهيس، وذلك طبقاً للقرار السابق على أن يظل مقبلاً هناك. [ص ٣٤٩] أما الأمير فتلعشاه، فيتوجه إلى ناحية جورجيا، ويسير بعضاً من جنود الكرج إلى ناحية ديار بكر، ويهضمون إلى كتيبة الأمير مولاي المكونة من عشرة آلاف جندي ليكسروا على أهبة الاستعداد للسفر إلى الشام. وأما كتيبة هولاجو فترحل إلى عارس وكرمان؛ حتى إذا دعت الحاجة فإن عليهم أن يهضموا إلى الأمير ساداق وسلطان كرمان.

وهكذا نُظمت الأمور وفق هذا الترتيب، وبعد الجميع ما أشار به السعدان. والسلام

## حكاية

### توجه الرايات السلطانية من مدينة الإسلام أوجان إلى بغداد، والأحداث التي حدثت في الطريق ثم الوصول إلى واسط والحلة وعقد النية على السير إلى الشام

في عرة المحرم سنة ١٣٠٢هـ/١٣٠٢م توجه سلطان الإسلام من مدينة الإسلام "أوجان" إلى ناحية همدان عاقداً الحزم على السير إلى الشام. وهي تلك الأيام نقرر أن يسير الأمير "نورس" إلى أران لقضاء الشتاء والمحافظة على تلك الجهات.

وقيل أن يستأذن من المحصرة توجه نحو "هشترود" وقد لمس السواد أساء شرف الدين عبد الرحمن الذي كان حاكماً على تبريز مدة من الزمان ثم سار بعد ذلك ليكون مستوفياً على عمالك الروم، ولجأ هؤلاء الأبناء إلى عدالة حصرة السلطنة فالتى إن نظام الدين يحيى ابن حواجه وجهه قد أسر بقتل والدهم. وعندما بلغت الرايات السلطانية هشترود مال الأمير نورس الإعرار والتكريم ثم عاد متوجهاً إلى أران (ص ٣٥٠) وهي يوم عاشوراء قتلوا نظام الدين يحيى ابن حواجه وجهه وحوكشاه بن أبي بكر داد قابادي ناحية يور آعاج وهشترود. كما قتلوا في اليوم التالي عربشاه حميد السلطان "حجاج كرمان". ومن هناك دخل السلطان همدان، وشرل في الحائقاء المبارك الذي أنشأه في قرية يور بهجرد، وأوقف عليه أوقافاً كثيرة وكان بناء ضخماً وعالياً إلى أقصى حد ثم سار من هناك إلى "جمعان ماوور مراهان" حيث أقام عدة أيام. ثم سلك طريق نهاوند فاصداً جهجأل.

وهي ناحية يستون دخل في طاعة عاران ثلاثة من أمراء الشام كان مقدمهم على شير فاكرمهم سلطان الإسلام، وأنصم عليهم. ووقت فتنة نورور، واعتقال إخوانه وأتباعه في ناحية كرمانشاهان كان السلطان يقيم مع جماعة من المقربين إليه في العراء في الصحراء دون خيمة تزويهم. وقد ناموا وسط جبل كان قد بنت أمامه شجرة وارعة الظلال. ولأن لكرى لم يكن قد قص عليه، ولم يكن مصر نورور قد علم، كان الخاطر المبارك لعازن مشتتاً ببعض الشيء وبخصوص ذلك الأمر، صار يعكر في ذلك الموضوع، فظهر من عالم

العب فتح ومرح. وعندما وصل إلى هناك وكانت الآمال قد تحققت تذكر ذلك الموضع وتلك الشجرة؛ فذهب قاصداً رهابة تلك الناحية، وبصحبته جميع الخواتين والأمراء، فبكى وتذكر تلك العزيمة والصراعة والدعوات [ص ٣٥١] التي توجه بها في ذلك الوقت فأدى واجبات الشكر على ما ناله من ظفر وبصر، وصلى ركعتين صلاة الحاجة، ثم سجد. وبحشوع تام، طلب من حصرة الحق تعالى النصر في جميع الأحوال، ثم رفع رأسه. وأخذ يصيح الجمع قائلاً: استعينوا بالحق. جل وعلا في السراء والضراء، ولا تيأسوا من رحمته بأي حال ولا تمحروا ولا تعتروا بأي شيء. وثيقوا أنه لن يعيب الله عكم طرفة عين، ولا تسعدوا بقتولكم وقدرتكم، واحشوا البطش الإلهي. ثم التمس عاران حاجاته من الحق تعالى، وبوى نوابها طيبة من كل نوع؛ خصوصاً فيما يتعلق بتحقيق العدل والإنصاف على نطاق واسع. بعد ذلك ربط جميع الحاصلين علامات على تلك الشجرة، وأصبحت مراراً هم.

بعد ذلك عرف المطربون بعض العزف، ورفض الأمراء وكان الأمير يولاد چيگسانك حاصراً، فقال إن "قوله قال" عم جد سلطان الإسلام، كان في عهده ملكاً على عدة أقاليم وكان بطلاً في عاية الشجاعة حتى كانوا يصيرون به للثل في البطولة، ونظموا فيه شعراً كثيراً وكان صوته جهورياً مرعياً بحيث إنه كان يصل إلى السامع على بعد سبعة نلال. وتصادف أنه صار ذات يوم مخاربة للمركيت<sup>(١)</sup>. وفي الطريق وحصل إلى إحدى الأشجار؛ فنزل عندها، وناجى الله الأزل، وطلب منه النصر، وبدر قائلاً، إني إذا انتصرت على العدو، سوف أجعل هذه الشجرة مراراً، وأرهبها بالأممسة الملوبة الجميلة، فصره الحق تعالى على عفوهِ. ولما عاد بعد الفتح، وتقدم إلى تلك الشجرة، وقى بصدرة ورهبها، وشكر الخالق عز وعلا. ثم أخذ في الرقص مع جوده تحت تلك الشجرة، ودقوا الأرض

---

(١) قوم مركيت، يختلف عليهم اسم "مركيت"، وهم يسكنون المنطقة الواقعة شمال بلاد الكرات على نهر سندجا وجنوب بحيرة بايكال. وكان لهم جيش قوى ذو رأس شديد في الحروب، ويعتدون اتصالاً من حسن الثول، ولكنهم قاموا بعدة حروب ضد چيگير خان وفونك خان. وقد عرف عن هؤلاء القوم ميلهم إلى الشعب وإثارة الفتن. وهذا عن عليهم چيگير خان حرباً شعراء مستصلاً لنفسه ما عرف من الثول من نفسه وحكمة. انظر رشيد الدين فضل الله جليلي، تاريخ، جلد اول، فراتار پندش قبائل مغول تاهايان، دورا تيمور شاه، ص ٧١ - ٧٣، بكوشش دكتور بهمن كرمي، تهران ١٣٣٨ هـ ش.

بأرحلهم دفناً عيماً إلى حد أن هبط ما حولها بقدر ذراع، وأحدث حفرة عميقة فأعجب سلطان الإسلام بذلك الكلام إلى أقصى حد، وقال: لو لم يكن لأجدادنا هذه الهمة والإخلاص، لما صيرهم الله سادة ملوك العالم، ولما بلغت أسرته هذه المسال والرفعة والدرجات العالية [ص ٣٥٢] ثم مكث ساعة في حالة من المرح والسرور مصعباً إلى المطربين.

بعد ذلك سار السلطان غازي عقب الجيوش، وعجأة وصل الرسل من قبل الأمير قتلغ شاه، ومعهم أسرى الشام الذين كانوا قد فروا من هناك، ودخلوا في الطاعة، وعنى رأسهم "علاء الدين"، فشملمهم السلطان بعظمه وطيب خاطرهم بالوعود الطيبة. وبعد ثلث الحدود أيضاً وفد رسل فاسيليوس ملك القسطنطينية يحملون التحف والهدايا، وأبلغوا غازي أن فاسيليوس يريد أن يكون في ظل حماية سلطان الإسلام، وأن يرسل إليه ابنته لتكون عطيّة له، فشملمهم السلطان بعظمه. ومن هناك رحل إلى "بديحيي" وبعد إقامة ثلاثة أيام، أرسل الخواتي والأسر إلى بغداد. وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الآخر، ركب من بديحيي قاصداً القصد في جوفى. كذلك شغل بالصيد عدة أيام في بواحي شيب وواسط ومشهد سيدي أبي الوفاء رحمه الله ثم ذهب لزيارة المشهد، وخص الجوارين بالصدقات والإعامات، وأمر بإقامة عمارات على شاطئ النهر الذي كانوا قد أجروه من نهر الفرات إلى تلك الصحراء القاحلة، ولذلك السب صار ذلك المشهد كأنه مدينة. وبعد ذلك قدم غازي من هناك إلى الخلة، ونزل في المعسكرات وهي الخلّة وصل إلى المحصرة القاصي بصير الدين التبريزي والقاصي كمال الدين الموصلّي اللذان كانا قد أرسهما غازي من أربل برسالة إلى مصر<sup>(١)</sup>، ثم عادا من هناك، ومعهما رسل مصر، فقدموا الرد على الرسائل وكان بجانبه الصواب. كذلك قدم رسل نوحا اليانح عددهم ثلاثمائة فارس.

وفي يوم الأحد غرة جمادى الآخرة الذي كان على رأس السنة التركية أتيتمت الولايات والاحتضانات. وفي ذلك اليوم تشرف بلقاء غازي رسل مصر وكذلك توفقتا، فخصه برعايته العائقة ثم أرسل للمصريين [ص ٣٥٣] إلى تبريز، وأعلق عليهم أبواب المدينة حتى لا يغادروها.

(١) انظر هي الرسالة في كتاب ريدته المذكورة في تاريخ المعركة ج ٩ ص ٣٣٦ ٣٣٧

وفى يوم الإثنين التاسع من جمادى الآخرة اجتمع عازان حاك جسر الحلة قاصداً ديار الشام. وفى يوم الإثنين السادس عشر من الشهر المذكور رار مشهد أمير المؤمنين الحسين (رضى الله عنه)، وعنى عليه الستائر المعاصرة التي كان قد أمر بإعدادها للمقام هناك، وصح بخاورين والمحصرين صلقات لا حصر لها. ومن حاصلات السهر العازاني الذي كان قد حفر في تلك المنطقة، والذي كانت مياهه تجري إلى "مشهد" عيسى ثلاثة آلاف من "من الخير، تقدم يومياً للسادات القميين هناك. وفى ذلك اليوم وصل "أرمسى بلا" من حراسان وأبلغ أن ثلاثة أو أربعة آلاف من المتحربين قد اقتربوا، فهاهمهم الجيود المنصرون وأنهكهم وأموهم عن آخرهم؛ فسر السلطان عاية السرور، وراح حبه وشغفته نحو أخيه<sup>(١)</sup>.

وفى يوم الجمعة الرابع من رجب سنة ١٣٠٢/٧٠٢ م وصل رسول أبلغ السلطان أن الأمير "نورى آقا" قد توفي في مستشفى أران في أوائل جمادى الآخرة؛ فحزن سلطان الإسلام بسبب تلك الواقعة. بعد ذلك شرع ينتاز العرات من شاطئ إلى آخر. فلما بلغ "حديشة"<sup>(٢)</sup> أمر أغلب الخوئين وكل أفراد الأسر بسور نهر العرات والدعاب إلى ناحية سنجار، والإقامة هناك. ثم توجه بنفسه على رأس جيشه إلى عانة<sup>(٣)</sup>. وكان برفقته بعض الخوئين الأحراب بقصد توديعه. وفى يوم السبت الثاني عشر من رجب برل بمدينة عانة. وفى الحقيقة أنه لا يوجد مكان في العالم أكثر رونقاً وجمالاً من هذا المكان؛ إذ إن المدينة تقع على جزيرة وسط العرات، وقد أحاطت بها الحدائق والبساتين الرائعة بالأشجار والرياحين؛ وذلك بعرض مرسى، بحيث إن ضوء الشمس لا يقع من جوانبها على الأرض وهناك أنشأوا الجواسق ولأبنية العالية المحيطة من الرخام. وقد شيدوا بناها من أعماق الأرض، وفتحوا في جوانبها البوابة التي تطل على العرات، والحدائق الشبيهة بالجنات

(١) المقصود أخوه أبو جعفر. وكان قد عيّن من قبله حاكماً على حراسان

(٢) مدينة عرشخان. أحدها هذه المدينة التي من بلاد الجزيرة، وهي على العرات تحت عانة، وفوق ألبار وثانية مدينة تلرسل. والمدينة بلد على بعد فراسخ من ألبار في وسط العرات، وأثناء محيط بها، ويقال لها مدينة الثورة (تقويم البلدان ص ٢٨٧).

(٣) عانة بلدة صغيرة على جزيرة في وسط العرات. وهي على مسيرة من شلبيطة. وتشتهر بقرىها القدي يتردد صدها في الأشجار (تقويم البلدان، ص ٢٨٧).



[ص ٢٥٤] وهكذا فإن بهجة تلك البساتين وبصرتها ومزارع التخييل لما بهوى حد الوصف وعلى هذا النمط الذى ذكر، تشد عمارات توابع المرات إلى مسافة تسعين فرسخاً ابتداءً من "سكر فلوجه" الواقعة على حدود الأبار حتى نهاية سروج<sup>(١)</sup> وحران<sup>(٢)</sup> وهذه العمارات يتصل بعضها ببعض على امتداد هذا الطول المذكور، ويعرض فرسخ أو أكثر على شاطئ المرات؛ بحيث لا تحصر قطعاً ظلال الأشجار عن أية بقعة وتظل السهود مغلقة على الدوام، ودواليب السوائى تدور بالمياه على الجنائس ليلاً ونهاراً، والجواسق والأبية العالية متلاصقة.

وصورة القول فإن بلوكان خاتون ودعت زوجها غازان خان، ثم عبرت النهر وتوجهت إلى سجار أما الرابات السلطانية فقد قصدت مع الجيش المنظم إلى رحبة الشام وقبل وصول الرابات السلطانية إليها أشيع أن العدو قد ظهر في أطراف الشام.

ورغم أن الإشاعة كانت كاذبة فإن السلطان أمر باستعراض الجند، وعقد أحوالهم لتعثة الجيش وإعداد الأسلحة والدروع

وهي اليوم الثامن والعشرين من رجب ساروا حتى ظاهر الرحبة وكان الأهالى هالك قد هيلوا العجلات الخرية، وانعدوا للاستعدادات الأخرى. ولكن غازان لم يعبأ بذلك، وغادر معسكره ليلاً، وصار على مقربة من القلعة وكان الأمر علم الدين العمى وأهل الرحبة قد تحصوا بالقلعة؛ فأمر سلطان الإسلام في آخر رجب بأن يذهب الأمراء الكبار وكذلك أصحاب الديوان إلى مكان قريب من القلعة. وهؤلاء هم سوتاي وسلطان ومؤلف هذا الكتاب. رشيد الدين الطيب<sup>(٣)</sup> والخواجه سعد الدين صاحب الديوان ليدعوا الأهالى إلى

(١) سروج مدينة يوحى حرك من بلاد الحريرة، وبها قبر حرك مسورة يوم وهي كثيرة المياه والبساتين وبها قريتان القنصل والكبرى والفوج والسكر جنل وهي أيضاً على مسافة يوم من قبرة في جهة الشرق والشمال منها (لتقويم البلدان، ص ٢٧٧).

(٢) حرك مدينة مشهورة بعد من ديار مصر. بها قلعة مصلى لقصابين يعظمونه، وينسب إلى إبراهيم. وهي قليلة الماء والشجر والخليل منها هي سمت الجنوب والشرق على فرسخين. وربها حران. وشرب أهلها من قنطرة من صيون خارج للمدينة ومن الأهر (تقويم البلدان، ص ٢٧٧).

(٣) يصر ما رشيد الدين على تقييد نفسه بالقب رشيد الطيب مع أنه كان وزيراً لغازان خان مدة سنة ٦٩٧ هـ يشارك وحده سعد الدين محمد السوحي في منصب الوزارة وليس من اليسور كما يكتفى من القتل والأسب =

المخضوع والدعول في الطاعة، فقدموا حسب الأوامر إلى أسفل القلعة [ص ٣٥٥] وأشاروا بكتابة مشور ببارات عربية جاء فيه: "إن سب مجتبا هو تصرفات المصريين غير الصائبة التي درجوا عليها مدة وقد أرسلنا الرسل مراراً يحملون إليهم المواعظ والنصائح فلم يتصالحوا، وردوا علينا برود تدل على عدم اكتراث، فحملت ذلك على سبيل جهالتهم، وعدم ممارستهم الأمور العظيمة. وحيث إن هذه الأساليب قد تجاوزت حدها، رجع جيشنا المظفر بقصد الانتقام وكان لا مفر من عبور هذه الدنار، وإلا فليس لنا غرض في إلحاق الضرر بكم أنتم أهلها السوريون فعليكم أيضاً أن تتدبروا هذا الأمر، وأن تزعوا مصالحكم وتحفظوا دماءكم، وتحفظوا أموالكم، وتقدموا إلينا طائعين مفادين. وحيث إنكم تدركون أن الحق في جانبنا، كان عليكم ألا تمانعوا، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة"

وهكذا قرر المشور بهذه الصورة، وختم بالحنم، ثم أرسل إلى داخل القلعة، فأعدوا حامله قائلين حيث إن عبارات المشور هي غاية للعصاة والبلاغة، تطلب مهلة هذه الليلة كي سير عور معانيه، وتقدم الرد على نهاراً وفي اليوم التالي الخميس عرة شعبان، أوفدوا جمال الدين الإسكندري والشيخ شرف الدين من مريدى سيدى أحمد الكبر بحملان الرد على ذلك المشور ومضمونه: "إننا مطيعون ومقادون لأمر سلطان الإسلام؛ فمشغلهما غازان خان يقطعهم وأعادهم. وفي اليوم التالي مرل حسام الدين لاجين نائب علم الدين الصمى الذى كان قائد القلعة وأظهر الخضوع والطاعة؛ فوجد العطف والرعاية ثم عدد وفي اليوم التالي مرل هو وسيف الدين قليج، الامير الأكبر للصمى<sup>(١)</sup> والقاصى نجم الدين وطائفة من أمهات الرحبة، وقدموا عروض إنعام الطاعة وتشرفوا بلقاء اخضره. وقد حررت لهم عهود أمان محكمة باللغة العربية بمصوص اختصاصات الصمى وأعماله، وما يتعلق بأهله ونوابه، وكذلك القاصى وجمهور [ص ٣٥٦] أصحاب الأعمال هناك، وتأمين أهل المدينة والقلعة والولاية. وقد رغرت هذه الكتب والمهود بالأحتم المباركة، وسلمت هم

- فنى جميل رشيد الدين يكتفى بالانساب إلى مهنة الأولى دون أن يكشف عن شخصيته كوزير معول يشرك

مع سعد الدين في إدارة خزان الدولة (انظر مؤرخ الملوك الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، ص ١٢٥)

(١٩٦)

(١) انظر رده لفكرة، ج ٩، ص ٣٥٢

وهي يوم الثلاثاء السادس من شعبان عاقر عارك خان قلعة الرحبة، وجاءت البشرى من ناحية خراسان تنبئ أن جيش قابلو قد انهزم وهلك، وجرح "دوا" وفي هذا الوقت كان الأمير قتلغ شاه وچويان ومولاي قد عبروا مع حودهم نهر الفرات إلى الرقة. ثم وصلوا إلى حلب. أما سلطان الإسلام فقد نزل بأعلى "دير يسير" على صفا نهر الفرات، وأقام هناك ثلاثة أيام ثم سار جميع الأمراء مع حودهم كي يلقوا بالأمير قتلغ شاه والآخرين ولما حل الربيع، ورادت المياه وصار الجو حاراً، عبر عارك الفرات قاصداً سحار والموصل في اليوم الثالث عشر من شعبان. ثم عبر نهر الخابور في مدينة ماكسي، وشمل يرغابته رسول خراسان. سابعان وقومعي أفتاجي، ثم أدن لما بالعودة. وكان يسير في تلك البرية المظلمة بأرهار اللعل والأقحوان، وهو يتزهد ويصطاد.

وهي يوم الأحد الخامس والعشرين من شعبان لحق بالخواتين الثلاثي كي قد أنس لاستقباله في موضع "چهار طاق" مما يلي سحار، وأقام يومين أو ثلاثة. وفي عرة رمضان نزل في المعسكرات في موضع تيمر، وهو ص السلطان نجم الدين ملردس حكم ديار بكر كلها وديار ربيعة، ولقبه بلقب الملك المصور. ثم عبر نهر دجلة، ونزل بصحراء كشاف. ولما كانت شكوى أهل الموصل قد بلغت الملك السابع بسبب ظلم حجر الدين الصراني، صدر الأمر بأن يقضى عليه السلطان نجم الدين عند مسيره إلى الموصل، فحذعه هذا السلطان متظاهراً بأنه سوف يجعله نائباً هناك. ثم قضى عليه بعد عدة أيام.

## حكاية

# التحام قتلغشاه نويان بجيش مصر ثم رجوعه من هناك، وعودة الرايات السلطانية إلى أوجان

ظل سلطان الإسلام في كشف يترقب وصول الأمراء والجسود الذين كانوا بالشام  
وهؤلاء عندما بلغوا حصص، شرعوا في النهب والقتل العام فلما اقتربوا من دمشق، وسمعوا  
أن العدو قد اقترب في صباح السبت عرة رمسان، ركبوا دفعة واحدة، وتقدموا إلى ما  
يقرب من خمسة فراسخ، واجتاروا المياه والأرجال الكثيرة؛ فأدركوا العدو في موضع "مرج  
النصر"<sup>(١)</sup>، وغاربوا. وكان ذلك في اليوم التالي من رمسان؛ فهزمت ميسرة جيشنا  
مبهمهم، وقتل منهم ثلاثة عشر أميراً من أمرائهم الكبار، من حملتهم حكام الدين "أستاذ  
الدار" كما قتل جمع عفير. أما الباقون فقد صاروا سهو كين مجروحين، ونهقوا صهرمين  
فتعقبهم جمع من أبطالنا، وطاردوهم عدة فراسخ

أما قتلى شاه نويان فقد انحرف من القلب إلى اليسرة بقصد الخدد عندئذ بقيت البصرة  
محرقة وحيدة، فهزمتها ميسرة المصريين، ونهقوا الجسود لأنهم كانوا قليلين وعندما عاد  
الأمير فتبع شاه إلى اليسرة كان الجسود قد فرغوا من الحرب فلما دخل الليل، اعتسى الأمير  
ربوة، وقف عندها، فاتجه جوددا نحوه وقد بات الجميع تلك الليلة حتى الصباح على ظهور  
جيادهم، واختد الظمأ بالناس والدواب. وقد طلق المصريون تلك الربوة فلما حل الصباح  
قاتلهم جمده الأمير بولادنيا وأتباع تكاتيمور ابن الأمير الجبل، وأتباع ناصر الدين بكجي  
وكانوا يقعون في مواجعتهم كذلك قال الأمير قتلغ شاه لثباتق وترسا. أنما لم تقانلا

(١) انظر المزيد من التفاصيل من هذه الواقعة الخامسة التي تم فيها النصر للدينانيين والسوريين في المصادر  
والتراجم الدينية. راجع فكره في تاريخ مصر، ج ٩ ص ٣٥٥ وما بعدها؛ أو بكر في عهد الله بن ليث الموداري.  
كثير الثمر وجامع الثمر، ج ٩ تحقيق هانس روبرت روبر، ص ٨٩ وما بعدها؛ راجع ابن بطوطة، ص ٥٣٩ دار  
صادر، بيروت ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م القمري، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ١٩٣٧ للشرق الإسلامي في عهد  
الإيلخانيين، ص ٢٩٦ وما بعدها.

بالأمس، فادعها اليوم لحدة وملائكها. تقدم الاثنان نحوهم متساكبين متصاميين واشتركا في الحرب، فتحلى السوريون والمصريون عن المنطقة الغريبة بالرغبة وتوجهوا إلى جسد العول دفعة واحدة. ولما كان هؤلاء قد احتل نظامهم سد اليوم السابق، واستصل الآلاف منهم عن بعضهم، وتشتت أفرادهم، ولم يتيسر ضبطهم وتنظيمهم، وقصوا عاجزين حتى صلاة الظهر، ثم عادوا بعد ذلك. وفي الطريق كان الماء والوحل كثيرين إلى أقصى حد فبقى كثير من الخيول في الوحل وتغرق الجند، واحتسب تانهاى ونرسا.

وفي التاسع عشر من رمضان، مثل أمام حصرة سلطان الإسلام الأمير قتلغ شاه وتكاتهوور في صحراء كشاف. وفي اليوم التالي تحركت الرماة السلطانية، وركلت في الحديقة بظاهر أبريل، ثم ارتحلت من هناك، وخرجت إلى طريق دربدر ريكي. وبعد ذلك عادت المنطقة الجبلية للأكراد. وقد احتل الحاصرون بعيد القطر في صواحي دربدر ريكي. وفي يوم السبت السابع عشر من شوال كان الأمير جويان قد توقع بسبب الحسود الذين ظلوا مترجلين بدون جياد، تصهدهم بالرعاية، وراسلهم، وكان يسير بهم على مهل من طريق بغداد حتى وصل إلى الحصرة حيث حظى بالرعاية التامة. ولما بلغوا موضع "بيل سرخ" هي منطقة مراعه، ستر السلطان الخواتين والأسر إلى أوجان عن طريق "سه كند" و"بور آعاج"، ودعاه هو نفسه بمعرده إلى جبل سهيد حيث مارس الصيد أسبوعًا. وفي يوم الخميس العاشر من ذي القعدة سنة ١٧٠٢هـ/١٣٠٢م رل بمدينة الإسلام أوجان.

## مكايبة

### محاكمة الأمراء والجنود الذين كانوا قد عادوا من الشام، ثم عقد مجلس الشورى بموضع أوجان، وتشرف الأمراء ببقاء غازان

بعد أن وصلت الرابيات السلطانية إلى مدينة الإسلام أوجان شرعوا في التحقيق مع  
الأمراء والجنود، وكان ذلك في اليوم الثاني لوصولهم الموافق الثاني عشر من ذي القعدة،  
ومع أن المحققين كانوا يسألون المتهمين أسئلة دقيقة، فإن سلطان الإسلام كان يستدرك  
عليهم عدة ملاحظات تنسم بالعطف، وذلك عندما كان يحرص عليه سجل الاتهام فكان  
المحققون يستجوبون المتهمين مرة أخرى مراعيين تلك الملاحظات الدقيقة  
وعاقبة الأمر فإن التحقيقات قد انتهت في غرة ذي الحجة وأعدم أعوتاي ترخان بن  
جيبك ترخان، وطوغان تيمور من قبيلة مكقوت، وطلقت قواعد "الياسا الكبرى" (١) في  
كل الشئون الحربية. وفي يوم الخميس الثاني من ذي الحجة شرعوا في الاحتمال بعقد  
الغوريين في تشرف الأمراء ببقاء الحضرة.

---

(١) المقصود بالياسا التي وضعها جنكيز خان، وذلك مقصور على القواعد الحربية لأن غازان حين بعد أن اعتنق  
الإسلام، وأعلن الإسلام ديناً رسمياً، وضع حكماً وقواعد جديدة وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، وذلك بدلاً من  
الحكام التيها السابقة.

## حكاية

# إصابة سلطان الإسلام بالرمد، ووصول الأمراء من خراسان ثم توجه الرايات السلطانية إلى بغداد، والنزول في هولان موران

في يوم الخميس الخامس والعشرين من المحرم سنة ٨٧٠٣/١٣٠٣م وصلت الرايات السلطانية إلى دار الملك تبريز، وراى في القلعة. ثم اشار السلطان بإعداد الجيش والسلاح ولكن أصابه الرمد بعد عدة أيام؛ فاشتغل الأطباء والحكماء بمعالجته ومداواته. ولقد طال مدة المرض، فصاق وقت العزم على الرحيل إلى المثنى. [ص ٣٦٠]

وفي يوم الاثنين الرابع من صفر وصلت من خراسان الختاتون المعظمة "البتورميش" مع الأميرين بسطام وأبى يزيد، فابتهج سلطان الإسلام، وسر كثيرًا بوصولهم، وشرح ابته ألحاحى ختاتون للزواج من الأمير بسطام، وكان يجلسهما ذاتًا إلى حواره ويرعاهما ويتودد إليهما

وفي أواخر أيام مقامه في تبريز في يوم الأحد السابع من ربيع الأول، كنى موضعين في جسده المبارك، عملاً برأى أطباء الخطا. وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول عزم على معادنة مدينة تبريز. ولما كانوا قد أحصروا القيلة إلى المحصرة من الفد، أمر بأن يصعروا عرسًا على ظهر القيل حسب القاعدة المتبعة، وامتطاه أول خروجه من المدينة، وسافقه حتى الميدان، ومن الصبح إلى العصر صار مشتعلًا بمشاهدة العيلة وقيادتها. وكان أهالي المدينة رجالهم ونسائهم محتشدين لمشاهدة هذا المنظر، وهم يدعون لمخلص للسلطان، وكان قد نزل في تلك الليلة في حديقة تبريز. ثم عادر المدينة في اليوم التالي عن طريق أوجان. ولما كانت بطه قد تضررت بسبب الكى، واعتراه الضعف، لم يستطع أن يتناسك على صهوة جواده؛ فكان يجلس في الحمة أكثر الوقت. ولهذا كانوا يقطعون مرحلة قصيرة في كل يوم. وفي آخر ربيع الأول عاد الأمير قتلح شاه من "بور آماج" كى يذهب إلى مشى آران، ويحافظ على تلك الجهات. وفي يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الآخر وصل السلطان إلى حدود سراى حومه غوركان. وكان الجليل قد نزل بخرارة في سغورلوق

ومطقة همدان، واشتد البرد إلى أقصى حد. ولم يكن طريق بغداد يسمح بالعبور. ولهذا السبب عدل السلطان عن الذهاب إلى بغداد، ونزل على صغاف "هولان موران" لأنه بعد أيضاً من حملة الشتاء. والحقيقة أنه موصع جيداً جداً لتحصية الشتاء. وكان السكان هناك يجلبون عصاً كثيرة من مختلف الأرجاء. ثم إن الحطب موجود بكثرة لا حد لها. أما الناس فقد اعتكفوا جميعاً في بيوتهم، وتفرغوا للقيام بمهام الأمور، وتصريف المصالح.

وقد اتفق أن سلطان الإسلام أراد أن يطعم عشرة مساكين ويكسوهم ككفارة صغيرة وكان يرغب في أن يمسحهم تلك الصدقات بيده المباركة؛ فأمر بإحضار عشرة من المساكين وتبعث لأمر غاران أحضر إليه مهتر محجب الدين فراش - الذي كان من حملة خواصه والمقرين إليه عشرة مساكين، وقدم لهم الطعام بحضور السلطان. ثم أمر بإحضار عشرة أثواب من الحرارة، وأعطى فيها النظر. ثم أعطى ثمانية أشخاص كل واحد منهم ثوباً وسلم مهتر محجب الدين الثوبين الباقيين قائلاً له: اخرج وأحضر مسكينين آخرين كي أعطيهم الثوبين الباقيين؛ لأن هذين الاثنين مسحيان فقال لهما محجب الدين: ألم تقولوا إنكما مسلمان؟! فأجابا بلى. لقد قلنا لك هذا بسبب الطمع. ولكن الآن لا يمكن الكذب على سلطان الإسلام؛ إذ إن رأيه المارك صائب؛ نحن الاثنين نعتق الدين المسيحي.

ولا شك أن هذه الكفة دليل واضح على أن غاران كان وثياً من أولياء الحق - عبر وعلا رحمه الله رحمة واسعة. والسلام.



## حكاية

### اعتكاف سلطان الإسلام في مشفى هولان موران والكشف عن تأمر الأفرنج وتمرده والقضاء على جماعة المتأمرين

كان سلطان الإسلام هو الاعتكاف في ذلك المشفى عدة أيام تبلغ الأربعين (جهله) فأمر بإقامة مرل خارج السرادق، وأقام فيه وحده، ولم يسمح لأى مخلوق بأن يدخل عليه سوى أمير الدار (خواجه سراي) والخازن الخاص (كرهكناي) وكان يقع كل يوم بقيل من الطعام

وفي أثناء ذلك حدثت حالة عجيبة مؤداها أن جمعاً من الشايخ المافقين في مقدمتهم "بير يعقوب الباعباني"، كانوا قد دعوا إلى مدينة تبريز الأمير الجبل "الأفرنجك" لتوليته الحكم، وذلك بدافع جهلهم الجاه والمال، وفردوا أن يظهروا الكرامات التي ليست فيهم وخلال تلك الأيام، أرسلوا إلى المعسكر مريدك اسمه محمود [ص ٣٦٢] كى يتحد معه طائفة من المقرئين فأغشى ذلك الرجل السر جهلاً به، وقال إن شخصاً طوله أربعون ذراعاً وعرضه خمسة أذرع يجي، من جبال "مرند وأيقان" إلى الشيخ يعقوب ليرشده، ويكشف له الأسرار. والآن قد منح الأمير الجبل "الأفرنجك" السلطة؛ إذ إنها تتول إليه طوعاً أو كرهاً. وقد وهبه الزهاد هذه اللحة.

فلما بلغ هذا الكلام مسامع الخواجه سعد الدين صاحب الديوان، اعتقل ذلك الشخص وكنله بالأصعاد، وعرض ما حدث على حضرة سلطان الإسلام، فأرسل جايي الأختايجي إلى تبريز لإحصاء المفسدين مشرى العنة، فعاد بعد عشرة أيام ومعه كل من بير يعقوب وناصر الدين ايلچي قاتل والشيخ حبيب الذي كان خليفة رشيد البهاري والسيد كمال الدين. وكان الشيخ رشيد شيخاً لصدر الدين الزنجاني، والسيد كمال الدين من ملازميه أيضاً. والعجيب في الأمر أن سلطان الإسلام عندما رآهم، قال: "إن نفسى تحذنى أن هؤلاء المتأمرين من أتباع صدر الدين الزنجاني" فلما تحروا الحقيقة، اتضح أن الأمر كان على هذا السؤال. عنئذ قال السلطان: يبدو أن ألفت ما رآل خير القس وعلى أثر ذلك صار يتعصص

الأمر بنفسه، وذلك بمحضور الأمراء والمقربين إليه. وكانت تلك الطائفة من الجهال يرددون هذا النوع من الكلام العبث. ولما تمحصوا الأمر جيداً تبين أن معتقدات هؤلاء الأشخاص هي نفس عقائد مزدك وأهمل يقصدون بشر ذلك للذهب بين الناس فلما تبين إدانتهم قتل يعقوب: "سوف يقطعنا شيوخاً" مرد عليه سلطان الإسلام قائلاً: "إن شيوخى هم الله ولصطفى والمرتضى. فلنظر من الأقوى؟ أنت أم هم؟ ثم أمر بأن يلقوا به من أعلى الجبل هناك. كذلك قُتل أصحابه. أما الأمير الأفرنج فقد دعا عما عه السلطان فما كان منه إلا أن صرح بالحقيقة قائلاً: "ما دام السلطان قد شملنى بقطعه ورعايته، فبأنى سوف أفصح عن حقيقة ما حدث لقد صحبوى مرتين أو ثلاث مرات إلى الشيخ يعقوب فى تبريز؛ فحجة أما سوف يذهب لممارسة الصيد [ص ٣٦٣]. وكان هو ومريدوه يتحدثون عن حالة السماع وغيرها من هذا القبيل من الكرامات. وصاروا يهرونسى بالملك. ولكنى بسبب الخوف لم أستطع أن أبوح بذلك، وكنت أخشى هذا السر. كذلك استجبوا بتميش نائب تاباتا وقتلوه لأنه أقر أيضاً بدسه. أما قتيوبا من تاباتا فقد كان له دخل فى هذه المؤامرة، وكان من أحلاط ذلك المعجون حصوصاً وأن الأفرنج قال عه. إن كل ذلك داخل فى حريمته. ولكن حيث إنه كان شاباً وحدثاً، وأبلى والده بلاء حسناً فى حرب الشام، ووقع أسيراً فى يد الأعداء عما عه سلطان الإسلام، واكتفى بأن رح به فى السجن والسلام

## حكاية

# الاحتفال بعيد ميلاد الأمير أبي يزيد في معسكر ايلتوزميش خاتون، وخروج السلطان من الاعتكاف الأربعيني

في يوم الأحد غرة جمادى الآخرة أقيم احتفال في معسكر ايلتوزميش بمناسبة عيد ميلاد الأمير أبي يزيد جريئاً على المعتاد. وقد حضر الحفل سلطان الإسلام وجميع الخواتين والأمراء الأتباع والأمراء وقدموا مراسم التهئة والانهاج، وبالغوا في الطرب والمتعة. وقد احتضن سلطان الإسلام الأمراء والخواتين وأتباعهم بأنواع العطف والرعاية والتكريم. وبعد ذلك خرج سلطان الإسلام من خلوته، واعتنى بتدبير المملكة، وصبط مصالح السلطة وكان مراجع قد صبح، وصار يمشى أوقاته سعيداً مسروراً. وكان جمهور أركان الدولة مستبشرين فرحين لكشف مكر وخداع الشيع وأتباعه

## حكاية

### تكریم سلطان الإسلام الخواجه سعد الدين صاحب الديوان لما أبداه من إخلاص فى قضية ألافرك

نظراً لأن الخواجه سعد الدين صاحب الديوان ألقى القبض فى الحال على رسول بهر  
مقبوب الذى كان قد قدم إلى المعسكر لجذب القلوب إليه، وأرسل إلى كل شخص الرسائل  
التي نصيهم بالعودة الحسة عرض صاحب الديوان على المور تلك البية المبيتة على  
حصرة السلطان، فشملة بعظمه، ووثق به إلى أقصى حد، وأنهى أن الاعتماد المطلق عليه فى  
جميع الشؤون إما كان فى موضعه، وأن صدقه وإخلاصه للحصرة وثقابه فى الولاء لها  
وتفله لأداء واجبه نحوها، إما هى خدمات على درجة يستحق من أجلها أن يشمله  
السلطان برعايته كل يوم مائة مرة، ويكون ذلك لائقاً له وجديراً به، ومن قبل وضع  
الشيء فى موضعه ولهذا أراد السلطان أن يكرم ويربه بطريقة تزيد فى مرتبه ومرتبه  
وحى تبلغ حشمته وعظمته درجة أكبر

ولما كان رمام الأمور حلها وعقدتها، وعان قصص مصالح السلطة وبسطها قد وضعها فى  
كف يده ذات كفاية، وبكيفية لا يتصور المزيد عليها قط، أكرمه السلطان بطريقة لا نظير  
لها؛ إذ فوض إليه إمرة ألف حدى معولى، ومسحه الطوق والعطيل، وأمر جميع الأمراء بتقديم  
التهنئة له.

والحقيقة أن تلك الذات الملائكية الصفات، والتي هى مجمع لجميع الصفات العسائية، ومسبح  
للكمالات الإنسانية سبب راحة الناس ربيعهم ووصيهم وخواصهم وعوامهم، ولأرمة  
لرمة الملك والدولة والإيمان والإسلام. ليمتعه الحق تعالى بالجلاء المرمض والخشمة  
المتنبهة. والسلام

## حكاية

### وفاة كرمون خاتون، ونقل جثمانها إلى تبريز وذكر بعض الكلمات الحكيمة التي نفاه بها سلطان الإسلام في أحوال الخلق

في وقت السحر من يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م توفيت حجة "كرمون خاتون" ابنة قتلغيمور بن آباتاي بوبان التي كانت زوجة سلطان الإسلام. وكانت وفاتها في مشيطة "سراي جومه"، ثم نقل جثمانها بمراسيم مهيبة للعامة. ولما كانت في ريعان الشباب، ولم تتمتع بالدينا طويلاً، كان وقع موته شديداً إلى أقصى حد على سلطان الإسلام، فتألم كثيراً لحادث تلك الواقعة وبعد وفاتها حصر السلطان إلى مخيمها، وبكى كثيراً، وأمر بأن يعد لها كل ما يجب من الترتيبات والمراسم وبعد أن تم نقل بعثتها، كانت عيه المباركة تلتمع كلما تذكرها.

وكانت يوم كان جمهور أركان الدولة حاضرين، فسألم: أي أمر لا يوجد ما هو أشق منه وأصعب؟! فأجاب الأمراء هو أن يقع الإنسان أسيراً في يد عدوه، ويصبح دليلاً لخصمه، وقالت طائفة: إنه العقر. وقالت مجموعة: إنه الموت. عندئذ قال لهم السلطان: إن أصعب أمر هو أن يولد الإنسان ويحمله إلى الدنيا؛ ذلك أن جملة العناء والبلاء والتعب والشقاء تكمن في الحياة ولو لم يكن الوجود ما وجدت أمة مشقة.

وليس لإنسان راحة في الدنيا مطلقاً إلا بالموت. والدليل على ذلك أنه إذا سار شخصان؛ أحدهما يجري والآخر يمشي الهوي؛ فأيهما يكون أكثر راحة؟! أجابوا: الذي يمشي الهوي. عندئذ سألم: إذا سار أحدهما الهوي، وجلس الآخر فأيهما يكون أكثر راحة؟! أجابوا: ذلك الذي يكون جالساً. فسألم: إذا جلس أحدهما، ونام الآخر فأيهما يكون أكثر راحة؟! أجابوا: السائم. فقال لهم: إرد على هذا القياس، وطبقاً للفائدة الصحيحة [ص ٣٦٦] يكون الميت أكثر راحة من السائم، إذ أن علاج العوس، والمائدة النائمة إنما يكونان في الخلاص من صير الحياة. وليس هناك قيد ولا سجن ولا حميم ولا عذاب أشد من الجهل وحب الدنيا؛ ذلك أن الدنيا جحيم عباد الله، والآخرة جنتهم.

ومصدق هذا حديث النبي المصطفى عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات: "الدنيا سجن للمؤمن وحرة للكافر"<sup>(١)</sup>. وبالقطع فإن الجاهل لا يرغب في التخلص من سجن الحياة. ومن شدة جهمة بحسب أن لميت يموت بالروح، وأن الحي يحيى بالبدن، وهو لا يدري أن الحال على خلاف ذلك، إذ إنه يمحى ويتأذى بأنواع الجهل والحماقة، وهو لا يعلم أن الموت حالة مستحبة، وأنه يحصى العدل. ولو لم يميت الآباء، فكيف كانت تتول إلى الأبناء المناصب والأموال والخاء والأبهة والملث؟ ولو أن موت الآباء صعب ومؤلم، إلا أنه مستحب بسبب دور آخر. وليس هناك فائدة في طول العمر إلا لشخص يشد الكمال، وتقبل روحه لارتفاع والارتقاء يومًا بعد يوم.

إذن فالأولى أن يرعى البشر بقسمة الحق، لأنهم إذا عاشوا أكثر من شائين عامًا، فإن أعصابهم تعجز عن العمل، وتختل حواسهم وتتعطل، ويصبحون في نظر الناس أدلاء معتقري، ويغتر بهم الأقارب والأبعاد. وحيث إن الكمال هو شرة العمر، فإنه بعد الحصول عليه، يمكن أن يتحول إلى نقصان مهمًا يكسب العمر. وإذن فليس هناك فائدة من طول العمر وعلى هذا الموال تقوى غاري خان بكلام دقيق كله يحصى حكمه.

وفي أواخر شعبان سنة ١٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م رحل من مقر "هولان موران" الذي سماه "الولجانتو" (بوموق)، وترك الخواتم وأفراد الأسرة في منطقة قلعة "جوق" التي تبعد مرحلة واحدة عن "سراي جومه"، وتوجه فريق من جنده مع أركان الدولة وأعيان الحاضرة إلى ناحية "مراق". أما السلطان غاري فقد قضى بضعة أيام في الجبال الواقعة على حدود خرقان ومردقان، ثم رل بمدينة ساوه. وهناك أقام صاحب الخواجه سعد الدين حفيلاً عامًا [ص ٢٦٧] دعا إليه سلطان الإسلام وجميع الخواتم والأمراء والأعيان والأسراء، ورحب بهم. وقد وجد من حضرة السلطة صروب الإعراف والتكريم كذلك فعل الصدر العظيم الخواجه شهاب الدين مبارکشاه الذي كان مشغولاً للمالئ، ومن جملة أركان الدولة القاهرة. ولما كان مرله القديم في ساوه، وكان والده الخواجه شرف الدين سعدان يمشي

(١) حديث حسن صحيح ورد في سنن ترمذيه ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ القاهرة بدون تاريخ! انظر أيضًا كشف القناع ورمي الإنسان عما اشهر من الأحداث على لغة الناس، لشرف علي طه، وتصححه أحمد القلاش، ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٥، حلب بدون تاريخ.

بقية أكابر إيران، وكان لا يزال مقيماً وحاكماً هناك لتمام هو الآخر حملاتاً عاماً، وقدم هدايا ماسة لحصرة السلطنة، وعموم الخوائن والأمراء الأتباع والأمراء، وأرسل الهدايا كذلك إلى جمهور الأصحاب كذلك منح بقية الخدم والحشم كثيراً من الثياب والدمانير والدراهم.

وبعد ثلاثة أيام سارت الرهايات السلطانية، صوب الري. وكانت صحة غازان المباركة قد تحسنت خلال هذه المدة التي غادر فيها مقره الشتوي بحيث إنه كان يستطيع جواده ويقطع المسافات الشاقة والطويلة. وكان يتناول كل أنواع الأطعمة. غير أنه بمجرد أن غادر ساوه أصيب بسكة في الطريق واعتراه المرض مرة أخرى، وصار يمر من الطعام ورغم هذا كان يظهر التحمل على سبيل الإصرار والتحدى. وهكذا ظل يركب جرحاً على العادة ويخرج ثم أقام في منطقة الري. ولكن عندما اشتد عليه المرض في منطقة "جبل بزرگ" من أعمال الري، أرسل رسولاً إلى أسرته، واستدعى زوجته العظيمة "بولوغان خاتون" على عجل وبسرعة فائقة. وعندما وصلت كان السلطان قد غادر "جبل بزرگ"، وظل هو ومراقبوه يسرون سيراً قليلاً كل يوم حتى وصلوا إلى ناحية قرويس. وفي أواخر شهر رمضان عندما وصلت الخاتون، أقام الجميع هناك. ولما دخلت على زوجها السلطان غاراً تصادف أن وجدته على تلك الحال، هيكت وبكى الحاضرون، وسكبوا من أعينهم الدموع الحارة

بعد ذلك استدعى السلطان عازاك جميع الأمراء والخواص والمقربين وأركان الدولة وأعيان الحصرة، ووضح كلا منهم بصحة لائحة وماسة لحاله [ص ٣٦٨] ثم جدد البيعة بولاية العهد لأخيه الجليل خلد سلطانه وكان قد أمر بذلك قبل خمس سنوات، وكرره وأكد مراراً ومرات في مجالس مختلفة وبعد ذلك كتب وصية في عابه اللطيف والشهيد وحث الأتباع بالخاص على مراعاتها والحفاظة على ما جاء بها من مسائل دقيقة. ولما فرغ من وصيته، كان يؤثر الحلوة في أكثر الأوقات. ورغم أن وطأة المرض قد اشتدت عليه تماماً، كان يبدو متمسكاً، وكأنه في تمام قوته. كذلك كان دائماً مرهف الجوانس فصيح اللسان.

ولكن لما كانت أيام عمره قد أدت بالانشاء بموجب قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> انتقلت روحه الطاهرة من دار العرور إلى دار السرور

(١) وردت هذه الآية في سورة الأنعام، آية ٣٤ ووردت أيضاً في سورة النمل، آية ٦١

وقت غروب شمس يوم الأحد الحادى عشر من شوال سنة ١٣٠٣/هـ، فحلت بالعالم  
 الطامة الكبرى بسبب تلك الواقعة العظمى، وليست الأفلاك لباس الخداد الرفقاء، وبكت  
 بعانة ألف عين، وجرت أنهار الدم من أعين سكان الربع المسكون على مثال الليل  
 وجيحون. وبعد إقامة مراسم العسل والتكفين حملوا جثمانه الشريف على مراكب حاصنة  
 ونعمه الأمراء والخواتم، وكان الرجال والنساء يخرجون من المدن والقرى حاسرى  
 الرؤوس، حفاة الأقدام. وقد لبسوا الثياب البالية وكانوا يهبلون التراب على رؤوسهم وهم  
 يبكون ويتوحون.

(شعر فارسى فى الأصل ترجمته:)

على نوح ذلك الملك العادل التلى  
 انتخب الزمان، وبكت الأرض  
 وكان كل شخص يقول: وا أسفاه وا أسفاه  
 لقد غابت شمس الدنيا وراء السحاب.

ومى كل المدد ببلاد إيران، لبسوا المآذن ملابس الخداد، واندفعوا إلى الشوارع والبيادر  
 كبيرهم وصغيرهم، رجالهم ونساءهم ثياب ممزقة وبالية، وأقاموا مأتم الترحية ساعة أيام. ولما  
 أوصلوا جثمانه الشريف على بعد مرحلة واحدة من دار الملك [ص ٣٦٩] تبريز، خرج  
 أهل المدينة برمتهم. رجالهم ونساءهم كبيرهم وصغيرهم. ولعهرهم وفقرهم لبسوا ملابس  
 الخداد الزرقاء

(بيت من الشعر الفارسى فى الأصل ترجمته:)

هناك المسيح على وجوههم فى الصحراء  
 ضاربين صلورهم بالأحجار بسبب جزعهم وقلقهم

وكان الجود والحشم والرمية والخدم يطوفون حول الجثمان الشريف باكين متحين إلى  
 أن أوصلوه إلى موضع شمس حيث القبة التى أنشأها وأحدثها، ودموه هناك. (كل شيء  
 هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) (١).

(١) الآية بآكسها: «ولا ندع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون»  
 (سورة القصص، العدد).



أعرق الحق تعالى ذلك السلطان السعيد في بحر رحمة الذي لا ساحل له، وجعل سلطان  
سلطان الإسلام السلطان أولجايتو وارث أعماره، وأبلمه منتهى أماله. إنه ولي الإجابة.  
وصلّى الله على نبينا محمد وآله وسلم.



## القسم الثالث

### من تاريخ سلطان الإسلام غازان خان خلد سلطانه ودام مدله

في أخلاقه الكريمة وسيره الحميدة، وأثار عدله وإحسانه وخبراته وميراثه، وضوء آدابه وجميل عاداته، وكلماته التي تفوه بها في كل مناسبة على وجه التحقيق، وعلى سبيل التدقيق، وحيكمته الفعّمة وأواسره المبرمة المشتتة على رعاية مصالح كافة الخلائق، والتي قد تمّ بتتميزها في كل شأن من الشؤون، وكذلك مواضع الحكايات والأحوال مما لم يدخل في القسمين السابقين. وهما موضوعان:

يؤتّى أحدهما، ويتضمن أربعين حكاية، والآخر ما يسجله القلم متفرقاً حسب التقصايات والحوادث المختلفة

وبموجب هذا المهرست تذكر بالتفصيل ما هو محبوب، وهو عبارة عن أربعين حكاية في غاية الجودة، وبياتها كالآتي:

الأول في فنون كمالات وعلوم سلطان الإسلام خلد ملكه ومعرفته الصاعات والحرف المختلفة.

[ص ٣٧٠] الثانية في عصبة وطهارة سلطان الإسلام خلد سلطانه من الخصال المرقولة

الثالثة في فصاحته وبلاغته وحسن سؤاله وجوابه، واتباعه هذا السلوك مع البعيد والقريب والترك والتأنيث.

الرابعة في صبره وثباته وصدق عهده وميثاقه.

الخامسة في أنه في أكثر الأوقات كان يتحرى صدق كل كلام يجرى على لسانه المبارك.

السادسة في بدله وعظائه ولطفه وسخائه على وجه مستحسن

السابعة في إعطال عبادة الأصنام، وغريب معابد الوثنيين تخريباً تاماً.

الثامنة في حبة لأسرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإعراره للسادات العظام.

التاسعة في سحائه، وإعداد الحيد لحوض المعارك وجلده في الحروب.

العاشره في إسدائه النصح إلى القصصه والمشايخ والرهاد وأهل العلم والتقوى.

الحادية عشرة في معه طائفة الجود وغيرهم من النعمه بكلمات الكفر

الثانية عشرة في مهله إلى العمران، وحث الناس على ذلك.

الثالثة عشرة في أبواب البر بتميز وهدنان، والدور التي يدرها في الولايات.

الرابعة عشرة في القصاص على التروير والدعاوى الباطلة وغيانة الحيرة.

(ص ٣٧١) الخامسة عشرة في إبطال شرهم المستندات غير القابلية، وكذلك المجمع

القديمة

السادسة عشرة في إبطال الحكر والقصاص على أنواع الكسب غير المشروع.

السابعة عشرة في المحافظة على الرعايا ورعايتهم، ورفع الظلم والمشفقة عنهم.

الثامنة عشرة - في إبطال السخرة، ومع الرسل الرائد من الحاجة في البلاد.

التاسعة عشرة في القصاص على اللصوص وقطاع الطرق، وحماية أنطرق في البلاد من

شرهم.

العشرون في تخليص عيار الذهب والفضة على وجه لم يوجد من قبل على الإطلاق

وليس من الممكن أن يكون لفصل منه

الحادية والعشرون في إصلاح أوزار الذهب والموازين والمقاييس والمكاييل والتقصير

والتعامل.

الثانية والعشرون في تنظيم شئون المراسم واليازمات التي تصح للناس

الثالث والعشرون في استرداد المراسم واليازمات المكررة التي كانت في أيدي الناس.

الرابعة والعشرون في منح الإقطاعات لحمد المغول في كل ولاية

الخامسة والعشرون في تقرير كيفية إعداد جيش على حدة للحفاصة السلطانية.

السادسة والعشرون في منح التعامل بالربا والمعاملات بالأرباح الفاحشة.

السابعة والعشرون في منح الرواج بالمره الفعال غلاء فاحشاً، وتخليصه بتسعة عشر

دياراً ونصف.

[ص ٣٧٧] الثامنة والعشرون هي تشييد الجسومات والمساجد في القرى والمواضع في كل البلاد.

التاسعة والعشرون هي مع الناس من احتساء الخمر والمسكرات المسكرة الأخرى الثلاثون هي إعداد أصناف الطعام الخاص والشراب للمحيم المعظم. الحادية والثلاثون هي إعداد أصناف الطعام للنخواتين وعيماهن. الثانية والثلاثون هي ضبط شئون المصانع، وإعداد مهماتها ورعاية مصالحها الثالثة والثلاثون هي تدبير شئون المؤسسات ودور السلاح الرابعة والثلاثون - هي تنظيم شئون الدواب الخاقية الخامسة والثلاثون في ترتيب شئون حاملي القصور ومتعهدي المهود. السادسة والثلاثون هي ترتيب شئون العاملين في كل البلاد السابعة والثلاثون هي ترتيب الشئون المتعلقة بتعمير الأراضي البور الثامنة والثلاثون هي تشييد بيوت خاصة بالمرسل في البلاد، وإصدار الأوامر إلى الشخس بمنع الرسل من الترول في ديار الناس. التاسعة والثلاثون في منع المكاريين والجمالي وسعاة البريد من إيذاء الناس. الأربعون هي مع إكرام الجوارى على الإقامة في دور البعا.

## فى فنون كمالات سلطان الإسلام خلد ملكه وعلومه ومعرفته الصناعات والحرف المختلفة ووقوفه على أسرار تلك الصناعات

لا يخفى على العالمين أن سلطان الإسلام خلد ملكه عندما كان فى سن الطفولة كان جده أباقاخان يريه عنده ويرعاه ويحافظ عليه. وقد صير الكهنة الرئيسى ملارميس له ومعلمين. وعلى هذا النحو رسخت الوثنية فى دمه؛ خصوصاً أن هذا للذهب كان عقيدة لأبائه. وكانوا يسرون وفق تعاليمه.

ومد بديهة الإسلام، كانت عبادة الأصنام قد رالت بهائياً من كل الدنبار؛ إلا أنها عادت إلى الظهور فى عهد الملوك وقوى حال طائفة البوذيين، فاستدعوا أنصاف الكهنة الرئيسى من بلاد الهند وكشمير والخطا والأويور وصاروا محترمين ومكرمين. وأقاموا فى كل موضع معابد للأصنام وصرفوا الأموال الطائلة. وقد ارتفع شأن ملتهم حتى وصل إلى العتيق<sup>(١)</sup>. وكان سلطان الإسلام يلام دائماً الكهنة فى معابد الأصنام، ويتابع تلك الطريقة، ويوماً بعد يوم كان يزداد ميله إليها فيستحكم اعتقاده فيها.

وبعد أن تولى أباقاخان، أرسله أبوه أوغون خان إلى خراسان للحكم وإمارة الجيش وأقام هناك معابد ضخمة للأصنام فى مدينة خيوشان. وفى تلك المعابد كان يمسى أكثر أوقاته فى التحدث مع الكهنة وتناول الطعام والشراب وهكذا صار له اعتقاد راسخ فى تلك الطريقة الوثنية كما كان حرصه على عبادة الأصنام يعوق حد الوصف. وقد استمر الحال على هذا الوضع، حتى ذلك الوقت الذى استولى فيه بايبدو على الملكة وبمادر غازان بالحصل على انتزاعه منه.

(١) نجم البحر مسمى من طرف دائرة الأبيس، يلقب قزياً لا يتقدمها، ويطلق قبل الممراد (الشجر الوسيط، الجزء الثانى

**[ص ٣٧٤]** ولما كان الحق تعالى قد قدر لعارفين أن يتولى الملك والسلطة، وأن يظهر بمدد التأييد والتوفيق الرباني آثار العدل والإنصاف في العالم، وأن يجد الصلاح إلى الأعمال التي أصابها الخلل، وأن يعمر البلاد التي آل إليها الخراب، وأن يجعل على يده تقوية الدين الإسلامي، وتيسير أمور الشريعة والأحكام الخاصة بها. بعد أن كان هو نفسه وكذلك أهل العالم غافلين عن كل ذلك. وعبادة في الوقت المعلوم، وبعض النطق الإلهي حل مور الهداية بصدره الطاهر؛ فوضع قدمه المشاركة في ساحة الإسلام، وتثبت بالخيال المتين للإيمان، وأمر بإبطال شعار الأديان الباطلة.

وكان ظن أكثر الناس أن سبب إسلامه يرجع إلى ترغيب بعض الأمراء والمشايع وحشهم له على ذلك. ولكن بعد التمعن، علم أن ذلك الظن خطأ؛ لأنه أثناء الخلوة بي أنا العبد الضعيف مؤلف هذا الكتاب قرر أن هناك عدة دنوب، لا يعمر الله عبدا أكبرها أن يسجد شخص لنصم؛ إذ إنه من المؤكد والمقطع به أن الله لن يعمر ذلك الدنس، وأن للمساكين من الناس المتلين بالجهل هم الذين يسجدون للأصنام، وأنا أيضاً كنت مثلهم. ولكن الحق تعالى وهبى النور والعلم، فنجوت وتطهرت من ذلك الإثم مهداة حصرة الحق تعالى.

وتوصيح هذا الكلام أنه ليس هناك شيء قط يعمل الإنسان إلى الجحيم سوى الجهل؛ بل إن الجهل نفسه هو جحيم لا يمكن الخروج منه. فكيف يستطيع العقل السجود أمام جاد؟ إن هذا الإقدام دليل على الجهل المخص. وأمر آخر هو أن أصل الفكرة في عبادة الأصنام أن يكون الإنسان شخصاً كاملاً قسماً محب. وعن بعد صورته، ونصعها للذكرى ثم يطلب المند من همة ذلك العظيم ولتجنى إلى الصورة ونصعها وسجد لها ونحس في هذا غافلون عن أن هذا الشخص أثناء حياته التي هي خلاصة الإنسان كان متحداً مع نفسه الأصلي، ولم يطلب مطلقاً، ولم يجر **[ص ٣٧٥]** أن يسجد له أحد حتى يبدو في نفسه تكبر وعجب

وحيث إن عبادته والسجود له هما لاستمداد الهمة منه والالتجاء إليه، كيف ترصى نفسه عن هذه الجماعة التي تسجد لشيء يشبهه؟ وإذا طمع الساجدون فيما له في نفسه من همة عالية، وإذا تصوروا أن أثر تلك الهمة لا يزال موجوداً فإنه من المؤكد أن تكون همة رديئة ونصمة، وليست همة عالية متهجة. وأمر آخر هو أن الإنسان ينبغي أن يعرف

الحقيقة، وأن يدرك أنه ليس للجسد أية أهمية، فيسعى أيضاً حبه له، ويعلم أن ما يفارق البدن إما هو خلاصته، وأن يفكر في ماهية ما يفارقه ويتساءل: 'أى شيء هو؟.. وأين يذهب؟'. وكيف يكون باقياً وثابتاً حتى يتصور ذلك للشيء، وذلك للموضع وتلك الحالات. ثم ينتج ذلك إلى أن يدركه. وإذا ما اعتقد في الصورة التي صنعت على هيئة البدن، وسجد أمامها، فإنه يصغر عن إدراك هذه الفكرة، وهذا الطلب الذي هو خلاصة الجملة بعينها. وعكس ذلك هو محض جهل والدرك الأسفل منها.

ولو يفكر المرء في أن الجسم يصلح لصنع عتبة يخطوها الناس بالاندماج في ذاتهم وإياهم؛ حتى تظن تلك النفس أن ذلك شبه بدها، فيكون الإنسان راضياً عهما؛ إذ إنه يتصور قائلاً لنفسه: 'إني ما دمت حياً في الدنيا صرت كاملاً بالتواضع وبعد الثمات يكون أيضاً لشبه البدن نفس الخالق. وأمر آخر هو أنه يفكر في أن النفس التي لها ذلك الكمال، قد صار بدها تراباً شبيهاً بدهه، وجديرًا أيضاً بأن يكون عتبة تخطوها الأقدام. وعن الذين يعتقد الكمال تتساءل: أية قيمة تكون ليدما؟'

وبناء على هذا تنقطع علاقة الناس بالبدن انقطاعاً تاماً، فيتجهون [ص ٢٧٦] إلى التعكير في الآخرة، ومازل الأطنار وأحوال الأرواح المقدسة. وعليهم أن يلاحظوا دائماً تلك الحالات حتى يبالوا شيئاً مما هو حق، وأن تكون لهم فائدة من مجتهدهم إلى الدنيا ويملعوا الكمال؛ إذ إن العرص من وجود الخلق هو أن يتوجهوا من عالم الظلام إلى عالم النور.

ولما شرح السلطان هذه الحقائق ومنق هذا الترتيب بعبارات جيدة ومعان دقيقة، ظهر بوصوح تام نور باطله وصنقه وصمائه. وبعد ذلك صار يسوق دائماً حكايات من هذا القبيل، ويدكر كلاماً عميقاً في باب العرفان والتحقيق مما لم يسمع مثله قط من حكمم وعارف.

ولما تربع على عرش السلطنة عامين أو ثلاثة، كان يزيد يوماً بعد يوم في تقوية دين الإسلام، وراح في صدق وإخلاص بهتم اهتماماً تاماً بشئون هذا الدين.

وقد ثبت وتحقق لجميع الناس أن سبب إسلامه لم يكن بتأثير بعض الأمراء والمشايخ، بل كان يهدي من الله، إذ إنه من المحرب أن المسلمين إذا أجبروا أقبل الناس شأماً على أن يكون ملكاً أو حاكماً عليهم، فإنه حسب ميله هو نفسه يدين بعقيدتهم. فإذا وجد العرصه ساعفة



في تلك الولاية أو في ولاية أخرى فإنه يرجع إلى عقيدته الأولى. وإذا فائدة حاجة تصطر  
مثل هذا السلطان الرعي القصر، الباطش القوى إلى الاتصالات إلى كلام شخص من  
الأشخاص في مثل هذا الأمر الخطير، فيتحول عن مذهبه أو يختار ديناً آخر مكرهاً لا سيما  
وإن آباءه قد استولوا على كل ممالك العالم في زمن كرمهم؟

وبناء على هذه المقدمات علم أن أجره يكون في هذا الأمر مثل أجر إبراهيم الخليل  
صلوات الله عليه فقد أدرك منذ البداية - بمصل سور الهداية الربانية - ضلال عبادة  
الأوثان، فحطم صممه، وعرف الله بإيمانه الوجداني. كذلك كان إسلام السلطان على هذا  
الشوال. ورغم عظيمة المثلث وجبروته، فإنه عندما تحول عن عبادة الأصنام، واعتنق دين  
الإسلام، حطم كل الأصنام التي كانت في بلاد إيران، وبحرب تخريباً تاماً كل بيوت  
الأوثان وحمل المعابد غير الشرعية [ص ٣٧٧]، وأدخل في الإسلام جميع عابدي الأصنام  
والكفار الذين كانوا يريدون على عقد الرمال، بحيث إنه لم يضطر إلى قتل أي مخلوق. ولا  
بد أن هذا يكون له زيادة في الأجر.

هذه المعاني التي سبق ذكرها إما هي دلائل واضحة على كمال علمه ومعرفته  
وحكمته وهناك دليل آخر هو أن الشباب عندما يشغلون بالطرب واللهو واحتساء  
الشراب، ينجسون لأهوائهم ويستعرقون في الكلام العيث وأنواع اللهو. أما سلطان الإسلام  
فإنه عندما كان يصير متبهاً قليلاً، يستعرق في تفحص أحداث أهل الحكمة وتحقيق  
الحكايات والمباحث الدقيقة العميقة مما لا يدركه فهم كل حكيم وعالم. وكان يحب صحة  
جماعة الحكماء والعقلاء للمتارين. وإذا رأى من يتصف بالحكمة، وله عقل وضمير وأدب  
ولكن لا فطرة له على احتمال هذا العبء، فإن السلطان لا يحب به. وكل من يتصل به  
يعرف قدره في الحال. ولا يوجد مجال لأي محال ومرور أن يتحدث في حصرته بكلام به  
خناع ورياء. وإذا تكلم فليس يستطيع القول أكثر من مرة، لأنه يعرفه. ومن ثم فإنه لا  
يسمح له بمعاودة الكرة. وإذا قابل حكيمًا ثثاراً بلبه، فإنه يسير عوره في الحال. وعن هذا  
نورد حكاية لتوضيح هذا المعنى.

كان هناك شخص في غراسان، قدم من تركستان اسمه "هبة الله" (١)، وكان حسن  
اخلاق، لطيف الخضر، قد أخذ من كل علم نصيباً وكان يعرف اللغتين السريانية والتركية

(١) انظر تفصيلات من هذا الرجل في كتاب رجال حبيب السيرة، نغرد لخدمة عبد الحسي مرقش، ص ٢٣ - ٢٤

ويعطى أمثالا كثيرة وكان يقول كلاما حسنا على طريقة المشايخ. وكان السلطان والأمراء يشقون بكلامه. وقد ظل مدة يلازم حصرة السلطان خلد ملكه ولما تبرع على سرير الملك باليس والبركة، أرسل إليه رسولا يستدعيه، وأعره وقربه إليه، ومسحه الذهب وأغدق عليه الخلع، وفرر له المراثيات الكافية، وعهد به إلى أبا العبد المطيع للدولة، وقال لي: عامله معاملة حسنة، فتعدت ما أشار به السلطان وكان دائما يجيء إلى الحصرة. [ص ٣٧٨].

هناك الحديث يتناول كلاما عميقا يتعلق بموضوعات الحكمة والعرفان. ومع أنه كان رجلا مطلقا، إلا أنه كان هناك تفاوت كبير بين كلامه وكلام سلطان الإسلام - خلد ملكه - وكنت أتعجب وأقول في نفسي: إذا كان السلطان لا يعلم الفرق بين علمه وعلم هذا الرجل فإن هذا أمر مستبعد. وإذا كان يعلم، فلماذا كمال الاعتقاد في "هبة الله" هذا؟! .. ولما كان الطغى أيضا في حق هذا الرجل أمرا غير مناسب، وكان السؤال عن هذا الموضوع متعلما أيضا بقيت متحيرا في هذا الأمر إلى أن تعلموا السلطان ذات يوم بكلام عميق قال فيه: إنه حديث لا يخفى لكل شخص أن يتوصل فيه؛ فأكثر الناس يعرفون قشوره وظاهره ولا يتعدون إلى معانيه؛ إذ أنه ليس في وسع كل شخص أن يدخل خرائن الملوك التي هي مفتوحة للخاصة وحدهم. أما الآخرون فيظلون في الخارج مثل الشيخ هبة الله الذي سبيله هو أن يبقى خارج الخزانة، ويدرك فقط ما يكون ظاهرا؛ إذ إنه لا يعرف طريق الدخول إلى الخزانة والإحاطة بتفاصيل ما تحتويه. عندئذ تقدمت قائلا طالما أردت أن أسأل مولاى عن هذا الموضوع؛ لكن الفرصة لم تكن مواتية. والآن قد تحققت أن السلطان يعرف قدر الجميع، لكنه يعزهم كلهم. فقال السلطان: إني لا أتعجب من أنه أو غيره لا يعرف هذه الأسرار؛ غير أنني أسر كثيرا بكل ما يعرفونه، ولربما أن أتذكر كل ما حياى به الله حتى أحاورهم؛ فحجر المس مع كونه أكثر ليونة ووعورة من السيف إلا أنه يشده. وسبب ذلك أن جوهر الفولاذ يرداد بالحجر؛ إذ إن الحدة موجودة في جوهره ولكنها تزداد بالين حجر اللين.

وهي الحافل والجامع التي حصرتها مختلف الحرافع الناس، تعجب الجميع من الأسئلة التي وجهها إلى العلماء والحكماء. ومع أنه كان يتكلم بالصطلحات المعول، وكل شخص لا يدركها بسرعة، لكن لأنه كان بعيد ويكرر ويشرح كان يتبته البعض، ولا يفهمه أغلبهم. وهكذا كانت طرق حكمته ومعرفته الله على هذا الوجه الذي قررناه. [ص ٣٧٩]

وأما عن أحوال المذاهب المختلفة ومعتقدات كل طائفة فإنه كان يعرفها واحدة واحدة على أفراد؛ بحيث إنه عندما يتباحث مع أئمة تلك المذاهب، لا يعرفون الإحاطة عن واحد من عشرة أسئلة يوجهها إليهم.

وأما عن اللغات المختلفة، فقد كانت للمولوية لغة الأم. كما كان يعرف طرقاً من العربية والعارسية والفندية والكشميرية والتبتية والخطائية والفريجية وسائر اللغات.

وأما عن السلاطين والملوك للتقدميين والمتأخرين، فقد كان يعلم بالتفصيل آدابهم وعاداتهم ونظمهم، ويقف كذلك على عادات كل منهم في الحفلات والحروب والأفراح والأفراح والطعام واللباس والركوب وغير ذلك من الحالات والأشياء كيف كانت وعلى أي نحو صارت في هذا الزمان ١٩. . ويشرحها لكل طائفة منهم، فيملكهم الإعجاب.

وأما عن معرفة تواريخ الملوك وحكاياتهم التي كانت ذات أهمية قصوى بالنسبة إليهم وكذلك أسماء الآباء والأجداد والأقارب ساءً ورجالاً، وكذلك أمراء الملوك قديماً وحديثاً ممن كانوا في البلاد أو لا يزالون فيها؛ فقد كان يعرف بالتفصيل شعب سبل كل منهم باستثناء هؤلاء ألقاؤهم إذ إنه لا يوجد من أقوام الملوك شخص آخر مثله يحيط بهذا التاريخ والجميع يتعلمون منه. وإن تاريخ الملوك هذا الذي كتبه، استعدت أكثره من حصرته وبذلك أصبح ميسراً. ويوجد كثير من أسرار الملوك وحكاياتهم يعرفها هو نفسه، ولم تسجل في هذا التاريخ

كذلك يعرف السلطان غارات أغلب ملوك المعجم والأثران واحد وكشمير والخطا والأقوام الأخرى على اختلاف طبقاتهم ويقول ذلك أمام كل قوم، فيصرون متحيرين

وأما شجاعته ووقوه على نظم الحرب والإعداد لها، فإن ذلك يدع غاية الكمال. وسوف نمرّد فصلاً على حدة في هذا الموضوع

وأما عن الحرف المختلفة، فإنه لا توجد حرفة قط لم يمارسها بيده، وذلك من قبيل الصياغة والحداثة والمجاعة والنقش وحسب المعادن والخراطة والصناعات الأخرى؛ وذلك على نحو الفصل [٣٨٠] مما يصحبه جميع الأساتذة المهرة، ولأنه يمارس صحتها بنفسه كان يرشدهم. وكل أستاذ مهندس يريد أن يصنع آلة منقطع النظير لا يعرفها المهندسون الآخرون، كان يرشده ويعلمه حتى يتعلم.

وأما صفة الكيمياء التي هي أعقد الصناعات فقد أولع بها، ووقف على طريقها في مدة وجيزة. ولما كان يعرف حق المعرفة أن هذا العمل لا يستطيع كل شخص أن يحققه

على الوجه الأكمل، استدعى تلك الطائفة التي تدعى معرفة هذه الصنعة، ولم يفسح لهم المجال كي يهتفوا عليها شيئا على النحو الذي كان مألوفاً، وهو أن تصرف لهم أموال كثيرة على تلك الحرفة، وذلك بناء على كلامهم. لكنه أمرهم بصناعة عدة ساعات يعرفونها ويجعلونها وما يلزمها من الآلات والأدوات، وذلك مثل صنعة المساء وحل الطلق وصهر البلور وعمل الزعفران، وصهر المواد الصلبة بواسطة تسخينها وتكثيف البخار النبعث منها وصنع شيء يشبه الذهب والفضة، بالإضافة إلى ساعات أخرى صنعها أمامه حتى اطلع عليها وعرفها، وقال: إني لا أريد أن أتعلمها كي أصبح دها وبصاً؛ إذ إني أعلم أن ذلك أمر مستحيل لكنني أريد أن أحيط أيضاً علماً بالصاعات الدقيقة الطريقة وأصنعها كذلك لأن ذلك كمال في العلم الذي لا يقف عند حد. ولكن يهمني التقدم والترقي من عمل إلى آخر.

أما علم الطب وطرقه للنبذة عند التاريخ والخطا والمعلول والمعد وكشمير فقد اطلع على كليات كل منها، وعلم وجهة نظر كل طائفة. كما عرف كل الأدوية، ووقف على أكثر خواصها، والأطباء في هذه البلاد يعرفونها على الأكثر في دكاكين المطارين أما هو فقد اكتشف في الصحراء الأعشاب الطيبة عد كل طائفة ووقف عليها كذلك يعرف [ص ٣٨١] ما يسمى الآن "سج دارو" (الأدوية الخمسة)، وذلك من ورقها، وإذا ما تعاملها، ظهر أنها هي بعينها. وهناك كثير من الأدوية، كانت تسب إلى بلاد التركستان والخطا والمعد، وكان التجار يجلبونها للمتاجرة فيها وبيعها في هذا البلد بتمس بساعط فاكشف السلطان عازن وجودها في هذه البلاد. وبالتجربة وقف بنفسه على خصائصها

وكان هناك في الولايات بعض علماء العقاقير المشهورة من الترك والتاريخ، فاستدعاهم السلطان، وكان يصطحبهم معه في أوقات الصيد وغيره في الجبال والصحاري، وكان يستفسر منهم عن كل ما يريد معرفته حتى وقف على تلك الطريقة؛ بحيث إنه في هذا الزمان لم يكن هناك بين جميع علماء العقاقير والأطباء شخص مثله يعرف هذه الأوصاف. كذلك أحاط علماً بكل ما كان من الأدوية المردة للمروعة عد أهلها بالترقية وهي عمرة وعندها أربعة وعشرون دواء مفرداً، كان كل منها تزياناً مطلقاً. ثم أصاب إليها التزيان العاروقي، وجرب ذلك التزيان، فظهر نفعه للعامة، وصار اسمه "التزيان العاروقي"

وأما عن علم المعادن، فظنوا لكثرة تفحصه ونباحته مع علماء ذلك العلم، صار يعرف ما يحويه كل موضع من الجبال والصحارى التي يراها، ثم يحدد المعدن الذي يوجد في ذلك الموضع. وعندما يتحرى المتخصصون حقيقة ذلك، يكون هو الذي ذكره. كما أنه يعرف طريقة استخراج كل نوع من المعادن وصهرها بواسطة الآلات والأدوات. وقد صنعها كلها وجربها.

وأما النوايرد، فإنه يعرف منها ما يقرأ لكل نفة.

وأما معرفة خواص أشكال آدميين والدواب، وما تدل عليه فإنه يقف بالتفصيل على كل ما يتصل بها على نحو ما ذكر في الكتاب.

وأما علم الهجوم والهيئة فقد ذهب عدة مرات إلى مرصد مراغة واستمر باستعانة عما يشتمل عليه من آلات وعن كيفية تشغيلها ولهذا استعاد وتعلم، وأطلع على تفاصيل تلك الآلات والأجهزة بحيث إنه مأل إلى تشييد عمارة لمرصد جديد [ص ٣٨٢] حسب ما تراهي له هو نفسه، فأقيم هذا المرصد. كما يبي قية من تصميمه بقصد تعيين دوران الشمس، وناقش المجسم في ذلك، فأجبع هؤلاء قائلين: "على الرغم من أننا لم نر قط مثل هذه الآلة، فإن ذلك أمر معقول وفي المرصد المجاور لأبواب البر هي تبريز أقيم بناء على شكل قبة تحوى تلك المعدات على النحو المشاهد

بهذا كله يكون السلطان قد حصل نصيباً من كل علم يتصور، ولم يمس الحق تعالى عنه أى كمال، ورهبه بالأخلاق الحميدة كما سوف يذكر في القصول الأخرى القادمة ولهذا السبب لم يتطرق إليه المعب بعبه مطلقاً. وهو يصرح بأن خلاصة العلوم علم الإلهيات أما الإحاطة بالعلوم والصناعات الأخرى فهي التي يمكن أن يطلق عليه اسم الكمال لأن من لا يعرفونها، يكون ذلك نقصاً فيهم. وقياساً على هذا يجهى أن يعرف الشخص من كل شيء شيئاً حتى لا يكون ناقصاً. وإلا فماداً كنت أشغل هذه المشقات؟ " وإلى الآن ما زال غاراد خان يشغل نفسه دائماً بالتعليم والتعلم.

وهكذا ذكرنا شطرا مما يتعلق بملوم وآداب سلطان الإسلام غازان خان -- حلد ملكه --  
وأمل هذا المجهود والنصون على تلك الحقائق وهم شهود على أن الحال يجرى على هذا  
المسوال، وذلك حتى لا يطلع القراء في كلامي فيما بعد قائلين ' لقد حدثت مبالغة فيما  
كتبت'

اللهم امنح غازان فصيلة جديدة كل يوم.

## الحكاية الثانية

### فى عفة سلطان الإسلام وعصمته

بقرر الذين كانوا قبل هذا مقربين إلى الخصرة أن سلطان الإسلام - خلد ملكه - لم يقدم على حرام قط. وإذا ما اتفق له النظر إلى أحد، فإنه لم يكن يحير مطلقاً أن يرتكب إثماً.

وفى الوقت الذى ظل فيه ربما طويلاً بعيداً عن داره، يقود الجيش ويقوم بالفتوحات [ص ٢٨٣] كان القواد كلما حصلوا على البسات الحسلوات تنجعة العارات، يختارون أكثرهن جمالاً ويأتون بهن إلى الخصرة ومع أن من عادات الملوك أن يحتفظ بمثل أولئك الإماء السريات حتى يتعاهدوا بهن، ويكون طريقتهن فى العزو مزدهراً وميسراً فإن سلطان الإسلام لم يكن يميل إليهن مطلقاً ويقول فى هذا الصدد: كيف ألوث جسدى بهن وكيف أتعرف عليهن حاجة؟ وعلى هذا لم يكثر بهن ولم يسلهن.

بعد ذلك خلال هذه العترات، وحسب ما اتضح لم تصدر من حضرته محاولة مطلقاً هيأت له طريق الرما واللواط والعسق، ولم ينظر إلى مساء الناس بالحياة والإثم. وفى كل مرة أثناء فتح الشام، كانت فى دمشق بسات الملوك وعمرهن، فلم يلتفت إليهن على الرغم من ابتعاده مدة طويلة عن دياره وسنائه. وقد استطاع أن يحافظ على نفسه وبصاير كذلك لم تجر نفسه الشريعة مطلقاً لشخص آخر أن يجد محالاً لارتكاب اللواط والعسق والمجور وكان دائماً يبالغ فى منع هذه النقائص بإصدار العوامات وقد عاقب وفق قواعد الشرع والياساق عدة أشخاص معينين بسبب ارتكابهم تلك الأثام.

وبخلاصة أن طهارة نفس السلطان عاران الشريعة مثل الذهب الإبرير.

عليه حفظ الحق تعالى، ولنجرح تلك الذنات الشريعة من نكبات الرمن، وأن يوجه عين الكمال إلى صاحبه المباركة بحق السبي وآله

## الحكاية الثالثة

### فى فصاحة سلطان الإسلام وبلاغته وحسن سؤاله وإجابته فى أحاديثه مع البعيد والقريب والترك والتزك

قبل هذا العهد، كان الأمراء والوزراء يصرفون أكثر المهمات ومصالح الدولة كما كانوا هم أنفسهم يذهبون لشئون الملك. وكان السلطان فارغ البال من تلك الأمور وكان ينفى أكثر أوقاته سهمكا فى الصيد واللهو. وعلى هذا يمس إدراك [ص ٣٨٤] كيف يكون تدبير الأمراء والوزراء المختلعي الأحوال والأهواء؟

وفى كل وقت كان بعد رسول من قبل الملوك البعيدين والقريين، يتفاوض الأمراء معه ويردون عليه. أما سلطان الإسلام عاران كان فقد أصلح كل شئون الملك التي كان الأمراء والوزراء قد ألحقوا بها الضرر مدة سنوات وعرضوا قواعدها للحلل، وذلك بأفكاره الصائبة، وآرائه الثابتة. وقد أسمر على تمديد لأموره، ولم يدع سبيلا لأى أمير أو وزير كى يعترض أو يتحدث عن شأن من الشؤون، ولم يقم ورنا أو اعتبارا لأى واحد يعرض فكر أو رأيا، بل يظل الجميع منتظرين ومترقبين إشاراته لتنفيذ ما يأمر به إلى حد أنه لم يترك جمالا مخلوق قط كى يسأله حتى عن يوم الرحيل. وقد اغتد بقوة عريته طريقة تجعل الجميع من شب وشبان وعقلاء وجهلاء يراعون رأيه وتدبيره وإشارته.

وفى الحقيقة لم يشق ذلك على أى شخص منهم، لأنهم جميعا شاهدوا أن نفسه هى الأكمل، ورأيه هو الأصوب من كل الوجوه. وكذلك حركاته وسكاته مرتبة إلى أقصى حد؛ فلا جرم أن رأوا أنفسهم لا شىء بالقياس إلى كفاءته.

ورغم حداثة سى السلطان، فإنه يذكر عدة أمثال متخبة وتواريخ وحكايات لطيفة تجعل المستمعين يقفون حيارى متعجبين. وكلما وصل إليه رسول من إحدى الجهات، كان يجيبه إجابة صائبة دون الرجوع إلى أركان الدولة وأهل المكر والمشورة. ومن المسلم به أن الملوك العظام يرسلون إلى الملوك الآخرين رسلا فى غاية الذكاء والنداء بالإصافة إلى أنهم علماء



ومصحاء ومحكون. وإن طائفة الرسل الذين وصلوا حتى الآن، وكذلك الحكماء والأطباء المشهورون الذين قدموا من الأطراف إلى بلاط عاران قد تعجبوا جميعاً من فصاحته وبلاغته وحسن عاوريته ومخادشته وكمال أخلاقه [ص ٣٨٥] وكان يتحدث معهم عن أكثر الحكايات والحوادث التي تتعلق ببلادهم، ويشرح بالتفصيل معتقدات كل طائفة تفد إليه. وعن طريق الحكاية يبيّن رسوم وعادات كل ملك وكل قوم من المتقدمين والمتأخرين؛ فلا غرو أن داع صيته وشاع في كل بلاد العصى والهند الصينية والهند وتركستان وكشمير ودشت القبيجان والأوروس والفرنج ومصر والشام؛ بحيث إن الجميع حسروا له حساباً تاماً فيما يتعلق بهيئته وسياسته وكمايته وكهاسته؛ وذلك في كل الأبواب والأحوال، فتملأوا بمدحه والثناء عليه.

إدام الله تعالى سلطان الإسلام هذا، صغوة خلق الله وأعفل وأكمل أبناء الزمان، وأبقاه حتى الأبد على رأس العالمين بحق حقه. والسلام.

## الحكاية الرابعة

### فى صبر سلطان الإسلام وثباته

### وصدق عهده وميثاقه

بين الآن عدة ظواهر من الصبر والتحمل والثبات وصدق القول والحفاظ على العهد والميثاق. تلك الصفات التى هى مركبة فى ذات السلطان عازرا؛ لأن شرح ذلك كنه يؤدى إلى الإطباب علقه عند به بورور مع أنه عهد من عبيد الحصرة، فعبد المحميات واندرج معجزة فى مرة الأتباع كما هو مذكور فى التاريخ، ولكنه عهد إلى الخيانة عدة مرات. وكان هو السبب فى غراب خراسان، واضطراب الجود وتشقتهم هناك. ثم اتصم إلى جيش "قايدو" واشتمل بتخريب الملك مدة طويلة. ولما شعر بمعمره، أرسل إلى الحصرة يطلب الأمان والميثاق. ثم جاء طائعا مختارا ورغم كل تلك المساوئ التى لا يستطيع شخص عملها عما عه السلطان وغارور عن سيئاته، ووصفه حكم كل البلاد

ولكن لما كانت لبورور نفس عجيبة [ص ٣٨٦] وبدت على ناصيته علامات العثر وكان يقول أيضا كلاما غير لائق. ولما كان الأمر كذلك، قال الأمراء مرارا للسلطان لقد ارتكب بورور كثيرا من الأعمال المستهجة، وصدرت عنه أنواع الخرافات، فيسعى القضاء عنه لكن سلطان الإسلام خلق ملكه لم يرض بذلك وقال: الحق معكم لكسى لا أستطيع أن أنكث عهدي وميثاقى. ومهما كانت تصدر عنه حركات وأفعال سيئة كان السلطان يتحمل ويصبر إلى أن ذهب إلى خراسان وشرع فى إثارة الفتنة وإعلان العصيان وأراد أن يستولى على تلك النواحي بالإصافة إلى خراسان وكرمان. وكانت البلاد على وشك أن تحرب على يديه مرة أخرى. وهكذا كانت تلك التصرفات طاهرة وواضحة فأشار السلطان بتدريك الموقف. وها قال الأمراء: لقد قلنا مرارا إنه يصبر هذه النواحي فى قلبه. فقال عازرا. إيسى أيضا كنت أعلم ذلك ولكنى أردت أن يكون هو البادئ بالعنوان لا أنا. كذلك كانت هناك طائفة أخرى من كبار الشخصيات، قتل السلطان بعضهم، وليس هناك داع لذكر أسمائهم بالتعصبل، ولا يكون ذلك مناسبا. وأثناء محاكمتهم قال السلطان

للأثراء. إننى مطلع على قبح سيرتهم وسريرتهم مد خمس سنوات، وأعلم عنهم كل شيء ولكسى صبرت عليهم. ولقد قال بعضهم مرات عديدة كلاما غير لائق يتسبب فى حراب البلاد. ولو كنت ألتفت وأستمع إلى أنواع الخيل التى يذكرونها، لترتب على ما يقولون تلك الفس التى لا تنتهى، ولا أريد أن أذكر بعضها، ومد فترة وجيزة ذكرتها لهم فى الخلوة. ولقد عرفت لأول وهلة أن أقوافهم التى ذكروها إما هى محض احتمال وخداع، فاستكرتها. ولكنهم رغم ذلك لم يستحووا، وظلوا يعيشونها مدة خمس سنوات وبعرضوها بصور مختلفة. والمعجب أنهم كانوا يرون أنى لا أصلها [ص ٢٨٧] ولا أعمل بها. ومع ذلك صاروا يكررونها. وقد أراد هؤلاء الجهال الحمقى أن يستجلبوا ويقتربوا من حباتهم. ولما تجاوز الأمر الحد، وظهرت براياهم، اعترفوا هم أنفسهم. وعندئذ أعنت ذلك على الملأ فنت للناس من صورة الأحوال واقصاها أن ما حدث كان على النحو الذى ذكرت. ومد مدة كانوا يتصورون بذلك الكلام ويقولون جميعا متصحين كيف استطاع السلطان الصبر على هذه المحالعات؟! . ولقد راد عجبهم لأنهم ذكروها بعضها، ولكنهم تأكدوا من أن أى مخلوق وحى بالناس فى حصرة السلطان وعدمه إلى التزوير والتليس، عرقه السلطان فى الحال، واستاء منه. ولكنه بصبره لم يتحصل فى إظهار عصبه، ولم يعطى ذلك الرجل إلى أن السلطان يعلم ذلك ويصبر عليه، ولكنه كان يصبر على خطئه، فكانت عاقبة الإغرام

ولقد كانت تلك الجماعة كثيرين من بينهم قاصى سمان الذى كان يدعى "لقاصى صابى"، وكان أكثر خلق الله شرا. وفى الحقيقة كان أكثر شرا من إبليس ومن هؤلاء أيضا القاصب الأصمهاى وعدة أشخاص آخرين ممن لا يستحقون الذكر. ولقد فطن السلطان إلى أفعالهم جميعا. وبعد أن صبر عليهم مدة، أمر بقتل بعضهم بناء على أقوال شهود العي والإثبات، وطرد بعضهم من خدمته.

وعلى العكس من الأشخاص الذين عرفوا طبيعته، وكفوا عن المديان وإثارة الفتى وقالوا دائما الكلام المقول المعيد المعبر عن حقيقة شعورهم، هؤلاء الأشخاص قدرهم حق قدرهم بعبارة عقله الكامل، وأنى عليهم وورث بهم ولما كان صمير المير مطالعا على أحوالهم،

لم يستمع إلى أقوال الآخرين إذا راحوا يطعمون في حقهم، ويتهمونهم على سبيل العمد والعداء، وكان يتأني، ويطلق يد هؤلاء للخلفين في الأمور التي كانوا متكلمين بأدائها وذلك حتى تسير تلك الشؤون بمودة وإحكام، ولا يتطرق إليها أى حلل. وكان يكرر قوله: ليس هناك في العالم شيء قط أشرف ولا أنص من إنسان ثقة مستقيم [ص ٣٨٨]

فلا عرو أن يكون الصادقون الثقة معررين محترمين. ولكن السلطان كان يقصى على كل معسد وسارق وسبيء العمل. وإذا حلب المظلمون على بواطن الأمور بالأيمان الملعنة أن سلطان الإسلام خلد ملكه لم يقتل أحدا مطلقا إلا ذلك الشخص السيء الخلق ويلزم القضاء عليه، وأن وجود هؤلاء الأشرار هو عين الضرر للعالمين - كانت أيمانهم صحيحة لا تستلزم الكفارة. ومن المتيقن أنه إذا تقرب إليه معسد آخر فإنه يأمر بقتله أيضا لأن طبيعة نفسه الشريفة بخصوص المفسدين لها خاصية الرمد والأفمى. أما من بقي من المفسدين فإنهم تلك الرمرة التي لم يرها ولم يعرفها، وإلا فإن نفسه الشريفة كانت كالخوهرى الذى يميز البلور من اليواقيت، فيعرف هؤلاء الأشخاص في الخال. ومع هذا فإنه لا يتعجل في أى أمر إلا في صل الخير أو ما يوشك على السيل، ولقد نصح الأمراء والقضاة والوزراء كرات ومرات قائلا: لا تقتلوا على الفور كلام طائفة تشكو حاكما أو موطعا؛ إذ من الممكن أنهم من قبل لم يكونوا قد سدخوا ما عليهم من صرائع، وحلوا مسئوليتهم على غيرهم، فاضطروهم ذلك الحاكم إلى تسديد الصرية. ومثل هؤلاء الناس لا بد أن يشكوا. وإذا صدقت أقوالهم أيضا، فإن جماعة أخرى يأتون متلوعين ببعض الأسباب

ومن الممكن أن تكون هذه الجماعة من الراغبين في تولي المنصب ويريدون أن يسترعوا من المشكوك منه وظيفته، كى تعوض إليهم ويمكن أن نجىء جماعة ممن كانوا أعداء سابقا، أو أنهم تربطهم صداقة بأحد الأشخاص، فيشعروا على الحاكم فاحتاطوا لكل هذه الأمور وغرخوا أسواق كافة الرعايا ممن يسدون الصرائع، وتأكدوا من أن حاكمهم ظالم أو لا وأنهم يريدونه أو لا؟ حتى تسى حقيقة أمره [ص ٣٨٩]؛ إذ إنه من الممكن أن يكون كلام الكترة من الناس خاليا من العرض والغوى. وأن كلام أصحاب العرص والقلعة من الناس ليس له أهمية تذكر، وأن الأشخاص الذين ترصى عنهم فرعية، وشيل طبيعتهم إلى العدل قليلا ما يعثر عليهم. وإن الحاكم الذى يؤخذ عليه عيب أو عيبان، وله مسائل أخرى

كثيرة، لا سيما قلة الطمع وحسن السياسة والصدق والاستقامة مثله لا يمكن عزله من عمله.

وعلى هذا النهج الذي استقر في خاطر السلطان المبارك، صار يحتاط دائماً ويرشد الأمراء والوزراء أنصاء، ولا نفوته - في أية قضية - قيد شفرة من الكياسة وبعد النظر. فليمتع الله تعالى سلطان الإسلام هذا بمسوات عديدة من العمر والسلطة بحق النبي وآله.

## الحكاية الخامسة

### فى أن كل كلمة تجرى على اللسان المبارك لسلطان الإسلام تكون مطابقة للواقع فى أكثر الأوقات

يقرر المقربون الذين كانوا ملازمين للحصنة منذ عهد طفولة سلطان الإسلام - محمد ملكه - أنه فى كل وقت تحدث فيه عن قصة أو قص حكاية، جاء حديثه مطابقة للواقع. وقد ثبت خلال هذه الأعوام أنه كلما تفوه بكلام على سبيل الجدل أو المراءى يتحقق. كأن يقول مثلاً: لقد اتفق هذه السنة للشخص الملايى ما اتفق له فى الأمر الملايى، أو أن رسولا يصل من أحد الأماكن بهذا الشكل والمظهر، أو أن أسيراً يمحسروه بهذه الهيئة، أو أنه سوف يصل خبر سار ومع أن مثل هذه الأمور لم تكن بعيدة عن أغلب الملوك سوى الشأن العظيم الذين وهب لهم الحق تعالى هذا الملك وهذه السعادة، ولكنهم حتى الآن لم يحكوا عن أى ملك ما يحكونه عن سلطان الإسلام، كما أنهم لم يشاهدوا مثل أفعاله التى أثرت عنه.

ولما كان كذلك شديد الولع بكل المعلوم، أحاط بعلم الرمل وقراءة الكف وأسان الخيل وغير ذلك من الدلائل التى يفتشون بها السوء والخس على نحو ما جاء فى الكتب. كما أنه تتبع كل أنواع التشخيص التى اصطلاح عليها كل قوم، [ص ٢٩٠] وكل ولاية، ودرسها جيداً، وكان يصدر أوصاها أحكاماً بشأنها

أما الحجوم من سيارة وثوابته، والتى هى مشهورة لدى المجس، فإنه يعرف أعينها وهو مطلع على طلوعها وغروبها وخواص كل منها؛ بحيث إنه يشير العجب لدى مستمعيه. كذلك يعرف بدقة خواص الأشكال لكل الحيوانات المتناسئة والوحشية وذلك على تباين أصنافها واختلاف أنواعها، كما أنه يعرف عادة وحركة وسكون وموطن كل منها فى الصيف والشتاء. وكل هذا لا يتأتى إلا بقوة المراماة. والله أعلم.

## الحكاية السامسة

فى بذل سلطان الإسلام وعطائه وجوده وسخائه

على الوجه المستحسن القائم

على أساس المعرفة

عندما تربع سلطان الإسلام على سرير السلطة كانت غرائس آباءه وأجداده حالية من الأموال، والولايات حرية مختلة إلى أقصى حد، وأموال الديوان عرصة للهب والتلف، وتحصيل الضرائب أمر متعذر وبسبب سوء تدبير الورداء والحكام السابقين طمع عمال الولايات فى الأموال؛ فكان يلزم من مرور فترة من الزمن حتى يمكن ضبط مصالح البلاد، وصمان وصول المال إلى الخزانة بعد ذلك.

هذا الخلل يتضح فيما يلى:

أولاً: الخرائص التى كان هولاء حاكم قد أحصرها من بغداد وبلاد الملاحدة والشام والولايات الأخرى، وأودعها قلعتى تله<sup>(١)</sup> وشاه<sup>(٢)</sup> هذه الخرائص كان الخزنة يهوىها بالتدريج، وكانوا يبيعون للتجار بالبشات<sup>(٣)</sup> الذهب الأحمر والمرصعات. ولما كان كل منهم مطلقاً على ما يعلمه الآخر، لم يكن أى منهم يوح بشئ عنها. وقد اتفق أن تهدم برج من الأبراج المطلقة على البحر بحجة أن الباشات والمرصعات قد سقطت فى البحر، اختفى الخزنة مبالغ أخرى.

(١) يكتبها أبو الفداء "تلا" ويذكر أن بحره "تلا" هى بحره أرمنية والبحره المذكورة بين مراغة وبين سمناس غربى مراغة وغربى سمناس ومن وسطها جزيرة بها قلعة تسمى قلعة تلا على جبل مشطع من هذه الجزيرة. وكان "تلاون" (هولاءكو) قد جعل ثروته فيها لخصائيا (تفريع القلعة، ص ١٢). نصحيح وطبع رينود والبارون ملك كوكى ديسلان، باريس ١٨٤٠ م. ص ١٤١.

(٢) شاهما قلعة جديدة هولاءكو. ووضح فيها ثروته بما فيه من بغداد وأقاليم الخلافة ثم سارت هذه القلعة مدفا ليد. وكانت تعرف بالمدرسية كور قلعة أى "قلعة القبر" (بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة لفرير، ص ١٩٥). بعدد ١٦٣٧٣/هـ ١٩٥١ م.

(٣) الباشات جمع باش. والبش عبارة عن محسنة مقال من الذهب أو الفضة (انظر كتاب تاريخ جهاتگشاى، جلد اول، معين محمد بن عبد القهار القزوینى، ص ١٧٧، حاشية ٢، لندن ١٣٢٩/هـ ١٩١١ م).

ثانياً، السلطان أحمد "تكوادر" كان يريد أن يجذب إليه الجند، ويستخلص منك لمسه  
وبعارب أرغون؛ فأعطى الجند جملة ما تبقى. ولم يكن قد بقي هناك شيء أكثر من هذا.  
وقبل أن ما بقي هي الخزانة لم يكن يبلغ مائة وخمسين تومانا. (ص ٣٩١).

ثالثاً: ما جمعه أرغون في "سوغورلوق" من كل صوع وأودعه الخزانة، سرق بعض منه  
وانتلف بعضه الآخر. وبعد ذلك فإن ما كان أرغون قد حصله في عهد توليه الحكم وزع  
وانتلف أيضاً. وعندما فكر الأمراء والمقربون في العذر به وغالغله ومحاولة قتله، قسم بعض  
الأمراء والمقربين محتويات تلك الخزانة فيما بينهم وقال بعضهم: إننا سوف نورعها على  
الجند، ولكنهم بددوها. ولم يملّ جيحاتهم معه شيئاً منها. وإذا كانت هناك بقية قد توافرت  
من خزائنة أرغون، فإنه قد مسحها للناس.

هذه الأسباب لم يكن قد بقي هناك شيء قط من تلك الأموال السالمة عند جلوس  
عازان للسلطنة. ثم إن الجيود الذين كانوا معه عندما قدموا من غراسان، انتهر الأعداء  
العرصة، وجاءوا إلى هذا الإقليم ونهبوا ديار الجند وقطعناهم وكلما حاول سلطان الإسلام  
خلد ملكه أن يسمح حتوده شيئاً، لم يجد في الخزانة مالا قط. كما أن أموال الولايات لم  
تكن تصل إلى الخزانة العامة.

ولقد ظل نوروز مدة يدير شئون الملك والمال. وبسبب سلوكه طريقتة السابقة، لم يتوارى  
شيء. وبعد ذلك أخذ شرف الدين السمانى وصدر الدين يديران الشئون، فلم يحدث أيضاً  
شيء يذكر. ثم إن القوات الاحتياطية كانت في حاجة إلى المال. وإذا وفد رسول من  
الولايات البعيدة والقريبة، وأرادوا صحن حلعة أو عطاء، لم يكن يوجد في الخزانة ما يليق  
بمسلحته. كذلك لم يكن الناس يصدقون أن الخزانة حالية إلى هذا الجند فكانوا يسيرون  
النهائون والإهمال إلى سلطان الإسلام إلى حد أنه كانت تصل الشكاوى من كل شخص  
بخصوص هذا الموضوع.

وعندما بلغ ذلك سمعه الأشرف كرر قوله على رأس جمع من الأمراء والمقربين. إنكم  
تظنون عندما يصل عدد الإبل والبغال المحملة بالصادق، أنها تحمل أموالاً إلى الخزانة؛ ولكن  
الحقيقة هي أنني أحب الصناعة، وأشتغل دائماً بقطع أنواع الأخشاب وتصميمها؛ فكل ما  
يحمل إلى هنا ليس أكثر من أخشاب، وأصناف الأدوات والآلات الخاصة بكل صفة.



[ص ٣٩٢] بالإصاعة إلى بعض قطع من الأسلحة. وهذا لا يخفى عليكم. والخزنة مطلقون على تلك الحقيقة، فكيف لعب الشيء الذى لا وجود له؟ إنه لم تظهر لى حرمة ورثتها عن الأبناء، ولم يحصروا إلى مالا من الولايات. وعلى هذا جئت على رأس بلد غرب. فعليكم انتم ان تجمعوا أموال الولايات وأحصروها لى. وعندك إذا لم أعطها لهماكم، وسوف يكون التفسير من جاسى. ومن هذا الكلام الصريح ثبت للجميع ان الحق بجانب السultan.

وبعد عامين عندما فرغ من ترتيب شئون المملكة وتديرها وأحكم شئون الأطراش والتفوق، وقضى على الخوارج والأشخاص الذين كانوا قد دأبوا على إثارة الفتى والعصيان أو أنه عصمهم ورجعهم اشتمل بتدبير شئون الولايات وترتيب الأمور المتعلقة بفسط الأموال وغصبل الضرائب. وكان يجلس بمعه كل يوم من الصباح الباكر حتى المساء يصحح بقلمه المبارك المسودات الجديرة بالتسجيل كذلك أوجد نسفاً لأمر البلاد، ووضع لها قانوناً وبين على أى نظام يسير كل عمل.

أما الولايات التى يقطعونها فقد قرر أن تعطى أناساً أغوياء ولا تسترد منهم مدة ثلاث سنوات، وألا يلتفتوا إلى أى شخص وضع خسيس. وبس سبل غصبل الأموال، وكيف يكون ذلك وعين أيضاً الأموال التى يجب غصبلها من كل البلاد. كما عين وجوه الصرف فى كل باب على الوجه الذى سوف يجرى شرحه فى العصول التالية.

بعدئذ انتظمت أمور الولايات، وأحدثت الأموال تصل إلى الخزنة يوماً بعد يوم، وصار الدخول يزاد سنة بعد أخرى. ولما سيج المصانع الذى لم يكن يسد نفقاته قبل ذلك، ولم يكن الثوب يساوى دنانير من السعر المقرر، فقد وصل الإنتاج كله إلى حد الكمال. ولما حصل السلطان على المال، شغل بالعطاء، وقال للأمرء وأركان الدولة فى هذا الصدد: ليس فى العالم أمر أصعب من بدل المال. وإن چيگير خان كان يصرح: "ليس هناك عمل أسوأ من إعطاء المال، وأيضاً من عدم الإعطاء. ومن المؤكد أن من لا يعطى يكون بهيلاً.

[ص ٣٩٣] وأى شيء يكون أسوأ من البخل؟ وأما فى حالة الإعطاء فإنهم إن مسحوا أحداً قليلاً، وآخر كثيراً، أو أنهم أعطوا أحداً ومحووا آخر، أو أن الشخص الذى يعنى أن يسرعوا فى إعطائه أبطأوا فى تنعيد ذلك، فهذا التصرف يكون على الناس أقسى من الموت ويصيرهم أعداء، وقليل من يستطيع مراعاة هذه الدقائق، ويتاح له هذا التفكير. ولا يتيسر فهم هذا المعنى لكل شخص. والآن يجب علينا أن نراعى هذه القاعدة بقدر المستطاع.

والتفق أن وصلت عدة خرائ أول الأمر وكان كل منها يحتوى على مائتى تومان أو ثلاثمائة، حولها إلى الأمراء والنواب، وقال إني لا أفسك بما أتوا به، ولن أودعه الخزانة وأشر بأن يصعوا على حدة ما حصلوه من الولايات حتى يقوم الأمراء بتوريهه. وبعد ذلك بين لهم أى قوم يعطون، وما المبلغ الذى يعطى لكل طائفة. وكان الأمراء يعطون أيضا طبقا لهذه القاعدة

بعد ذلك فى هذه السنوات الأخيرة صرح قائلا ذات مرة لقد ورع جماعة من الأمراء الأموال، وإسى أرغب من كل قلبى أن أسمع شيئا بنفسى. وبعد انعقاد مجلس الشورى (النفوريلتاي) فى أوجان أمر بإقامة عجم ملكى كبير حيث جمع الخرائ التى أحصروها من أطراف البلاد، وجلس بنفسه مع بعض الأمراء المشهورين، فأعطى مبلغا كبيرا من كانوا أرفع درجة، وهؤلاء الذين أدوا خدمات جليلة وكذلك من مهتوا الطرق المستحسنة خصص لهم مباح أريد. وقد عير عن تلك الريادة بقوله على هذا النحو أعطى هذه الجماعة أكثر من غيرهم. والمقصود من هذا أن يجد الآخرون أيضا فى تهيد الطرق، وتأدية الخدمات الخفيفة ويسعون سعيا حثيثا ويجتهدون اجتهدا تاما. وهكذا كان ينكلم عنى هذا النحو، وهو يسحبهم العطاء.

وبعد ذلك كان يقدم طائفة الآباء الذين لهم أبناء ثم يعطى فواد الميمة والميسرة على حسب القاعدة للعهد. كذلك أمر بوضع أنواع الثياب مرتبة صنعا صنعا وبابا بابا ثم وزن كل أكياس الذهب الإبرير والعصاة كلا على حدة، وكتب عليها مقدار ما تحويه واسم الطائفة التى تستحقها، وذلك على حسب استعدانها وأحققتها. وكان يسادى واحدا فواحدا، [ص ٣٩٤] وبأمر يتسلم كل منهم نصيبه بمصوره. وظل على هذا النحو يمنح الأموال عدة عشرة أيام أو خمسة عشر يوما، فمسح مبلغ ثلاثمائة تومان نقدا ذهبيا وعشرين ألف ثوب وخمسين حراما مرصعا وثلاثمائة حرام ذهبى ومائة بالاش من الذهب الأحمر وبعد ذلك ظل دائما وعلى التوالى يمنح العطايا من الخزانة من النقود الذهبية، ولم يقول على الولاية مطلقا حوالاة يدفع بموجبها لأحد باسم العطاء ذاتى من الذهب أو قطعة من الثياب وكل ما طلبه الأمراء والوزراء لم يكن حوالاة وإنما أعطاهم المبالغ نقدا.

على هذا النحو ظل السلطان يعطى، لكنه كان يراعى قدر الشخص ومصبه وظروف الإعطاء؛ بحيث لا يعطى القليل من كان أعلا للكثير، ولا يعطى الكثير من يرمى أن يعطى القليل، ولم تنزع حرارته مطلقا من الذهب والنياب. ومهما أعطى الكثير سمحه الحق تعالى بركة بسبب عدله وحسن تدبيره. ولم تغل حرارته قط من النياب والذهب، ولا يكاد يضى يوم إلا ويصرف من حرارته عشرة آلاف وعشرين ألف دينار من الذهب ومائة ومائتين وثلاثمائة ثوب من النياب الجاهزة. وهكذا يكون السخاء والبدل والإعطاء .

بعد ذلك قال بمصور الأمراء وعظماء الدولة. إن اتصل الأعمال التى يؤدها الإنسان هى أن يتخلق بأخلاق الله، لا سيما الملوك. وإن الجود والسخاء هما من صفات الله. لكن جوده وسخاءه لا يقفان. ولا يمتدان مهما أعطى الكثير، وأثر بهما المستحقين. وإن ما يعمله الإنسان بالنسبة إلى الله تعالى لا يكون إلا كقطرة بالنسبة إلى البحر لكن الشئ خلق بحسب الله بقدر استطاع أمر واجب. أما الملوك وجميع الناس، فيجب عليهم أن يعقوا أموالهم على هذا النحو؛ بحيث يكونون دائما قادرين على ذلك حتى يمكنهم الإنفاق دائما؛ فإنهم إن أنفقوا ما هم فى بصعة أيام دون ضبط أو روية، ثم يكونون بعد ذلك عاجزين عن الإعطاء ولا يستعينون من ما لهم. هما المائتة التى تعود على الشخص إذا لم يستطع الإنفاق بعد ذلك؛ الأمر الذى لا شك فيه أن من يسحقون أشخاصا معلودين كل ما عليهم ويحرمون الآخرين حرمانا تاما، يكونون مخطئين أيضا، ولا يكون تصرفهم هذا مرضيا لله ولا متصفا مع صفته. [ص ٢٩٥]

والملك يبنى أن يكون مثل الشمس، تصل أشعتها إلى جميع الأشخاص. والإنفاق حق عام للحالات كلها، وخصوصا أولئك المستحقين والمحتاجين، والذين يعملون أعمالا عبدة. ومن بين هؤلاء أيضا الجود فكيف يجوز أن يسحق الملك كل ما عبده عبدة أشخاص، ثم يجلس بعد ذلك خالى الرفاه ولا يعطى شخصا آخر شيئا، لأنه عاجز عن العطاء. وإذن فما الذى يعود على الناس من ذلك الشخص؟ وأية لذة وهبة يمكن أن يستمتع بهما ملك فى تلك الحالة؟

إن سخاء الملوك وجودهم يجب أن يكونا مثل ماء البئر والعين لا ينصب معبها معها أحد الناس معها. وهذا الأمر لا يتيسر إلا بتدبير الملك وإقامة العمران وتوحي العدل

وحسب السياسة. ولا بد أيضا من مراعاة الاعتدال في كل عمل؛ بحيث إن ذلك القدر الذي يعطونه يصل موضعه تناعا وإلا:

بيت من الشعر الفارسي ترجمته:

إنك إذا أخذت من الخيل، ولم تضع شيئا مكان ما أخذت

فإن العاقبة أن يبرول الخيل من موضعه نهائيا

وإذا كان لنا ولكم ميل إلى المال والسخاء والعطاء، فإنه ينبغي أن نعدل ونصدق؛ لأن خاصية العدل هي التي تجعلنا نعرف من أين هذا المال. وعندئذ ننتقل إلى الخيانة، ومنها سمحت وأعطينت فإن الخيانة لا ينصب معها. ومن الأفضل أن نكون قادرين على هذا دائما وإلا فكيف يصلح ملك يكون قادرا يوما وعاجرا يوما، وثريا وقتا وفقيرا وقتا آخر؟! إن هذا الأمر لا يليق بالملوك. ولو يكون هناك ملك بهذه الصفة فإنه يضطر إلى أن يعيش دائما في غم وحر، ويحرم الخلق مواهبه، ويصرون في غنى سلطانه

ينبغي أن نراعي هذه القاعدة، وأن نعدل على أن نعطي كل ما ينبغي إلينا من مال، لا أن ندعه يتراكم بعضه فوق بعض، ولا أن نصير أيضا ندعة واحدة خالي الوفاض مفسد. [ص ٢٩٦] والمال القليل يجب أن يكون دائما مستمرا؛ لأن خاصية المال هي أنه إذا كان قليلا فإنه سرعان ما يمسو ويأخذ في الزيادة مثل الصباد إذا لم يكن لديه طائر يضعه على شجرة كي يجذب إليه الطيور التي من جنسه؛ فإنه لا يستطيع أن يصطاد طائرا قط. أما إذا كان هناك طائر واحد هو كل ثروته، فإنه بواسطته يصطاد عدة آلاف من الطيور في سنة واحدة.

هائى الأمراء وأركان الدولة على كلام سلطان الإسلام ودعوا له، وصاروا جميعا متجهين ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن، ويسير السلطان الأمور دائما على هذا النمط.

ولا بد أن الناس يحملون هذا الكلام على سبيل المبالغة ويقولون من الذى رأى الملوك السابقين، ومن وقف على أوضاع حراتهم حتى يستطيع القيام بهذه المقارنة؟! لكن الشاهد المصادق على هذه الأمور هي سجلات الدخل والخرج لخزائن السابقين، وكلها محفوظة في دار المجموعات، ولا يزال قسم منها موجودا حتى الآن. فأى شهادة هي هذه التي تكون أكثر عدلا وصدقًا من السجلات والدفاتر التي لم نرها عين، ولم نخطر على بال أحد؟ ولكن عند مطالعتها يتضح صدق هذا المقال أو كذبه.

فليق الحق تعالى هذا العدل والعطاء والإنعام والإحسان أبد الدهر بمنه وجوده. والسلام.

## الحكاية السابعة

### فى إبطال الديانة الوثنية، وتغريب معابد الوثنيين وتعطيم كل الأصنام

حيما دخن فى الإسلام سلطان الإسلام غارات حان - غلب سلطانه بالترويق وهداية الإغية كما سبق ذكره - أمر بتعطيم كل الأصنام وتغريب كافة معابدها وهدم بيوت النار [ص ٢٩٧] وللمعابد الأخرى التى لا يجوز وجودها شرعا فى بلاد المسلمين. كدندت ادخروا أكثر جماعة الكهنة عباد الأصنام فى الإسلام. ولكن لما لم يهب لهم الله تعالى إيماناً قريباً، كانوا يتظاهرون مضطربين بالإسلام. هذا على حين أنه تلبو على سبيلهم آثار الكفر والصلال. وبعد مدة أدرك سلطان الإسلام غلب ملكه معاقهم، فقال لهم: كل من يريد منكم أن يرحل إلى بلاد الهند وكشمير والتت وموطئه الأصلي فليرحل أما الذين يقفون هاهنا فعليهم ألا يهاقوا ويظفوا ثابتين على ما هم قلوبهم وصماثهم، وألا يلوثوا الذين الإسلامى الحنيف بتعاقهم. لكنى إذا علمت أنهم يقيمون معابد النار أو بيوت الأصنام فسوف أجعلهم دون حماية طعمة للسير. ومع هذا فقد استمر بعضهم فى التماق واشتعل بعضهم بأفكارهم المستهجنة. كذلك صرح سلطان الإسلام قائلاً: إن أبى كان وثياً، ومات على هذه العقيدة. وقد أقام لنفسه بيتاً للأصنام ومعبدًا، وأوقف عليهما قعاً باسم تلك الجماعة من عباد الأصنام. وقد حربت ذلك المعبد. عادهوا إلى هناك وأقيموا وعيشوا على الصلغات وقد انتهر الأمراء والخواتم تلك العرصة، وقالوا: إن أباك قد أقام معبدًا وبقش صورته على جدرانه. وحيث إن المعبد صار الآن خراباً، يسقط الثلج والمطر على صور أبيك، وقد كان وثياً. فإذا عمروا هذا المكان، فإن ذلك يكون مؤذياً لاستقرار روح أبيك وحسن سمته. لكنى غارات لم يستحسن هذا الرأى، ولم يبره اهتماماً فأصافوا قائلي. ليجعلوه على هيئة قصر فلم يبره ذلك أيضاً، وقال: إذا كان فى بنى تشيد قصر حيث تغط صورة أبى! فإنه لا يجوز إقامة هاهنا، لأن هذا المكان كان معبدًا وموصفاً للوثنيين وإذا كان من اللازم تشيد هذا القصر، فليشيد فى مكان آخر وكانت هاهنا حكايات وفصاها كثيرة من هذا النوع بطول شرحها.

ومعونة القول أنه قال للكهنة [ص ٣٩٨] إني أعلم أنكم لستم على علم. ولكن يجب على الملوك أن يراعوا كافة أصناف الخلق من رعاياهم. ولهذا السبب عليهم أن يحافظوا على الجميع ويرعاهم ويصوبوا بهم؛ حتى البهائم التي لا إدراك لها ولا عقل؛ فإن الملوك وأهل الإسلام وكافة الناس يعطفون عليها ويهتمون بها، ويعفرون لها احتياجاتها. وأنتم أيضا تسرون في نفس هذا الطريق، وتستهون بهذه المراهي ولكن يجب ألا يبدو منكم أدنى أثر حتى ولو بقيد شعرة للوثنية والتعصب والمراية. وإلا فسوف أجعلكم طعمة للسيف.

وفي وقتنا هذا فإن الطائفة القليلة منهم التي بقيت في إيران لا يحلون فرصة مواتية لإظهار عقيدتهم أو مذهبهم، وذلك مثل أقوام الخووس والملاحدة الذين يستوطنون هذه البلاد منذ زمن قديم. لكنهم يقيمون معتقداتهم.

أدام الحق تعالى سلطان الإسلام هنا، وأبقاه به ولطعه وكرمه.

## الحكاية الثامنة

### فى محبة سلطان الإسلام لآل الرسول عليه السلام

رأى سلطان الإسلام خلد ملكه فى المنام مرتين جمال سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات وقد أبهه الرسول عليه الصلاة والسلام، وقوى عزمته بالوعود الطيبة، ودارت بينهما محاورات طويلة، وكان أمير المؤمنين على والحسن والحسين رضى الله عنهم بصحبة النبى صلوات الله عليه، عرفهم به قائلا: يجب أن تكونوا [ص ٣٩٩] إخوة. ثم أمر سلطان الإسلام بمعانقتهم؛ فقبل الجانبان هذه الأخوة وسد ذلك الوقت تيسرت لسلطان الإسلام انتصارات وتوححات؛ كان أعظمها هذه الخيرات كلها، وحسب الأمور وترتيبها، وتوخى العدل وحسن السياسة تلك المبادئ التى أداعها فى العالم؛ فنهاه له التوفيق فى الحصول على السمعة الطيبة، وحصل لعه دخيرة من دعوات الخلق العديدة له بالخير. فآية معادة يمكن أن تكون أعظم من هذه؟

ومد ذلك الشرايع ارداد حبه لأهل بيت النبوة رضى الله عنهم، وصار يمد الحجاج دائما بإعمامته، ويمرر قبور أسرة الرسول، ويسر الدور ويرسلها إلى مستحقها، ويمرر السادات ويأمر لهم بالصناعات والإحترارات.

ولما كان يقم فى كل موضع الخواص والمندارس والمساجد وأبواب البر الأخرى ويخصص لها الأوقاف، ويقرر الوظائف والمراتب لكل طائفة، قال كيف يكون للمعاهدين والمتصوفة والطوائف الأخرى أوقاف خاصة بهم، ولا يكون ذلك لمعاهدين للسادات؟! إنه لو اوجب أن يكون ذلك للطوائف كذلك وأمر بإقامة دور السيادة فى تبرير، وفى أمنيات المدن الأخرى فى كل البلاد الهامة مثل أصفهان وشيراز وبناد وأمثالها كى يترل فيها السادات. كما عي هم مرثيات يعقوبها فى أداء مصالحهم على النحو الذى رآه محققا لهذا الغرض، وحسب ما نصت عليه حجج الأوقاف؛ وذلك حتى يكون لمزلاء أيضا نصيب من خيراته. وكان دائما يصرح بقوله: لست مكرا أى شخص، وإنى لمعترف بعظمة الصحابة ولكنى بعد أن رأيت الرسول عليه الصلاة والسلام [ص ٤٠٠] وقد أحى بينى وبين أبايه، ومحبى صداقتهم لا بد أن أريد فى حبى لأهل البيت، وإلا فمعاد الله أن أنكر الصحابة. كذلك أمر بمجر بهر لإبصال الماء إلى مشهد الحسين عليه السلام، كما عيى شرح ذلك وكان دائما يأمر بمدح أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم دون تعصب لأنه بمحمد الله ومعه حكيم وكامل.

هيب الحق تعالى هذا السلطان العادل الكامل بين العالمين سوات لا نهاية لها.

## الحكاية التاسعة

### فى شجاعة سلطان الإسلام، وإعداد الجند للحرب وجلده فى خوض المعارك

كان سلطان الإسلام خلد ملكه يعيش منذ عهد الطفولة فى نهر خراسان الذى كان بعد أعظم الثغور وأعظمها شأنا. ومن قديم العهد حتى الآن كانت الحيلوش الأجنبية ترحف إلى تلك المنطقة. فكان لا بد من اتحاد الحليفة والحدر، فلا تكاد تترسدة دون أن يسير عازان بقواته الاحتياطية ولهذا حارب الأعداء كرات ومرات واشتد معهم فى حروب طاحنة، وتعمل كثيرا من الشاعب والمشقات ووقف وقفا تاما على دفاقت تلك الأمور، ومهر فى معالجتها إلى أقصى حد، وقوى قلبه إلى حد أنه لم يشعر بحوف من الأحداث الخطيرة، ولم يتطرق التردد إلى خاطره المبارك ورعم أنه يعلم أن الموقف صعب والعدو قوى كان يظهر المصابرة والتجملد، ولا يدع أثرا ينفو عليه من التفكير فى هذه الأمور، وكان يصرح بقوله: لم يأت من الخوف أية فائفة بل تكون نتيجة العجر عن التدبير، فيقوى حال الخصم.

شاهد الملازمون للحصرة هذه المواقف عدة مرات فى خراسان وإن شرح ذلك بطول أما ما اتمع وقوعه فى هذه الديار، فواحدة من ذلك هى قصيته مع باهلو، فقد أسرع كالبرى الحاطف من خراسان، [ص ٤٠٩] وداهم باهلو وأتباعه وصاير مع نمر قليل من جنده. بعد ذلك رأى من المصلحة أن يتقابل مع حصصه فى الخلوة، ومعه نمر من أتباعه. وأثناء اللقاء صر به باهلو على سبيل الداعبة ضربة قوية على ظهره؛ بحيث إنه تألم، ولكن باهلو عرف أن عازان لا يعبأ به، وبقي الخوف مسيطرا عليه.

بعد ذلك عا غارا جنده، واستعمل الفرصة، فداهم باهلو ومعه نمر ضليل من جنده وأسره دون أن يلحق أى ضرر أو مشقة بالبلاد والجيش. وفى ذلك الوقت اعتقل الأمراء الذين كانوا يثرون العث فى عهد أبيه وعمه. ورعم أنه كان لهم حماة لثوباء، إلا أنه اتبع الرأى الصائب مدفوعا بقوة عريته، ولم يأبه بشعاعة أى أحد منهم، بل قضى عليهم جميعا. ثم نظم شقون لذلك.



وموقف آخر وهو موقفه في قصة "سوكاي" الذي ثار عليه. وكذلك في عودة "أرسلان" بجيش مجهر وهجومه عليه. وكان السلطان يسمع ذلك الخبر تباعاً. وقد تبين له أنه إذا ما وصل العدو فإنه لن يستطيع مقاومته لعدم وجود الجند. ومع هذا لم يكن متعللاً على الإطلاق، واستمر يرأول أعماله جريماً على عادته كل يوم. ولما اقترب "أرسلان" أرسل إليه الجند الذين كانوا حاصرين وكانهم في رحلة للصيد، ولم يتحرك هو بمسه، ولم يطلع أيهما كل شخص على ذلك الأمر، وظل كالعادة يصرخ ويلعب، ويروي مختلف الحكايات، ويدعو الأطباء والمجبيين ويقول لهم: لربما أن أتناول سهلاً، فهبطوا في هذا النوع من الأدوية، واحتاروا في يوماً ما سبباً لتناوله. ولم يبد اهتماماً بأمر ذلك المتشرد غير أن حاطره كان قلقاً بصورة لا يمكن وصفها. ولكن بسبب ما أبداه من تجلج ومصاراة لم يطرأ خلل قط؛ إذ لم يصل نبأ شيء عن خطورة الموقف، وبقي الناس هادئين. [ص ٤٠٢]

ولو ظهر على السلطان أقل تعبر، حتى ولو بقيد شعرة لاضطربت كل الأمور؛ وخصوصاً وإن الأمر كان في بدئته. ولم يكن الملك والحد قد استقروا. أما الجند فكانوا قد شاهدوا الاضطرابات السابقة، واعتادوا عليها. وكانوا حريصين ومولعين بشن العارات. فمثل هذه الأمور كانت تبلوهم لعة من اللعب. ومع كل هذا صح ذلك الأمر، ورأى الخطر بتأييد الخائن عز وعلا وبين مصاراة وتجلج سلطان الإسلام غلد ملكه لم تصبه عن السوء بأي وجه.

موقف آخر في قصة الحرب ضد مصر والشام؛ فقد ظن الناس أن السلطان سوف يقف في ركس من الأركان؛ بحيث لا يعرفه أحد لكنه على خلاف ذلك اتحم الميدان بجراة ماردة، ونظم كل جوده ووقف في مقدمتهم، وصار يحمل على أعدائه تباعاً كالأسد المنصور. ولو لم يسكنوا هناك مره، لما كان يتوقف عن القتال. ورغم أن القريش منه كانوا يمنونه، احترق صفوف الأعداء عدة مرات وتحول يسهم، وصار يطاردهم، وقتل بعضاً منهم، ثم عاد. وجماعة انهزم أيضاً الذين كانوا على مقربة منه. ولم يعلم بعض من في الأطراف شيئاً عن الاشتباكات، ولم يصل بعضهم إلى ميدان القتال وبقيت مسيرة سلطان الإسلام ومهمته خاليتين. أما هو فقد ثبت مع بر قليل صمدوا في مواجهة الخصم. ونظراً لأن الجريمة الأولى قد لحقت بقلب الجيش، ابتعد الجند عن الميدان ووقفوا عاجزين لا يتحركون على الإطلاق، ظانين أنه أثناء حملة العدو لن يصل مدد قط. هذا في حين أن العدو كان يرأسل هجماته الشديدة دون انقطاع. لكن السلطان ثابر على القتال في

شجاعة كأنه أمد هصور أمام ذلك الخشد الكبير، وذلك من وقت الظهيرة حتى صلاة العصر يصد هجمات العدو بمفرده ويقاوم بحسن التدبير ولطائف الخيل مثل هذا الخشد الكبير. فأى محارب شجاع له مثل هذه القوة والقدرة؟

وعاقبة الأمر أن جلود الميرة الذهب كانوا يقومون بعيدا منتهزين الفرصة ومستعدين للفتنة، عندما شاهدوا ذلك الموقف الطويل، توجهوا إلى الأعداء، [ص ٤٠٣] ونبتهم بعض الجلود من الميرة. فمحر الأعداء عن مقاومتهم ومحاربة سلطان الإسلام -خلد ملكه- واضطروا إلى الفرار منهزمين.

وهكذا فإن مثل هذه الحكايات كثيرة. وقد اقتصرنا على ذكر هذا القدر من المراقف كشاهد على صدق ما نقول. وكان دائما يقدم النصح والإرشاد للجوّد المظفرين، فيقول لهم: "إن الموت لا يد أن يترك كل من حل أحطه حيثما يكون، سواء أكان في المنزل أم في الطريق أم في الحرب أم في الصيد. فما الداعي إذن إلى الخوف من العدو الذي يقف في مواجهة؟ وحيث إن الموت حتمي لا مفر منه، فالأولى أن يرى الإنسان دمه؛ لأنّ الدم المخصى في البدن يتعفن، ولا يؤدي إلا إلى العفونة. وكما تكون حمرة الوجه ربة النساء يكون الدم ربة الرجال، وبقي السمعة الطيبة في الدنيا لمنزل هؤلاء الأشخاص، ويدخلون الجنة في الآخرة. وكل من يموت في المنزل، تثل روحته وأولاده طول مرضه ورعايته ويصير محتقرا ومبغضا لدى الأعداء الآخرين. أما إذا مات في الحرب، فإنه يكون بعيدا عن هذه الأمور، ويكفي عليه الأحياء عثرة وتصحج، ويعر سلطان العصر أعقابه ويواسيهم ويربي أولاده ويرعاهم، فيرداد بذلك إصلاح شأنهم.

وقال لهم أيضا: عندما يهرم الجيش على شى هجوم على الأعداء يسعى أن يحرص على إخماء الحمر عنهم، حتى لا يتسرب إليهم، وأن يعد الخيول، ويواصل سيره لئلا ينهارا بحيث يصل عجاة كى يشتبك بالعدو، ويحسم أمره معه. وإذا كان على الجنود أن يشوا حملة كل سنة، فإنه يسعى عليهم أن يحرصوا على السر في لوفات مختلفة، وإلا فإنهم لو حددوا موعدا معيا، فإن العدو يتحد حنره ويشارك أمره وكذلك يسعى بدل الجهود في أن يسلوكوا طريقا مغايرا في كل مرة، حتى لا يحيط العدو علما به. ولكن يسعى أن يكون الأدلاء والمرشدون من الثقات. وإذا سار جيش كبير، فإنه كلما أشاعوا عنه أخبارا أكثر، فإن ذلك

يكون أفضل. ويعنى أن يطفى الجود فى الحرب؛ لأن الجيش الكبير لا يستطيع الرجف بسرعة. ومن المسلم به أن العدو إذا علم بتحركاتنا، فإنه يشغل بتدبير جيشه وإعداداته منتظرا لمواجهة. ولا يجوز الاعتماد على كثرة الجود أو قتلهم حتى يسرعوا؛ لأن النصر لا يمكن التنبؤ به أما إذا تألوا فى السير، وأدعوا الأحرار المروعة؛ فإن الأعداء يهرعون منها، ويقع الاضطراب بينهم، ويذهب الخلاف فى صفوفهم [ص ٤٠٤] أو يناعهم عدو من ناحية أخرى، أو تسرى بينهم إشاعة مرعبة، أو أنهم يصحرون عن مواصلة القتال لعدم العلف والمثوبة. وعند التصميم على مثل هذه العريضة يعنى أن يحتاط الجود قبل إداعة الأحرار وذلك بتوفير الماء والعلف ونجاح الصيد، وأن يتوقعوا فى مثل هذه الأماكن التى تتوفر فيها هذه الأمور، وألا يؤكل العلف الذى أعد ليوم الحاجة فى المواضع الجديدة. ويعنى إرسال الجواسيس بصفة مستمرة للاطلاع على أحوال العدو. وبعد الاطلاع توصح كل الأفكار والحفظ والأعمال على أساس سليم؛ لأن التصرف الذى لا يقوم على أساس من الاطلاع والمعرفة يكون كالملاكمة فى الظلام.

ثم توجه إلى جوده قائلا: بعد الاحتياط لتمام يعنى أن يكون إما الدخول فى المعركة أو الانصراف عنها، وذلك يكون مرتبطا باختياركم لا باختيار العدو؛ لأنكم إذا كنتم مجبرين وتعجزتم الأمر دون توقف أو روية، فإن العدو يصل فجأة ويغتنمكم بسوء موقعكم. وعندئذ يتحتم عليكم حوص المعركة والقتال مضطرين. أما العدو فيكون فى موقف أفضل وصعوة القول أن العامل الأساسى هو تنظيم الجيش، وعدم السماح لأى جدى بالتحرك من مكانه دون إذن؛ لأنه قد ثبت بالتجربة أن العدو ينتهز الفرصة، ويأخذ زمام المبادرة فيتغلب عليكم. والشرط المهم هو ألا يدع القائد أحدا بصورة قاطعة يسير حسب هواه إلى القرى والمواضع العامرة، ويسلب منها شيئا؛ لأن الجود إذا تعودوا على ذلك؛ فإنه لا يمكن مع أفراد الجيوش الحرارة من تلك المحاولة، ويعتمد التنظيم والتنسيق. ولهذا السبب يشغل الجود وقت الحرب بجميع الأسلاب والعائم فى وقت غير مناسب ولا يمكن معهم. وكل السيئات التى أصابت الجيوش، إما كان أكثرها راجعا إلى الاستيلاء على العائم عندما تنتهى المعركة. وإذن فعلى القائد أن يعرف جيدا أى تذهب الأسلاب والعائم ولا يعنى التراجع عن توقيع العقوبة ولا التردد عن القتل والسعك؛ لأن القواد إذا امتنعوا عن قتل

شخصين أو ثلاثة، فسوف يهلك عشرة آلاف وعشرون ألف رجل في مقابل هذه القلة ويتبع ذلك ضياع للكل أيضا.

وفي حالة مفارقة الجود فواعدهم، يبغي أن يترجها دائما بية طيبة، وأن يشتعلوا بذكر الله تعالى، وأن يظهروا أنفسهم، فلا يرتكبوا أفعالا سيئة، وأن يكونوا عيسى لموطيهم ووطيهم، وألا يظلموا أحدا حتى يثق الناس بهم، ويذلوا همهم الطيبة في سيلهم ويدعوا لهم بنصرع فيستجاب لهم! إذ إنه ليس للجد ذخيرة [ص ٤٠٥] قط يحصل من دعاء الخير والهمة الطيبة. ويبقى ألا يبالغوا في القول، وألا يدعوا سيلا إلى الكبر والزهو بأنفسهم وألا يحتقروا العدو، ولكن لا يخشوه أيضا، وأن يمدوا أنفسهم صمعا، وأن يعظموا الله تعالى ويخشوه حتى يصبح تكبرهم وتنظم أمورهم، ويتأكدوا من أن كل من يقول كلاما فيه كبرياء واستعلاء، ويكر على هذا الأساس، فإن الحق تعالى يعلو عليه بكبريائه؛ لأن العظمة حقيقة بالله وحده، وهو يريد أن يتساوى مع الله. وكل من يتساوى مع الله، يخلد الله ويمد الآخرين يعونه، وبهية هو. وهذا أمر يسير على قدرة الله تعالى، فيقهره بصورة لا تحظر على بال أي بطل عادل كف.

وعلى هذا المنوال كان السلطان ينصح دائما جماعة الأمراء والجنود، وظل ينصحهم، بل إنه تحدث إليهم بكلام كثير أدق من هذا لم يبق في الذاكرة، وربما يؤدي ذلك أيضا إلى التطويل لو رحنا بشرح ما قاله. وحيث إن المقصود هو إبراز شواهد وأمثلة، يكون هذا القدر كافيا. وإن الروايات والإصحاحات معلومة ومحققة لدى الجميع.

أدام الحق تعالى أهد الدهر هذا الحارس للديا وسيد العالمين وراعي الرعايا والحد.

## المعاينة المباشرة

### في نصيح سلطان الإسلام القضاة والمشايع والزهاد وأهل العلم والتقوى

في كل وقت كانت تعبل الطوائف المذكورة إلى المحصرة، كان السلطان يمدى إليهم مختلف الصالح نكته عندما حصر المعطاء وكبار الشخصيات، مجلس الشورى (القررياني)، وظلوا بين يديه، قال لهم، أنتم ارتديتم لباس الرياء، وهذه مسألة خطيرة لأنكم بهذا الظاهر قد لا تحادون الخلق، وإنما تحادون الله، ويمكن أن يسلم الخلق بأدعائكم وريائكم عدة أيام [ص ٤٠٦]؛ لأنهم لا يكونون مطلقين على حقيقة ما تصرون. لكن الله تعالى مطلع على حركاتكم، ولا يؤثر فيه التروير والتليس، ويحاسب عليكم، ويجازيكم أيضا في الدنيا. ولما في الآخرة فإنه من المقرر والمؤكد أن كل من يرتدى لباس الرياء أو التليس يكشف الله عيوبه بين الخلق، وتسوء سمعته ويصير حجلا من الناس، ويندو بينهم حقيرا وممتها، ويكون دائما أصحوكة الخواص والعوام.

أما أولئك الذين لا يرتدون لباس الرياء، ويسلكون سلوكا أميناً وصادقاً، ولا يميزون أنفسهم عن الآخرين، وليس لديهم تفكير في السيطرة والرياسة، ولا يدعون الزهد والتواضع؛ فإنه ليس لأحد اعتراض عليهم، ولا يتوقع أحد منهم حياة لا تتناسب مع ظاهرهم.

وأما قولنا، إنكم ارتديتم زى العدالة، فإن معنى ذلك أنكم مثل غيركم من البشر، ولكن بواسطة هذا الزى اكتسبتم اسما عظيما. وتحت هذا الاسم هناك عدة معان خاصة لا توجد في الآخرين، وأنتم أنفسكم قبلتم هذا الاسم والمعنى، وتعهذتم وتكتمتم بأداء الحقوق وتقولون: نحن كذا كذا، وسوف نعمل كذا كذا. والآن فكروا جيدا فيما أقول: إذا كنتم تستطيعون عدم الخروج من مهدة هذا العهد واليثاق والعدالة التي تلازم هذا اللباس، وأن تكونوا عند كلمتكم، فإن هذا يكون حسا جيدا ومملوحا، وتسو مسرتكم، وتكونون أفصل من الآخرين عند الخلق والمخلاق. وإلا سوف تؤدي النتيجة إلى الخجل من الله والخلق، وبمحص اختياركم لو رغم أنكم تكونون قد جلبتم على أنفسكم تلك الشائب

والشفقات. وتأكدوا من أن الحق تعالى قد وهب لي الملك بسبب ذلك، وفوض إلي رئاسة الخلق، كي أدير أمورهم، وأقيم بينهم العدل والمساواة. وقد أوجب علي أن أقول الحق وأعمل به، وأن أجازي الجرمين جزاء. وفاقا [ص ٣٠٧] وقد افحصي حكم الله مد الأزل أن يكون عقاب الخاصة أريد وأعف. ولهذا السبب لا تؤاخذ البهائم على جرائمها.

وبناء على هذا يجب على الملوك أن يبادروا بمعاقبة العظماء وكبار القوم، وأن يجعلوا هذه القاعدة دستوراً لهم يظنون به شئون الملك. ولهذا أنا أيضاً سوف أسرع إلى معاقبتكم على ما ارتكبتموه من جرائم دون أن تأخذني شفقة بكم، ولا تظنوا أنني سوف أنظر إلي لباسكم، بل إلى أفعالكم. وإذن فعليكم باتباع سلوك وسنة الرسول عليه وعلى آله السلام في كافة أعمالكم، ومراعاة ما هو واجب عليكم، وأن ترشدوا الآخرين إلى سواء السبيل واحذروا الفساد والعصول، ولا تجبروا على سبيل التأويل ما لا يكون في أصل الشرع وتعاملوا بالصدق والصفاء، وابدلوا الحمة وأحسوا الظلم حتى ينفي بركة ذلك العالم كله وعن أيضاً آتسب مظنئس، ولا تتعصب الواحد منكم ضد الآخر، ولا تتعصبوا أنتم أيضاً ضد الأقوام الأخرى؛ ذلك التعصب الذي لم يأمر به الله ورسوله؛ لأن التعصب في هذه الحالة يكون طلباً لحسن السمعة والشفقة وحلقة الناس بأكثر مما يظن الله والرسول فلا يكون من ورائه إلا سوء السمعة وضعف الثقة. وأنا لو كنت أعمل شيئاً خلاف الشرع والعقل، فإن عليكم أن تهوبوا، وتعرفوني الحقيقة؛ لأن كلامكم عندما يؤثر في، يصير مقبولا ومسموعا؛ إذ إنكم عندئذ تقررون القول بالعمل؛ ولأنكم في ذلك الوقت تقولون كلاماً صادراً عن الصدق والصفاء وقوة النفس. ولا بد أن يؤثر في هذا القول. وإن اتباع الحق بناء على كلامكم يجلب لي ولكم الثواب والثناء. وبذلك نعم الخلق جميعاً بالراحة والهدوء. وإذا لم يكن الأمر على هذا النحو على كلامكم وعندئذ تشتعل بران عصبي عليكم. ولهذا السبب يهيبا للضرر أنا وأنتم وكافة الخلق.

ولقد أردت أن أذكر حكايات أخرى وبكثافة، وهي كثيرة ومتعددة في هذا الموضوع. ولكنني أكتفي الآن بذكر هذا المقدار على سبيل الإجمال. وإذا وقعت منكم موقع الاستحسان وقلتموها فإنها تهدئني وتعيدكم [ص ٤٠٨]، ويكون لكلامي وقع حسن في نفوسكم، وتتوطد عيني في قلوبكم. وإلا فسوف يتقل كلامي عليكم، وتستقر عنداؤني

هي أنتدنتكم، فبطلع فزادی علی ما یجول بماطرکم، وتکونون مبعوضین عدى. ومن هنا يظهر الخلل فی الدین والدنيا وعی تقتصر اليوم علی ذکر هذا المقدار. ولو حاثقنا التوفیق فسوف نذكر حکایات معنوية دقيقة.

على هذا النحو نصبح السلطان جماعة كبار الشخصیات ومشاهیر القصة والنبات والمشایخ والعلماء الدین مثلوا أمام الحضرة، فتعجبوا جميعا، وصاروا متحیرین، ورفعوا أکهم بالدعاء للحضرة والثناء علیها. وفي أوقات أخرى تلقى أمثال هذه الصالح فی المجالس المختصة، وقال كلاما معینا يطول شرحه وتمتاده

فهبسط الله تعالى ظل دولة سلطان الإسلام هذا، ولیدم عدله، ولیقہ أبد الدهر علی رأس طبقات أصناف العالمین. إنه سميع مجیب.

## الحكاية الطامية عشرة

### فى منع سلطان الإسلام الجنود وغيرهم من التفوه بكلمات الكفر

لما سمع سلطان الإسلام محمد ملكه أن بعض الجنود وغيرهم كانوا يتباعون عدما يسرون إلى ميادين القتال، ويتسرع لهم الفتح والنصر، فيقولون: نحن فعلنا هذا وفعلنا ذلك وقد تسرع تدبير المهام المطبقة بواسطة فلان، وأن الشخص الملائى أبدى صروبا من الشجاعة والبطولة، وأن العدو هزم بسعى فلان. وعلى هذا النحو يرجعون الأمور إلى كفائتهم وشجاعتهم وبطولتهم. كما كانوا يتحدثون بكلام خطير، ويظهرون المعجب والخيلاء. وكانوا أحيانا يعودون على المكس من ذلك خاسرين غير موفقين، فيقولون: كان ذلك قضاء الله؛ وإلا فقد سبنا [ص ٤٠٩] وبدلنا الجهود الجبارة. وكثيرا ما كان ينور هذا الكلام على ألسنة الخلق. وعلى هذا النمط كان يتحدث أيضا العلول والتاريخ مى كل الشئون الجزئية؛ فوصلت هذه الحكايات مرات إلى السبع الأشرف، فلم يستمعها وراح يدافع غيرته على الدين يقول: إن هذا الكلام كسر محض، وإن أكثر أعمالنا، وما يتعلق بشئون الجند وكافة الناس إنما تصاب بالخلل نتيجة شؤم مثل هذا الكلام، فيجب أن يترك الجميع أن كل خير يصل إليها وإلى الجند والخلق الآخرين إنما هو مرتبط برحمة الحق تعالى وشعفته، وأن كل سوء وإحراق إنما هو نتيجة ديوهم وسيئاتهم. وإذا فلا يسعى أن يتكلموا بأى وجه من الوجوه بكلام يتعلق بالمعجب والكبر وللحيلولة دون الوقوع فى هذا الخطأ أمر بأن يكتب فى هذا الشأن مرسوم يبلغ أرسله إلى كل البلاد حيث جماهير العلول والتاريخ، نص فيه على أن كل شخص يعتقد - منذ الآن إلى ما بعد - فى الكلام السابق ويتفوه به، يكون مذمبا. وفى الآخرة يكون مثواه النار. ويهيب أن يلقى أن الحسنة من فضل الله، وأن السبقة إنما هى نتيجة لأعماله المستهجة<sup>(١)</sup>.

(١) مصدقا لقوله تعالى: ﴿لما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولرسلنا للناس رسولا وكفى بالله شهيدا﴾ (سورة هود آية ٧٩).



ويجب على أصحاب البيوت أن يطعموا مما عندهم - كل شخص يقصد ديارهم ويعتوا  
له هذا الطعام سواء قل أو كثير، وأن يسلكوا معه طريق المروءة، وأن يعاشرُوا الناس جميعاً  
بالتواضع.

وبمقتضى هذا المرسوم الذى أصدرناه، كان على الذين يقصدون بيوت الناس ألا  
يتخذوا هذا الأمر درجة لخطاباتهم بما يشاءون؛ إذ إن ذلك متروك لمروءة أصحاب البيوت.  
وإذن فليس لهم أن يطالبوا أو يطلبوا أن أحداً مكلف بتقديم شيء لهم، بل إن ذلك الأمر  
يتعلق بما يتصفون به من مروءة. وقد أرسل المرسوم بهذا المعنى، وأمر بأن ينادوا به فى كل  
البلاد.

وهكذا فى عهد سلطان الإسلام المبارك، عمّت بركاته كافة الشؤون ويعود الله تعالى  
تكون فى ازدياد بمتة وكرمه.

## الحكاية الثانية عشرة

### في حب سلطان الإسلام والعمران وجهه الناس على ذلك

قبل هذا كان سلاطين الممولى، وبعض آباء وأجداد سلطان الإسلام خلد سلفاته شغوفين بالعمران وقد شرعوا في ذلك. ولكن قل منهم من أتى شيئاً يذكر كما هو مشاهد. وحيثما أقاموا بيانا أمقروا عليه أموالاً طائلة وكانوا يرسلون من الولايات ما يجي من الضرائب الاستثنائية، وكذلك كان أكثر هذه العمارات معرضاً للتلف وكان الأشخاص الذين يشرفون على هذه الأعمال يمشون أن تدور عليهم دائرة السوء، فتضيع الأموال دون أن يتيسر إصاعة المريد من المائى، وما شقوه بالفعل لم يكن مثقلاً، وخرب في مدة قصيرة.

لكن سلطان الإسلام أقر نظاماً بشأن البناء والعمران لم يكن من الممكن أن يوجد أحسن منه. وحيثما يوجد سيد يورث به أو معاون يتصف بالشرف واختاره وعينه للإشراف على كل عمارة، وحول إليه الأموال المطلوبة. كما نصب السادة المشهورين والكتاب المختصين والمهندسين المعماريين، فاستخدموا جميع الآلات بأسعار معقولة وأجور مناسبة، وذلك في نظير استعمال القدر المطلوب منها؛ بحيث أنهم إذا قصروا في التعميد فإن نقصان والصرر يعودن عليهم وكان المشرفون يحصون الآلات والمواد المستعملة في البناء. وبناء على هذا يحاسبون كل متعهد كلف بهذا العمل وهكذا سارت العملية بمنتهى الدقة؛ بحيث إنهم لو أرادوا حتى بعد مائة سنة أخرى [ص ٤١٩] أن يراجعوا المبالغ والعقود والاعتمادات الثانية على حسابات الكتاب والآلات التي استخدمت لاتصح على الفور الحق من الباطل وقطعا لن تكون هناك زيادة أو نقصان في تلك الحسابات. ولئن يوجد مجال لأى نمام للظلم في أعمال هؤلاء السادة والمهندسين. ولتنفيذ كل مشروع نصب مشرفين أمراء حتى لا يسيروا باستخدام آلات غير صالحة، أو ينقص العمال شيئاً من الجهد والأسمعت ويملطوهم بالمراد وهذا التفريق والاحتياط إنما يكون في دائرة اختصاصهم وعمن عهدتهم. وهناك مسألة أخرى هي أن كل المعدات من الخشب والحديد، سلمت للمقاول بشئ محدد. كما قررت حملة أنواعها والمطلوب استعماله منها.

وهكذا راح السلطان يأمر بتشييد العمارات في كل مدينة وولاية وصار يشق الأنهار والقنوات، ويجريها بالمياه. ومن حملتها وأعظمها مهر يتمثل فيه الخير التام والنعيم العام. وهو مهر كبير للغاية، أجراه السلطان في ولاية الحلة وأطلق عليه اسم "النهر العازاني الأعلى" وأوصل ذلك النهر إلى المشهد المقدس لأمر المؤمنين الحسين (رضي الله عنه)، وأجرى عذب الفرات إلى كل صحارى سهل كربلاء التي كانت قاحلة، ولم يمس في المشهد ماء عذب للشرب ونتيجة لهذا صارت كل المناطق حول المشهد مرروعة في هذا الزمان كما أنهم أنشأوا الحدائق والبساتين وتستطيع السعس القادمة من بغداد والمدن الأخرى الواقعة على صفاف الفرات ودجلة الإبحار إلى المشهد، وينبع محصولها ما يقرب من مائة ألف "تمار"<sup>(١)</sup> وهناك تنمو الخيوط وأنواع الحصر أحسن مما تنمو في أى مكان من أصقال بغداد ونتيجة هذه الإصلاحات صار السادات للقيوم في المشهد مرفهى الحال جدا. ولما كان هؤلاء أناسا فقراء، وعندهم كبير، وهم في أمس الحاجة إلى المعونة، أمر بأن تكون لهم إدارات تصرف ستويا

وفي منطقة مشهد سيدي أبي الزمراء رحمة الله عليه [ص ٤١٢] كانت هناك أيضا صحراء قاحلة، ولا يوجد في المشهد ماء عذب للشرب، فتصادف أن سلطان الإسلام خلد ملكه ذهب في إحدى السفن قاصدا الصيد في تلك الصحراء، فلم يجد مرافقوه ماء للشرب، فهزلت جدا، كما صغقت حمر الوحش والعرلان بسبب عدم وجود الماء والعنف فأمر بأن يشقوا نهرا من الفرات يجري إلى هناك كي يتوافر الماء، وبكسر البرع في ذلك المشهد أيضا، وتستريح الحيوانات الصحراوية كذلك. وبالإضافة إلى هذا لا يعثرى الشواب الشعب والمشفة لعدم وجود الماء إذا ساروا بها في تلك الصحراء، ويتوافر العلف من الشعير والخبث. وفي مدة وجيزة شق السلطان نهرا كبيرا يجري إلى هناك أطلق عليه اسم "النهر العازاني الأسفل". وبعد ذلك أجرى من الجانب العربي نهرا آخر عسى حدود تلك الصحراء، سماه أيضا "النهر العازاني"، وأوقف من الماء والأرض عدة أقدمة على ذلك

(١) وحدة من وحدات الوزن يتصل أكثر للطلال ويسوى مائة من تبرى (٢٩٥ كيلو جرام) وبأنى هذه الكمية أيضا يعنى الصرغ القهبة التي تقبل من الرعايا، وتعمل على جلب الخالص من الجيش "نوقة" (نظر تحرير تاريخ وصاف به قلم عبد الحميد آتبي، ص ٣٧٨، تهران ١٣٤٦ هـ ش)

المشهد، واشترى ما تبقى من كل الموضع التي عمرها، واستعملها لنفسه. ثم أوقفها كلها على أبواب البر التي بناها في تبرير. والآن في هذا الرمس أنشئت في مشهد سيدى أبى الوفاء الحداثق والبساتين، وظهر الماء العذب وأنواع الفصراوات التي لم تتوافر مطلقا للسكان من قبل. ولما كان هذا المشهد يقع بعيدا عن العمران، ويتعرض الجياورون له لأذى المعبرين من الأعراب أمر بإقامة سور حوله على نمط ما يسي حول مدينة من المدن وهماك شيئا هاما وعمارات جديدة. وعما قريب تتحول هذه المنطقة إلى مدينة أيضا.

كذلك أقام السلطان ويقم العمارات في أكثر الولايات، ويجرى فيها الأنهار والقنوات. وإذا شرعا في تفصيل ذلك، سوف يؤدي هذا إلى التطويل. وإن ما أمر به بموجب أحكام القرمات، وشروط الأوقاف، وبمشاركة وكلاء الديوان من استصلاح الأملاك الأميرية وتشيد الأبنية ليس له حد.

وفي عهد المبارك، ونتيجة لعلمه الشامل، سارعت الآلاف المؤلفة من الناس إلى مشاركته، وشغلوا بتشيد المباني. حتى أن ما تقاموه هم أنفسهم يريد مائة مرة على ما تقامه السلطان بنفسه. وكل يستأن لو دار، كان شبه قبل هذا مائة دينار، أصبح في الوقت الحالي يساوي ألف دينار. وهذا على حين أنهم قبل هذا [ص ٤١٣] كانوا يعملون إلى التخریب أكثر مما يعملون في التعمير. وفي الحقيقة إن العمارات التي تشأ الآن في البلاد، لم يشع مثلها ملك قط بعد عهد الأكاسرة. ومن العجيب أنه إذا كان الناس في عهد الأكاسرة قد شغلوا أيضا بالتعمير بهذا القدر فإن البلاد كانت عامرة تماما في ذلك الوقت. ومع هذا عمرت خلال سوات عديدة. وحيث إنه أيضا في ذلك الوقت، لم يكن موجودا مثل هذا الخراب الموجود حاليا، فأى عمارات إذن كانوا مشغولين بتشيدتها في تلك الأيام؟

أما مدينة تبرير التي هي الآن عاصمة البلاد، فقد كان لها سور صغير اندرس أيضا وتوجد خارج المدينة سائر وعمارات كثيرة، فقال السلطان: كيف يجوز أن مدينة يسكنها الآلاف المدينة من الناس، وهي في الوقت نفسه دار للملك، ولا يسي لها سور؟ وعلى الفور أشار باتخاذ الإجراءات حتى يمكن تجديد المكان والكيفية التي يسي بها السور.

ولما كانت الحداثق والبساتين تتصل بالمدينة، كان من الضروري أن يقع بناء السور بين أملاك الناس المعمورة. وهذا عرض مستشارو السلطان فطالبوا حيث إن السكان في تبرير من العرباء والفيحيين الذين لا حصر لهم، وأكثرهم من الأثرياء، يقسم السور إلى أقسام حتى

وظيفة	مرتبات
مرتب الشرف الذى يقوم بمهمات دار السيادة، والذى يؤدى الخدمة للسادات بمقتضى شرط الواقع.	الخدم والطهارة والعمال الأحرار الذين يعملون هناك.

## (٦) المرصد

إضافات	معايشات
العرش والتخطيط، وشى الشمع اللدائى والبنور والعطر.	المرتبة من مدرسى العلوم الدينية والمعلمين والكتبة والحررة والساوون وسائر العمال.

إصلاح  
وترميم الآلات وأدوات الصناعات  
والمرصد، وتلك التى تصلح  
للاستعمال.

## (٧) دار الشفاء [ص ١٩٤]

إضافات	مصالح
العرش والتخطيط، وشى الشمع اللدائى والبنور والعطر والآلات الخرجية.	الأدوية والأشربة والعاجين والمراهم والكحل والحساء الخفيف وثياب النوم وملابس المرضى.

مرتبات	تجهيز
المرتبة من الأطباء والكهنة والفراشين والخرزة والخدم وسائر العمال.	الأموات الذين يتوفون هناك

## (٨) دار الكتب

إضافات	مصالح
العرش والتخطيط، وشس الشمع الذئاب.	إصلاح الكتب وترميمها، وسداد شس الكتب الضرورية.

## (٩) دار القضاء

إضافات	مصالح
العرش والتخطيط، وشس الشمع للذئاب والبلور.	مققات إعداد القوانين ونسخها وتجهيزها.

## (١٠) بيت المتولي

مرتب تخصص لأحد البوابين حسب ما هو مقرر.

## (١١) دورة المياه [ص ٤٢٠]

مصالح	جراية
الشمع للذئاب والبلور والخطوط والأباريق والجزار والأباريق والدمان والأكرواز.	مخصصة لعراش واحد قائم بالخدمة

## (١٢) حمام السبيل

مصالح	جرايات
المسائر والدلاء والمطر والمصاييح والمساحات والجعارف والخطوط ووقود موقد الحمام.	العمال من الحمامي والدلاك وحارس الملابس والوقاد.

## حرف

### (١٣) ما ينكر من ملحقات وتوليع أبواب التبر

#### مصالح

الطعام الخارجى فى جوسق العادلية الذى يقدم إلى أمراء الملوك والتأزيك والأشخاص الذين يمشون إلى هناك إذ يسهم عدد زيارتهم يقصرون ذلك الجوسق، ويأكلون هذا الطعام ما يحتاج إليه الطعام الذى يصرف كل يوم، وإضافة المرسى والتخطيط وأنواع المطبخ ولوازم دار الشراب وشن الشمع اللذات.

#### مصالح

الوليمة التى يقيمها الوائف شكر الله سبحانه كل سنة فى اليوم الذى يحدده بشرط أن يجتمع المهاجرون فى البقاع المذكورة والأئمة والأعيان والمستحقون فى تبرع وغيرهم من يمشون إلى هنا ويختصمون القصران ويتناولون الطعام ويمطون الصدقات المخصصة لذلك اليوم

#### [ص ٤٢١] جراجات

العمال من النظافة والمهندسين يشراء ما يحتاج إليه، والسقاىة والحرفة وبقية فئات العمال هناك.

#### مصالح

الحلوى التى تقدم فى ليالى الجمعة يرسم أهل المسجد والحقاق والمدراس وملاجئ الأيتام، بالإضاءة إلى ما تمنى صرفه على حيلة هى القبة العالية بمقتضى التصيلات المنصوص عليها فى السجل.

#### ما يحتاج إليه صدقة

للعوام المذكور الذى يصرف فى هذا اليوم.

## (١٤) نفقت العيدين

### والأيام وللليالي للمباركة من عشوراء وليلة القدر وغيرها مدرسة

الأهتمام البالغ عندهم دائما مائة بيتيم يدرس لهم القرآن

هدية

وجوه الإنفاق

مائة مصحف جديد تشتري كل سنة.

السنوية، وتقدم العديده لمائة طفل  
يكومون كند حفظوا القرآن الكريم،  
ويصلون بالسنة، ثم يحضرون بدلا  
منهم أشخاصا آخرين

إضافات

مرتبات

العرش وإعداد الكتب، وما تدعو  
الحاجة إليه.

لخمسة معلمين وخمسة رقباء يلازمون  
الأطفال، وخمس من السوة يقس على  
رعايتهم.

[ص ٤٢٢]

## (١٥) للمستحقين

شراء ألبي من فراء الكتف المصنوع من فرو الخروف وذلك كل سنة، وتقدمها إلى  
المستحقين.

## (١٦) الإشراف على تربية

الأطفال اللقطاء الذين يلقي بهم في الطريق، هؤلاء يؤخذون وتُدفع أجور المصحات  
وما يحتاجون إليه حتى يبلغ هؤلاء الأطفال سن الرشد

## (١٧) تجهيز

وحتى العراء الذين يموتون في تبريز، ولم يكونوا يملكون تركة تهي بهم.



## (١٨) الحبوب

التي تنقطعها أنواع الطيور في أشهر الشتاء الستة عندما تشتد البرودة وينزل الثلج، فيشر القمح والجاورس (الذعر) ماصعة على الأسطح ولا يصطاد أحد هذه الطيور وكمل من يقصدها بسوء، تحمل عليه لمة الخلق تعالى وسخطه. وعلى المتولى وسكان تلك البقاع أن يسموا المعتدى ويردعوهم، وإلا يكونوا أنش.

## (١٩) للأرامل

العقيرات اللاتي يصرف لهن القطر كل سنة، ليكون رأس مال لهن؛ على أن ضمح كل واحدة من الأرامل البالغ عددهن بمائة أرملة، أربعة أمان من القطر المحلوج

## (٢٠) عوض

الأواني المخارية والكيران التي يكرها الطعام والجوارى والأطفال فيصب متول أمي هي مدينة تبرير، حتى إذا ما أرادت تلك العنة نقل الماء، وانكسرت أوانيهم، وبخشون عقاب سادتهم؛ فإن ذلك المتولى يعوضهم عنها بعد أن يتحرى الحقيقة.

## (٢١) بخصوص

[ص ٤٢٣]

تنظيف الطرق من الأحجار، وإقامة القاطر على السهيرات ابتداء من مدينة تبرير إلى مسافة ثمانية فراسخ من المناطق والجوارب المحيطة بها وذلك على النحو المفضل في السجل

## (٢٢) مرتبات

البواب وعمال ديوان أوقاف البر المذكورة والمسماة "الأوقاف الخاصة" وذلك بموجب شرط الوقف خارج أعمال الولايات والمواضع.

## (٢٣) نفقات

عمارة أقبية العالية وأبواب البر بأصلاحيها الاثني عشرة، وكذلك جوسق العادلية الذي أنشاه أرغون خان بموجب شروط الوقف المصروح عليها في الوقفية المباركة.

## (٢٤) نفقت عملة

أملاك الأوقاف، والتي أسبل ورعها من الصباغ، والمغار والأراضي المستعملة المتعلقة بأبواب البر المذكورة في كل ولايات الممالك، حيثما وجد شيء منها بمقتضى شرط الواقع.

وحيث إن أهمية المباركة قد اقتضت أن يستعيد أكثر أصناف الخلق من هذه الخيرات ومن أبواب البر كذلك حسب الشروط المعينة لأوقف غاران على هذا كله ما كان يمتلكه شرعاً فهو حقه المطلق ومنه المطلق بطريقة لا يمكن أن تنجح مجالا لأى طامع للاعتراض عليها. وقد قطع بصحتها جميع المعنى وثقات العلماء الكبار وقضاة الإسلام. ثم أمر بكتابه سبع نسخ من تلك الوقفية، وتسجيلها كلها؛ بحيث تكون واحدة منها في يد المتولى والثانية في الكعبة والثالثة [ص ٤٢٤] في دار القضاء بدار الملك تبريز والرابعة في دار القضاء بمدينة السلام بعداد. أما الخامسة والسادسة والسابعة فتحفظ في السجلات وبعد كل مدة يحدد الشهادة عليها فصاة بعداد وتبريز. وعلى كل قاص يتقصد منصب القضاء أن يحدد تسجيلها فور جلوسه على مسند القضاء. ثم أمر بأن يسكن ويتولى أبواب البر المذكورة الجماعة الذين هم أقصبل وأكمل أهل العصر، وأن يظلوا ملازمين لها.

كذلك شيد السلطان "خانقاه" كبيرة في ولاية همدان على حدود سعيدكوه هي قرية بورسجرد، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة؛ بحيث إنه صار المأدبون تلك الخانقاه أو التادامون إليها في راحة تامة بسبب نعمتهم بتلك الخيرات كما يشاهد الجميع.

مأثرة أخرى للسلطان هي أنه في كل ولاية حل بها، وراوده أهل، وعس له مراد، ومستع حاجة مستترة، لحأ في الحال إلى حصرة الحق، وأقصى إليه بسره، والترم براء، وأدى صدقة. وعندما هرم جيش مصر، وجلس على عرش السلطة في دمشق، وفي بعدة بدور كان قد بدرها إبان رحمة على تلك البلاد، بعضها في هذه الممالك، وبعضها في تلك الممالك (أى ممالك إيران) وأحد هذه البدور كان لقبر سبع الله خالد بن الوليد - رضي الله عنه - حيث دارت الحركة في تلك المنطقة وكان هذا السر عبارة عن فضائل ذهبية ومعدات ومفروشات سمها أبصا إلى الشرفى على المفرة كذلك مدر بدرا آخر وذلك بأن وقع عدة قرى من أعمال دمشق على بيت المقدس ومشهد إبراهيم الخليل صلوات الله عليه.

وقد لاحظ أن ملوك مصر والشام كانوا يعقون ريع أوقاف الحرمين وسبيل الحجاج في أعراس تتعلق بتصريف مصالغ الجيش والدخوان وكانوا يحIRON صرفها بعتاوى تأويلية، ولم يكن ذلك يكثر في الحقيقة. ولهذا ندر أيضا أن تصرف أموال هذه الأوقاف في الأعراس التي حصصت لها، وقال في هذا الشأن حيث إن الحق تعالى وهب لي هذا الملك، يعني أن يصرف ريع كل تلك الأوقاف والأراضي التي أسل ريعها في وجهها الصحيح، وألا يصرف قطعا في الإنفاق على الجيش والديون. ثم صرح قائلا: إن هذه المملكة تحت تصرفنا الآن. وعندما يعود [ص ٤٢٥] سوف نترك جيشا مجهرا ضاما للمحافظة عليها وإن بة الخير التي كنت قد لقمعت عليها، يجب أن تخرج إلى حير التنفيذ.

ثم أصدر فرمانا فيما يتعلق بآبواب البر هذه. وقد ندر في هذه البلاد أن يصرف مبلغ عشرين تومانا من الأموال من ريع أملاكه الخاصة، وذلك على سبيل الإردار والوقف والصدقة والإنعام على جماعة من الأمراء والعراة والشرفاء والأثرياء والعفراء والجدد الذين يجتمعون كل عام في مجلس الشورى (التوريثي).

وبعد عودته وفي بذلك الدر، وخلع على كل طائفة وجماعة على قدر مراتبهم - حلما كانت عبارة عن أحزمة مرصعة وغير مرصعة وملابس متنوعة. وندر أيضا عشرين تومانا ذهبيا على سبيل الإردارات والصدقات. ولا تزال هذه الصدقات تصرف حتى الآن وتنفذ في كل ولاية سنة بعد أخرى وعصلا عن ذلك أمر بأن يسقط من كل الأموال التي يؤتى بها إلى الخزانة دينار واحد من كل عشرة دينار، وثوب من كل عشرة ثوب وعشر من كل صف من الأصناف الأخرى. ثم نودع هذه الأموال لدى المشرفين على القصر الذي يعني لهذه المهمة، وليكون حارسا لتلك الأموال، ويتولى توصيلها دائما إلى العفراء والمستحقين أما الشخص غير المستحق، فلا يعطيه شيئا منها، وتعاد إلى الخزانة الأصلية وأمر أيضا بأن ترسل في كل عام الستائر والشعاندات والقباديل إلى الأصرحة المباركة. وكان السلطان يمر دائما إلى الحق تعالى بحاجته، وهو متأكد - دون أدنى شك - من أن حاجاته مقبولة لدى الحضرة الإلهية بفضل الخيرات والصدقات والديور. ولا يصعب أجبر ذلك أبدا ولا شك أن أي مخلوق لم ير في أي عصر، ومن أي سلطان مثل هذه الخيرات الكثيرة والمبرات والإنعامات والإردارات والصدقات الجارية.

فليسمح الحق جل وعلا هذا السلطان العادل الكريم مريدا من التوفيق على هذه الخيرات وليوصل بركاتهما ومثوباتها إلى أيامه المباركة.

## المكايمة الرابعة عشرة

### فى القضاء على الوثائق المزورة والدعاوى الباطلة ودفع<sup>(١)</sup> خيانة من لا أمانة لهم وغير المتدينين

إن سلطان الإسلام خلد سلطانه لكمال عدله، أزال أنواع الوثائق المزورة والادعاءات الباطلة، وسع طاقة القضاة والخطباء الذين لم يكتسبوا على علم تام بالعلوم الشرعية من تحرير القبالات والوثائق، وكلف جميع القضاة بأن يحرروا القبالات بطريقة واحدة؛ بحيث ترفع حملة الدقائق الشرعية، حتى تعلق أبواب المنازعات بين الناس. وحيث إن شرح تلك الأمور ملون بوصوح تام ضمن الأحكام والقواعد يكتب بمصوص تلك المراسيم كي تعلم المقصود منها، ولا يكرر الكلام عنها.

تلك الأحكام والقوانين تفصلها فيما يأتى:

مرسوم بخصوص تفويض القضاة النظر فى شئون القضاء.

مرسوم بخصوص عدم إعادة النظر فى القضايا التى مضى عليها ثلاثون عاماً.

مرسوم بخصوص إثبات ملكية البائع قبل البيع.

مرسوم بخصوص تأكيد الأحكام السابقة وتسهيل الشروط اللاحقة

مرسوم بخصوص قانون الوثائق الذى اتفق عليه جميع أئمة العصر.

ومضمون كل مرسوم من المراسيم المذكورة، يكون على هذا النمط الذى يكتبه فيما

يلى:

---

(١) دفع الشيء عنه وإزالته بقوة. يقول الله تعالى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضاً لفسدت الأرض﴾

(نظر للمعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٨٩).

## مضمون المرسوم بشأن تلويض القضاة

بسم الله الرحمن الرحيم

مرسوم السلطان محمود غزلان

[ص ٤٢٧]

ألا فليعلم احكام والملوك والأشخاص الذين كانوا حكاما في الولايات العلامية قبلنا، أننا قد عينا فلانا قاضيا لتلك الولاية وتوابعها، حتى نعرض عليه كل قضية أو أمر أو مهمة ليحكم ويقطع فيها برأى، ويحافظ جيدا على أموال اليتامى والفائس ومحظور على أى مخلوق كدسا من كان أن يتدخل في عمله والشخص الذى يرح به فى السجن الشرعى لا يطلق سراحه أى مخلوق، ولا نخالعه الجماعة التى يعهد إليها بالقيام بالمهمات والشئون الشرعية

ولما كان حكم الرسوم الأعظم يسير عنان يفصى بأن القضاة والعلماء والعلماء لا ينعون الرسوم والصرايب، أمرنا بأن يعفى هؤلاء بناء على هذا من دفع الضرائب، وألا يأخذ الحكام منهم شيولا أو ذواب البريد، ولا يملأوا من ماله، ولا يسمحوا للرسول بدخولها، وأن يدفعوا لهم مستحقاتهم دون تقصير. وستة بسنة. وكذلك معاشاتهم طبقا لما ورد فى التوصيات والسجلات. وقد أمرنا شحنة الولاية بأن يجازى كل من يتعمد بكلام عيب أو يوجب إحابة غير لائقة أمام القاضى، أو يحاول أن ينتقص من حرمة

مسألة أخرى هى أنه لا يعنى أن يطلب أى مخلوق القاضى بالحضور عنده. وإذا بت القاضى فى أمر من أمور الشريعة بناء على ما قدمه من دلائل ومستندات، فإن عليه ألا يتقاضى [ص ٤٢٨] شيئا من أى مخلوق فى مقابل ذلك مهما كانت الأعداد والعلل. وإذا كتب وثائق جديدة، فإن عليه طبقا لحكم الرسوم الذى أصدرناه على حدة أن يخفض الوثائق القديمة إلى "طاس العدل"<sup>(١)</sup> ويرمى فيها حتى يسحقها، وتروى كتابتها، ولا يستمع للدهاوى القديمة التى لم يمت فيها مد ثلاثين سنة، ولا يهتم كذلك بالوثائق القديمة التى هوت قبل ثلاثين سنة، وذلك بمقتضى حكم الرسوم والشرط الذى نصصا عليه على

(١) طاس العدل عبارة عن وعاء كبير مخروطي الشكل يلقى فيه الوثائق المخططة كى تحترق وتنتف.

حدة في هذا الباب. وعندما يحضرون إليه مثل هذه القبالات القديمة لا يعطيها الخصوم والتنازعين، بل يصلها في طاس المعدل.

مسألة أخرى هي ألا يستمتع لقضية المرور المدلس. والشخص الذي يقدم على ذلك تخلف لحينه، ويحمل على نور، ويضاف به في المدينة، ويحرر تمرير<sup>(١)</sup> تاما. وبعد هذا لا يبنون له محصر. وإذا دون لا يؤخذ به، ولا يلتصق إليه

ومسألة أخرى وهي أنه إذا مثل خصمان أمام القاضي، وجاء كلاهما في حماية أحد الأشخاص، أو أنهما أحصرا معهما إلى دار القضاء جماعة من دوى النمود بقصد الوقوف إلى جانب الخصم أو أحدهما ومحاولة الضغط والتأثير على القاضي، فإنه في هذه الحالة لا يستمتع لقضيتهما، ما لم يعاد هؤلاء قاعة المحكمة. وغطعا لا يظفر القاضي في القضايا الشرعية ما دام حماة الخصوم حاضرين

مسألة أخرى بخصوص الدعوى بين اثنين من العلول أو بين معولي ومسلم. وبخصوص القضايا التي يصعب انقطع والفصل فيها قال السلطان. لقد أمرنا بأن يجتمع يومين في كل شهرين الشحن واللوك والكتاب والقضاة والعلويون والعلماء في المسجد الجامع يديرون المطالعة حيث يستمعون إلى الدعوى ويتعمقون في فحصها. ثم يعصارون فيها طبقا لأحكام الشريعة، ويكتوب محصر، ويدونونه في السجلات. ثم يوقعون بشهادتهم على صحة ما كتبوه؛ [ص ٤٢٩] حتى لا يكون بعد ذلك مجال لطعن أي مخلوق، ولا يستطيع إبطال ما أبرم.

مسألة أخرى تتعلق بالعقار الذي يدور حوله كلام وادعاء وبشبه شجار وبراغ، فإنه لا تتدخل بشأنه أسهات الأحقاد ولا الخواتم والأبناء والبنات والأصهار، وأسراء التومان والحرارة والصند والدخه (أي قواد الكتاب للكومة من عشرة آلاف وألف ومائة وعشرة)

---

(١) يقول تاوردي عن التميز: التميز مأدب على دنوب لم تشرع فيها الحدود وإنما صفة الصرب في التميز فيحصر أن يكون بالقصا والقسوط ويجوز في تكال التميز أن يحد من ثبانه إلا أنكر ما يستر حرمة ويشهر في الناس وينادي عليه بدينه إذا تكبر منه ولم يذب ويجوز أن يعلق شره ولا يجوز أن تعلق لحنه واعطف في جوارئ نسبه ووجههم مجزرة الأكثرون، وسج منه الأكثرون (الأحكام السلطانية ص ٢٣٦ - ٢٣٩

وكذلك المعول الكثيرون وكتاب النجوى الكبار والقضاة والطوبى والعلماء والشيوخ والرؤساء، فلا يشترط هذا العقار وطبقا للمرسوم الذى أصدرناه يمتنع القاصى العلانى احتياطا بليغا، فلا يحرر قبالة باسم هذه الجماعات المذكورة، وذلك فى حالة كل عقار أو معاملة تكون محل خلاف ومراع. وإذا رأى شخصا آخر يحرر هذه القبالة، فإن عليه أن يسمه.

مسألة أخرى بخصوص الصداق (المهر) الذى يؤخذ عند الزواج قال السيدان: "تقدم قررا قبل هذا أن يكون الصداق تسعة عشر دهباً ونصف دهباً"<sup>(١)</sup>، ولا يؤخذ أبعد من هذا الصداق.

مسألة أخرى تتعلق بالولاية التى تتبع القاصى فلان، وينظر فى قضاياها. تبحث هذه القضايا فيما كان منها بعيداً عن المذمة فى هذه الولاية، ومن المناسب أن يصب لها قاص للظفر فيها، بعض قاص ثقة هذه المذمة، ويؤخذ من الحكم على النحو المذكور. وعليه فى كل شهر أن يتخذ سبيل الاحتياط عند النظر فى شئون المتقاضين كى يحافظ على طريق الشريعة ونجوى الصداق، وذلك بموجب الرسوم الذى أصدرناه حتى لا يكون غافلاً عن ذلك، وأن يادن تحرير القبالات، وبعد حكم المشرع، وترسل إليه نسخة فى كل شهر أما الناحية الداخلة فى نطاق القرى، ويصب لها قاص، فإنه ليس له حق النظر فى الدعاوى والقضايا، ولا يحكم فيها، ولا يكون سجلات المقارنات [ص ٤٣٠] كذلك لا يحرر ورقة أخرى قط فيما عدا ما يتعلق بقراءة الخطبة، وصكوك الفروض ووثيقة الصداق. وإذا تصادف أن وجدت قضية معقدة أو دعوى خطيرة، فعلى القاصى أن يأتى إلى المذمة ويعرضها على قاصها كى يعمل فيها.

مسألة أخرى. يبنى أن بعض رجل ثقة مندب ليجرر تاريخ الوثائق، ويكون له سجل وعليه أن يمتنع احتياطاً تاماً عندما يحاول شخص آخر أن يعمل ذلك. وهذا الشخص المخالف تخلف لحيته ثم يطاف به فى أنحاء المذمة. كذلك إذا عرف مسجل التاريخ شيئاً عن هذه القضايا وفهمه، لكنه أخفى الحقيقة، فإنه يكون أشأ، ويستحق الإعدام.

تحريراً فى التاريخ العلانى. والسلام.

(١) اعتصم أهل القلم على المهر، فقال بعضهم: مهر على ما نزلوا عليه. وهو قول سيدنا النورى والقاضى والحمد وإسعاد. وقال مالك بن أنس: لا يكون للمهر أقل من عشرة دراهم. (انظر سنن الترمذى، ج ٢، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ص ٣٩٠، المذمة للضرورة بدون التاريخ).

## نص المرسوم المتعلق بعدم النظر فى القضايا التي مضى عليها ثلاثون عاماً

بسم الله الرحمن الرحيم

بقوة الله تعالى وميامن الملة المحمدية

فرمان السلطان محمود غزلان

فليعلم قصاة البلاد أن كل همتنا مصروعة ومقصورة على أن نرفع عن الخلق الظلم  
والتمدى والادعاءات الباطلة والخلافات والمزاعات وأن يفضى العالم والعالمين وقتهم، وهم  
قارعو البال، قارعو الحال، وأن تصل آثار عدلنا إلى الخاص والعام والبعيد والقريب، وتصير  
عامة شاملة، وأن يقضى على مواد الخلاف والسراع من بين جمهور الخلائق وأن توضع  
الحقوق فى موضعها، وتلقى نهائياً أبواب التروير والتمويه والاحتيال. ولهذا السبب أرسلنا  
مراراً المراسيم إلى جمهور القصاة والعلماء الذين تغلدوا الأمور الشرعية، وتصلوا للأشغال  
الدنية حتى يحصلوا فى الدعاوى، ويقصوا على الخصومات بين كافة الخلق على نحو يكون  
متفقاً مع مقتضى قواعد الشريعة، وموجباً لقوانين العدل. ويمكن أن يكون خائباً من  
الشواذب والتروير والمداخلة [ص ٤٣٩] والبلبل والخرى. ومن بين ما هو أهم وأجدر أن  
يمعرو النظر فى العناصر المرورة والصكوك والسجلات الموهمة، ويقصوا حقائق الأمور  
والأحوال ويصلوا إلى غورها.

وإذا ما بدت على تلك الحجب مظاهر قدم العهد، ولم يراع ذلك جيد القصاة والحكام  
السابقون فإن على القصاة الحاليين الحذر التام بحيث لا يتهاوون دققة واحدة فى اتخاذ  
شروط الاحتياط. وكذلك فيما يتعلق بالحجج التي مضى عليها ثلاثون سنة ولم يست فيها  
واعتبرها كل مرور ومعرض سداً وحقاً مكتسباً، وصار يتعب الناس ويشق عليهم، ولم  
يستطع القصاة تدارك ذلك رغم الشروط المنصوص عليها وكذلك قبل هذا فى عهد  
السلطان السابق ذكره فى كل العرائنات والمراسيم، ألا يستمع إلى الدعاوى التي مر عليها



ثلاثون عامًا. ورغم هذا فإنه حتى الآن لم ينفذ هذا الشرط، ولم يصلوا إلى كنه الموضوع ولم يتداركوا ذلك تداركًا كليًا. أما في هذا العهد فقد تخصصنا هذا الأمر من قصة الإسلام فحرصوا علينا بالحق والصدق حقيقة الأمر. وحيث إننا أردنا أن نحكم تلك الأمور بين الشخصيتين وبين القصة من جهة أخرى، حتى لا يستطيع أحد قط أن يصر على الباطل ولا يستطيع أن يقس الحجاج القديمة الباطلة التي مصى عليها ثلاثون سنة. ولتلافى هذا أشرنا على قصة الإسلام بأن يظفروا في الوثيقة التي تناسب الشرع والصدق وحتى لا يجهل شخص قط عن الحق، ولا يستطيع أيضًا جماعة الأقوياء المستبدين الإلحاح والتأثير عليهم؛ وذلك بأن يسألوا أسئلة مصللة وغير مشروعة، ولا يستطيعون أن يشقوا عن القصة والألمة. ولقد كتبنا المرحوم السيد القاضي ميرزا حسين الخراساني بأن يكون صورة الحجة وأن يكتب على ظهرها ذلك المرسوم؛ بحيث لا نظرًا ريادة أو نقصان على ما هو مقرر ثم تحصر هذه السخنة إلى الخزانة لتكون نصب أعين المسؤولين والعرض من هذا العرمان وتلك الوثيقة المسطرة على ظهرها المرسوم أن تكون دليلًا للأشخاص والعلماء، فيخشى الجميع التحريف والتبديل، ولا يستطيع الأقوياء المستبدون الإلحاح على القصة كي يتركوا الدعاوى الباطلة والتنازع عليها، ولا يحوموا حول كل ما هو خارج عن هذا الحكم وتلك الحجة المخصوص عليها في ظهر الوثيقة. وإذا خالف القصة ذلك عزلوا من منصب القضاء ويكونون أشبه إلى أن يعرفوا الحقيقة. وأنا لن أستمع إلى أي عذر مسهم. وإذا ألغ عليهم شخص قوى مستبد، وأصر على رأيه، ولم يراع [ص ٤٣٧] القصة هذه التعليمات المدونة على ظهر الحجة ولا يحكمون بموجها، فعلى المسؤولين أن يكتبوا أسماء هؤلاء المستبدين ويرسلوها إلينا كي نعتبر هؤلاء الأشخاص مدسسين وعاقبهم ليكونوا عبرة للعالمين.

كتب في الثالث من رجب الأحسن في سنة تسع وتسعين وستمئة (١٢٩٩ هـ - ١٢٩٩ م) في موضع "كشف".

## نص الوثيقة التي كتبت على ظهر المرسوم المذكور

لما كانت المهمة العالية والرأى السديد للملك العالم والعالمين وملك ملوك الإسلام والمسلمين، المخصوص بمهابة الرحمن، عازان خان لا زالت دولته الخالية متمتعة بالهدوم آخذة في الريادة، غير بالعة النهاية. ومد بدء ظهور دولته، وهنته مقصورة ومضروعة إلى أعمال الخير والبر، وعان عابته وعاطفته موقوفة ومعطوفة نحو إصلاح حال الرعية؛ بحيث إنه في عهد دولته ورمضان حكمه وسيطرته، يهني العالم والعالمين أياهم، وهم عارعو السال مرهقو الحال. وإن آثار كمال عدله ومخايل وفور عاطفته ومرحمته لتشمل الخواص والعوام والبيد والغريب والترك والتار بك. كذلك تحسم بل تزول مواد الخلاف والراغ من بين جمهور الخلق في كل المعاملات، وتستقر الحقوق في مواضعها، وتسد أبواب التروير والمكر والاحتيال سدًا نهائيًا.

ولهذا السبب توجه السلطان بمخاطبة جمهور القضاة والعلماء الذين يتقدمون الأمور الشرعية، ويتصلون للأشغال الدبية، وذلك في مضامين التراجم السلطانية ومداولاتها والمحتومة بالأحكام المأركة لا زالت نافذة في مشارق الأرض ومغاربها. فالسلطان في حديثه إلى هؤلاء يحنهم على أن يوصلوا في القضايا، وبهوا الخصومات بين عامة الخلق حسب ما تقتضيه قواعد الشريعة، وتوجه قوانين العدل والإنصاف، حتى يمكن أن يكون حكمهم مقدسًا وبعيدًا عن شوائب التروير والتمويه والميل والموى والملدعة. ومن جملة ذلك أيضًا عليهم أن يمحوا النظر في الخواص المرورة والصكوك والسجلات الموهمة، ويكشعروا عن حقيقتها ويوصلوا إلى غور الأمور بقدر الاستطاعة والقدرة [ص ٤٣٣]

وإذا ما بدا على تلك الحجج مظهر قدم العهد، فإن على القضاة الخاليين - على سبيل حسن الظن بالقضاة والحكام السابقين - ألا يهملوا دققة قط من شروط الاحتياط وبراسمه، والتحقيق والتنقيش، فلا يمولوا على تلك الحجج؛ إذ إن كثيرًا ما يحدث أن يمتلك شخص عقدًا أنشأه وأحدثه أو أنه آل إليه عن شخص آخر. وقد دوست وثائق وحجج شرعية تدل على ملكه واستحقاقه. وبإاء على حكم القضاة وحكم الشرع صار

العقار مؤكناً ومسجلاً. وبعد مدة مديدة انتقل منه إلى غيره بناء على حكم شرعي، ثم انتقل من ذلك الشخص إلى آخر، وعلم جراً. هذا على حين أن تلك الحجج بقيت في سرل لذلك الأول. ثم مضت إلى أئدي عدد من الورثة. وبعد مدة طويلة وعهد متكامل يظهر أحد الورثة هذه العرصة، ويظهر تلك الحجج ويحتج بها قائلاً إنه في التاريخ العتاسي، كان هذا العقار ملكاً لجدي، واليوم آل إلى بحكم الإرث. ثم تشهد جماعة بتأثير جماعة أخرى على صحة استحقاقه وبذلك تطول بينهم المارعات والمجادلات، الأمر الذي يترتب عليه أن بعض القصة في بعض الولايات ممن لم يكن لهم قدم راسخة ونصاب كامل من الدين والتقوى وعلم الفقه والعتوى لا يصلون إلى عور الأمور، ولا يبررون بين الحق والباطل. ويمكن أن يصلروا حكماً يؤدي إلى ضياع حقوق المستحقين.

بناء على هذه المقدمات فإنه قبل هذا، حكم السلاطين السابغون - سقى الله ثراهم وجعل الجنة مثواهم - منجيين أمثال هذه الاحتمالات بحيث إنهم لا يسمعون ولا يهتمون على القضايا التي مضت عليها مدة ثلاثين سنة، وهي التي يطلقون عليها "جيلاً واحداً" ولا يصلرون حكماً قبل اتحاد الخيطة والتحرى. ومن بعد هؤلاء السلاطين صدر مرسوم الإلهام الأعظم أرغون خان، يقضي بتعبد تلك الأحكام.

وحيث إنه كان يرجع في هذا الخصوص إلى أقوال الأئمة واجتهاد العلماء، علم أن جمعاً صغيراً، وآخر كبيراً من الأئمة والعلماء [ص ٤٣٤] قد اتفقوا واتحدوا في الرأي على أنه إذا كان هناك شخصان في مكان واحد، وكان أحدهما متصرفاً في عدة صياح. وكان يوجد في ذلك الموضع حاكم عادل وقاض نافذ الحكم، ولم يكن هناك مانع أو وارع آخر من إقامة الدعوى وإظهار الاستحقاق، ومضى على ذلك ثلاثون سنة كاملة، ولم يدع أحدهما على الذي كان متصرفاً وواصباً به على العقار، ولم يتمكن بعد ذلك من إقامة الدعوى فإن القاصي في هذه الحالة لا يستمع لدعواه ولا يقبلها. وقد نص على هذا صراحة بقوله: "والآن أنا القاصي فلان، وحاكم الشرع في الولاية العتاسية قد حررت هذه الوثيقة، وتعمدت بأن أمد من بعد هذا التاريخ كل ما هو مسطور في هذه الوثيقة وألا اغتار ولا أجدع عن الاستماع إلى الدعوى، والفصل في المرافعات والبت في الخصومات بما يقتضيه الشرع الحمدي، وأن أجد وأجهد بقدر المستطاع والإمكان، وبذل أقصى

الغاية والنهاية في تحرير الدعاوى وتنقيحها، وتعيش الحجج والوثائق الشرعية وتحقيقها ولا أسمع أى شكوى تعرض بعد مدة ثلاثين سنة بتلك الأوصاف التى سبق ذكرها، ولا أعبرها التناثا، ولا أهتم بها وإذا ما خالفت شرطاً من هذه الشروط، فإنى أصير مستوجباً الزجر والتأنيب، ومستحقاً العصب والعزل. وقد أشهدت على هذا جماعة من العادول والثقاة، وذلك في تاريخ كذا.

## نص المرسوم بخصوص إثبات ملكية البائع قبل البيع

بسم الله الرحمن الرحيم  
 بقوة الله تعالى وميلن المنة المحمدية  
 فرمان السلطان محمود غزلان

فليعلم الحكام والملوك والقضاة والكتاب والتواب والأئمة والأعيان والسراة والوكلاء وجمهور رعايا الولايات أنه بموجب نص قوله تعالى: ﴿يَا دُلُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>، وقول المصطفى صلوات الرحمن عليه: "عذل ساعة غير من عبادة أربعين سنة"<sup>(٢)</sup>، تكون كل همتا وعزيمتا [ص ٤٣٥] ورأيا السلطاني مصروفاً إلى رفاهية عموم الخلق. وإن إرادتنا هي أن ينتشر في العالم عدلنا وإنصافنا، وألا يستطيع أى قوى أن يظلم ضعيفاً ويضطهده، ولا يعطل حق أى مستحق بطريق الاحتيال وأنواع التدليس والتزويه، وأن تزول أنواع الممارعات من بين الخلق.

- 
- (١) الآية بأكملها ﴿يَا دُلُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الْقَدَىٰ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْ عَادَىٰ شَيْدَ بِمَا سَوَّاهُ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (سورة من آية ٢٦).
- (٢) وردت صيغة هذا الحديث على هذا النحو "عذل يوم واحد تفصل من عبادة ستين سنة" رواه النيسابى عن أبي هريرة، وأسنده من طريق أبي نعيم بسند "عذل حكم ساعة غير من عبادة ستين سنة". (انظر كتاب كشف الحفاء ومرآة الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على لسان فاضل الحديث الشيخ إسماعيل بن محمد المجداني الجرمي، ج ٢، ص ٥٨، طو إسعاد فرائد القري، بيروت ١٣٥٢هـ).

ولا كما يفكر في شئون الإدارة والإعداد والترتيب ووضع قاعدة لكل أمر، تسمى لما أن واحدًا من جملة معظمات الأمور وأنواع الممارعات والمصومات بين العالمين هو الادعاء الباطل بسبب القبالات القديمة والصكوك والأملاك الأصلية المخالصة المكررة التي تبقى في يد كل شخص. وتوصيح ذلك أن شخصًا يمتلك عقارًا. ولمصلحة أعد قبالة من يستحق أو أنه يمتلك أملاكًا كثيرة، هيأ لها وثيقة جامعة جعلها من يستحق؛ بحيث يمكن بعد ذلك أن تقسم التركة بين ورثة ذلك الشخص، ثم تنتقل تلك الأملاك إلى أناس آخرين مختلفين عن طريق البيع والانتقال. ثم يمر عليها رسم، وتبقى تلك المجموعة من القبالات والصكوك والأملاك المخالصة الأصلية أو بعض منها في يد البائع أو ورثته. ولكن بعد مدة لعدم أمانة هذا البائع راح يدعي أنه لا زال يمتلك هذه العقارات. ولا شك أنه فكر في هذا الأمر هويلاً، وعرف على أي نحو يفهم دعواه، وكيف يحرص الشهود على إثبات أحقيته. ولقد مهر في ذلك وأحكم خطه واحتلق ألف شعرة وحيلة. ومن المحتمل أن يكون قد غلط الشهود وموه عليهم الحقيقة، أو استشهد بجمع من لا أمانة لهم ولا دين وإذا لم يقدم البائع أيضاً بإقامة تلك الدعوى، فإن ورثته يمدون تلك الخرج في مرته، ولا يعرفون على وجه التحقيق أن أملاكه قد انتقلت إلى غيره، فيدعون ملكيتهم لها حسب ما ذكر. وحيث أن القبالات المسجلة محكوم بأنها للشخص الحي، وقد تعرض على القاضي مع الشهود، وضمت صحتها عنده؛ لأنه يعرف أنها انتقلت إلى الغير بطريق شرعي ومن المشهور أن القاضي يعجز بشهادة شاهدين وإذا ما اعتمد عدد من القضاة المتقدمين الثقات المشهورين تلك الصكوك وسجلوها وكان الشهود العلول المشار إليهم أحياء وحاضرين، ولكنهم غافلون عن أنه قد حدث بيع بعد ذلك، وانتقل [ص ٤٣٦] ذلك العقار وبقيت تلك الصكوك المكررة أو غير المكررة في يد البائع، ولم تسلم للمشتري، فيدلون بشهادتهم بالصورة مسجلة القاضي وبحكم بصحتها. ثم يذهب المدعى واستناداً إلى معاونة الأقرباء المستندين، وبموجب القبالة التي حكم بصحتها حديثاً وتم تسجيلها بتصرف فيها، أو أنه يبيعها إلى هؤلاء الأقرباء فيتصرر المشتري بسبب ذلك. ونتيجة لهذه الأوضاع يشب البراع ويطول الخصام بين هؤلاء الأطراف.

وحيث إن صكوك الملكية تثبت بشهادة الشهود العدول، يكون تصرف المالك مراعى  
ضامًا في الشرع، ونظرًا لأن الصكوك كثيرًا ما تتكرر وتبطل في يد كل شخص، يصير  
الاعتماد عليها أمرًا مشكوكًا فيه وسهفًا، ولما كان بعض قوى النعوس يميلون إلى التزوير  
وبمارسونه فإن الحصول الوجه أن يمثل أمام القاضى البائع سهم والمشتري وذلك عند بيع  
العقارات، وعليهما أن يحضرا الشهود العدول مع الصكوك التي تكون في حوزتهما، فيثبت  
البائع ملكيته، ويشهد الشهود العدول الثابت صدقهم على أن ذلك العقار خاص بالبائع  
وتحت تصرفه، ويقولون: إنا لم نسمع ولم نعلم أن لأى شخص دعوى شرعية بالنسبة إلى  
ذلك العقار. ثم تعمل تلك الصكوك في الماء. وإذا لم يكن لدى البائع والمشتري صكوك  
فإن على الشهود أن يشهدوا طيفًا لما هو مذكور، ويقرروا أن هذا العقار كان تحت تصرف  
البائع أو المشتري قديمًا أو حديثًا، ويقر البائع بأنه ليس لديه صكوك. وإذا ظهرت بعد ذلك  
تكون باطللة ثم يسجل العقار له، وتكتب شهادة الشهود، ويسجلها القاضى ويحكم  
بصحتها. وبعد ذلك يصح على ثبوت الملكية أسهل حجة للمبايع. وإذا أقر أحد بحق في  
النقل الشرعى، فإنهم يعترفون به أيضًا. وإذا ظهرت بعد ذلك بعض الصكوك لذلك العقار  
أو الملك الخالص أو للنقسم بين البائع وأولاده أو أقاربه أو الآخرين، كل واحد منهم كائناً  
من كان، [ص ٤٣٧] فإن أى قاض من قضاة الإسلام لا يعبرها اعتمادًا. وعندما يراها في  
يد أحد يأخذها منه بالخاف وعف ويمحوها. وإذا كان لأمثال هؤلاء سند قوى، أو كانوا  
في حماية بعض الأشخاص، ولم يسمعوا كلام القضاة، فإن عليهم أن يملعوا شحة تلك  
المدية كى يأخذها منهم بالمع والرجز، ثم تعمل في دار القضاء وإذا قصروا في ذلك  
فإنهم يكونون مذنبين. ويحى أن يقوم كتاب دار القضاء وحدهم لا غيرهم بكتابة المحجج  
والقبالات الخاصة ببيع العقارات. وعندما يجلس القاضى للحكم في دار القضاء، فإنه من  
الضرورى أن يحضر طائفة ممنوعون بالماء موضوعًا على كرسي، أسماه "طائفة العدل" ثم  
تطلب صكوك كل مبايع ودعوى يتم البت فيها وتفسل بالماء. وإذا باع البائع جرمًا من  
أبلاكه الخاصة الخائصة، وأبنى بعضها في حيازته، فإن ذلك الجزء الذى قد تم بيعه، يكتب  
على ظهر الحجة بحضور القضاة والعدول، ويبين فيها أنه قد بيعت هذه المساحة من هذه  
العقارات المذكورة في الحجة إلى الشخص العلامى في التاريخ العلامى، حتى تكون تلك

الحجة ثابتة في يد المشتري. كذلك يصح في حجة المشتري أن للبائع عدة أملاك، وأنه قد بيع بعض منها إلى هذا الشخص، ويظل يمتلك البعض الآخر. ولهذا السبب يبقى في يد البائع صك غير محمو (غير موصول).

مسألة أخرى: هي أنه إذا أدى شخص شهادة أو حرر كتابة تتعلق بمبايعة أو رهن ثم أقام ذلك الشاهد في وقت آخر دعوى على ذلك المشتري أو المرهون، فإنه لا يستمع له، وتخلق لحيته، ويركب حماره، ثم يطاف به في أنحاء المدينة. وإذا باع شخص عقارا لآخر كان قد رهنه قبل هذا، أو أنه أقر بحق شخص آخر فيه أو بانه فإن هذا التصرف يعتبر حالة من حالات التمويه، وإقرارا بالعش، فلا يستمع له، وتخلق لحية الشخص المدعى كذبا ويركب حماره ثم يطاف به في أنحاء المدينة. وإذا باع شخص عقارا لو رهنه ثم عاد ذلك الشخص بمرة أخرى، وبانه لآخر لو رهنه فيكتشف هذا التزوير، ويتأكد من ذلك فإن أمثال هؤلاء الأشخاص يعدمون.

[ص ٤٣٨] موضوع آخر هو أننا قررنا ألا يتوقع القضاة أن يأخذوا من أحد دافعا واحدا نظير قيامهم بالتسجيل والنظر في الدعاوى حسب العادة المعهودة، وأن يقنعوا بالمرتب الذي قررناه لهم، وأن يأخذ الكتب الذي يحرم الجميع درهما واحدا عن كل حجة تبلغ قيمتها مائة دينار. أما ما يريد على مائة دينار فإنه يتقاضى عنها مبلغا يصل إلى دينار واحد، ولا يأخذ ما يريد على ذلك أبدا. ويتقاضى المدير الذي يقوم بمهمة الإشهاد نصف دينار عن كل حجة يتم تسجيل الشهادة عليها. ويكون هذا الرسم من القند المتداول. ومهما تكررت الدعاوى، فإنه يقع بهذا المبلغ. وكل محام<sup>(١)</sup> يأخذ شيئا من كلا الطرفين يعز أولًا ثم تخلق لحيته، ويعزل من الوكالة.

مسألة أخرى بخصوص القضايا المحددة بفترة ثلاثين عامًا، أوردنا لها مرسومًا خاصًا، وبها شروطها، فيسعى مباشرة العمل بموجبها. وكل قاص يحكم بحلاف المراسيم والأحكام التي أصدرناها يعاقب ويعزل. وأمرنا المحكام والثلوك في كل الممالك والمدن بأن يحضروا القضايا في هذه المناطق، ويستردوا منهم الوثائق بموجب الرسوم الذي أرسلنا صورة منه، ثم يعيّلونها.

(١) المقصود المحامي الذي تليه المحكمة للدفاع عن ملاب.

والآن يبقى استدعاء فلان وفلان من القصة هناك ويمتصني نص الرسوم المرسل تسترد  
مهما الوثائق، وترسل إلينا بصحبة هؤلاء الرسل.  
كتب في شهر كنا وسنة كنا.



## نص المرسوم بخصوص تأكيد الأحكام السابقة وتعميد الشروط اللاحقة

بسم الله الرحمن الرحيم

بقوة الله تعالى وميامن الملة المحمدية

فرمان السلطان محمود غازان

[ص ٤٣٩]

ليعلم قصة البلاد أما عندما أدر كنا أن استقامة حال العالم والعالمى موط بالترام الأمور الشرعية، أرسلنا قبل هذا مرسومًا إلى كل الأطراف والجهات من البلاد ابتداء من شهر جيجون إلى حدود مصر بخصوص تدارك الخلل الذى يقع عند الفصل فى القضايا بحكم على القصة البلى والاحتياط التام فى تحقيق وتدقيق الأحكام الشرعية، وبمهم إلى ضرورة مراعاة النوازم والشروط فيما يتعلق ببعض شئون المغاشر والمحجج والوثائق والسجلات وعهد تعيد أحكام القضايا بحكم مما قد يشوبها من التزوير والتزوير والعش والتقصيص وأنواع الخيل الأخرى، وأنهمهم وجوب عدم الالتفات إلى مجرد قدم الحجج أو إلى أحكام القصة السابقين؛ إذ ربما لم نكن نخلو من تساهل أو تحير، والزمهم العمل بقدر المستطاع بالترام الصواب والتفائق الضرورية لسلامة البدن والحياة فى الآخرة وصيانة العرض وفر هذه القواعد فى كل البلاد على رموس الأشهاد مرة كل شهر؛ حتى ترسم وتتولد بالتكرار فى الأذهان، وينزجر أصحاب الادعاءات الباطلة من تلقاء أنفسهم ويسكون طريق السلامة، ولا يبقى أيضًا مطمع للأقرباء دوى القود فى أن يحملوا القصة على إصدار حكم بميد عن جادة الصواب؛ خصوصًا بعد أن أكدنا ذلك الحكم وأمر السلطان كذلك بأن تؤخذ خطوط كافة القصة، حتى لا يظنوا بعد هذا إلى رغبة أى مخلوق، ولا يراعوا جانبًا قط غير جانب الحق جل وعلا وأن يدلوا أنفسهم العابه فى تنقيح الدعاوى وفحص الحجج والوثائق حتى يكتروا بسجدة من حق التزوير والتلبس، وألا يحرصوا للظن فى كل دعوى مر عليها ثلاثون عامًا رغم شك المدعى، وبشرط عدم

للمواع التي تعترضها. وإذا قدمت دعوى بعد انقضاء تلك المدّة، فلا يستمع لها بتأثّر، ولا يحكم فيها؛ لأنّ فساد مثل هذا الادعاء ظاهر وواضح، وسامعها أمر مستهجن.

وقبل هذا واجه سلاطين السلاجقة هذا الأمر. ويعود اجتهد أئمة الوقت مع سماع مثل هذه الدعاوى وبعد ذلك كتب الأئمة والقضاة وعلماء الإسلام رسائل مستقلة في هذا الشأن [ص ٤٠٤]، وأكدوا تلك الأحكام. كما أن نسخها منتشرة في الأطراف. كذلك صدرت مراسيم آياتنا في هذا الشأن، ويجرى العمل بها لعرص.

العرص الأول. تأكيد تلك الأحكام، حتى يتحقق الرفقاء من شدة عابثتها واهتمامنا باستقامة أمور الدين، وتزول من العوس نقصة التسامح والتهاون في شئون الشرع، وتعمل بحسبها فصيحة الصلابة وثبات القدم.

وليعلم الجميع على وجه التحقيق أن كل من يحد عن هذه التعليمات سوف يعامل بعض المعاملة التي عومل بها قاضي أردبيل، فإنه لما لم يختر في تعدد القضايا المرورة الموهبة، أجهروا عليه بالسيف على أبشع صورة، وأشع حالة.

العرص الثاني. حيث إن خاطراً مصروف ومهتم دائماً باستقامة أمور العالم وانظامها وموجه إلى تحصيل وتكميل أسباب ذلك أردنا أن ملحق بالأحكام السابقة عدة أمور ضرورية بلعها قصة البلاد وعندهم على وجوب العمل بها، حتى يسيروا بمقتضاها، ولا يتجاوزوها

فأولاً وقبل أي اعتبار آخر بمعنى تأكيد الاحتياط بخصوص الاستماع للشهادة<sup>(١)</sup> التي يتوقف عليها مدار أكثر القضايا؛ إذ تبين أن القضاة يتلون تساهلاً في هذا الشأن، ولا يجتهدون في تحري اللقطة فيصدرون حكمهم بناء على هذه الشهادة دون توقف، أو دون أن ينظر في طمأنينة إلى عوسهم، أو يطلب الظن ويعطي الشك على صحة الشهادة وسلامتها ويتمسكون بذلك، ويقفون عاجزين أمام شاهدين، ولا يخشون مغبة هذا الإهمال. وقد

(١) الشاهد يعاون القضاء على أداء رسالته الاجتماعية، من غير أن يترك أن يعزل في دعوى من الوجه الصحيح ما لم يدل الشاهد بشهادته، وبني ذلك أن الشاهد بعض مصلحة اجتماعية ترجع على من تستد إليه الواقعة في الشرف والاعتبار بالنظر الوجه في قانون العقوبات. القسم الخامس: تلعب الدكتور محمود نجيب حسني. ص ٥٧٢ القاهرة ١٩٩٣م.

يتفق أن تكون القصة في ذاتها خطيرة. ولكن لأنهم لا يعرفون الحقيقة ولا يحتاجون بصبرهم على هذا النحو، فيقصون بذلك على طائفة من الناس الوجهاء الأثرياء ونتيجة لهذا يشتد ساعد المدعى؛ ذلك أن ثبوت الحق شرعاً، ولو أنه متوقف على شاهدين<sup>(١)</sup> [ص ٤٤]، إلا أن الشهادة مقيدة بشرط توازن العدالة. والعدالة أمر عظيم لا يتوافر إلا في أفراد البشر، وعلى سبيل التدرج؛ إذ إن هوى النفس يتولى على أكثر الخلق. وإذن على القاضي أن يفكر دائماً في أن شهادة زيد أو عمرو لا تخلو من هوى النفس، أو اغتيال إلى إحدى الجبهات أو مراعاة جانب شخص من الأشخاص، ولا يجوز أن يخدع بفرد أن الشاهد يبدو في سمته وصفة الرجال الصالحين، وبزعم ظاهره يزخر بالقول. وبمعي أن يستعمل سلامة التفكير ولطائف الحيل وصفاء الدهن في استنباط حقيقة الحال واستخلاص ما في باطن القصة. وفي هذا الإطار يعني أن يوضح كيفية الحال وإزالة الإبهام والإشكال. ولما كانت حكمة الناري عرسمه في خلق الكون قد انقصت أن الباطل مهما حصى أمره في الباطن، فإن آثاره تبدو في الظاهر من فحوى العاطف القائل كما قال أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) "كل ما يكون مستترًا في باطن الأحمق يتضح من فلتات لسانه". وإذاً فكل من يتعرض للغوص في أعماق شخص من الأشخاص بذهن سليم، يستطيع أن يستشف الحقيقة من كلامه.

وبناء على هذه المفاهيم، أمراً بأن يتبع القصة سبيل الاحتياط في استماع كل شهادة يخالف الحاضر ريب في قبولها. وبمعي أن يسأل كل من الشاهدين على انفراد كي يتبين التناقض في أقوالهما لأن الثبوت بتحقيق الأمور متوقف على تناقض أقوال المتكلمين. وبناء على هذا يسأل كل شاهد عدة مرات في المجالس المختلفة، وتكشف الأحوال من رواله الكلام، ثم توضع الأسس بعية الوصول إلى البكيات التي تكون في الأسئلة للمبتدأ مثل التعرض للأزمة والأمكنة وكيفية المقادير وكيفية أحوال القصة، ولطائف الأسئلة التي يكون في تحقيقها والوصول إليها مدخل لتحقيق الهدف، وحتى يظهر من هذا الاحتداد أحد العرضين المطلوبين، إما الصحة التي يمكن إصدار الحكم بموجبها ويمكن الاعتماد

(١) يقول الله تعالى ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فإيا ما دعا﴾ (سورة البقرة، آية ٢٨٢) تصل استماعاً فذكر استماعاً الأخرى ولا ياب الشهادة إلا ما دعا ﴿﴾ (سورة البقرة، آية ٢٨٢)

عليها. وإما الشبهة التي توجب التوقف عن إصدار الحكم، ويكون ذلك سبباً في السجدة من ورطة [ص ٤٤٢] الحكم بالباطل. ولما كان أكثر الخلل الذي يحدث في المقصود يقع بسبب تركيبة المركب الذي هم أنفسهم يعتقدون التركيبة يفي اتحاد المزيد من الاحتياط في هذا الأمر. كذلك يلزم الرجوع إلى الفصل الذي كتب خصيصاً لشئون التركيبة.

مسألة أخرى تتعلق بضرورة الثاني والتروي في إبرام الأمور بشأن إصدار الأحكام وختمها؛ إذ إنه تقع شبه كثيرة في هذا القسم. وأكثر القضايا التي تمتد في دولها ومناطقها، يقوم أصحابها بإثباتها لدى قضاة الولايات الأخرى. ونظراً لأنه في تلك المناطق الغريبة، لا يقع اطلاع دقيق على أسباب تلك القضايا وظروفها، ويحتمل على القضاة صحتها وسقمها، إذ يعتمدون الوثائق دون تحرر، ومرسلونها إلى القضاة الآخرين ليعتبروها ويصلحوها عليها، ويحكموا بصحتها. وبذلك يروج الباطل في صورة الحق. ولا شك أن طريق الخلاص من هذه الورطة هو أنه في حالة عدم اطلاع القضاة على مائة القضية، وضرورة رفعها في موضع قريب، ولم يحيطوا بظروفها بإحاطة تامة، لا يحلونها ولا يثبتونها. وعلى الذي يفتح وثيقة الحكم، ألا يسارع بفتحها، وإصدار الحكم بشأنها، ما لم يعرف ضرورة الحكم لدى ذلك القاضي الذي ختم الورقة بختمه.

موضوع آخر يتصل بالاحتياط في الأمور التي تتعلق بتحرير الحجج والوثائق وأنواع الكتب وأصناف التصديق على الأحكام والسجلات لأن ما يمرر في أكثر الأحوال لا يخلو من خلل. كما أن سريان ضرر عدم الاحتياط يؤدي إلى إثبات الأباطيل وإبطال الحقوق. وهذا الخلل إما يرجع إلى جهل الكعبة بدواير الكتابة وشروطها، أو إلى تحكم الميول الشخصية أو محاباة جانب وترجيحه على جانب آخر. ولما كان من الواجب تدارك مثل هذه الأمور تداركاً تاماً، أمرنا جميعاً من القضاة والأئمة والعلماء الذين كانوا متصعين بدقة النظر بأن يقوموا متصاعين بمصر [ص ٤٤٣] أعداد أنواع المكتوبات التي تكتب على سبيل الإجمال في المحكمات؛ فحروا نسخة لكل نوع وجمعوا المطالب كلها في مجلد واحد يكون كامل الشروط، جامع الدقائق بعيداً عن مواقع القطع، واحتمال المعارضة، موشحاً بتمهيد مناسب ينظرون على فوائد كثيرة ثم اعتمد هذا المجلد كبار الشخصيات وأعيان العلماء بتوقيعاتهم، وشهدوا على صحة تلك المقاصد. وعندما تم هذا العرض استسخروا من

ذلك سحناً كثيرة، وأرسلوها إلى أطراف البلاد، حتى إذا ما دعت الحاجة إلى تحرير أى نوع من العتارى والأحكام والوثائق، ألقنوا على كتابتها على تلك الصورة، وذلك بعد صدور حكم المحاكم، وبناء على إشارته. ويجب على قضاة البلاد أن يمسوا النظر فيها أولاً على سبيل الاحتياط. وعندما يرونها مطابقة للمقصود، وتستقيم مع جادة الشرع للظهور بعمودها ويصادقون عليها بتوقيعاتهم، يلتزمون بتنفيذ شروطها؛ حتى لا يتجاوزوا - فى المستقبل - ما نص عليه فى كل باب منها، ويكتبوها حرفاً حرفاً. وحيث إن هذا الأمر قد تأكد سابقاً، وهو أنه عندما نص على أن حكم المحاكم قد صدر بتحرير هذه الأحكام، لا يقوم الكتبة بذلك بناء على التكليف الصادر إليهم، بل يشعرون أهنأ بأنهم فى مثل ثلث الأمور إما يحققون معنى الرحمة

مسألة أخرى: فكما هو معلوم أن تساهل بعض القضاة وتراخيهم وعدم مراعاتهم قد بيع حداً خطيراً؛ بحيث إنهم راحوا يصدرون حكمين متناقضين فى قضية واحدة بين خصميين كلاهما مسجل، ولم يخطر هؤلاء القضاة فى قبح ما يقدمون عليه، ولم يخطرروا من اكتشاف أمرهم. ولتلافي ذلك أمرنا بالآسور فى المستقبل على هذا النوال، لأى سبب أو تصريح وأن يهتوا بتلافي ما حدث. وإذا ما وقع مثل هذا الأمر فى محضر أى قاض من عليه أن يحرص الحكمين، ويحذّر فى الاحتياط لثرى الحقيقة فى كل ما يتعلق بالقضية. وإذا كان محتاجاً إلى معاونة الأئمة، فليعقد اجتماعاً لتوضح الأمر وفق القانون الصحيح، وتعيّن أى طرف يتصح ويلوح الحق إلى جانبه، ويعمل الحكم الآخر فى طاس العدل. وإذا لم يحصل فى تلك القضية فى حينها، ولم يصدر قرار حاسم بشأنها تودع على سبيل التوبة [ص ٤٤٤] لدى أمين المحكمة، ولا تسلّم بنائاً للخصم، بل توقف حتى يحصل فيها؛ إذ إن ترك أمثال هذه الوثائق بيد الخصوم، لا يترتب عليه شيء قط سوى الفساد والعشة والاحتلال. وليس هناك شك فى أن كل خصم لو ورثه سوف يظهرون تلك الوثيقة عندما يجدون مجالاً للشبهة والالتباس فى وقت من الأوقات، ويبدرون بإقامة الدعوى وربما لا تنوار لدى القاضي الجديد الدلائل والشواهد على تلك القضية، فيحكم بالباطل. أما إذا احتفظوا بالوثقتين، وتحقق الخصمان من أنهما لى تعاداً إليهما، فإنهما سوف يحرصان بالضرورة للمقابلة، ويعمل فى الدعوى على النحو المقرر على وجه التحقيق. وبهذا يستقر الحق فى نصابه.

مسألة أخرى. سبق أن حكم السلطان ملكشاه بناء على اتفاق أئمة العصر واجتهادهم واستصوابهم، وذكّر ذلك من أجل مصلحة الناس وقد نص على أن كل من وقف وقفاً خفية، أو كتب إقراراً بتمليك أحد سرّاً، وأحصى ذلك. ثم باع هو نفسه أو ورثته ذلك العقار المخصوص عليه في الوقفية أو المذكور في الإقرار. وبعد مدة أظهر هو أو ورثته تلك الوقفية أو ذلك الإقرار مدعياً أنه قد اشترى ذلك العقار، فإن على قصاة البلاد ألا يستمعوا لتلك الدعوى، ويطلبوا الوقفية والإقرار. كذلك يجب عليهم تأديب المدعى وتعريضه، وعليهم أن يقرروا الملكية للمشتري.

وبعد أن اجتمع جماعة من مشايير الأئمة فترة من الوقت في قرويس سجلوا بالاجتهاد مسائل الإصلاح التي أعدوها، والموط بها صلاح الخلق فوجب على القصاة العمل بها ومن جعلها أن كل عقار يكون شرعاً في يد أحد الملاك لا يسترد منه، [ص ٤٤٥] بسبب ظهور عقد مخالف له، بل يقبضه في يده.

ومن أيضاً قد أمرنا قصاة البلاد بأن يسروا على هذا اللوال، وألا يتجاوزوا هذا الحكم الذي اتفقوا عليه، وطلبوا بواسطة إقرار الخلق.

مسألة أخرى. تلخص في أنها سمعنا أن بعض قصاص النظر الدين تتول إليهم الأوقاف بشرط الوقف، يبيعون حق توليتهم إلى شخص آخر، ويعرضونه بسبب خديعة بعض الطامعين، فيشأ عن ذلك إلحاق الخراب والضرر بالأوقاف واختلال حاله. ولتلافي ذلك أمرنا بأن من يكون قد فوص إليه وقف بشبهة تتخذ وسائل الاحتياط في مثل هذه الحالات، وذلك بالرجوع إلى شرط الواقف. فإذا كان الوقف متصمماً إذن التعويض، فلا يتعرض لمن فوص إليه هذا الوقف، وألا فإن على المستولى أن يطلبوا هذا التعويض وإن ينسئوا وثيقة التعويض في طاس العدل. وبعد هذا لا يعطون أى علقو مجال التعويض الذي لا يتضمن شرط الواقف فيه حوار ذلك وجميع الذين يتألفون هذا سواء أكانوا موصيين أم قابلي للتعويض أم محررين يؤاخذون ويعررون

موضوع آخر نقول فيه. إنه لا يحى على الجميع أن عايتنا من تنفيذ هذه الأوامر ليست إلا رعاية جانب الحق جل وعلا وتقوية الشرع الإسلامى لا رال معظماً وانتشار

الحق والعدل وراحة الرعية. كما أن هدفا من التيه هو أن يقتضى القصة آثار الحق والعدل، كما أن هدفا من التيه هو أن يقتضى القصة آثار الحق والعدل، وعرضا من تكرار التحذير والتخويف هو جبر لحال الإنسان وليس تخطيطه، ورفع قدر القصة لا الخط من شأنهم، وتكريمهم لا إهانتهم. وإذن فالأولى أن يستمعوا لهذه التعليمات طائمين، وأن يتصموا بما جاء فيها، وأن يتأكدوا من أن كل من يحمل بها، ويرجع جانب الحق، ويصون منصب الشرع الشريف من شىء التليس، ويتخذ الاحتياط التام فى الفصل فى القصصا سوف يكون مشمولاً بقطعا إلى جانب الأجر الجزيل والذكر الجميل.

**[ص ٤٤٦]** أما كل من لم يؤثر فيه العديد من البلاغات والبيانات والتأكيدات والتشديدات، وإسا لن يهتم بعد هذا بتجديد الرسوم بخصوص هذه الأمور. وسوف تتبع مع المحالين طريقة "السيف أصدق أنباء من الكتب" لتصرف الأعمال حتى يعرف الجميع الحقيقة. وفى ذلك كفاية لمن يعتبر فعلى الأمير العلانى والحكام الدين يصل إليهم هذا الرسوم مع نسخة من الدستور أن يسلموها للقصة، ويأخذوا بها إيصالاً ثم يسخون صوراً من كل مهما، ويسجلون عليها صحة القاربة، ويرسلونها إلى الولاة والأكابر وقصة الولايات. ثم تودع لديهم ليطلعوا عليها ويقيموا الحجة على المنصب، ويسيروا فى المستقبل على هذا النوال وهكذا يعملون حتى تتحقق هذه الأمور، وتنصح لدى الجميع.

## الحكاية الخامسة عشرة

### فى منع تحرير القبالات غير المشروعة وإبطال الحجج القديمة

قبل هذا فى عهد الخلفاء والسلاطين - أثار الله براعهم - كان المسئولون يفعلون كل ما فى مقدورهم بمصوصى اردھار مثون القضاء وقوانين الشريعة ويختاطون احتياطاً تاماً فى هذه الأمور، ويختارون الرجال المتدينين من الطعام والعصلاء من أهل الثقة الجديرين بتقليد منصب القضاء، وكان هؤلاء أيضاً يندورهم بمصوصى على أن يجعلوا المتدينين الشرفاء من العلماء المشهورين يلزمون دار القضاء فلا غرو أن كانت الأمور الشرعية والقضايا الدينية تبرم وفقاً لأوامر الله تعالى ورسوله عليه السلام وبذلك استقرت حقوق الخلق فى مواضعها، وأعلقت تماماً أبواب الظلم والخرى.

وعلى هذا لم يعد هناك عمال للأغصاء والمافيس الطامعين والعصويين المرويين كى يحوموا بأى وجه حول أمثال هذه الأعمال الخطيرة متدوعين بأنواع الخيل والتليس وعلى هذا لم يكن لمثل هؤلاء الأشخاص قدرة على التردد على الجماع والجالس، ولم يلفت إليهم أى مخلوق

ورغم ذلك الصبغ والترتيب الذى كان متبعاً فى عهد السلطان السعيد ملكشاه - طاب ثراه فإنه لا يزال فى أيدي الناس كما هو الحال الآن أيضاً كثير من القبالات القديمة المكررة والمخالفة للملكية فكانوا يحملونها إلى القضاة، ويحاجون إلى الحل [ص ٤٤٧] التى تلزم القضاة بمصرورة الاستماع إليها والنظر فيها وعن طريق تقديم بعض اغدياها<sup>(١)</sup> المتواضعة يستطيعون ترويج الباطل فى صورة الحق ولما كانت المتاعب تحمل بالناس هذا السبب، ثم ينصح بعد ذلك أن تلك الدعاوى كانت باطلة، وأن الوثائق ومستندات الأملاك

(١) يقول شارووى: "زليس لم تقلد القضاء أن يقتل مدعى من خصم ولا من أحد من أهل عمله، وإن لم يكن له خصم

لأنه قد يصعد فيها يده". (الأحكام السلطانية، ص ٧٥)



القديمة والخالصة الملكية قد انتقلت من قبل إلى الآخرين، بلغت تلك الدعاوى والشكاوى مرات ومرات مسمع السلطان ملكشاه وورثه نظام الملك، فتأكدوا أن الدريعة التي يتمسك بها هؤلاء المرورون إما هي القبالات القديمة المكررة والخالصة الملكية التي بقيت بعد أصحابها الأول في يد المالك أو ورثته وبتماذي الأيام، لم يقف على أحوالها أحد وحقاً يمرر أحد أبناء المالك تلك القبالة، فيقيم الدعوى. ويمكن أن يشتري تلك الأملاك أو ورثته لم يروا تلك القبالات، أو تكون قد فقدت، أو أنها بهت أثناء العارات، أو أنها أصلاً تكون قد سرق من أيدي المشتري وسلمت للبائع. وهؤلاء لعلمهم أن القبالة المنقولة الشرعية ليست في أيديهم ومع هذا يقيمون الدعوى بقبالتهم القديمة، ويتشون بها أحقيتهم ورؤس. وهكذا فإن أمثال هذه الحالات كثيرة ومتعددة.

وقصارى القول فإن السلطان ملكشاه والوزير "نظام الملك"<sup>(١١)</sup> عندما وقعا على تلك الأوصاف، كتبوا مشوراً حسب ما يقتضيه الشرع. وقد صرح السلطان بأنه ليس لأحد أن يقيم الدعوى، ولا أن تسمع دعواه استناداً إلى القبالات القديمة التي مر عليها ثلاثون عاماً ثم سلم ذلك المشور إلى جميع مفتي حراسان والعراق وخراسان وأعتوا به وفقاً لأحكام الشريعة. بعد ذلك أرسله إلى دار الخلافة لتوقيعه ولا زال ذلك المشور موجوداً حتى الآن وبسنة مشتركة في الأطراف. ولما كان العصاة وأصحاب دار القضاء على هذه الحو الذي ذكرناه فإن مثل هؤلاء القضاة المتدبسين الثقات والسلطان والوزير تغيروا من أفعال هؤلاء الأشرار، فاضطروا إلى إصدار مثل هذا المرسوم.

(١١) للحصول على تفاصيل عن الحواجه نظام الملك الطوسي وزير السلطنة الكبير انظر المؤرخ الإيراني الكبير محمد باقر خاندانير كما يبدو في كتابه دستور الوزراء تأليف وترجمة وتعليق الدكتور حبيب آبي سمينان ص ٢٤٥ ٢٦٧ ملحق للصيغة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م الوزارة في عهد السلطنة تأليف عباس إقبال وترجمة الدكتور أحمد كمال الدين حليم، ص ٦٩ ٨٣، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٠م سباسباه أو سر الملك، تأليف نظام الملك الطوسي وترجمة الدكتور يوسف حسي بكار، مجلة الدكتور غلام حسن يوسف بنيران: تصدر السياسي المعجور، ص ١٣ ٤٢، الفتوح ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م مجلة الدراسات الأدبية في الثقافة العربية والفكرية مجلة بنيران، لفرقة المنظمة في بغداد للأستاذ سعيد عباسي، ص ٦٧ ٩٣، الجامعة اللبنانية، قسم اللغة الفارسية وآدابها، السنة الخامسة، العدد ٢٠١ ربيع وصيف ١٩٦٧م.

وقد اتفق أنه في عهد المول علم بالتدريج أن القصة والعلماء يعرفون بمجرد ليسهم العمامة والدراسة<sup>(١)</sup> ولكن من الملتطوع به [ص ٤٤٨] أن المول لم يكونوا يعرفون كيف يميرون هذه الطليقة من غيرهم. ولهذا السبب ارتدى الجهال والسفهاء الدراعة والعمامة بكل وقاحة وراحوا يلازمون المول. وسرعان ما يملوا شهرة لديهم، وذلك بأنواع التملق والتزلف والرشوة. وقد تدخلوا في شئون القضاء وتقلدوا المناصب الشرعية، وحصلوا على الرسوم في هذا المجال.

ولما استمر الحال مدة على هذا النحو كلف العلماء الكبار المتدينون دور الشرف أيديهم عن تلك الأشغال والأعمال؛ إذ كيف يوافق الرجال الكبار على أن يصعروا أنفسهم في محيط هؤلاء الأشخاص غير أن الزوراء والحكام النازيك لم يكونوا يتخلون عن طائفة العلماء الكبار الشرفاء، والذين كانوا في قمة الشهرة، فصاروا يشون عليهم دائماً، ويسعون كل شخص معسداً يحاول أن يمال مهم. ولهذا السبب بقي بعض القصة الكبار المشهورين في مناصبهم. وكانت أحوال الكثيرين منهم على النحو الذي شرحناه.

ولما كان الجهال والسفهاء الذين يملون في صورة العلماء كثيرين في البلاد وكانوا يرون أن أمثال هؤلاء يتقلدون مناصب كبيرة، طفقوا يعارض بعضهم بعضاً. وقد لفت نظر المول كثرة براعهم ومخادلاتهم. كما اتضحت وقاحتهم للجميع؛ فظن المول أن جميع العلماء على هذا النحو، وبذلك ضاعت حرمة وهبة كبار الشخصيات بل زالت كرامة أمة الإسلام بسبب هؤلاء الجهال، وصار الجميع سيئ السمة لدلاء محترق. وكان كل أمر وعظيم يحمي واحداً من هؤلاء الأشرار. وفي كل فترة يصب أحدهم قاصياً، ويعزل آخر. وقد بلغ الأمر ببعضهم أنهم كانوا يتقلدون منصب الفقهاء بالصمان، ويحب على القاضي أن يحكم بشعاعة هذا الأمر أو ذلك، وبما على إلحاحه، ولا يأخذ شيئاً من أحد.

ولما كان منصب القضاء يؤخذ بالصمان والمقاولة، فإنها يمكن أن نعرف كيف كانت الأمور تجري على أي وجه. وقد وضع هذا في عهد گنجخانو خان الذي كان وزير صدر الدين، ولقب نفسه بصدرجهان (صدر العالم) هذا على حين أن أخاه نصب قاصياً للقصة

(١) الدراسة ثوب من صوف وجبة متفوقلة القطن. (انظر المصنف الموسط، ج ١ ص ٢٨٠)

ولقب بلقب "قطب جهاد" (قطب العالم). وتقلد الشيخ محمود مصعب شيخ المشايخ وأسد  
إليه النظر في بعض الشئون الدينية، جعلت غاية الكمال كذلك كانوا يمهّدون بالأعمال  
الشرعية إلى أشخاص عن طريق المقالة. وهذه الأسباب أدّى الأمر في السنوات الماضية إلى  
فتح طريق الدعاوى الباطلة [ص ٤٤٩] وكل مخلوق امتلك أو حار عقاراً، صار وبالأحرار  
عليه. وكان أسوأ وأخطر من مائة عدو؛ لأن المفسدين المختالي الجهاج كانوا يستعينون دائماً  
القبالات القديمة وشهود الزور، ويلجأون إلى أنواع الخيل والتليس التي لا نهاية لها  
ويشغون على جماعة الرؤساء ذوي المصائب والجاه ويصحبونهم.

ولما كان القضاء بالحصان والمقالة صارت تلك الأمور ملازمة لطبع القضاة والمشرعين  
على دار القضاء فكانوا يثيرون المدعى ويخدعونهم بالوعود، ويهملون القضايا، ويؤجلون  
الحكم فيها شهوراً بل سنوات. وخلال تلك الفترة، كانوا يحسون شره هذا التسوية ويملون  
بعضهم من الجاني. وهكذا تسمر الدعاوى والمبارعات، ويظل كثير من الأملاك موضع  
خلاف ونزاع لعدة سنوات. وكانت دار القضاء تفتق كل سنة مبالغ أكثر من الموائد التي  
تحصلها. وكان كل شخص يروده الأمل، ويقول في نفسه: إن دعوى لا تزال قائمة فعلى  
أن أدفع مبلغاً آخر حتى أتال بعض حقوقى عن طريق الوساطة والرشوة. ومن بين هؤلاء  
المتعصين كان المتسولون يحصلون على هبات الخدعة ويملون الشهرة المريعة. وحيث إنهم  
كانوا يرون أمثالهم قد صاروا في مصاف العظماء عن طريق الدعاوى الباطلة، وأن كبار  
القوم يصحبونهم شيئاً لحيانة أعراسهم، ولا يذهبون إلى دار القضاء. وهناك أيضاً جماعة  
ينهبون إلى دار القضاء مصطربين، فيأخذون شيئاً. ولقد فكر هؤلاء في أنفسهم أيضاً  
قائلين: حيث إننا لا نستطيع أن نحصل درهماً واحداً في كل يوم مع ما يستعمله من جبل  
كثيرة ومشقات بالغة، ليس هناك أنحصل من هذه المهنة وهذه الصعقة. وباء على هذا سلك  
الجميع هذا المسلك، فاحتفظ بعضهم بقبالاتهم القديمة، وصار البعض الآخر ينفذ إلى  
جانب غيره يؤيده بالرفاحة والسعادة، وآخرون يتفقون مع شخص يستطيع تقليد أنواع  
المخطوط المشابهة لمخطوط الآخرين ويمررون القبالات المسجلة، ويعاون أحدهم الآخر في  
هذا السيل. هذا على حين أن هناك طائفة أخرى راحت تقلد المنشورات الصادرة عن  
السلطين الساعين، وكذلك القبالات القديمة المكتوبة بمخطوط مجهولة، والتي مر عليها مائة  
وخمسون سنة. ولو لم يكن للقبالة شاهد عدل، فإن كل واحد [ص ٤٥٠] من هذه

الجماعة، كان يذهب إلى المحكمة في حماية رجل مغول أو واحد من أصحاب العود  
وبارغ الناس وإذا لم يصدر القضاة حكمهم في مثل هذه القضايا، فإنهم يلزمون الصمت  
مراعاة لمصلحتهم الشخصية، ولا يطقون بكلمة الحق، ويعلمونهم الحكم سراً على لسان  
أعوان الخمس قائلين: إن هذه الجماعة باطشة أيديهم، ولا يستطيع أن نجيب إجابة صريحة.  
وهكذا كانوا يصون يومهم بهذه الطريقة. وفي مقابل ذلك كانوا يأخذون شيئاً، وإذا  
فهذه القضية كانت مثل الطاحون كلما راد دورانها تصير أحمق وأقوى. وقد وصل الأمر  
إلى حد أن ظهرت في البلاد دعاوى كثيرة باطلة لا تعد ولا تحصى.

وعندما كان المدعى الباطل يحنس بأحد أصحاب الأيدي القوية فإن المدعى عليه  
المسكين والمالك الحقيقي للثمن يضطّر إلى الاستعانة بحماية رجل آخر من دوى السلطان  
خوفاً على ماله وعرضه، فيستعج ذلك بالضرورة أن يشب الراع وتسود الخصومة بين  
الشخصين القويين. وهذه طبيعة الرمان منذ قدم الأيام أن يستعمل السيف من أجل المحافظة  
على الملك. وقد بلغ الشؤم هؤلاء القوم إلى حد أن أكثر دوى العود شرعوا هم الآخرون  
ببارع الواحد منهم الآخر، وبشيت بينهم الخصومات مما يؤدي إلى استعمال السيف. وكان  
أكثر تلك المرات يحدث بوجه خاص إذا ما باع المصنّب القرية - التي يعادل شها  
عشرة آلاف دينار وهي ملك لصاحبها الحقيقي - لأحد ذوى العود بثلاثين أو مائة دينار  
دعوى. وقد استمر في دعه أن هذه القرية كانت ملكاً له. وهي الآن على حد قوله "في  
حياتي". كذلك راح بعض خطباء القرى وغيرهم يؤيدونه جهلاً ومروقاً، ويقولون: "إن  
هذا البيع صحيح والقرية ملك خاص لك".

وحيث إن للعول على خلاف ما كانوا عليه في العهود السابقة قد ظهرت فيهم  
رغبة اقتناء الأملاك، واشتد سعيهم في هذا السبيل فأدى الأمر إلى أن بررت مشكلة الأملاك  
دفعة واحدة، وصارت في مقدمة القضايا المقلقة، وأصبح جميع الناس غير آمنين على  
أعراضهم وأرواحهم، وعجز القضاة المتدينون من أعمال تلك الفئة من المفسدين المرويين ولم  
تكن لهم قدرة على تدارك تلك الأوضاع. عصاروا دائماً يلتمسون الخلاص [ص ٥٥١] من  
حصرة الحق تعالى.

فكما وصل العهد المبارك لسلطان الإسلام محمد سلطانة وشاهد ذلك الأسلوب  
المدموم، فكر في تداركه، فأصدر مراثاً، وكلف نقلة الأخبار الثقات بأن يذهبوا إلى كل

ولاية أيضا يوجد أي مزور، يظهر فيها تزويره. ولا يدعون الآخرون يعملون على إحصاء هؤلاء المرورين أو حمايتهم، وطلب في الحال استدعاء هؤلاء الذين انتصحت أسرارهم فعاقبهم بعد ثبوت جرمهم.

وبهذه الطريقة اكتشف كثير من محاولات التزوير والقبالات الكاذبة التي كانوا قد حرروها، وأعدم هؤلاء المرورون طبقاً لعدل وإنصاف سلطان العالم غاران خان خلد سلطانه. وهذا هو معنى الحكاية التي كتبها عن السلطان ملكشاه، ومصوبها هو عدم الاستماع للدعوى التي مر عليها ثلاثون عاماً.

وهي عهد هولاكو خان شرح له الوزراء الشريك هذا الوضع. وبهاء على ذلك صدر مرسوم في هذا الشأن. ولقد استمر العمل بهذا المرسوم في عهود أباقاخان وأرعون خان وجغتائو خان. ولكن لم يظهر أثر بخصوص تنقيده، وذلك لسبب

السبب الأول أن هناك شروطاً كثيرة شرعية وعقلية وعربية لها أهميتها في هذا الشأن لم تذكر في تلك الأحكام. وحيث إنهم بخصوص القبالات القديمة بصوا بصورة مطلقة - على عدم سماع الدعوى التي مر عليها ثلاثون سنة، فإن ذلك لم يكن أسراً مشروعاً يبقى مهملًا.

السبب الثاني - هو أن أحكام المرسوم يعني أن يعدلها الحكام والأئمة ولما كان أغلبهم يريدون شراء أملاك كثيرة بأسعار زهيدة، لم يكن ينسى لهم ذلك إلا بهذه الطريقة وإذن فكيف كان يمكنهم تنفيذ نص ذلك المرسوم؟ لقد كان من الطبيعي أن يهملوا هذه الأحكام رغم أنهم أقروها.

وعندما أراد سلطان الإسلام خلد ملكه أن يوقع ذلك المرسوم أمر بتحرير صورة منه باتفاق ومشورة القضاة الكبار والعلماء المطاحل ذوي الكفاءة. ولقد كتب نص ذلك المرسوم المرحوم مولانا فخر الدين قاضي هراة الذي كان من محبوا العلماء والمصلين المشهورين في عصره، [ص ٤٥٢] والذي كان يتحلى بعلوم الكمالات، والمشار إليه بالبنان وقاضي قصاة عصره، ووحيد دهره في الإنشاء. كتب هذا العالم صورة ذلك المرسوم بحيث يكون مشتملاً على عدة قيود وشروط يعني مراعاتها في هذا الباب. ولقد عدل المرسوم على هذا النحو

كذلك صدر الأمر بأن يتخذ منصب القضاء في كافة البلاد من طبق الوضع والشريف على أحيته واستعمله مباشرة هذا العمل الخطير. كذلك قرر لوزاء القضاة مرتبات مجزية كي يقموا بها ولا يأخذوا شيئاً فط من أحد لأى سبب من الأسباب، وأصدر السلطان مرسوماً شمل كل باب من أنواع الاحتياطات ثم أرسل إلى الجهات المختصة بمجموعة القوانين التي اتفق الأئمة على صحتها. وإن كل مصوع تلك المجموعة من القوانين بالإضافة إلى بعض ذلك المرسوم كُتبت في الفصل السابق، وليست هناك حاجة تدعو إلى تكرارها.

## المكايبة السادسة عشرة

### فى إبطال الحيازة والغصب وإزالة أنواع المصادرات

#### حكايات عن وقوع الأفعال وظلم الحكام الولايات

بذكر هنا على سبيل الإجمال بعضاً من الحكايات والأحوال، وبسبب كيف أن الجباة فى كل ولاية كانوا يحصلون أموال الديوان ومستحقاته وما أكثر أنواعها. كما يذكر طرفاً من سوء تدبير الوزراء، وعيون الظلم والجور التى كانوا يتخذونها وسيلة لتخريب البلاد، وإفقار الرعايا كى ينشئوا ويتعرقوا، ولين سابع فى هذا الموضوع؛ لأن القراء يعرفون أن النظام كانت تجرى أصحافاً مصاعمة عما كانت عليه من قبل. ولكن الناس فيما بعد سوف يحتسبون بالرفاهية والراحة بسبب عدل وإنصاف سلطان الإسلام - خلد سلطانه - ويسون أيضاً تلك الخنازير والشفقات. أما الأطفال والأشخاص الذين يأتون بعد هذا، ولم يكونوا قد رأوا ذلك الظلم والجور، فلا يد أنهم يتصورون أن تلك الأمور قد كتبت على سبيل المبالغة والتهويل. ولهذا السبب نوحى حديثنا عن هذا الموضوع فيما يلى:

[ص ٤٥٣] لقد وقف سلطان العالم على أحوال العراق المعجمى وادريجان والولايات التى كانت تخفى منها الضرائب، وتسد حقوق الديوان. وعى نيس هنا كيف كان الخلل قد تطرق قبل هذا إلى هذا النظام، وعلى أى نحو تداركه السلطان وأصلحه.

وتفصيل ذلك أنهم كانوا يقطعون الحكام هذه الولايات، ويربطون على كل واحد منهم مبلغاً معيناً، يحصلونه منه فكان الحاكم يستغل هذه الفرصة، ويحصل الضرائب من الرعية عشر مرات فى سنة واحدة. وفى بعض المواضع عشرين وثلاثين مرة. وقرار الحاكم فى هذا الشأن هو أن يخصى الضرائب التى دخلت فى حوزته. وعندما يجىء رسول إلى الولاية من أجل إنجاز مهمة كلف بها أو للمطالبة بمال أو الحصول على ما يلزم، كان يتخذ ذلك ذريعة، ويتهربها فرصة، وكلما كان الرسل يصلون بكثرة، وكانت مبالغاتهم وطمعهم لا حد لها، كان الحاكم يهرج بوصولهم، ويأخذ فى تقسيم الضرائب وتخصيلها وفق هواه مرة باسم إنجازات المهمات، ومرة باسم العلف والمؤن وسداد النفقات، ومرة باسم

التعهدات وإجابة اللتسمات وكان يعنى بعضاً منها فى إعمار المصالح، ويعطى الشحن والكتاب بعضاً آخر، ليصيروا أتعوا وشهود رور له. ورعم المبالغ الكثيرة التى كانوا يأخذونها من الرعية، لا يرسلون قسطاً منها مطلقاً إلى الخزانة.

على هذا النحو صارت أموال الولايات تنبذ، وتضيق باسم العنقات المقررة وبعض الخوالات. وفى خراسان كان قد بقى من تلك الخوالات شان أو عشر. وكان الرسل وأصحاب الخوالات يلدأون إلى اللديوان، وفى أيديهم الخوالات، فيجيبهم للمستولون: "إن المال موجود فى الولايات، فكيف لا يسلم إلى أصحابه؟" ثم يؤكدون ذلك بحتم الخوالات مجدداً بالهتتم الأحمر (التمعا) كى تصرف لهم حقوقهم بسرعة، فيذهب هؤلاء إلى الحاكم مرة ثانية، ويترتب على ذلك تحمل عقبات أخرى، فيتخذ الحاكم من ذلك دربعة، ويفرض على الرعية صرائب جديدة. وكان الحاكم يقول للرعايا: "أنتم ترون أن رسلاً عديدين قدموا إلى هنا. وإذا لم تكن هناك عقبات ولوازم معدة لهم، فإنه لا يمكن إحابتهم إلى مطالبهم. ولم يكن أى مخلوق يجرؤ على أن يقول له: يعنى أن تعطيا أموالهم [ص ٤٥٤]. لو أن يقول إنك قد أخذت أول العام ضرائب مصاعفة وبلدتها، إذ ورعت أربعة أسداس منها فيما يسكن، وأبقيت سدس لعنقات الرسل. وفى النهاية يعودون بحمى حسي وهكذا ظلوا يترددون مرات عديدة إلى أن صارت تلك الخوالات فى أيديهم أوراقاً بالية. وأخيراً يقطع الأمل فى صرف قيمتها، وتظل سوات عديدة فى محافظتهم وحفاظهم

وجرباً على المعتاد لم يكن أى مخلوق يعرف على الإطلاق ما هى حقيقة المبالغ التى تدفعها كل ولاية، ولا الجهة التى يمكن تحرير الخوالات إليها حتى يحصل قيمتها. وكانوا يحررون الخوالات المتتابة إلى الأطراف حسب الطلب.

ولما كان الورراء والواب يعلمون علم النفس أن المبالغ لن تصل، ظلوا يماطلون ويسوفون، ويمنون الناس بقصد جذب قلوبهم قائلين: إننا نكتب هذه الخوالات مرهافة لخطركم. وبهذه الألاعيب كانوا يصرفونهم راضين مبرورين. ولم يسمر هذا الوضع على نتيجة سوى غمراب الولاية. وخلال ذلك يجد السائب والورير مبرراً لاستغلال الموقف ليعرضان على حضرة السلطان قائلين: إن الجباة كثيرون فى الولاية. ويجب أن يزودوا



اختراة بفسط من الأموال. وفي الحال فسفسفرون مرسومًا مفسفونه أنه على كافة أرباب  
الحوالات ألا فففعوا شفقًا إلا كفا وكفا من الففقات، وتلك المبالع للفسفوفة الفف فففسف  
فففففف ففبات وفسففا للورفر والفاب، وهفا للففكام. وهف ففسف وفسففا.

بفف ذلك كان الفففكام ففب رسالة ففول فففا: ففب إفا ففا الفففا من الففسرف فف  
الأموال، ففسف أن فففل الففقات الففاة فسرة من الفولاة. وبهف الففلة كان فافف تلك  
الففا فففا. وكفلك كان للورفر ففوافًا مع ففكام الفولااف. وإفا لم فر الفففكام الفافففة على  
الحوالة أو الرسالة، فإف فففف فف ففف تلك الأموال. ومرة فافف كان الففل والففا فففوفون  
ففا رف. ومرة فافف كان للورفر فف فففهم وعلى الأمراء [ص ٤٥٥]، وبفبف من فففف  
رسالة ففس ففلال فسفورها أن مفسلفة للورفر فف فففرت وأن فرفف فف فففف.

وأما ففكام الفولااف ففففة لفواففهم مع للورفر ومرافاة لفافرف ففرفوا واشف فففسهم  
وفافوا فف فمارسة أنواع الظلم والفلف فف الفففاء. وكان فففف ففرفا كل ففة فرفف أو  
فلافة من ففموف الفرافف ورسوم الفففا فف الفففة لسف ففقات الففل والفواف بالفرافافهم.  
وكان للاس فففسفون ففا الففسرف وففولون: لمافا فففف الفففكام فف ففرف رسوم الفففة  
الفففة لمسففففا، ففا على فف أنه ففففا فف ففل ففا الفرافا؟ ولكفهم فف فففة فف ففا  
الأمر وهو أن الفففكام فف فففا الفرفة فسب فف فففا، ولكف ففففف فففا فففا الفففة  
أن فافف أصفاف ففلك الففقات وففلففا. وفف ففففة الففباب فوفف ففف أو فلافة من  
الففوفف من أفف ففقات الففل. وبففا الفففة لا فففل ففقوق الففواف. وفف الففففة لم  
فكن فففل على الإفلااق من ففلك الفولااف إلى الفرافة فافف فففا فافف. وكفلك الحال  
بالسبة إلى الففقات الففرفة الفف أفففت من فففل الففوافاف، فإفهم لم فففعوا ففا ففرافف من  
فسرة فاففرف. ولم فكن أفف مففلفًا فرى الففمافف<sup>(١)</sup> فافف فففا؛ لأنه كان فاففًا فاففًا، أو  
أنه وقف ففرفف فف أفف الفففا ففرف بالففا. ولفا كان فففر ما فففففف فرفل أففا فاففًا  
فف الفففا، فففون ففلا إلى مارل الفراففا كالففا فف ففففوا رسوم الفففة من الففا

(١) الففمافف للكلب فرفف الفففة

وبحكم الضرورة كان يرضى بأن يحصل منهم نصف الرسوم المقررة يقدمونه له حصة. ولهذا السبب كانت رسوم الذمعة تهبط وتتناقص، وما كان يحصل منها يصرف لسد نفقات العلف لدواب الرسل. هذا على حين أن خدمهم كانوا ملازمين لهم كظلمهم ويحصلون منهم على نصيبهم. وحيث إن النفود لم تكن تصل إلى الجميع، كان هؤلاء الخدم يتشاجرون فيما بينهم فمن كان أكثر قوة، فاز بالصيب الأكبر. وأما أجور العمال والنفقات المقررة للولاية مما يمكن أن يتوقف عليه عمرانها، ويدونها لا تسير شئون الملك، فإنه بسبب تأمر الحكام كان يزيد أغلبها على أصل المال المقرر، ورغم هذا لم يعطوا مخلوقاً قط دانقاً واحداً.

وفي أول العام يحتجون بأنهم يلدرون بإعتماد أموال الخزانة. ولكنهم بعد ذلك كانوا يقولون [ص ٤٥٦] إنها سلبتها وقت الرخاء. ولما كان الرسل والمحصلون الكثيرون الذين لم تكن أمورهم قد أبحرت بعد، يمحسون دائماً، كان الحكام ينتحل الأعداد ويقول: إن أفواجا عديدة من الرسل ملازمون لي. ويبيعون تجارتهم فيل عيهم أما أرباب الأجور والرسوم والصدقات وغيرهم، فإنهم يقصون الوقت من أول السنة إلى آخرها في المعاطفة من جانب المستولين والتسويق إلى اليوم والعد وهكذا كان هؤلاء الصالحين يجلسون عرايا جياغاً أما الأشخاص الأكثر نشاطاً فقد التجأوا إلى نواب الحكام ومريد من الإلحاح والتوسط يبيعون نصيبهم الواحد بنصف شه. وفي المقابل يشترون البضائع بصحفي شهها بحيث إن حقوقهم هي النهاية تصل إليهم بمشقة بالغة وبألف حيلة إلى ربع ما كانوا يستحقون ومن أتاحت له هذه الفرصة، كان يحترق عصبوا فعلاً وسعيكاً أما الآخرون فيبقون محرومين حرماناً تاماً يحدون ملامحهم المخطوطين وإذا استطاع أحد الخرومين أن يصل بمشقة بالغة إلى بلاط السلطان لعرض شكواه، فإنه كان يأخذ رسالة من الدهويين الأعظم مصمومة كما يقول المستولون: إنها قد قررها صرف مستحقته قبل الجميع، فلم لم تصل إليه؟ وما ينتحل الحكام عندها قائلاً: إن على الولاية أموالاً متآخرة، ولهذا لم أصرف له حقوقه. وسوف أحرر له رسالة تسلمها، فكان ذلك للسكين يأخذ الحواطة مضطرباً بالقباه المتآخرة ولما كان الحكام قد استوفى الأموال الطائلة - التي سبق ذكرها -

بالريادة، كيف تكون لديه بقايا؟ وتلك البقايا التي كانت متأخرة إما هي من الصرائب الإصافية التي فرضوها على الرعايا. وهناك بعض الرعايا الذين لم تكن لهم طاقة على سداد الصرائب المتكررة، فيضطرون إلى ترك قراصم ومساكنهم وبهرون، أو إذا كان هناك أشخاص ذوو نفوذ أو حثية، فإنهم يمتنعون في سداد المبالغ الإصافية، وهؤلاء كانوا يرضونهم بقولهم، إن مطالبكم بسداد هذا القسط الأخير، أو إنا سوف نخفف لكم نصف المطلوب. وكان المحصل والكتاب قد سجلوا في السجل مجموع الأقساط على الرضيم من أن المقرر شخصه لا يريد على صرية واحدة. [ص ٤٥٧] وظهر لأل آخرين قد سدّدوا وبعضاً لم يسدّدوا، أو دفعوا أقل من المطلوب، يتبقى شيء من القسط الأخير، سموه "البقايا". ولما كان المحصل والكتاب شريكين في إصافة تلك الأقساط المتكررة واحتلاسها، كانا يسجلانها، ويشهدان على صحة ما كتبه شهادة عامة.

وإذا ما سأل الحاكم نائب أو وزير خاتلاً: هل هذا الباقي من أصل المال، لو أنه من الإصافات التي أصبتها؟ يئن حقيقة الأمر. ولكن حيث إن الثواب والوراء يعرفون هذه الحقيقة، وهي أنهم يتقاضون من الحكام تلك الإصافات كنوع من الجاملة، كانت تقصر التستهم وهكذا فإن هذه التصرفات التي شرحناها كان يقدم عليها كل واحد من الورياء السابقين. لكن هذا الأسلوب كان حرفة "صدر الدين الجلاوي"<sup>(١)</sup> وصنعه. فقد اكتسب مهارة فائقة في ذلك التدليس بحيث إنه لو وصل العسك والجور إلى عات السماء، وألحق الضرر البالغ بكل شئون المملكة والإدارة. وفي عهده لم تطلع أى مخلوق أن يحصل على قيمة حوالة من الحوالات من إحدى الولايات، ولم يمل حقه أى مستحق لأجر أو رسوم ذلك أن كل الحوالات الصادرة عنه كانت محض تصليل وخداع. وكثير من المقراء والمستحقين والشيوخ الذين كان يحتاج لهم الوصول إليه، كان يمرر للواحد منهم حوالة

(١) صدر الدين "جلاوي" هو صدر الدين أحمد الخليلي الرضائي وزير جيهان محمد خان (٦٩٠ - ٦٩٤ هـ/١٢٩١ - ١٢٩٤ م)

(١٢٩٤ م) وقدى قطع السلطان باستعمال هذا النوع من الفعلة الورقية (چتر) بدلاً من التعامل بالذهب والفضة وذلك لترويج الأرملة الخالية التي حلت بالبلاد. ولكن ثبت فشل هذا النظام فشلاً سريعاً فقرر إلغاؤه والعودة إلى التعامل بالذهب والفضة ولهذا لقب الوزير بـ "جلاوي" على سبيل السخرية والاستهزاء. انظر كتاب الشرق الإسلامي ص ٢١٠ وما بعدها

بمبلغ خمسمائة دينار بناء على التماس لو غيره من وسائل التلذذ والإلحاح. ولأن هذا الشخص الفقير لم يكن قد رأى مطلقاً مائة أقبية<sup>(١)</sup>، كان يسمى ذلك سحاء، ويهرح لذلك أشد العرج. وعندما كان يذهب لطلب هذا الملح كان يعكر في نفسه قائلاً: إن لي خمسمائة دينار، فلاأترض الآن مائة دينار أنقصها في التنقل وإيجار المصالح وما يلزم من نفقات الطريق. وبعد أداء قيمة الفرض، يتقى لي أربعمائة دينار. وعلى هذا الأمل، كان يتردد كثيراً لتحصيل هذا الملح، وينسى أنه شح لا طائل وراءه. وما كان يحبه من وراء ذلك هو أنه كان يتعلم عمل السعاة والجبابة والمباريس؛ غير أن كل هذه المحاولات لم تحقق له أية فائدة. وعاقبة الأمر أن المقترض كان يهرب من هذا البلد.

ولا شك أنه نتيجة لسوء التدبير والتدمير جلا أكثر الرعايا في البلاد عن وطنهم، وأقاموا بينهم في بلاد أخرى عربية. وبهذا خلت المدن والقرى من السكان، وبقيت خاوية على عروشها [ص ٤٥٨]. وإذا ذهب رسول لإحصاء العائنين وجمعهم، فإنه كان يزل بهم كثيراً من المشقات ويأخذ عليهم تعهداً بسداد أصعاف الضرائب المقررة عليهم. ورغم هذا لم يكن لهم ميل مطلقاً في العودة إلى بلادهم، وكانوا يفرّجون منها أشد العصور. ورغم محاولات العديدين من الرسل الذين يذهبون في أوقات مختلفة إلى الأطراف لجمع العائنين لم يستطيعوا حمل واحد من الرعية على العودة إلى مقره. وأما أولئك الذين كانوا قد بقوا في مدنهم، فقد سدوا أبواب منازلهم بالحجارة، وصبقوا مداخلها. وكانوا يروحون ويحيثون عن طريق أسطح منازلهم، ويهربون خوفاً من الجبابة. وعندما يذهب هؤلاء الجبابة إلى منازل الرعايا، يبحثون عن أحد الأشقياء المحتالين الذين لهم إحاطة تامة بعاوين المساكن. وإرشاده كان مرافقو الجبابة يسمعون الناس من الأرقعة والسراذيب والحقائق والأماكن الخربة. وإذا لم يستطيعوا إلقاء القبض على الرجال، فإنهم كانوا يقتلون ساءهم ويسوقونهم كقطعان الصم من محلة إلى أخرى، ويلتقون بهم أمام الجبابة. وكانوا يلقونهم من أرجلهم، وكثيراً ما شوهد الجاني يصعد سطح المنزل، حتى إذا ما وجد صاحبه جرى وراءه إلى أن يلقى القبض عليه. فكان الرجل يهرب على غير هدى يندفع المعجر الشديد والنؤس الذي لا حد له

(١) حملة صغيرة

يلقى نفسه من سطح المنزل إلى الأرض، فكان يدركه الحصل ويمسك بتلابيه، وتأخذه الشفقة عنه والرأفة به؛ فاستعمله واستحلّمه ألا يلقى نفسه من فوق السطح حتى لا يهلك ولكن حيث إن الرمام قد أخلت، والفرصة قد ضاعت، يكون قد سقط بالفعل وكسرت رجليه.

من حملة هذه الولايات التي تعرضت لهذه المآسى ولاية برد<sup>(١)</sup> التي آل أمرها إلى حد أنه إذا تحول شخص في كل فراها، فإنه قطعاً لن يرى فيها مخلوقاً يتحدث إليه أو يسأله عن الأحوال. أما الأشخاص للمودودون الذين بقوا فيها، فقد عسوا لهم حارساً حتى إذا رأى أحداً من بعدهم، أحضر باقيين، يختصمون جميعاً في المقرات ويسكن الرمال. [ص ٤٥٩]

وكل واحد من أكابر الملوك يملك أملاكاً في برد، إذا ما ذهب إلى هناك، وأراد أن يتقدها، لا يرى أحداً من فلاحيه، حتى يسأله عن أحوال بساتينه وأين توجد وهي أكثر المدن خشية أن يزل الرسل في منازل السكان كان هؤلاء يعملون أنفاقاً تحت الأرضها ممرات صيقة ومتعرجة بحيث تجعل الرسل لا يسيرون إليها ولا يرجعون في ولوجها. وقد أقدم السكان على ذلك؛ لأن الرسل إذا زلوا داراً، كانوا فصللاً عن سبيل السجّيد وثياب النوم، وتعظيم أدوات المنزل، أو استعمالها استعمالاً سيئاً، يحملون معها كل ما أرادوا، أو يسرقها خدمهم. وإذا كان رب البيت قد جمع قليلاً من القوت والنفقات والأحطاف، فإنهم كانوا يستولون على هذه الأشياء، كما كانوا يستعملون الأبواب لنفوذهم، فيحرقونها بدلاً من الخشب. وهكذا صاروا يخربون كل ما تقع عليه أيديهم.

(١) يدي رشيد الذي اعتدنا كتاباً بولاية برد مما يدل على قربنا من هذه البلدة إذ نرى للمصنف أنه كان يملك في برد أملاكاً وحيثما وعشرات عديدة، ولقد ذكرنا منها على أعمال الفصاة والبر والخير كذلك استلهم عندنا من الفلاحين من أمثال برد عن قسم عميره وتجربة في أعمال الزراعة والفلحة ليمسوا في صياحه وأرأسه الواقعة في تبرير وفي منطقة هذا كله كانت تربطه صلة مصاهرة وسبب بعض الشخصيات المرموقة في هذه المدينة.

لكل هذه الاعتبارات كان رشيد الذي قلنا من غيره على التعرف على حقيقة الأوضاع في ولاية برد وأنظر مجموعة خطابه الذي غمقني در باره رشيد الذي حصل لنا منقلاً الأستاذ ارجح احتار بعنوان رشيد الذي حصل لنا من ٢٥ ٣٦ ظهوره ١٣٥٠ هـ.

ومن جملة ما سمع أن أحد أئمة يزد، كان يمتلك مراً في هذه المدينة. وفي شهر سنة خمس وتسعين وستمائة (١٢٩٥هـ/١٩٠٥م) رل في هذا المنزل سلطان شاه بن نوروز على أنه رسول، وكانت معه والدته وأبناؤه. وكان ذلك في عهد عظمة أبيه نوروز. وقد أقاموا هناك أربعة أشهر. وبعد أن استولوا على الأمتعة الثمينة ولم يتركوا فيها شيئاً يذكر، ورحلوا باليس والبركة، حضر مشعو العفارات في المدينة، وسلخوا سبيل الاحتياط في تحديد نفس محتويات الدار التي بلغت قيمتها خمسين ألف دينار. وكانت قد أحرقت أبواب المنزل التي هي في غاية اللطيف والأناقة، والتي كان يقدر عليها بما يزيد على ألفي دينار. كما خربت أماكن أخرى.

إذا كان - على هذا السؤال - حال دار رحل معصم يتولى مصب الإفتاء في المدينة وينتمي إلى هيئة القضاء فإنه يمكن أن نفس على ذلك كيف تكون أحوال الأهالي والأفراد والرعابا؟! إن الأمر الذي لا شك فيه أنه لن يكون للسادة الأكابر والأصاغر من الرعايا قضية أصعب وأعقد من هذه [ص ٤٦٠] وبحجة إبعاد الرسل كانوا يسلون الآلاف العديدة من الساجيد وثياب النوم وقنور طهي الطعام والأواني وأدوات الناس، ويسوقون الدواب إلى بسائهم وكانوا يخربون في يوم واحد الحدائق التي كان أصحابها قد عمروها بمائة ألف مثقة خلال مدة تزيد على عشر سنوات. وإذا تصادف أن كانت هناك قاة في ذلك البستان وسقطت فيها دابة يتكونها، كانوا يعقلون صاحب البستان، ويقطعون الأشجار في الشتاء للتدعة. وإذا رأوا شجرة باسقة في إحدى الحدائق، فإن الحكام والأشداء يقطعونها بحجة أنها تصلح لصنع رماح الجند. وفي بعض الولايات كان هناك كثرة حاللة من الجبهة والعلماء وساداتهم من القواد، وهؤلاء يكونون في الحقيقة صعب عدد أفراد السكان.

وقد ذكر أنه في سنة إحدى وتسعين وستمائة (١٢٩١هـ/١٩٠١م) كان علي حواجه بن عمر شاه السمرقندي حاكماً على ولاية يزد، فذهب أحد الملاك إلى قرية تدعى "فيروزآباد"، وهي من أهم وأعظم القرى هناك كي يحصل شيئاً من عراند ملكه الذي كان يمتلكه. ومهما سعى هذا الرجل في سبيل ذلك ثلاثة أيام بلياليها، لم يستطع العثور على أي مخلوق قط من الأعوان. هذا على حين أنه قد أقام في القرية سبعة عشر من المحصلين

وأصحاب الخوالات. وقد قصروا على أحد الخراس وأنشئ من السكان من الصحراء وأحصروهم إلى القرية، وقبضوهم بالخيال، وصاروا يضربونهم، وذلك كى يحصروا الآخرين، وحتى يحصلوا على طعام لهم. ولكن لم ينسر لهم ذلك مطلقاً. وكان من اللارم بجموع هؤلاء المصلين وأتباعهم الحصول على العلف والمؤن والشراب والسراري ويمكن أن نقيس على هذه التصرفات. كيف كانت أنواع المظلم الأخرى. وببعض التفكير في أن هذه البدع الكثيرة والرسوم السيئة التي أصبحت بمرور الأيام عادة أهل سوء كيف يمكن تداركها في وقت قصير؟ خصوصاً وأنهم في كل زمن أرسلوا المراسيم إلى الأطراف بخصوص استئالة الرعايا، [ص ٤٦١] ودفع بعض المظلم عنهم. ولكن لم يعمل بها في أي وقت، وبشئ منها كالة الخلق.

وفي هذا الوقت الذي يمثل العهد المبارك لسلطان الإسلام غازان خان حشد الله سلطانه، وأدام عدله وإحسانه وجه رآه للبارك الذي هو محض العدل والخير، وصرف كل همته إلى تدارك الخلل الذي كان قد تطرق إلى شئون الملك، والقضاء نهائياً على البدع والمعاصد. وقد سعى سعيًا جدياً في سبيل أن يعيش الناس دائماً في راحة تامة، وصرح بأن العائدة من حاصل عمر المرء في الدنيا إنما تكون في تحقيق هذه الأمور، وألزم نفسه أن يجد ويبتعد إلى أقصى حد في هذا المجال لتدارك هذه العيوب المذكورة في الولايات التي تقع الضرائب، وقال في هذا الصدد. في الوقت الذي فسدت فيه القوانين، تعطلت السياسة وتطرق إليها خلل بالغ، فيبغى البدء بتنظيم الأمور الصغيرة قبل أي شيء آخر حتى يعرف أهل العالم أن المؤاخدة والعقوبة إذا وقعت بسبب الأمور البسيطة فإن العقاب على الكبائر يكون بالضرورة أصعباً مضاعفة. وهذا من شأنه أن يرغم الناس على أن يكفوا أيديهم عن ارتكاب هذه المخالعات. وقال أيضاً: إن أساس كل عمل، وأصل الوصول إلى كل غرض هو المحافظة على كل الجزئيات داخله؛ لأن المسئولين إذا تداركوا تلك الجزئيات واحدة فواحدة إلى أن تستقيم واحدة منها، ثم شغلوا بإصلاح جارية أخرى، فإن ما تم إصلاحه أول الأمر قد يمتل مرة أخرى، ويحتاج لإصلاحه ثم أصاب السلطان قائلاً: إن قوماً تعودوا على طريقة ما رماً طويلاً، وصارت طبيعة لهم، يصعب جداً معهم من انتهاز هذا السلوك، وانتزاع تلك العادة من طبيعتهم. كما أن الحكام المستبدن الذين اعتادوا في هذه

الأموال الإسراف في الجور على الرعايا والاستيلاء على الأموال مصاعفة، ولا يعطون الديون شيئاً منها قط. وكل سنة يمالون إلى المقاصة والمحاكمة، ويرشون ويقصون فترة من الزمن في احتلال الحكامات العبدية. وإذا قتل أيضاً مصر من هؤلاء يظن الآخرون أن قصايهم وقعت صدقة، ولا يحسرون ويتمطون، بل يقولون. إن الشخص العلاتى لم يساعدهم ويهزم بهم. وإلا فلو كان ما وقع من أجل المال والرقابة عليه، لكان يلزم اتخاذ هذا الإجراء [ص ٤٦٢] مع العديد من الأقوام الأخرى

وصورة القول أما إذا عاقبا نصف هذه الجماعة، فليس من الممكن أن يرتدع الآخرون فيكموا أيديهم عن الظلم والاعتداء، ويظل الرعايا على هذا النحو في عذاب دائم، ولا تصل أموال قط إلى الحرية والحد. وإذا المصلحة تقتضى أن نضكر في طريقة تكف بهائياً أبدي حكام الولايات عن التصرف في الأموال، حتى لا يجلبوا بالطبع سعداً إلى التعدى تحت أية حجة أو ذريعة، فيكون مثلهم مثل الثعلب الذى قال سوف أحلص نفسى من الكلب بألف حيلة وحيلة. ولكن أصلها هي ألا أراه ولا يرانى. وإذا فالأفضل أيضاً في هذه القضية هو ألا يستطيع متصرفو الولايات تحرير حوالة على الرعية ولو بدانيق ذهبي واحد.

وماء على هذا أمر السلطان عازى. حان بأن يذهب كاتب شيط إلى كل ولاية، ويكتب بالتفصيل مجموع المناطق التي تصنها تلك الولاية قرية قرية، وأن يقرر الضرائب بالتساوى بموجب الحسابات السابقة، ولا يتقيد بالريادة والفصان. وعلى هذا النحو يعمل حتى يصبح الرعايا مرفهين هاتين. كذلك أمر السلطان بأن يتحصن الكُتَّاب كل أملاك الخاصة (البحر) والأوقاف والملاك الذين كانت في حوزتهم هذه الأملاك دون سارع منذ ثلاثين سنة، ويكتبوها موصفاً بها أسماء الحكام ويشتوها في سجلات القوائم؛ حتى إذا صاحت قبالة من أحد الأشخاص، أو أراد شخص آخر أن يستول عليها فإنه يمكن الرجوع إلى تلك السجلات، والالتزام بما هو مدون بها. وبهذا لا يبقى لأى مخلوق مجال للتنبيس أو التعدى. وعلى هذا ذهب الكُتَّاب إلى البلاد حسب الأوامر الصادرة إليهم. ورغم أن الرجال الموثوق بهم تماماً والمصالحين قليلون فقد سعى هؤلاء الكتاب بقدر المستطاع، ودونوا قوانين الولايات وأحصروها. وبعد ذلك أمر بالآلا يؤشر مطلقاً أى ملك أو حاكم أو كاتب بقلمه



على ورقة لتحرير حوالة. وإذا كتبت حوالة، فإن الحاكم الذى أدن بكتابتها، يقتل وتقطع يد الكاتب الذى حررها. حتى يراه الكتاب الآخرون، فيأخذوا من ذلك العظة والعبرة كذلك عين لكل ولاية كاتباً يكون ملازماً لها للديوان الأعظم. وفى أول العام يكتب الحوالات للوجهة حسب ما نص عليه القانون، قرية فقرية [ص ٤٦٣] مع ذكر الأسماء والتفاصيل الأخرى اللازمة. ثم يؤشر عليها مناب الديوان الأعظم، ويؤكلونها بالختام الرسمى للدولة أى الختم النحاسى (التون ضعا). وبعد ذلك ترسل إلى الولاية كى يسدها الرعية على فسطح مع العشر ونصف العشر وحق الخزانة، وأتباع جاني الضرائب الذى يصب فى كل ولاية. وهو الذى يصرف لأصحاب الحوالات بعضاً مما حصله نقداً بموجب الحوالات المحتومة بالختم الرسمى للدولة (التون ضعا)، ويرسل الباقي إلى الخزانة العامة، ويسلمه للخزنة مع سداد رسوم الخزانة. وإذا حمل الجاني أو الرئيس الأموال أحياناً إلى ملزمنى الضريبة، فإن عليه أن يسلمها نقداً مع عشر ونصف عشر النسيق، ويدفع عى مائة دينار نصف دينار رسوماً للخزانة، وإلا فإن هؤلاء الجباة يحضرون المال نقداً، ويسلمونه للخزنة مع رسوم الخزنة.

وأمر السلطان كذلك بأنه إذا ما سدد الرعايا الضريبة نقداً ذهباً فإنه لا يجوز للجباة أن يستبدلوا به بصاعة عسبة، ولو بدينار واحد. وإذا جاء أحدهم بصاعة بدل النقد، فإن عليه أن يحمله إلى السوق ويبيعها، ويأتى بنسها نقداً إلى الخزانة. وعلى المستولين أن يدفعوا أموال المرتبات والرسوم والنفقات المقررة للعمول بها فى كل مكان، ولا يتفص منها دنانق واحد؛ حتى يقوم الرعايا كلهم بالدعاء للدولة الخالدة. وبموجب الحوالات المميرة بالختم الرسمى للدولة، والتى تُحمل من هنا إلى الولايات، يتف جميعهم على الرسوم المستحقة عليهم، ويعرفون أنه لا يسعى دفع ريادة ولو بمقدار دنانق واحد. كما يكتبون إلى رجال القانون مستعصرين عن حملة استحقاقاتهم، وكيف حسبت لهم.

ولما عهد هذا الحكم الذى يقضى بألا يكتب الحكام الحوالات، طس ملك "زوداور" من أعمال همدان أن هذا الحكم مثل الأحكام السابقة فأجار للكاتب أن يكتب عدة حوالات على الولاية، فصدر احكم يقتله ويقطع يد الكاتب. وعندما علم الكاتب بمسير الرسول لتعذيب هذه المهمة الخطيرة لاد بالفرار. وبعد ثلاث سوات، توفي فى المكان الذى كان قد

هرب إليه. وبعد مدة قيصروا على كتاب في نهاوند، وقطعوا يده. كذلك قبضوا على بقال من الشخصيات المرموقة في همدان، كان قد حول لحسابه مئتين من السماق معصلاً نفسه على شريكه، [ص ٤٦٤] وصدر الأمر بقتله، فتشجع له الكثيرون، وضعف عنه الحكم بالإعدام واكتفى بجلده مائة وعشرين جلدة، ودفع غرامة قدرها ألف دينار.

وهي الآية الأخيرة كانوا يأتون بالعبلة من بغداد، حتى إذا بلغوا همدان، حل الشتاء، ولم يكن يوجد علف، فقال الحكام هناك: يجب الحصول على العلف من البساتين. فلما بلغ هذا الرأي السمع الأشرف لعاران، قال: إنا نوفر العلف للعبلة، ونرصد ميرانية لذلك وإذن فكيف يؤخذ من بساتين الناس؟! فليشترأها وجد، وإذا لم يوجد فكيف يستأجر الحصول عليه من البساتين؟! ومهما يكن من أمر فلتسأج هذه المرة. أما إذا أقدم المستولون بعد ذلك على مثل هذا التصرف فسوف يعاقبهم.

وحجته القول أنه خلال هذه السنوات لم يبق هناك مجال لأى مخلوق في كل الولايات كفى يكتب حوالة بمن من تيسر أو حجة من ذهب. وبذلك سُدَّ طريق كتابة الحوالات نهائياً. وهي العام الماضي تيسر أن الحكم لم يجرؤوا على إصاعة شيء على المبالغ المقررة؛ لذلك ورع الرؤساء والعمد في القرى الريادات فيما يسهم ومن الطبيعي أنه إذا علم كل واحد من الرعايا المبلغ المقرر عليه، فإنه لا يدع شيئاً ريادة على المطلوب. وكذلك لا يستطيع المستولون مطائلة العرباء وغيرهم ممن لم ترد أسماؤهم في السجلات بسداد مبالغ فقط.

وبسبب هذه الإصلاحات شغل جميع الرعايا بالدعاء لدولة سلطان الإسلام - حلد سلطانه - وعاد العائون إلى مقارهم دون أن يسعى أحد في طلبهم. وقد ترتب على هذا أيضاً أن المنزل الذي كان شمه مائة دينار، صار لا يباع الآن بألف دينار. وقد توافرت أموال كل الولايات من مسكوكات "دار الصرب". وهي كل سنة يوافي بها المستولون الخزانة مرتين أو ثلاث مرات دون إبداء عنبر أو تعلل كما يشاهد ذلك أهل العالم وخلال هذه السنوات المعنودة لم تصدر مطلقاً إلى أية ولاية حوالة ينادى من ذهب أو "تعار" من علة، أو حمل حمار من تيسر أو خروف أو من من شراب أو هدية أو حرير أو ذخيرة أو متونة [ص ٤٦٥] كما لم يؤخذ شيء من هذه الولايات.

وقد منح الحق تعالى البركة في الأموال وحقوق الديوان؛ بحيث إنه مهما أمر السلطان بالإعطاء على الجند، وإحابة المحتاجين إلى ملتصاتهم، والإنعام على المقرصين، وسداد مبيعات كل طائفة، تكون كلها نقداً من الخزانة ولم يصادف في أي وقت أن تكون الخزانة خالية من الذهب والفضة. وإنه معلوم وواضح من السجلات القديمة والجديدة أنه لم يصرف في أي عهد و زمان هذا القدر من الذهب والفضة والياب الذي يأمر به ويسحه في كل عام السلطان خازن خند سلطانه كما أن هذا القدر من الأموال لم ينفقه الآخرون خلال خمسة أعوام. والخزانة لا تزال باقية وملينة بالذهب والفضة وأموال الولايات. ونيل هذه لوحظ أيضاً أنه على الرغم من أن الحكام لم يعطوا أحداً شيئاً بموجب الخوالات واقتراحهم؛ فإنهم في نهاية العام كانوا يكتبون كشفاً بالحساب يبين أن الأموال كلها قد صرفت وكان الواحد منهم يحصل على مبالغ أخرى إضافية

أما في هذا الوقت، فإنه يمس عاطفة السلطان حقد سلطانه وحسن تدبيره، عمرت الممالك، وبقي في عهدة حكام الولايات وهو زيادة في المبالغ كما أن عدة العام الماضي لا تزال جملتها موجودة في المحارن حتى لا يرغم الناس على شرائها قسراً ولا يسعى للتسرع في بيع المقتضول الذي يصبح كل عام وأما ما كان غير ناصح من الضلال فإنهم كانوا يحصلون عليه بمجرد دفع العربون والآن تتوافر للديوان كل سنة زيادة في العلال الموجودة في المخازن.

بعد ذلك صرح سلطان الإسلام قاتلاً: حيث إننا قررنا هذه التدبير، وكفنا أبدي الحكام عن تحرير الخوالات، وعلم الرعايا بالتفصيل القدر المعين لحقوقهم، صارت تلك القاعدة مقررة ومعتمدة، وسهل على الرعية إلى أقصى حد أداء ما هو مقرر عليهم، وصاروا يزودونه برغبة تامة.

وما يسعى التفكير فيه هو أنه في الوضع الثاني بقيت هذه القاعدة مصبوبة ومستحكمة ومستمرة لا يتطرق إليها وهو بسبب الانقلابات وكثرة الإشغال ووقوع الحوادث والوقائع التي تحدث في العالم؛ إذ إنه جوافر هذه الأمور لا تدعو الحاجة إلى كتابة كل هذه الخوالات الصادرة عن الديوان الأعظم، والمطالبة بأموال الولايات على وجه السرعة، أو يتوأسى السواب ووزراء العهد عن صسط هذه المسائل، فيأذنون للحكام [ص ٤٦٦] بتحرير

الحالات، ويصل المستوفون الهازون للمرض إلى مقصودهم، ويسطون أهدى النطاويل  
بتمدب الرعايا من جراء ذلك، ولا يكون هالك مجال للسؤال والجواب، وتبطل هذه  
القاعدة الحميدة التي أسكن إرساؤها بمشقة بالعة. وبهذا يخرب العالم مرة أخرى، وتتبدد  
أموال الخزانة، ونفقات مؤد الجيش.

وحيث إن المساعدة حلت بها، وكانت عوناً لنا، وصار التوقيع حليصاً أسد إليها الحق  
تعالى أمور السلطة، ومجها القوة والقدرة. فيسعى مداومة السعي، وبذل الجهود الجبارة  
ونجس الإهمال والعملة. وبذلك تنوط هذه الصوابط والقواعد، وتصير ثابتة ومؤكدة  
بمث إثمه لا يمكن أن يتطرق إليها بأى وجه من الوجوه أى تعير أو تبدل

باء على هذا أمر السلطان بأن يكتب مرسوم مصاع هي عبارة واحدة، وتغفظ صورة  
مه في كل ولاية. وهكذا يعملون حتى تكون الأحكام واضحة ومعينة لدى الجميع كبيرهم  
وصغيرهم.

وهذا هو نص المرسوم تذكره على النحو الآتى:

### نص

**المرسوم الخاص بدخول الولايات الذى يكتبه الديوان  
بالتفصيل، ثم يقوم بتوزيعه، ويقضى بأن يكتب الملوك  
وحكام الولايات حوالات بتاتا**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**فرمان السلطان محمود غازان**

ليعلم حياة الصرائب والملوك والسواب والحكام والقضاة والسادات والأئمة والصدور  
وملائك الأراضي والأعيان والوجوه والرؤساء والممد، وعموم الرعايا وأهالى المدن والبلاد  
من صغاف بهر جيجون إلى غغورم الشام والأمرج أن كل همنا وتفكيرنا ونظراً كان

موقوفاً على أن تكون هذه الأيام للعدودة من العهد المبارك لسلطاننا سائراً بمقتضى نص الآية. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(١١)</sup>، وبموجب قوله تعالى أيضاً، ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾<sup>(١٢)</sup>، منهضاً لإزالة أنواع الظلم (ص ٤٦٧) والتعدي والجور واستبعاد المستبدين والظالمين الذين اعتادوا ذلك بمرور الزمن حسب حقوى الآية الكريمة ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾<sup>(١٣)</sup>، فجعلوا دعاء المسلمين وأموالهم رزقاً وطعمة لهم، فعلياً أن يقتضى على ذلك قضاء سرماً بحيث لا يطمع بعدها أحد في الرجوع إلى عادة طمعه وحياته الأولى، فرتبها وسقيا شئون الملك، وديرها الأمور، بحيث تعود هوائها عاجلاً أو آجلاً إلى كفاية خلق الله تعالى، وتكون سبباً لرفاهيتهم وراحتهم، وحتى يحصل لنا ببركة ذلك حس السعة في الدنيا والآخرة. وذلك بموجب قوله (صلى الله عليه وسلم) "من سب سعة حسه فله أجرها وأجر من عمل بها"<sup>(١٤)</sup>؛ إذ قد تحقق لديها أنه لا توجد فائدة هي العالم أعظم من العمل بمقتضى قول النبي ﷺ: "عُدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة" فلا يمكن الحصول على راد للأخرة لفصل من هذا الوجه.

والآن قد تحقق وتبين لأهل العالم أنه يتوفيق الحق تعالى، وعملاً بما جاء في الحديث النبوي الشريف "أحب الناس إلى الله تعالى وأقربهم إليه السلطان العادل، وأبعدهم إليه وأبعدهم عنه السلطان الحائر"<sup>(١٥)</sup>، قد خرج ذلك إلى حيز التعبد وبقتل الوسع والإمكان

(١) الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ دِيَّ الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ بِطَوَاقٍ لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل، آية ٩٠).

(٢) الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة، آية ١٩٧).  
(٣) الآية: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَرْضِكُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٦).

(٤) الآية: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَرْضِكُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٦).  
(٥) الآية: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَرْضِكُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٦).

(٦) الآية: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَرْضِكُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٦).  
(٧) الآية: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَرْضِكُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٦).

(٨) الآية: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَرْضِكُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٦).  
(٩) الآية: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَرْضِكُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٦).  
(١٠) الآية: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَرْضِكُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٦).

لمكن تشارك بعض تلك المظالم والاعتمادات التي كانت مستمرة قبل هذا. وقد تمعّن شرح وتفصيل ذلك على حدة:

من جملة هذه الإصلاحات تمعّن وتقرير أموال وأحوال الممالك وإزالة الجبارة، والقضاء على لتصاريفات، وإلغاء الضرائب الاستثنائية وأنواع المحجوزات الديوانية، ومع تحصيل نفقات توفير الملف لدواب الجبلة والرسل الذي كانوا يدفعون تباغاً إلى كل ولاية لجمع الأموال. وكانت تصرفاتهم سبباً رئيسياً فيما لحق بالرعايا من أنواع المشقات والتخريب

من أجل هذا أرسنا الكتاب إلى كل الممالك، كي يكتبوا بالتفصيل أسماء الولايات والوحدات والقرى، ويحددوا ما عليها من الأموال والضرائب؛ بحيث يكون جميع الخلق مستريحين من ذلك الإصلاح، وشاكرين راصي؛ إذ إنه قبل هذا كان المستبدون والظالمون يأخذون أصناف تلك الأموال باسم الإتاوات والضرائب الاستثنائية والمؤن وأموال أخرى كثيرة؛ بحيث إننا لو رحنا نكتبها، فإن الشرح يطول ؟ [ص ٤٦٨] ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن أكثر العمال وكذلك الأراذل والقواد كان يسلون الأموال ولا تعود عائلة تذكر على الديوان ويت ذلّال، بل كان ذلك يؤدي إلى الخلل وحرب الملك وتبديد المال ثم إن الأشخاص الذين كانوا يقولون لموال الديوان وفق نظام الإقطاع والضمان، وعرضهم أن يصيروا ملائكة يفعلون ما يريدون، فكانوا يستولون على أصناف أموال الإقطاعية، ولا يؤدون جزءاً منها إلى الديوان وهذا السبب لم تكن هناك أموال للإعاق منها على تجهيز الجيش والحفاظ على الثغور وإسرام مصالح الملك، فكانت الضرورة تدعو إلى مصادرة الأموال وعرض ضرائب استثنائية على كافة الناس، وإزعاجهم على تقديم إعانات.

وهذا السبب كان أفتك داءاً وكذلك الولايات والرعايا هي رعمة وعدم استقرار وتعبد ومشقة، والجيش بلا متونة وضعيف الحال. أما الآن فقد تسهّر بمعونة الحق تعالى وأصبح الحال كي بدون كل القواعد والقوانين بالتفصيل عن أكثر مواضع الممالك قرية بقرية، بصورة لم يسبق لها مثيل مطلقاً في أي عهد، ولم يجمع نظيرها من السجلات والكتب. كذلك قررت أموال تلك المواضع ورصدت. ولو أنه لا يستطيع أي شخص مطلقاً أن يأتى بما يساوى هذه المجهودات وذلك بسبب عدم الإطلاع عند بعضهم، وبنداع الأعراس والمطامع عند البعض الآخر. وقلما يوجد الشخص الذي لا تكون فيه هذه

الصعات الذميمة. ولكن القوانين هوت بقدر ما تيسر ثم عرصت عليها. وإذا كان فيما عرص قد حدث تعاوت فاحش أو سهو واضح من أحد الأشخاص، فإن سواب الديوان الأعظم قد تداركوه. وأكثر المواضيع الديوانية التي تقتصبها المصلحة وتوجيها الضرورة قد سمحت للعاملين من القضاة والمراميين ورجال القانون، بشروط مؤيدة مغلدة وموشحة بالتوفيعات الديوانية، ومهورة بتمتا الرسمي للدولة كي يتصرفوا بموجبها، ويؤدوا حقوق الديوان سنة بسنة

وحيث إنه قد رالت أنواع العظم والاعتناء والصرائب الاستثنائية والأعفاء الديوانية التي كانت موجودة قبل هذا، فإن ما وقع من تعاوت وسهو لم يقم له وزن بالقياس إلى المظالم والأصرار التي كانت موجودة سابقاً. وعلى هذا لم يصابني الناس الواحد منهم الآخر. [ص ٤٦٩] وصار جميع الخلق شاكرين واصين مادحين. وقد غفلصوا من متاعب الخبرة والاستيلاء والصرائب الاستثنائية والأعفاء الديوانية التي يكثّر عددها ويطول شرحها. أما الأشخاص الذين كانوا لا يخشون الله والمأزقي وقصار العطر فلكن تكف أيديهم عن تخريب الحوالات التي يستعملونها هي جذب أموال الناس وامتصاص دمائهم أمراً - بخصوص تلك الأموال المعصلة والمقررة على كل موضع بموجب القانون - بالألا يتدخل الحكام والولاة في الولايات هي كل ما يتعلق بشئون الحوالات حتى تقصر أيديهم نهائياً عن تخريبها ومعهم من إصدار التراخيص وبهذا الإحراء ثعل أيدي المستبدن وقواد الجيش الكثيرين الذين يريد عددهم على عدد الرعايا هم يلعنون الصرائب. ولما كانت عوائلهم وأقواتهم من دماء وأموال الرعايا العاجزين الذين يصدق عليهم قوله تعالى ﴿وإن يسلبهم الديار شيئاً لا يستقلوهه﴾<sup>(١)</sup> وكانوا لا يتخرجون من أكل ذلك لئال الحرام ومن الضروري كذلك أن يراول هؤلاء أعمالاً من قبيل التجارة والملاحة وزراعة البساتين وأنواع التعمير من أجل الحصول على رزق حلال، وهم بهذه الأعمال الشريفة والبرقي إحلال يكمون عن العادات السيئة. وإذا ما انصرفوا عاصين أو ثلاثة عن الأعمال السيئة إلى الأعمال الصالحة، فإنهم يسون تلك العادات والتصرفات والمكرات المدمومة، وتسود العالم

(١) الآية تنصها ﴿بأيها الناس سرب مثل غاصتموا له إن الذي تفعون من دون الله لن يظفوا دناباً ومو استعملوا له وإن يسلبهم الديار شيئاً لا يستقلوهه منه صحت الطلب والطلب﴾ (سورة الحج، آية ٢٣).





دهي لو من واحد من الثمر. وقد علم رعايا كل قرية وموضع، مقدار المال المقرر عليهم وكل شخص يأخذ منهم ما يريد عليه، يكون صالحاً عنهم الإنصاف. ولا سد له وعلاص حكم للرسوم وإجازة الديوان الرئيسى الذى لا يجى فائدة تذكر من ذلك الصلال وتلك الرقادة، ولا يشتر بمعطة وعلى الرعية أبعثاً ألا يطعموا أوامر الظالمين، ويسندوا ما تقرر عليهم فقط بموجب الحوالات المحتومة بالختم الدعى الرسمى للدولة. ثم يعود مجموع ذلك السغد إلى الخزانة والجيش وبيت المال.

وفى هذا الوقت فكرنا قائلين: "حيث إن المرمى من هذا التدبير والترتيب هو رفاهية الخلق وبيل الثواب، كان عليها أن تسعى بقدر ما تستطيع حتى تصير تلك القاعدة أكثر استحكاماً وثباتاً، فيرد ثواب تلك الإصلاحات، ويستمر بفافها مدة أطول. [ص ٤٧١] ومع أننا قد حسبنا فى كل ولاية كائناً فى الديوان الأعظم لتحرير الحوالات المفصلة؛ وذلك حتى يقوم الثواب بتوضيح الحوالات المكتوبة بالتأثيرات الدنيوية، ويختصمها بحسب الدهبي فإن وصح الإشارات على الحوالات وحتما يحتاج إلى وقت وتزع تام. وقد لا تيسر كتابة عدد وغير من الحوالات المفصلة، والتأثير عليها وحتما بسبب تبدل الرما والانتقالات وإبرام الأمور الضرورية للملك والتعور والاضطرابات والمشقات التى لا يمكن أن يخلو منها عالم الكون والعساد. وحيث إنه من المتوقع أن يتطرق إليها عائق أو يحدث إهمال، تدعو الضرورة لهذا السبب - إلى أن نكتب الحوالات المقررة على الولايات بصورة مجملة فيمسح الخيال بهذا مرة أخرى - للاشهاريس ليكتبوا الحوالات ويثبت إليها أيديهم ويتجراون ويخربون العالم بمس الطريقة، وجرئاً على العادة القديمة. وبهذا يلحق الكساد بيت المال على نحو ما كان عليه الخيال سابقاً، وبعد ما فيه من فقد، ويؤجل أبعثاً تدبير العقبات المقررة للبلاد التى يصرف منها على صروب الإصلاحات من قبل تشيد العمارات وتنفيذ المشروعات، وتوفير النسخ والإعانات والصدقات وغيرها بحجة أن الأموال لا تصل مطلقاً إلى الخزانة، ويسوقون أعداداً أخرى وحكايات مقعة جرئاً على عاداتهم. وبهذه الدرهم يصحون وقتهم سنة بعد سنة، ويمتق الجميع محرومين. ويترتب على هذا أن يظل هذه القاعدة التى كان قد مهد لها حلال مدة طويلة وبجهود بالغة؛ فكان أن استراح أهل العالم لهذا السبب. أما هؤلاء الاشهاريون فإنهم يحرصون على الظلم ويتجراون ويسخرون

الرعايا العاجزين. ومرة أخرى تصدر تدارك الأمر، فتكسب كل الأموال والمعاملات وتستهلك، ويroll الحق على النحو الذى كان سابقاً حتى الآن. ومن الطبيعي ألا يكون هذا الوصف ملائماً للوك المعصر ولا الجسد ولا الرعية. وقد فكرنا فى تدارك هذا الأمر فقررنا بموجب القانون ما على الولايات قرية قرية وموصعاً موصعاً، وذلك بالتفصيل والتفصيل. ثم أمرنا بجمع كل السجلات الخاصة بالولايات وإيداعها المكتبة الملحقة بالقبة والحدائق وأبواب البر التي أقصاها فى تسيير وقد أودعت لدى المسئولين الثقات، وصدر الرسوم بالمحافظة عليها، وخصصنا للمكتبة رقفاً لما جاء فى شروط الوقفية. كذلك كتبت "وثيقة النعمة" نص فيها على لمة كل من يطل ما جاء فى هذه السجلات [ص ٤٧٢] التى يرجع إليها فى كل مشكلة تقع بعد ذلك وإذا ما فقدت نسخة أو لائحة كانت قد أعطيت لأحد الأشخاص، فإنه يرود نسخة أخرى من المكتبة، حتى يحصل بذلك الثواب. وقد أودعنا نسخة منها فى الديوان الأعظم، وواحدة مثلها فى كل ولاية. وتوجد بصوص النواحي والقوايس فى يد القضاة والملاك والرعايا كذلك أمرنا بكتابة هذه البيانات على النحو الذى قرر فى كل قرية وموصع على رقعة أو حجر أو صحيفة من النحاس أو الحديد حسب رعة الأهالي، وذلك بأن يمشوها عليها. وإذا رغبوا، فلهم أن يكتبوها بالحصى المغمور، ويعلقوها على باب القرية أو المسجد أو المئذنة والمواضع الأخرى التى يقع عليها اختيارهم وتعلق هذه البيانات لليهود والصارى على أبواب معابدهم، وفى القرى والمواضع التى يربطونها كذلك تقام لسكان البادية فى المواضع التى يرونها صالحة لذلك. أما المبالغ المقررة على الولايات، فتعلن بياناتها للأهالي دون زيادة أو نقصان بحضور القضاة والسادات والأئمة والعتول والإكابر فى المدينة، ويُلزم كل واحد من السكان فى كل قرية وموضع بأن يسدد سريعاً الأموال والرسوم وفق كل قائمة مطلة فى تلك الولايات، وذلك خلال عشرين يوماً. وكل ذلك بموجب القانون على النحو الذى سبق ذكره. ثم ثبتت هذه القوائم بالحصى والمساطر فى المواضع المختلطة؛ بحيث تبقى سنوات عديدة، لا يغيرها أو يبدلها أى مخلوق على أن يخصص موضع لبيان الأموال الثعينة، وكذلك البصائع المقررة ومقدارها؛ بحيث يكون سداد كل قسم من تلك الأقسام فى الموعد المحدد. كذلك تُعين رسوم الدفعة كى تسجل على اللوح وفى كل قسم من تلك الأقسام المسجلة

على اللوح، تكتب له مسودة الرسوم على ظهر هذا اللوح حتى يُعرف أن كل قسم حاصل بالأموال المختلفة في الولايات المتباينة مقس ومعين وعلى أي نحو ينبغي أن يكتب، ثم يحدد موعد سداد كل نوع، وكيف يكون الإيداع والتسليم. وينبغي أن يسجل كل قسم على لوح على نحو ما هو مذكور في المسودة [ص ٤٧٣] كي يتخذ وجوه القوم من الرؤساء والرعايا في كل قرية أماكنهم في موعد الموسم المعين، فيحصرّون إلى الميدان؛ إذ إن المقرر أن يقسم المحصل خيمة وسط المدينة. وبعد بداية الموعد المحدد حتى اليوم الذي تنتهي فيه المهلة يلقى القبط خمس مرات كل يوم ثم يستدعي موظف الخريبة والمستول عنها الذي عيّن في كل ولاية كي تسلّم له الأموال كلها أو بعضها. وقطعاً لا يتفاصي المحصل من أي موضع شيئاً آخر باسم المؤن أو الخفصة وغير ذلك. كما لا يرسل المستولون الخوالات من القديوان بأي وجه من الوجوه، ولا أي محصل إلى أي موضع أو ولاية. وإذا أعمل الرئيس والرعايا ونهاونوا، ولم يسلموا أموال الضرائب في الموعد المحدد، فإن المحصل يقص عليهم ويأخذ منهم ديناراً واحداً عن كل مائة دينار من أصل الضرائب المقررة. وكل من يقصر في هذا الشأن يجلد سبعين جلدة إلى أن ينقضي هذه القاعدة مصبوبة وع محكمة، وتعم فائدتها الخاص والعام، وحتى لا يقع بسبب الإهمال والتعاطل والجهل عدد من الناس مرة أخرى فريسة جور المستبدن والمراقين الذين لا يتحشون ربهم.

والآن حيث إن مواعيد جمع الأموال العبية والخصايل قررت وحددت بمقتضى القانون المؤيد المخلد على النحو الذي سبق شرحه فما يترتبها وتعيها على هذا النسق  
موعد سداد الضرائب العبية لكل ولاية تختلف أقسامها كي يكتب كل قسم معين منها على الأنواع في موضع خاص بذلك النوع الذي صار مقساً، والممولون يستجيون لهذا النظام، ويسددون ما عليهم على النحو التالي:

١. الضرائب والرسوم التي يدفعها الرعايا من سكان القرى. وقد جرت العادة على أن يؤدوها على قسطين كل سنة.

٢. من حملة الرسوم السوية التي تقررت لكل موضع اشترط أن يؤدي نصفها من بداية حلول "الزورور الجلالى"<sup>(١)</sup>. وتستمر هذه المهلة عشرين يوماً بالكامل. أما النصف الآخر

(١) الزورور الجلالى نسبة إلى السلطان جلال الدين ملكته السلجوقى. يقول ابن الأثير عن دبل حوادث سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٩م: "سميها جمع نظام تلك السلطان ملكته جماعة من أمراء الجسم، وحطوا الزورور أول نقطة =

فيؤدي ابتداء من طلوع الشمس في أول برح الميراث، وتستمر هذه المهلة عشرين يوماً بالكامل.

### [ص ٤٧٤]

٣ الصرائب والرسوم التي يدفعها سكان الصحراء التي جرت العادة على أن يستجيبوا لدفعها مرة واحدة في أول العام.

٤ حراج المال الذي كان مقررًا من قديم أن يدفع كضريبة عمية، تقرر سداده مرة واحدة في أول السنة من بداية (الزورر الجلال). وتستمر المهلة عشرين يوماً

٥ حراج الصرائب العمية تقرر أن تسدد في بعض المواضع مثل بغداد وغيرها وقت حصاد المحاصيل الصيفية.

٦ رسوم الدفعة بموجب ما تقرر أن تسددها كل ولاية على حدة. ويكون هذا ماسياً لها، وذلك على النحو المكتوب على ظهر المشور الذي يوضع على باب كل موضع خاص بالدفعة حتى تسلم على لقساط وفق هذا الترتيب. وليس لأى مخلوق أن يتحدث بدعة أو يصيف رسماً جديداً، ولا يأخذ الجباة حاليًا أكثر من الرسوم المقررة بحجة أنهم اصافوا زيادة جديدة على الدفعة، كما لا يتحدث رسماً جديداً

٧ موعد وكيفية تسلم وتسليم أنواع المحاصيل الخاصة بالمناطق الحارة والمناطق الباردة من صيفية وشتوية، وبعضها خاص بالصحراء التي ليس فيها صيفاً وشروط ذلك على هذا النسق والنوال المسجل والمشرح.

٨ الاتفاقيات الخاصة بالولايات الواقعة في المناطق الحارة من شتوية وصيفية وذلك على النحو الآتي:

---

من المجلد. وكان الزورر قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما على السلطان مبدأ الظواهر.  
(الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٢١، القطبة الأرمينية، تحقيق فتح عبد الوهاب الشمار، القاهرة ١٣٤٨هـ) وما هو جدير بالذكر أن شاعر القرامشات الفلاح الصيت عمر الحليم كان من بين العلماء القدامى عهد إليهم بوضع هذه القوانين. انظر برونو، تاريخ الأدب في إيران من القرموسى إلى السعدى، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم لعي، طهران، ص ٢٢٦.

أ الشئونة: من القمع والشعر وغيرهما وكل ما تقرر لكل موضع من المواضع المشاة وهذه المحاصيل يجب نقلها على الدواب من أول الشهر إلى عمن بعين في تلك الواحي، وتسلم للصراف وأقصى مهلة لتسليمها عشرون يوماً.

ب الصبية من الأصناف المشاة بموجب القانون. ومن المقرر أن تقبل في شهر...<sup>(١)</sup> على الدواب إلى المحرن المعين في تلك المنطقة؛ حيث تسلم للصراف. وأقصى مدة لتسليمها عشرون يوماً.

٩ الائتمانية الخاصة بالولايات الواقعة في المناطق الباردة، ولها محاصيل صبية، وتلك التي ليس لها محاصيل صبية، فهي لا شك تدرج ضمن المحاصيل الشئونة محسب، بموجب ما قرره القانون. وذلك على النحو الآتي:

### [ص ٤٧٥]

أ الشئونة: بموجب ما قرره القانون. فعلى المزارعين بعد حصاد محاصيلهم أن ينفقوها في شهر...<sup>(٢)</sup> بالتمام والكمال بدوابهم إلى المحرن المعين في تلك المنطقة، وذلك خلال مهلة أقصاها عشرون يوماً. وهكذا يكون الوضع في

ب الصبية بموجب ما قرره القانون. فعلى المزارعين بعد حصاد محاصيلهم أن ينفقوها في شهر...<sup>(٣)</sup> بالتمام والكمال بدوابهم إلى المحرن المعين في تلك المنطقة، وذلك خلال مهلة أقصاها عشرون يوماً. وهكذا يكون الوضع في كل ولاية مسح فيها الخواتم والأمراء الأجنال والأمراء أراضي ومزارع أو إقطاعيات أقطعت للجد. وكذلك ما أعطيتهم بمقتضى الرسائل والمراسم والإعفاءات، وما أعطي على سبيل الإحسان والإعانات والمبات والصدقات لتكون تحت تصرف كل شخص وبمقتضى القانون، عليهم أن يصعدوا لوحاً في كل موضع كفي لا يستطيع الحماية المذكورون أن يأخذوا - وفق أمواتهم - زيادة على حقوق الديوان، وأيضاً لا يتحمل أهالي ذلك الوضع مشقة تذكر ذلك أن عدل الملك يعني أن يكون كالشمس تسطع في كل مكان، وتعلو رؤوس أهل العالم.

(١)، (٢)، (٣) مذكور في النص

## (بيت من الشعر العربي في الأصل):

كالشمس في كبد السماء وصورتها يحشى البلاد مشارقاً ومعارفها

وحيث إن العرص من هذه الجهود في العهد المبارك كان رفاعة الخلق، وضبط شئون الجسد، والمحافظة على الثمور، وترويح أسواق الخرافة وبيت المال، ودفع المفسدين والنصوص والانهيارين أثبت التجربة أن الرعايا صاروا راضين ومستريحين وذاهبين بالخير وقد نظمت هذه الأمور التي سبق ذكرها على هذا الوجه؛ بحيث إن ما يحصل الآن من الأموال صار أصناف ما كان يحصل سابقاً إلى خرائس آبائنا، ولم تعد هناك حاجة إلى المصادرة والتشدد في المطالبة.

ومن المؤكد أن هذه الإحصارات التي مر ذكرها تكون ماسية لجميع السلاطين الذين اتبعوا بالمعدل، ودوى الرأي السديد والتدبير الحكيم وكذلك بالنسبة إلى الأمراء والوزراء والواب الأماء المشفقين والأحكام المحكمين في كل عصر و زمان كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>. «ما كان حديثاً يعترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»<sup>(٢)</sup>. أما إذا ما تجاوزوا ذلك، فإنه يصير موجاً لسوء سمعتهم، وإنزال العقاب بهم. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعِى وَرَدَهُ ذَلِكَ، فَلَوْلَئِكَ هُم الْعَادُونَ﴾<sup>(٣)</sup>؛ فلا عرو أن صار الخير العام والترتيب والنسب مبادئ جارية وسائدة [ص ٢٧٦] وبسبب ذلك أيضاً عاش الرعايا وكافة الخلق في رفاهية وأصبحت الأموال مقررة ومعية وإذا استعاع طامأ أبصار أن يخبر ويبدل، فإن عليه أن يخشى آلام القلب وتأنيب الصمير، والتشجيع عليه، وتفجع الخلائق منه؛ إذ إنه لا يتصور أن تكون هناك عاقبة أو غم وجحيم، أشد إيلاماً من ذلك. «وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب يتقلبون»<sup>(٤)</sup> كذلك لا يصرح أهل العالم مثل هذا التصرف، ويقولون قوله تعالى.

(١) الآية بتدريج: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الفرقان، آية ٢١).  
فراء مصر: ثم يحكى حطماً إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب (سورة الفرقان، آية ٢١).

(٢) الآية بتدريج: «لَا تَكُنْ مِنَ الْخَالِفِينَ» (سورة الفرقان، آية ٢١).  
والتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (سورة يوسف، آية ١١١).

(٣) سورة المؤمنون، آية ٧. وقد وردت أيضاً في سورة الفجر، آية ٢١.

(٤) سورة الشعراء، آية ٢٢٢.

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾<sup>(١)</sup>. فلا جرم أن كل شخص يعبر ويدل يكون مستحقاً للغة الخالق، وسخط الخلاق. ﴿فمن بدل به بعد ما سمعه فإسا إنشه على الدين يدلونه. إن الله صميع عليم﴾<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا الموال أصدرنا مرسومًا إلى المالك وأرسلناه إلى ولاية<sup>(٣)</sup> حتى تكتب نسخ من كل قسم من الأقسام المتعلقة بالأموال والمعاملات في تلك الولاية على النحو المعين، وعلى المسئولين أن يسجلوا مسودة كل منها على ظهر الرسوم. ثم يكتب على اللوح ذلك القسم المناسب لتلك الولاية كما تم شرحه، ويحجر ذلك بسرعة وكل من يقصر في ذلك يكون آثمًا

كتب هذا المنشور في أواسط شهر الله الأهم "رجب" سنة ثلاث وسبعمئة (١٣٠٣هـ/١٩٠٣م) في مقام ألجانبو "بوسوق" بهولان موراد. والحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله.

وأما عن تلك الولايات التي تجبى منها حقوق ورسوم الديوان من اعماص الولاية والنفود العبية، فإن أكثرها كان يحصل بالحيازة والجزة، وكان هناك عمال واسع في هذا الباب لأهواء الحكام والعمال ولتصرص في الأموال. وكانوا قد أخذوا رسومًا وقواعد في كل عهد، وعيوا عمالًا كثيرين بأسماء مختلفة. وفي أكثر السوات كانوا يطالبون بالأموال قبل حلول اليعاد المحدد لتحصيلها. وعند وضع التسعيرة كانوا يشقون ويشقلون على الرعايا والمرارعين إلى أقصى حد؛ بحيث إن أنواع تلك المظالم وأساليبها كانت تفوق حد الحصر. وقد حدث هذا في بغداد وشيراز تلك المدينتين العظميين.

غاص السلطان عازان في أعمال هذه الأوضاع، وأمر بتدارك وتلافي ما فيها من نقص فحدد المسئولون الرسوم طبقًا للقانون، وأسدت الماصب إلى القضاة والحجاة على سبيل التأيد والتحليل. وذلك بطريقة تتيح للأموال أن تصل بصمة مسخرة، وبأصناف ما كانت عليه سابقًا. وبهذه الإجراءات صار المرارعون والملاك والرعايا مستريحين شاكرين

(١) سورة البقرة، آية ٤٢

(٢) سورة البقرة، آية ١٨١

(٣) حكنا في ذلك

[ص ٤٧٧] وكُنْتُ أهدى الحُكَّامَ مهائياً عن المطالب غير المشروعة، وقصصى على ظنم  
المستدين دفعة واحدة وقد سَجَّكت أنواع الخلل الذى كان مستشرِّباً فى ذلك الوقت وإن  
بيان طرق التخلص منها مشروحة ومفصلة فى المراسيم التى كتبت لتلك الولايات. وكانت  
واضحة ومشهورة لدى الجميع ولهذا ذكرت باحتصار.

فليمتع الحق تعالى هذا السلطان الراعى والباسط العدل بطول العمر ودوام الإقبال  
أبد الدهر، وليسحه مشروبات هذه الحسان فى عهده المبارك، تلك الحسان التى يحسنه  
عليها داراً وأردوا ويحيطه عليها أودشير وأبوشروان. والسلام.



## المكايبة السابعة عشرة

### فى المحافظة على الرعايا ورعايتهم ودفع الظلم عنهم

لما كنا قد شرحنا فى الفصول السابقة أنواع الظلم والحدود والتجاوزات، تلك المعاملات التى كانت تُرل بالرعايا، ووصفنا المتاعب من كل صنف تلك المتاعب التى كانت تحمل بهم - تنجب الآل التكرار، وقياسًا على تلك الحكاية تبين أنه كان للتفاوت والمهملات أهمية كبيرة فى نظير الحكام وغيرهم على حين أن هذه الأهمية لم توجه للرعايا والواقع أن الأشواك المتقاة فى الطرق العامة لم تكن تجد ذلك الإعياء والتعب ما تجده الرعية.

أما سلطان الإسلام عازان حان خلد سلطانه فإنه بسبب كمال عدله، سر عور الأحوال، ههنا لتدارك هذا الخلل وبمصل يمس معدته، استراح الجميع على النحو الذى سبق ذكره. وما يخصه بالذكر فى هذا الفصل هو أن السلطان كلما شاهد نفسه، أو عرص عليه أن أحدًا من المقرئين أو الخدم قد ألحق بالرعية مشقة أو أذى، أو اعتصب شيئًا، أمر فى الحال بأن يستردوه منه بهريه بالعصى والمراوات؛ ليكون عبرة للعاملين. وعندما كان يركب باليمن للصيد، وبمصل الركب إلى إحدى القرى، يأمر أتباعه بأن يشتروا بالعملة الذهبية الخراف والدجاج، وكل ما يحتاجون إليه مما يستعمله الخاصة [ص ٤٧٨] وكذلك ما يلزم من القطعان أو من بيوت المعول، وذلك بأن يدفعوا دينارين أو ثلاثة لكل ما يساوى دينارًا واحدًا.

والقصود من ذلك أنه عندما يرى الآخرون هذا السلوك يلزمون حدودهم، ويتجنبون الجور والظلم، ويفتدون بتلك الطريقة المضمونة. وفى كل وقت يدعو للرأى الأعلى أن أحد الأمراء أو الخدم أطلق يد البطش فى إحدى الولايات، وبالحق فى استبداده، أمر بمؤاخذة الأمراء الصغار، وضربهم بالمراوة، وعتاب الكبار ووجههم. وذات يوم صرح بقوله: أما لا أحيى الرعية التاركة، وإذا كانت هناك مصلحة لأن أغير على الجميع، فليس هناك من هو أكثر منى على القيام بهذه المهمة. ولكن إذا توقعتم منى بعد ذلك ردًا أو طعمًا، أو التمستم هذا أو ذاك، سوف أغلظ لكم فى القول، وأخذكم بالشدة والصف، ويسمى أن تفكروا

جيداً أنكم لو أنقذتم على الرعية، وأكلتم لحوم أبقارهم، واستولتم على بلدورهم وغلالهم  
 فما عساكم تعملون بعد ذلك؟ كما أن عليكم أن تفكروا في أنكم إذا صرتم ساءهم  
 وأطفالهم وأديسورهم فإن عليكم أن تفكروا كيف أن ساءاً وأباءاً أعرء علياً وأن حال  
 فلدات أكبادهم تكون هي نفس حال أطفالاً، وهم أبهلاً أديسون مثلاً شاملاً، وقد فوص  
 الحق تعالى أمرهم إلياء، وسوف سأل عما يهيبهم من خير أو شر. فكيف يجيب، وعن  
 عندما يؤذهم تكون جميعاً شعي، ولي يعود علياً صرر نتيجة وجودهم. فما ادعاهي إذن  
 إلى إبدالهم وإلحاق الصرر بهم، وأية عظمة وشهامة تحصل لنا من وراء ذلك؟ ومادا بحس  
 غير الشؤم الذي سوف يقيم بنا نتيجة سوء عملنا، ولي سجع في أي عمل نقوم به. يجب  
 أن يظهر فرق واضح بين المطيع والعاصي من الرعية والعرق بين الخائض هو أن الرعايا  
 المطيعين هي أمان من الحاكـم، والعصاة صر آسـين. وإذن فكيف يجوز ألا يؤمن المطيعين  
 فيكونون ما هي عذاب ونصب؟ .. لا بد أن نستجاب دعوتهم بلعنا والدعاء بالسوء  
 لنا.

وعلي هذا يعني التفكير في هذه الأمور، وأنا دائماً أسدى إليكم هذه النصائح، وأسم  
 عنها عافلون. ولكن بواسطة أمثال هذه النصائح بقي واحد من ألف من تلك اللعاب التي  
 كانت تلحق بالرعايا قبل هذا. فلا غرو أن ازداد جمهورهم هي مختلف الممالك توحها  
 بالدعاء للدولة فليكن هذا الدعاء مقروئاً بالاستجابة بحق الحق وعمرته

## الحكاية الثامنة عشرة

### فى إبطال تسخير دواب البريد، ودفع أذى الرسل ومنع المتاعب التى ينزلونها بالخلق

ولو أن إبعاد الملوك الرسل والسعراء إلى الأطراف والحوادث يكون أمراً ضرورياً، ويمكن أن تقوم وتنظم بهم شئون الملكة، لكن المضاد أن يوفد الرسل لإبلاغ أخبار الأمم والسلامة، وإبصال التحف والهدايا، ومن أجل مهمات الثغور وشئون الجسد وأسرار الملك. ومن البدهى أن الحاجة كانت تدعو إلى إبعاد الرسل عدة مرات كل سنة لإنهاء تلك المصالح

وقبل هذا كان الأمر قد وصل بالتسريح إلى حد أن جميع الخوارج والأمراء الأتباع وقواد الجيش وأمره (الثومان والحرارة والصدمة)<sup>(١)</sup> وحكام الولايات والمشرعين على السلاح والبراة وسياس الخيل والمشرعين على الفخيرة، وذوى المصائب الأخرى الذين نُصّبوا للقيام بكل عمل، كانوا يوفدون رسلاً قليلين أو كثيرين إلى الولايات لتصرف كل مهمة. وقد حرت العادة أن أحد الناس يقدمون أسامهم إلى الخوارج والأمراء الأتباع والأمراء ليكونوا علماء ومعاونين فى التجارة. وكانوا يرضون بأجر ضئيل. وكان كل واحد منهم يوفد رسلاً لإيجار مهماته بطرق مشروعة وغير مشروعة. هذا على حين أن مشيروهم قد بلغت روحهم الترافى من شدة المتاعب والتسريح، فكانوا يلجأون مضطرين إلى حماية آخرين، ويرسلون رسلاً، ويجارونهم على سوء أعمالهم وهؤلاء ينورهم كانوا يوفدون رسلاً مرة أخرى. وبواسطة هؤلاء القوم كان الرسل يترددون على هؤلاء وهؤلاء. وكذلك يرسل حياتهم الرسل نية تام. وهناك أيضاً طائفة أخرى، كان إذا مات منهم شخص، واختلف ورثته مع بعضهم البعض، فإن كل واحد منهم طمعاً فى زيادة الميراث كان يحتسب بشخص قوى من ذوى النفوذ فيوفد هذا الرسل تباعاً الواحد تلو الآخر. وهكذا كانوا يشغلون طوال حياتهم بذلك الأمر، ويقتضى بهم أناس آخرون بحيث إن ذلك صار عادة وحرفة لجميع.

(١) المقصود شرق الكوكبة من عشرة آلاف (الفرمان) والألف (عزلة) والثلاثة (صدمة).

**[ص ٤٨٠]** وشة طائفة أخرى هم رؤساء القرى، كان كل منهم يبحث عن شخص يحتوى به. وبسبب خلافهم وتنازعهم على الرئاسة، كانوا يصحبون الرسل إلى الولايات. وهناك طائفة أخرى كانوا يأخذون الرسل بحجة أنه يمكن الحصول على النصف البادئة من الولاية العلانية. وبهذا كانوا يعقرون أصعاف أصعاف ما كانوا يحضرون كذلك كان المشرفون على شؤون الخواص، يرسلون بعض الرسل إلى الولايات بحجة إعداد الدخيرة والطعام، وتقديم الخدمات؛ بحيث كانت الدواوين هي المدن تحتفظ بهم وكان هذا شأن أمراء السلاح والاصطبلات والدواب وغيرها؛ حتى وصل الأمر إلى حد أن الرسل هي الطرق كانوا يربطون على أفراد القوافل وجميع المسافرين. ولو كان هؤلاء الرسل خمسة آلاف حصان في كل مرحلة لما كسبهم؛ فلا جرم أنهم كانوا يستولون على كل قطعان العول التي كانت ترعى في المصاهف والمشاقي ويسوقونها. وكانوا يربون جميع أفراد القافلة والمسافرين عن ظهور دوابهم عن يمينهم من جهات الخطأ والمهد والواحي الأخرى القريبة والسائية. كذلك كانوا يفعلون بالأمراء والحكام والملوك والكتاب والقضاة والسادات والأئمة ولرباب الحاجات الذين كانوا يترددون على المعسكر السلطاني، فينزلونهم عن ظهور دوابهم ويستولون على حيولهم، ويتركونهم على قارعة الطريق كما يتركون بعضاً منهم في الأماكن الموحشة

ولكنة ما كان الرسل يمارسون هذه الأعمال وصل الأمر إلى حد أن اللصوص كانوا يظهرون على هيئة الرسل، ويقفون على قارعة الطريق قائلين: "إنا رسل". ثم يستولون على حيولهم، وفجأة يقبضون عليهم ويغلبونهم ويهبطونهم. وكثيراً ما كان الرسل يستولون على حيول رملاتهم بحجة أن طريقهم أطول وقد أدى الأمر إلى أن كل من له أتباع كثيرون، ويتمتع بنمو رائد، كان يستحوذ على حصان الآخر

وحيث إن اللصوص قد اطلعوا على هذا الأمر، صاروا يقولون للرسل الموقدين الأقل منهم عدداً: "إنا رسل" ثم يترعون منهم حيولهم بالقوة ويهبطونهم. **[ص ٤٨١]** كذلك يستولون على ما معهم من مراسيم وأوامر<sup>(١)</sup>. وقد انتهى الأمر إلى حد أن أكثر النصوص

(١) انظر ترجمة الحكاية الثانية والمشرى.

استطاعوا بما استولوا عليه من الهبات والراسيم أن يوقعوا الخيول أثناء سيرها وكانوا يذهبون إلى معترك الطرق للسرقة، وذلك بالغيلة والمكر وبمجة أنهم موهدون لتبليغ الرسالة صاروا ينداهمون أفراد القبائل ويسلبون دوابهم وملابسهم وكان الرسل لا يكتفون بالخيول والعلف، بل يتدبرون بأنواع الخيل لا يترار ما يد ككل شخص مهما كان ثاقباً، ويبرلون بالناس شتى الشعب، ويسلبون أموالهم. لما سياس خيولهم فكانوا يأخذون ملابس الناس وعملاتهم، وكل ما يرويه في أيديهم ويتمسكون الاستيلاء على المريد من الخيول، ثم يبيعونها، ويمسكون كل ما يملونه في القرى وإذا مروا ذات يوم في الطريق بعشر من القرى أو عشرة اصطبلات فإنهم يطالبون بالثروة من تلك اللواصع عشرة أصناف ما يجزه الشرع والقانون. ولما كان ما يستولون عليه يريد على ما يلزم لطعامهم، كانوا يبيعون العائض. وكان اهتمامهم دائماً مصوراً إلى التعامل ببيع العلف، بحيث إن تجار الخطأ والمحد لم يعملوا مثل هذا في ذهابهم وإلياهم.

وبالكشف عن هذه الأمور تصح هذه الحقائق التي تدعو إلى التساؤل: كم العا من الرسل كانوا يروحون ويبيعون كل سنة، وكم من الخيول وأطيان المؤن قد استولوا عليها بغير حق، وكم من الخلق صربوهم وعلقوهم وأتروا بهم التعب والألم؟ ولما كانت الرعية طوع أمهرم صاروا يحققون مطالبهم من المؤن، ويلبون رعايتهم الأخرى، ويقومون ليلاً بحراسة دوابهم وأمتعتهم. وعلى هذا فإن المرء ليعجب كيف يمكن أن يتصور أن هذا القدر من الرعاية يتوقف عليه قوت الناس يكون كانوا وميسراً اللهم إلا بالبركة التي تكرّم بها الحق تعالى على عباده؛ فلم يحرمهم من الرزق.

ومن بين حيل الرسل أيضاً أنهم كانوا يسرون متفرقين على غير هدى وعلى غير أساس، وأنهم حشوا حلوك كانوا يقولون: إنا أبناء أو إخوة الأمير العاتى الذى يذهب لأداء مهمة دقيقة خطيرة. وكان موظفو البريد والحكام والرؤساء والرعايا يعرفون أن كل ذلك كذب محض لا طائل وراءه. [ص ٤٨٢] وإذا تصادف أن رسولاً عظيم الشأن كان يذهب لأداء عمل هام، فإنه قياساً على الآخرين، لم يكن له وقع يذكر في نظر الناس، كما لم يكن له اعتبار في قلوبهم. ولهذا الأسباب لم يمن احترام قط للرسل. وكانوا هم أسوأ الخلق في نظر الرعايا. وحيث إنه بسبب هذا ليس لم يكن قد بقي قط وقع في

النوم للرسل الحقيقيين، ولم يكن أحد يعبأ بهم، ولم تعد لهم حيول للبريد، أو أنهم كانت تقدم لهم هزيلة عجماء. وكان المسافرون وسكان الصحراء قد صاروا غافلين زرعين فاجتازوا الطرق على غير هدى، واناموا سارطهم بين الجبال.

ولهذا الأسباب فإنه عندما يقوم رسول بأداء مهمة دنيئة تخص مصالح الدولة، لا يستطيع الوصول إلى الجهة المقصودة إلا بعد عوات الوقت يومين أو ثلاثة. ولا بد أن نشأ أضرار عن ذلك. ودائماً ما يجب مؤاحدة سعاة البريد بسبب ما يصيب الخيول من هزال ورغم أنهم كانوا يربطون خمسمائة حصان في كل محطة للبريد، لم يكن يوجد أثنان منها يصلحان لركوب الرسل. وعصلاً عن ذلك فإنهم كانوا يأخذون العديد من التومندات من كل مدينة لسد معقات البريد ومتطلبات الرسل. ولهذا السبب فإن حكام الولايات كانوا يأخذون من الرعايا مبالغ أخرى من الأموال، يعفون بعضها، ويسلبون بعضها كذلك فإن حصيلة الدفعة التي كانت أوفر الأموال في البلاد، وهي كلى الولايات، كانوا دائماً يحصونها لسد معقات الرسل، ولم تكن تكفي لتفلاتهم وكان الحكام يكتبون حوالات بعقات المؤن تصرف من أموال الدفعة ثم يهربون. ولما لم تكن حصيلة الدفعة كافية لسداد قيمة الحوالات، كان متعهد الدفعة يخصي أيضاً. كذلك كان الخصام يقع بين الرسل فتكون العاقبة أن من كانت له العلة يستولى على الأموال. ولما كانت هذه العلة تستلزم كثرة الأتباع، كان الرسل يسعون في أن يجتمع حولهم أتباع كثيرون، يختارونهم من أئامهم وأصفائهم وفي الطريق كانوا يستولون على كل ما في أيدي الناس من أسلاف. وكان الرعايا والسفلة يتجهونهم. وقد أدى الأمر إلى أن الرسول الذي يعرفه لذلك والأمراء الكبار كان يصطحب معه في أقل مهمة كلف بها مائتين أو ثلاثمائة فارس، وبعض الرسل الذين كانوا أكثر ثراءً وظهره، [ص ٤٨٣] كان يذهب معهم حتى خمسمائة فارس بل ألف فارس. وقد يتصادف أن يصعوا ما يقرب من مائتي كرسى في الدبوا بإحدى المدن لجلوس الرسل وكان الحكام يقولون: "إننا نقدم في الجلوس هنا كل من نكون مهمته أكثر ضرورة". ولهذا السبب صار الرسل يترفع بعضهم بعضاً، فمن كانت له العلة يجد الحكام - اعتماداً على حمايته - الخلاص من أدى الآخرين. وعلى هذا يمهلون قليلاً، ومهجرون له مهمته. على حين أنهم يمهلون سواء. وهكذا صار الحكام يمشون وقتهم، وفي نهاية

النية، كان جميع هؤلاء الرسل يعودون بمعى حتى دون أن يحجزوا أعمالهم. هذا على حدى  
أنهم يعفون عقبات باهظة. وفى الواقع فإن أنواع الخلل والصرور التى كانت تقع بسبب  
هؤلاء الرسل تفوق الخلد الذى لا يمكن شرحه.

ولكسأل معذلة سلطان الإسلام عند سلطانه أوجب على منعه ضرورة تدارك تلك  
العيوب، فقال فى هذا الشأن: إن أمرك استعمل ضرره بالتدريج حتى وصل إلى هذا الحد  
واعتاده الناس جميعاً، لا يمكن انقضاء عليه دفعة واحدة، وإما علاجه يتيسر عن طريق  
التأني. ثم بدأ بالعمل فى تدارك هذا الخلل. وفى العام الأول قال: ينبغي أن تخصص لنا محطة  
واحدة للبريد، يقصدها الرسل مسرعين لتصرف عظام الأمور، والقيام بمهمات الثغور ولا  
يمنطى أى شخص آخر جواد البريد حتى يتميز هؤلاء الرسل على الآخرين، ويهتدوا إلى  
مقصودهم سريعاً. ثم أصدر مرسوماً يقضى بإنشاء محطة للبريد فى الطرق الهامة. وعلى بعد  
ثلاثة فراسخ يربط فيها خمسة عشر حصاناً سميماً سليماً، ويقطع هذا العدد فى بعض المواضع  
التي لا تدعو الحاجة إلى ذلك. كذلك أمر بالآل يعطى أحد حصاناً ما لم يكن هناك تصريح  
عليه تأشير بالخط المبارك. وعُتِم بالختم الذهبي الخاص. ثم عهد بكل محطة للبريد إلى أمير  
كبير يشرف عليها وترك للأمراء التصرف فى الإتيان على مختلف المصالح فى تلك الولايات  
للعية، بحيث تزيد هذه العفقات عما تدعو إليه الحاجة؛ وذلك حتى لا تبقى هناك حاجة  
لأحد. وقال فى هذا الصدد: إنى أعطيتكم زيادة عن المطلوب من العفقات حتى لا يقع  
تقصير. فابعثوا هذه الزيادة لتصرف مصالحكم الخاصة، وحتى لا تصدر كل يوم وشاية  
مؤداها أن العفقات كانت كثيرة عما تدعو إليه الحاجة، وهذا يؤدي إلى اختلال العمل، أو  
أن يقال: كان ينبغي أن يوكل هذا العمل إلى شخص آخر. [ص ٤٨٤] فاختل بهذا نظام  
البريد. وبما أنكم أمراء كبار، فإنه لا مانع من زيادة العفقات لكم. ويجب عليكم أنتم أيضاً  
أن تنظموا المهام التي نسد إليكم ولما كان من الضروري أن يرسل أمراء الثغور إلى محطة  
البريد بيئات عن أحوال الرسل كان على الأمير أن يعطى كل رسول عدة رسائل، وعليها  
التأشير بالمهودة، وعُتِم بالختم الذهبي. ثم يعطى بعض الرسل جوازين وبعضهم ثلاثة أو  
أربعة جياد. ويتحصى على رجال البريد أن يعرفوا أنه لا ينبغي أن يعطى الرسول حصاناً ما لم  
تكن التأشير مكتوبة على الرسالة التي يحملها. ثم قال: إن العرض من إبعاد الرسول العذاه  
هو أن يصل بسرعة لإبحار المهمة المكلف بها. وإذا كان أمراً لأحد الأمراء، فإنه لا يحصل  
على أكثر من أربعة جياد. وصرح السلطان أيضاً بقوله: إنه إذا كانت المهمة نستلزم

الإسراع إلى أقصى حد، فإنه يجب تخoyer رسالة مختومة، ثم ترسل على يد رجال البريد الموجودين في محطة البريد كي يعلوا السر، ويكتب في أعلى الرسالة عبارة: "من المكان العلاني إلى المكان العلاني" كذلك أعطى كل أمير من أمراء النعمور الدفعة الخاصة بالمرسان كي يصعها على تلك الرسالة. ورجال البريد السائرون في الطريق يعرفون أن هذه الرسالة قد أرسلت من قبل المحصرة. وحيث إنه توجد محطة البريد على بعد ثلاثة فراسخ، فإن سعاة البريد العدائين يقطعون عدوك في اليوم بأكمله ليل نهار سني فرسخاً، فتصل الأخبار مراراً من خراسان إلى تبريز في أربعة أيام. أما في السابق، فكان إذا قدم رسول، فإنه لا يستطيع الوصول قبل ستة أيام. كذلك حصص السلطان شخص من السعاة في كل محطة للبريد حتى إذا طرأت مهمات في الولايات، فإن عليهما أن يصعاً طابع دعة البريد على الرسائل ثم يختم، ويكتبان عبارة تفيد أن الرسالة أرسلت من الموضع العلاني إلى الموضع العلاني. وقد أثبتت التجربة أن السعاة يعلون في اليوم بأكمله ليلاً ونهاراً من موضع إلى آخر ثلاثي فرسخاً وبهذا يبلغ كل حمر في رص قصر ثم قال السلطان بعد مدة إن خراسا وملازمي حصرتها يلازموا ليلاً ونهاراً في الحر والبرد، أثناء الصيد والحرب، ويسمرون بحيلهم ومؤمهم فلماذا لا يركب الأشخاص الذين يكلفون بأداء أعمال لدولة، ولا يحصلون على المؤن؟! وإذا ما حلوا بالولاية فإن عليهم أن يقدموا الكشف بالمقات وحيث إن هذا يكون أمراً معقلاً، أعدت أحكام للرسوم الصادرة في هذا الشأن، ومضت مدة على تطبيق هذا النظام، وألغيت محطات البريد الأخرى الساع عددها عشرة آلاف وبذلك عادت إلى الخزانة، [ص ٤٨٥] الأموال التي كانت تنفق سلعاً، ولما لم تكن هناك خيول مخصصة للرسل الذين يوفدهم السلطان، فإن علياً أن تصور. كيف يمكن للآخرين أن يأخذوا خيولاً؟! ولقد صدر فرمان السلطان أبشاً، ويقصى بالآ يرسل أي مخلوق رسولاً إلا أن يكون من قبل السلطان. ولهذا السبب صار إيمان الرسل من قبل الآخرين أمراً مرغوباً كذلك صدر أمر يهي على أنه إذا أوفد شخص رسولاً - لمصلحته الخاصة - إلى إحدى الولايات أو الأماكن الأخرى، فإنه لا يعطى علماً وعلى الحكام أن يحتفلوا ذلك الشخص ويقيدوه ويحموه؛ فترك هذا العمل الأشخاص الذين كانوا يستعدون الرسل لإنجاز مصالحهم.

بعد ذلك صرح السلطان قائلاً: إن الرسل الذين يذهبون إلى الولايات بعضهم مقات السفر من الخزانة دعائياً وإبائاً، حتى لا يأخذوا شيئاً من أحد في أي موضع. وعندما يصلون



إلى المكان المحدد، يتناولون الطعام في المبنى المعين. وكل رسول أوفد إلى إحدى الولايات يعطي نفقات السفر نفقاً من الخزانة. وقد دأب هذا الأمر واشتهر في كل الولايات والأماكن. وإذا كان الرسل الذين يوفدون بأمر السلطان غلب ملكه لا يملكون نفقات السفر فكيف كان الناس يطولون عمرهم؟! ولقد السبب التيبت خلال هذين العامين نفقات علف الخيل وموتنة الرسل من المالد والقرى والحفظان، بل إنه لم يعد أى مخلوق يرى رسولاً في البلاد؛ ذلك أن الرسل الذين يمدون السير بسرعة عاقبة ليلاً ونهاراً يكونون مشغولين بقطع المسافات، وليس لديهم فراغ لتناول القليل من الطعام. وبلا شك يسير من تلك الولايات ثلاثون رسولاً تقريباً. وحيث أنه ليست هناك أوامر بأن يأخذوا رزاقاً في الطريق لا يبرهم أحد عن المسافرين الآخرين.

يمثل هذا العدل الشامل، يكون كافة المخلوق في راحة. فالمعول والبدو يكونون هارغي البال في مواضعهم، ويصير التجار مطمئنين، وتكون البصائع الصادرة والواردة آمنة في الطرق، ويدعو جميع الرجال مع نسايتهم وأطفالهم من أعماق قلوبهم وأرواحهم بنوام إقبال السلطان فليستجيب الله هذا الدعاء وأمر السلطان أيضاً بأنه في حالة الضرورة وإذا لزم الأمر أن تعطى جماعة عنداً من الجياد أو الحمير [ص ٤٨٦] كى يتقلوا من ولاية إلى أخرى، فإنه يدفع لهم شها كى يصير ملكاً لهم. ومن المقتطوع به أن اسم حيل البريد لم يكن وارداً من قبل. وقبل هذا كان الصيادون ومنتعنهو الممر والأسود يحصبون الحيوانات وللعهود من الولايات بواسطة حيل البريد، فأمر بأن يدفع لهم شها هذه الحيوانات، وكذلك نفقات الذهاب والإياب، حتى لا يأخذوا في الطريق شيئاً مطلقاً، وتصير الدابة التي كانت قد بقيت بعد الوصول ملكاً لهم.

بهذه الأنظمة عمرت البلاد ووجدت من جديد الرفاهية والطعام. والأموال التي كانت تنفق على دور البريد، والنفقات المحصنة للرسل كانوا يأخذونها إما بالريادة وإما تنول إلى الخزانة. وما كان يصعب على الرعايا بتلك الخيل يبقى لدى رؤسائهم. فليوصل الله تعالى بركات هذه المعلقة إلى أيامه المباركة بسنة وجوده وخمسة لطفه وكرمه.

## المكايمة التاسعة عشرة

### فى القضاء على اللصوص وقطاع الطرق

#### والحفاظة على الطرق منهم

لا يعمى على أهل العالم إلى أى أحد بلغ قبل هذا تناول قطاع الطرق واعتداء اللصوص على الناس ورغم أن أحاسهم كانت كثيرة لا تخصى من قبل الممول والتأزيك والمتردى والكرد واللور والشول والسورس، فإنه كان يصم إليهم ألبسًا العلمان الماريون من سادتهم. ويدخل فى دمرتهم كذلك بعض القرويين وسكان الأطراف. وكانوا يذعنون بأنهم مرشدون وكان لهم جواسيس يهون إليهم أخبار كل طبقات الناس. وإذا ما وقع فى مأرقى فى وقت من الأوقات حيث ظلوا يهددون الطرق مدة طويلة ومالوا شهرة فى هذا العمل، فإن طائفة من الناس تسرع لحمايتهم فائلى عن كل واحد منهم كيف يمكن إعدام مثل هذا البطل؟ يسعى الإبقاء عليه ورعايته. ولهذا السبب صار اللصوص الآخرون يرددون وقاحة وجرأة ورغم أن القانون السابق كان يقضى بأن يتحد جميع أفراد القومائل والرسل وعابري الطرق فى مواجهة اللصوص عندما يظهرون ويقاومونهم، فى خلال تلك الحقبة لا تعاون تلك الأقوام بعضها البعض عندما يهدد اللصوص الطرق [ص ٤٨٧] وأكثر من هذا فإن اللصوص كانوا يعرفون أحوال تلك الجماعة بالتفصيل، فيجاءرون بقومهم. ليس لنا شأن هؤلاء الذين لا يملكون شيئًا أو يملكون القليل؛ فكان أفراد تلك الجماعة ينصلون عن بقية الطوائف، ويتحون جانبًا، فينتهر اللصوص الفرصة ويهاجمون الآخرين ويقتلونهم. وكان اللصوص إذا سطوا على بعض المواضع، وسهوا مجموعة من الخيول أو قرية أو مدينة، فإن سكان تلك النواحي لا يتحدون بل يلتزمون الحياد؛ رغم أنهم قريون بعضهم من بعض، ومن الممكن مقاومة هؤلاء اللصوص. وقد انتهى الأمر بأن صار لصوص أعوان وشركاء بين كل قوم من سكان البوادي والقرى. وكان هناك أناس كثير من مظلومون على أحوال اللصوص، غير أنهم كانوا يخفون الحقيقة. وأحيانًا إذا انكشف أمر هؤلاء اللصوص فإن الناس لا يحرصون على الحصرة ما حدث فى الوقت المناسب ويمدد الرؤساء وبعض عند القرى الذين كانوا مقربين إليهم وأصدقاء لهم، يحصل هؤلاء

اللمصوص على كل ما يلزمهم من نفقات. وكثيرا ما كانوا يذهبون إلى منازل تلك الجماعة ويرلون ضيوفا عندهم كما كانوا يلحأون إليهم عند الخوف والعرع. كذلك كان لهم أشخاص مقربون إليهم في المدن ويعون بصالتهم للناس. وكانوا يعاشرهم أوقاتا قد تمتد شهرا أو شهرين، وينقسمون الأموال المسروقة فيما بينهم وقد بلغ اعتداه اللصوص إلى حد أنهم كانوا يسفلون حجارة أثناء الليل على مرل أحد الأمراء ويعيرون عليه. وكان رجال الأمن وحراس الطرق لا يفلون عن اللصوص ظلما؛ إذ كانوا يستولون عى كل ما يربون من المسافرين وكانوا يصعون القوافل من السر بحجة أن بين أفرادها لصوصا وأوغادا ف يعرف اللصوص ذلك، ويميرون إليهم، ولا يتعقبهم الحراس مطلقا. وفي الحقيقة لم يفلن الراتحون والعادون من اللصوص بقدر قلقهم من رجال الأمن وحراس الطرق؛ ذلك أن صرر اللصوص يقع أحيانا ومصادفة لكن هؤلاء الصحابا كانوا يقومون قربة في يد القائلين على الأمن والحراسة في موضعين في كل مرحلة [ص ٤٨٨] وما أكثر القوافل التي كانت تختار السر في الطرق المجهولة والناية إلى أقصى حد، والمليئة بالأهوال والمشقات كي تتخلص من رجال الأمن وحراس الطرق

إزاء هذه الأوضاع رأى سلطان الإسلام غلذ سلطانه أن من الواجب عليه تدارك هذه الأمور، فقرر أولا أن كل مخلوق يعصل عن رفاهه وقت هجوم اللصوص، ولا يتعاون مع الآخرين في العمل على مقاومتهم يكون مدنيا، وتقع عليه إزقة دماء رفاهه وإرهاق كرواحهم.

وأصدر قرارا ثانيا يتلخص في أن كل موضع من المرباط والقرى يتعرض لسطو اللصوص تقع مسئولية انقضاء أثرهم والظور عليهم على عاتق من يكون أقرب إلى المكان الذي تعرض للسرقة خصوصا إذا أحيروا بهجوم هؤلاء اللصوص؛ فإنه يكون لراما عليهم أن يتعقبهم فرسانا ورجالا سواء آكان الوقت ليلا أم نهارا حتى يثروا عليهم.

كذلك أصدر قرارا ثالثا مؤداه أن كل مخلوق من الممول والرعابا المسلمين يكون قد تراطا مع اللصوص في المرباط والقرى والمدن، وثبت عليه ذلك بقتل فورا دون محابة.

وقد عهد السلطان غارا حان بمهمة تنفيذ هذه الإجراءات إلى الأمير أيتقول أحد المقربين إلى الحضرة، والمشهور بصراحتة وراعتة وهو لا يخفى أحنا على الإطلاق، فقبض

على كثير من طائفة اللصوص وأعدتهم جميعاً، وقد بعضهم بصعين، وجعل الشخص الذي كان يشي بهؤلاء اللصوص "طرخانة"، وأصدر أمراً بأن يكون شعله الشاعل التحري واستقصاء أخبار هذه الطائفة. ولما كان السلطان قد استحسن إقدام الأمير أيتقول على قتل هؤلاء اللصوص، منحه كل أموالهم ودوابهم، وأمر بإعدام كل مخلوق يسرق ولو بقدر دائق واحد.

بهذه الإجراءات ظهر الخوف والرعب في البلاد، بحيث إنه لم يجرؤ - بعد ذلك - أي عنوق على التوسط مع اللصوص. ولما عرف هؤلاء أنه لن يتيسر لهم معين، ولن تنهبا لهم الوسائل والمقام، قتلوا سركاتهم وساد الأمر إلى حد كبير. [ص ٤٨٩].

بعد ذلك قرر أن يرايط حراس الطرق في كل البلاد، وفي كل موضع يكون مخوفاً موحشاً، وأن يؤخذ نصف درهم من القافلة عن كل أربعة من الحمير المحملة، وعن كل جملين نصف درهم أيضاً، وذلك باسم الصرية وقطعاً لا يؤخذ أكثر من هذا أما الغواب غير المحملة، وما يهمل من المأكولات والعلال، لا يطلب عنها شيء قط. وإذا حدث سطر فإنه على كل حارس للطريق يكون أقرب من مكان الواقعة أن يقبض على النص، وإلا فعليه أن يسدد من ماله الخاص قيمة الشيء المسروق. وبموجب هذا أخذت منهم جميعاً بقرارات خطية.

وقد عهد بالإشراف على جميع حراس الطرق إلى الأمير بورالمى وهو ابن الأمير جتقور الذى كان أميراً كبيراً لشرك في عهد أرغون خان. وأمر السلطان بأن يعهد الأمير بورالمى إلى شخص موثوق به لحراسة كل طريق والباحث على ذلك هو اتخاذ الحيطه والحذر حتى لا يتوقف الحراس في المواضع الآمنة، ويرابطوا في الأماكن السهلة، ويتركوا المواضع المخوفة المصحفة بالأخطار معطلة، ولا يرايطوا أيضاً في المواضع مدة تزيد على الضرورة.

وأمر كذلك باتخاذ الحيطه والحذر، وذلك بإقامة أعمدة من الحجارة والجص في المواضع الضرورية. ثم يوضع على كل عمود لوح مثبت تثبتاً محكماً، ويسجل عليه عند الحراس المكلفين بحراسة ذلك الموضع، وشروط القانون المخصص في هذا الشأن وذلك حتى لا يتجاوز الحراس تلك المواضع، والمسدد المعين للحراسة، ولا يتفاوضوا ما يزيد على الرسوم المقررة. ويطلق على هذا اللوح اسم "لوح العدل". وأمره وأصبح وظاهر.

وقبل هذا كان كل مخلوق يدعى أنه من رجال الريد، ويرابط في معترق الطرق. وكان يأخذ الإتاوات بعلة السماح بالمرور أما الآن في هذا الزمان، فلأنه قد كتب صراحة على اللوح أن كل مخلوق يرابط خارج هذه الموضع المخصصة يعتبر لصاً، لم يستطع أى شخص من الملوك والباريكن أن يرابط في مكان آخر [ص ٤٩٠] وخلال هذين العامين عندما أصدر السلطان هذا القانون، هاجم اللصوص طرقاً قليلة في البلاد وإذا اتفق أحدها وحدث سطو فإن اللصوص يساقون ومعهم الأموال التي اختصوها وقتلوا، وعلى هدى هذه الإجراءات، انتهج جميع أقوام الترك هذا الأسلوب، هم الأمان، واستتب الأمن في الطرق.

كذلك أصدر السلطان قراراً آخر يقضى بأن أفراد كل قافلة وكذلك المسافرين الذين يزلون في الطرق الكبيرة بالقرب من إحدى القرى أو في دار الريد عليهم أن يسألوا أكثر أشراف القوم الموجودين في هذه المناطق، "هل يوجد لصوص أو لا؟" فإذا أجابوا: نعم يوجد، فإن على هؤلاء المسافرين أن يزلوا في دار الريد أو في القرية. ويجب على المستوفى ألا يسعواهم من الزول هناك. أما إذا قالوا: لا يوجد لصوص، وهم يزلون في الصحراء وتصادف أن ظهر لصوص وسلبوا شيئاً، فإن المسئولية تقع على عاتق هؤلاء القوم لكن هذا الحكم لم يمد في أطراف البلد، لأنه يتعذر تنفيذ ذلك هناك.

وحيث إن الطرق نظمت على هذا النحو، وزود الأمير بورالعى بأسماء حراس الطرق ورؤسائهم بالتعصيل، فبلغ عددهم ما يقرب من عشرة آلاف شخص، بحيث إنهم صاروا يكونون جيشاً معاً إعداداً تاماً، وجود هذا الجيش يقومون بهذه المهمة خير قيام كذلك صدر أمر بالاحتفاظ بهم على آخر، وعليهم أن يحافظوا على حياة جمهور المسافرين وأموالهم وذلك على نحو يتيح لهم أن يروحوا ويقيموا في أماكن وأطمئنان. وهم فارغوا البال مطمئنين الحاضر، يدعون لسلطان الإسلام بإخلاص تام

فليكن دعؤهم مقروناً بالاستجابة من الله ولعله المقيم.

## الحكاية العشرون

### فى تخليص عيار الذهب والفضة من الشوائب بصورة لم يسبق لها مثيل مطلقاً وليس من الممكن أن يوجد أفضل منها

لا يهمنى أن السكة لكل الممالك مد قديم الأيام حتى الوقت الحاضر لم تكن فى أى عهد قد ضربت كلها باسم ملك واحد كان يسيطر على كل العالم؛ وخصوصاً فى العهود التى كانت هذه الممالك فى يد عدة ملوك وسلاطين. وكان عيار الذهب والفضة مختلفاً دائماً فى هذه المواضع وقد أرادوا ألصاقاً فى عدة ممالك أن يصبطوا المسائل الخاصة بالعملة وذلك بأن يجعلوا العيار فيها متساوياً ولكن هذه المحاولات لم تتحقق برغم الأحكام الصادرة بشأنها، ولم يستطيعوا صيغتها. [ص ٤٩١].

وليس هناك شك فى أن أحد نوابس الملوك أن تكون الخطيئة والسكة باسمهم. وحتى هنا الوقت كانت السكة تصرب فى بلاد الروم وفارس وكرمان وجورجيا وماردين بأسماء الملوك والسلاطين هناك وبعبارات مختلفة. وفى عدة مواضع فى عهد أرغون خان وكنجخاتو خان صدر مرسوم يقضى بأن تصرب هناك سكة الفضة ذات عشرة عبارات بتسعة عبارات وكان هذا من الناحية الاسمية فقط؛ إذا الواقع أن العشرة عبارات لم ترد عن سبعة عبارات أو ثمانية. والعملة الرومية التى كانت أحسن بالنسبة إلى غيرها من المواضع الأخرى وصلت إلى حد أن عيار الفضة فيها لم يرد عن دينارين فى كل عشرة دنانير. وكانت البقية كلها نحاساً. وكان رسل الممول يدفعون مرات عديدة مع الكتاب التنازىك إلى الولايات المختلفة لفحص العيار بناء على حكم المرسوم. وكانت تصرف نفقات طائلة فى هذا السبيل. وهم يؤذون واجبهام اسماً فقط دون أن يملقوا أى جرم ولم يستحووا من أن يسكوا مثل هذه العملة التى تبدو نحاساً دقة واحدة دون أن يظهر فيها أثر من ريادة تذكر من الفضة. ولأنها كانت ترسل بالعدد كانوا يقتطعون من العملة المفضية حواشيها ولما كان العيار فى الولايات مختلفاً كان التجار يتاجرون فى الأقمشة الحريرية على سبيل الضرورة.

وكان يشترون الذهب والفضة من أى بلد يذهبون إليه حيث كان العيار فى الموضع الذى يقصده، لأن العائلة من ذلك تكون لهم أريد. ولهذا السبب لم تكن الأعمشة الخيرية موجودة فى أغلب المواضع. وقد أدى الأمر إلى حد أنهم كانوا يشترون النقود بأقل من قيمتها الحقيقية، وإلا ما كانوا يأخذون شيئا. وكل من أراد أن يأخذ معه مائة دينار لينفقها فى بلد آخر كان يخسر من هذا المبلغ ما يريد على عشرة دنائير. وكثيرا ما كانت الخسارة تصل إلى عشرين دينارا. وليس هناك عرامة أمدح من أن يخسر غير التجار من المال - الذى يملأ بحاجاتهم الضرورية - كل شهرين أو ثلاثة أشهر عشرة أو اثني عشر دينارا ومع هذا كانوا مضطرين إلى عمل مشقات كثيرة حتى يستوفوا تلك النقود منهم لا سيما فى القرى ومنازل البدو وسكان الصحراء الذين لا يعرفون العيارات، ويترددون فى أخذها عاجزين عن إدراك ما هو أفضل لهم.

وعائلة وجود الذهب والفضة إنما تتمثل فى أن حاجات الناس تقضى بواسطةهما وسرعان ما يحصلون على الأشياء التى يريدونها وعفوا يصير حال الذهب والفضة على هذا النحو [ص ٤٩٢] تروح الأموال وتظهر الثعالب، ولا يقبل أحد هذه العملة وقت الصرف، فيكون ذلك خلافا لموضع العالم وطبيعته.

فكر سلطان الإسلام خلد الله ملكه فى أن يتدارك هذا الخلل وذلك على الوجه الآتى:

أولا صرب السكة وفق طبيعته، ووضع عليها علامة لا يتيسر لكل شخص تقليدها وأمر بأن تصرب السكة فى كل البلاد من الذهب والفضة كى يفتش عليها اسم الله واسم الرسول واسمه هو أيضا. وفى جورجيا<sup>(١)</sup> كذلك لم تكن السكة هناك تحمل على الإطلاق

(١) أصبحت إمارة جورجيا للمسلمين من إيران، وكانت تدفع لهم المزارع نقدا أو عبا، وتعمل جملتها لقيى نلس السياسة التى اتبناها للمول وكان على الكرج أن يمدوا للمول بحد من جودهم فى زمن الحرب وقد اعترف للمول الجيش القادم من جورجيا جيشا مثاليا وكنا كما أن للمول تظهروا ميلا وولنا بالكرج بسبب مهارتهم العسكرية ولكرهم انهم اعترفوا الطيبين للحدود القوقازية وفى مقابل ذلك منح لهم الدولة بفسط وقدر من الاستقلال فى الشؤون الداخلية والقائية، وكان باستطاعتهم أيضا البت فى شؤونهم العسكرية دون تدخل للمول ( انظر كتاب العالم الاسلامي في العصر العثماني، تأليف برونك جيولر، نقله الى العربية خالد اسعد عيسى، راجعه وقدم له سهيل ركز، والطبعة الأولى / ص ٦٨-٦٩، دمشق ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ٤

اسم الله واسم الرسول، فسكت غاران على سبيل الضرورة على النحو المقرر عند التجرج (المرج)، إذ لم يكن يروج عندهم غير تلك العملة وكان نظام التعامل قبل ذلك يسير وفق ما تعارفوا عليه إلى أن دعت الضرورة إلى أن تصرف هناك أيضا هذه السكة المعمول بها في إيران؛ وإلا فإن فتنهم ما كان يتداول في أي موضع آخر. هذا على الرغم من أن السكان هناك كانوا عصاة متمردين. وهكذا تقرر ضرب السكة من الذهب والفضة وتداولها في كل البلاد على النحو المذكور.

ثانياً فيما يتعلق بتفريغ المزار، قال، إما لو سحنا بإنفاص شيء قليل من عيار الذهب الشرعي المتداول كالنقد الخليص والمصري والمغربي، لأنقصوا كثيراً من العيار بمجرد الترخيص، وباحيل والنيليس يظهر أن ذلك العيار يشكل آخر ولم يكن معتشوا على علم بذلك، أو أنهم يتقاضون رشوى يهملون الأوامر.

وإذن فالمصلحة تقتضي أن تصرف النقود بصورة مطلقة من الذهب الخالص؛ بحيث يمكن سكه بالورق وإما الفضة خالصة فيمكن تخليلها بالزئبق، حتى إذا دخلها تخليط ولو بقيد شعرة فإنه يمكن إظهاره ومعرفة إما من اللون، وإما من <sup>(١)</sup>، وإما من العوامة وإذا صهرت بالنار فإن التخليط يظهر في الحال، ويسهل على كل شخص معرفة قيمتها. وحيث إن السلطان أراد أن يكون العيار في كل البلاد على هذا النمط، وكانت مواضع التصاوت كثيرة في العيارات أمر قائلا: "إذا بعد هذا الفراء حجة فإن كافة الخلق سوف يلحقهم الضرر، ويصجون بالشكوى" فالأولى إذن أن يسك كل درهم بأربعة دنانير من غير أن تكون هناك مصلحة من وراء ذلك، ولو بنصف أو ربع داني [ص ٤٩٣] ولم يكن هناك سكة يصرفونها في هذا الرمن بنصف مثقال بما كان يساوي نصف الداني خالصا، ونصفه الآخر مرهما. أما الآن يساوي نصف مثقال فضة خالصة. وحيث إن قيمة الذهب والفضة تكون بمقدار عيارهما فإن كل شخص يملك نصف نصف داني أي (ربع داني) خالصة والنصف الآخر مرهما، ثم يصرفه بدرهم واحد، أو يجعله خالصا في نصف مثقال، يصرفه بذلك الدرهم الواحد. وبالتفريق تبين أنه قريب من القيمة المحددة، ولا يحدث ضرر كبير ومن هنا أخذ الناس يستبدلون راصين كل ثلاثة مثاقيل فضة خالصة مسكوكة بثلاثة مثاقيل

(١) هكذا في الفن



ومصنف متفال من العصة التي كانت في أيديهم. وكان السلطان يستفسر عن قيمة الذهب المتداول ويأمر بسكه وتثمينه على نحو مرضي؛ بحيث لا يحدث تفاوت قط. وأما الذهب المرموز الذي لا يستطيع أحد تغييره عن المريف المطلق بالذهب، وكذلك أنواع الذهب الأخرى القليلة العيار، والأقل قيمة، فإنه أمر بأن يسهر بسعر أرخص ومقصوده من ذلك أن الصيارمة عندما يدركون أن هي صهر الذهب ربما لم يشتروه كله، ويصيرونه ذهبا خالصا. ومتى عرفوا تلك المائدة فإنه خلال عام واحد لم يعد أحد يهرى في البلاد متقالا واحدا من الذهب القليل العيار.

ولما كان الذهب الأحمر (الإريتر) الخالص يوجد نادرا في الأسواق فيها مضى فإنه إذا توافر منه قدر محدود فإنه مائة مشتر كانوا يظهرون لشراؤه. وكان المشهور أن الثياب والأقمشة المنسوجة وما شابهها تلك التي كانت توشى بالذهب، وتستهلك كثيرا من الحيوط الذهبية متوافرة في عصر الملوك. كما أنها من الضائع التي تروح في اليد وتخلص إلى هناك. ولهذا قل الذهب في ذلك الوقت. لما الآن فإن الذهب الأحمر يتداول بكثرة في الأسواق بيد كل قروي، ولا نهاية له، وبه تسجر كل المعاملات. وعلى هذا لم يبق في البلاد من الذهب والفضة غير للضروريين بهذه السكة.

ثالثا: بالإضافة إلى ذلك صدر قرار يقضي بأنه إذا عثر على ذهب وقصة مريف في يد أحد الأشخاص فإنه يحتر مجرما. وجريا على العادة القديمة لا يقولون: دلنا على ذلك الشخص الذي أعطاك هذا الذهب؛ إذ إنه في ذلك الزمان كانت أنواع [ ص ٤٩٤ ] الذهب المريف موجودة. أما في هذا الزمان (أي في عهد غازان) فالأمر يقتضي ألا يتعامل أي مخلوق بغير الذهب والفضة. ومن لا يعرف الذهب يعرضه على شخص آخر كي يتناط نفسه. وحيث إن الأمر يهرى على هذا المنوال لا يقدم أي مريف على ترهيب الذهب؛ لأنه يعرف بالتأكد أنه لن يقبل منه؛ ولأن الجميع يتناطون. وفي هذه المدة التي نقت فيها أمر عظيم كهذا في كل البلاد، لم يكن الأمر محتاجا لأن يقتل أحد جراء مخالفته. ونقد دأع الخبر وانتشر في كل البلاد، ويقضي بالألا يكون هناك سكة أخرى قط ولا عيار آخر صهر المذكورين وأمر أيضا بالتعامل بالعصة المسكوكة، بحيث يرن الذهب المتداول ثلاثة مثاقيل حتى لا يريفه أي مخلوق.

ولما صار النقد متساوياً في كل البلاد استراح الناس، وأحد التجار يستبدلون الأمتعة بالنقود التي كانوا يدعرونها. والآن يحملون أنواع البضائع إلى كل بلد وقد رخصت أسعارها، وشجع جميع الناس بموافقتها، وانتشر اسم سلطان الإسلام. خلد سلطانه وداع بالامتحان والثناء وقد قرئت الخطبة وصارت السكة باسمه المبارك. كذلك أمر السلطان عازراً بسك عملة من أجود أنواع الذهب، تزن كل واحدة منها مائة مثقال، ونقش عليها اسمه بخطوط كل الولايات، حتى يعرف الجميع عندما يقرأونها في كل المواضع أنها من صريه. وقد نقش عليها آيات القرآن الكريم وأسماء الأئمة الاثني عشرية (رسمي الله عنهم). وكانت هذه العملة شتار بالجودة والظلف إلى أقصى حد؛ بحيث إن كل شخص يحتر عليها، لا يميل إلى تركها. وقطعا يريد أن يحتفظ بها. وعلى سبيل الشهرة وإداعة الصيت صرح السلطان قائلاً: "عندما نمنع على أحد نعطيه من تلك العملة الممتانة"<sup>١٦٠</sup>. مثل هذه الاعمال العظيمة التي لم تنجح لأي واحد من الخلفاء والولاة السابقين قد تيسرت ومهدت لسلطان الإسلام خلد سلطانه وهي لازمة لراحة الخلق. فليقه الله تعالى أبد الدهر بمه وكرمه.

---

(١) يبدو أن هذه العملة كانت للأغنياء فقط وليست للفقراء. هنا ويذكر جبرلر أنه لم يحتر حتى الآن على خروج من هذه المسكوكة كانت (ناريخ مغول در ايران، ترجمة دكتور محمود ميرفخاند، ص ١٩١ - ١٩٥).

## فى تعديل أوزان الذهب والفضة والأحمال والمقاييس

### والمكاييل والمساحات والأوزان الأخرى وغير ذلك

قبل هذا كانت أوزان الذهب والأحمال والمكاييل والمساحات والأوزان الأخرى مختلفة فى البلاد، بل حتى هذا المزمع، كانت تختلف أيضا فى نواحي كل ولاية ولهذا السبب كان يقع خلل كبير فى محيط الأسعار. وكان التجار يفتلون من شراء البضائع؛ لأنهم كانوا كلما حملوا نفودا من موضع إلى موضع رادت قيمتها. وبمجرد ما كان الوزن يتفاوت كان يتحقق الربح للتجار. وقد ترتب على هذا أن كسدت سوق البضائع فى بعض الولايات وأعدم وجودها فى بعضها كذلك. وكانوا يتعاملون بالأصغر منها مع الغراء، وبالأكبر عينا بينهم. وإذا كان الغريب يعرف ذلك أو لا يعرف فإنه للصورة يرضى بالأمر الواقع. وكان القرويون يشهد الواحد منهم للآخر كدبا ورورا على أن المكاييل عدل وصحيح. أما مكاييل الحبوب التى كانت تعطى للحناء، أو تقدم كهنديا، والتى يبيع أن يرن كل مكاييل مائة من فإن ما يظهر منها سبعون أو ستون ما فقط، بل أقل من ذلك أيضا. لكن الأشداء يأخذون حقهم كاملا، بل وأريد أيضا، وذلك بضرب المراوطة. ولهذا السبب كان الناس دائما فى شقاق ونزاع

عن هذه الأحوال المختلفة قال سلطان الإسلام: "حيث إن كل الممالك طوع أمرا، فما الداعي إذن لوجود هذا الاختلاف؟! عليا أن تضبط تلك الأمور وبصلحتها؛ بحيث تكون كل المواضع متساوية وتعمل حتى لا تبقى أوزان مختلفة فى الأسواق والولايات والقرى كى لا يستطيع التجار التلاعب والفسقة.

وبخصوص هذا الموضوع أعمل السلطان فكرة الباركة، فأصدر مرسوما ينص على وجوب الإصلاح والتدبير والترتيب على النحو الذى تسجله ويوضحه وبينه فيما يأتى.

## [ص ٤٩٦] نص المرسوم الصادر بشأن عيار الذهب والفضة الذى أمر به السلطان على التوجه الذى هو أفضل كل الوجوه

بسم الله الرحمن الرحيم  
بقوة الله تعالى وميلن المنة للمحمدية  
فرمان السلطان محمود غازان

ألا فليعلم الشعى والثلوك والكتاب والساب والمقصاة والسادات والأئمة والصدور والأعيان والوجوه والمشاهير وكافة السكاك والمسافرون وتجار المسالك أن كل أنظارنا وهمما السلطانية متجهة إلى رعاية أحوال الرعايا وجميع الخلق، وبشر العدل والصدق فيما بينهم وإقامة الأعمال الخيرية وتزهد أن نزهد من بين سكاك العالم الظلم والجور والبدع والأكاذيب التى انتشرت آمادا مديده بين الخلق. ذلك أن كافة الناس صاروا فى تعب ومشقة، ومثار اعراض وجدال ودعوى باطلة، وحروب وحصومات؛ مرغب فى أن نرفع عن كاهلهم أنواع التروير والمظالم كي يتخلصوا فى هذه الدنيا من الفس والمشتات، وفى الآخرة من العقوبة ومن نار جهنم.

فى هذه الآونة عندما كنا نحصى شئون الملك ومصالح الخلق، وبصع قانونا لكل أمر تبين لنا أن كل شخص بعد لمصلحته ومنفعة أوراننا من الحجارة واللبس والحديد وغير ذلك يستعملها فى أسواق المعسكرات والمدن. وفى كل وقت يرهى ويتقش فى الورن حسب هواه. وهكذا يبيع ويشترى بهذه الطريقة، فيصير المقراء مغبورين ومتصررين. هذا التصرف لم يكن ماسيا لرأيا الذى يرس الدنيا، ولم يستحسنه، فصدر أمرنا بتعديل أوران الذهب والعصا والأحمال والمكايل والمقاييس، وذلك فى كل البلاد الممتدة من ضفاف نهر جيحون حتى حدود مصر، وأن تصنع كلها من الحديد. ثم تختم ونضبط بمصور الشخص الذى عيناه هذه المهمة. وبموجب هذا النظام يباشر الناس أحصافهم فى كل البلاد، ولا يحيدون عنه. وإن تعصيل ويان ذلك إسا يكون على هذا النحو الذى بشرحه فيما يأتى:

[٤٩٧] أولا: يجب أن يكون وزن الذهب والمفضة في كل البلاد موازيا ومساويا لوزن

تبرير كي لا يستطيع أحد أن يفتن أو يربط فيتحمل مظالم الناس، وأيضا لا يقل القود من ولاية إلى ولاية أخرى بسبب تفاوت الوزن. ومثلما يتساوى عيار الذهب والمفضة في المملكة تتساوى الأوزان أيضا. ولهذا السبب عينا الأستاذين حجر الدين وبهاء الدين كي يصعوا أوزان الذهب والمفضة بالشكل المثمن وأن يصيا من قبلهما في كل ولاية اثنين من النفقات وأما من قبل فاضي تلك الولاية كي يعثلوا الأوزان بمحور المختص، ويتم ترتيب وصبط ذلك، على نحو يراعى فيه أن تكون سجات الذهب مشبة الشكل طبقا للنموذج الذى وضعه حجر الدين وبهاء الدين الخراساني. فأى شخص في كل ولاية يحتاج إلى أن يعد لعمه وربما، عليه أن يصععه بالشكل المثمن من الحديد الخام. ثم يذهب إلى الأربعة النفقات المذكورين الذين عيوا في كل ولاية كي يعثلوا العيار باحتياط تام، ويصعوا عليه السكة، ويسلموها لأصحابها، ولا يصع تلك السكة أى شخص آخر كائنا من كان، ولا يضعها على حجر الوزن. أما الشخص الذى يصع تلك السكة وفق هواه، ويصع العلامة على الحجر على سبيل الترمويه فيعتبر مجرما ويستحق الإعدام.

ثانيا: يجب على كل شخص يعطى السجات والسكة أن يسجل اسمه في السجلات حتى لا يستطيع الآخرون تزيف الوزن حسب هواهم، وأن يتفحص المسئولون كل شهر على سبيل الاحتياط كل السجات لكافة الناس، ويقارنوها بالأصل، فإذا ما راد عليها شخص أو نقص منها، أو أحفاها أو وصع السكة حمية أو سرا حسب هواه، أو استعمل وربما آخر ليس عليه ذلك الختم وتلك النقوش ثم تلتوله أو أنه زيف تلك الأوزان - فإنه يفتن على ذلك الشخص ثم يساق إلى الشحنة كي يعاقب بموجب حكم المرسوم.

ثالثا: أوزان الأحمال لها نفس الحكم والترتيب والطريقة ولكن المقرر هو أنه في كل موضع يكون الوزن أقل من وزن تبرير يعادل ليكون ماسيا ومساويا لوزن هذه المدينة [ص ٤٩٨] وكل ما كان حتى هذا الوقت رائدا على وزن تبرير يطبق عليه القرار المتبع بالنسبة إلى السجات ومراعاة الاحتياط حتى يتركوا وزن تلك الولاية لكن يبغي أن تصنع كل تلك الأوزان من الحديد بشكل منس طبقا للنموذج، وأن يراعى الاحتياط فتوصع عليه السكة، ثم يقر المسئولون النفقات الإجراءات على هذا النحو من الصبط والترتيب.

ويسمى أن تصنع أوران الأحمال ابتداء من عشرة أسان حتى الدرهم الواحد في إحدى عشرة قطعة وفق هذا الترتيب: عشرة أسان خمسة أسان سان من واحد نصف من ربع من شس من عشرة دراهم خمسة دراهم درهمان درهم واحد وعندما يكون الحمل ثقيلًا ومكوبًا من قطعة واحدة يجب على موطنى الدفعة فى المدن أن يصعروا قبانًا معتمدًا عليه، يوزن به الحمل؛ بحيث لا تكون هناك زيادة أو نقصان فى الأوزن.

رباعيًا: بسبب اختلاف المكاييل فى كل بلد من كيل وفير وجريب وتعار قمح أو شعير ونظرًا لاصطلاحاتها الكثيرة فإنهم يرمزون ويقصرون فيها، وكل شخص يصنع مكبالًا وفق هواه. ولا شك أن ضبط ذلك كله أمر صعب. ثم إن كل شخص لا يدرك ذلك، وبخاصة أفراد القوافل المتطوعين من الممول. وكذلك التجار والعرباء الذين يصلون إلى كل ولاية. وقد يشب الخلاف بينهم وبين الرعايا فيما يتعلق بشراء مكبال الذهب وتسلمه على أن كل من له غلبه وعمود بأحد بالقوة ما يزيد عن المقرر. أما الأشخاص الصغراء فيعطون أقل من المجهود وهذا من شأنه أن يسبب التفصيص والخسران والمشقة والفيل والقال بين الناس أجمعين.

هذه الأسباب أمرنا بأن يكون الكيل متساويًا فى كل البلاد. وكل كيله تساوى عشرة أسان بورن تبرير، ويساوى الش الواحد ٢٦٠ درهماً، وكل عشر كيلات تساوى تعارًا واحدًا وباستثناء الكيلة والتعار المذكورين لا يستعمل أى مكبال أو اصطلاح آخر بين الخلق حتى تكون للمعاملة والمحاسبة صريحة، ولا يحتال الواحد منهم على الآخر. وعند تسليم التعار بقدر بالمكبال حتى لا تكون فيه زيادة أو نقصان ولما كانت الجيوب من القمح والشعير والأرز والقمح والفول والسمسم والجوارس وغير ذلك، وبعضها أخف أو أثقل من بعضها الآخر، يسمى أن يصنع لكل نوع من تلك الجيوب [ص ٤٩٩] مكبال خاص به، بحيث يعادل عشرة أسان بالضبط. ثم يكتب اسم محتوى كل مكبال على أربع جهات بصور "مكبال الحب العلاتي"، على أن تفرص دار القضاء "المعتمد" لقيام بهذا العمل، إذ إنه الشخص الذى عهد إليه بالإشراف على أوران الذهب والفضة والأحمال، وعلى المسؤولين أن يختلطوا لذلك المكبال بالاتفاق مع المختص، وأن يصعروا على أطرافه أيضًا علامة خاصة به، بحيث لا يمكن حدوث أى تزوير أو محاولة للنقصان أو الزيادة.

وكل شهر تتخذ الحيلة هي المدن والولايات؛ بحيث إن كل شخص يصنع مكبالاً بهي  
العلامة الخاصة به، ويكون هي حورته، يقص عليه ويسلم للشحة، ويعتبر محرماً، وتقطع  
يده، ويؤخذ بجرمه وجانيته. وبأى حال من الأحوال، ولأى سبب من الأسباب لا يكون  
هناك بعد ذلك هي كل الممالك ابتداء من صغاف نهر جيحون إلى غنوم مصر أى مكبال أو  
قصر أو جريب سوى المكبال دى العشرة أسان، والتمار دى المائة من وإذا وجد فإنه لا  
يهدم به، ولا يصنع مكبال أو مقياس آخر. وإذا أريد صنع نصف ذلك المكبال دى خمسة  
أسان فإنه يجوز ذلك؛ بحيث يتكون من العشرين ونصف المكبال تعار واحد

خامساً: يجب تحديد مكبال الذهب والفضة والسمن، بحيث يكون كل مكبال عشرة أسان  
مساو لوزن تبرير. وإذا أريد صنع نصف مكبال فإنه يجوز ذلك؛ بحيث يكون خمسة أسان  
يوزن تبرير. وأما قرب الذهب فما كان يقدم منها طعاماً للجنود أو الإهداء فإن الواحدة  
منها تقدر بحمسة مكبالات، وتزن خمسين ما. وأما ما يقدم في المآذب والحفلات فإنها  
تكون أربعة مكبالات تزن أربعين مثلاً.

سادساً: تقاس كل الأذرع التي يقيسون بها الأقمشة بالأذراع النيريري، ولا يقيسونها  
بالأذراع الرومي الذي يختلف كثيراً عن الذراع النيريري. لكن يوضع على أعلى كل الأذرع  
الحتم الذي صممه الأستاذان هجر الذي وبهاء الدين الخراساني أما المودح الذي يعطى  
للمشوليين، فإنه يوضع على طرفي الذراع ويكون تعينه ذلك على الحو الذي سبق شرحه  
وفي المدن يشرف على هذه العملية المعتمدون المذكورون وكل من يعير ويبدل في  
المقاييس بعد مجرمًا ويستحق الإعدام.

أوصل الله تعالى بركات مثل هذا العدل والإنصاف إلى إمام السلطان المباركة للمهونة.

## الحكاية الثانية والعشرون

### فى تنظيم شئون المراسيم والفايرات وتسليمها للناس

[ص ٥٠٠] بخصوص المراسيم قرر السلطان أن يعرض عليه فى الوقت المناسب كل كلام فى حالة صحوه و يقطعه. ولو أن سلطان الإسلام - حلد ملكه - حتى وقت تناوله الشراب أيضا لا يستطيع أى مخلوق أن يموه عليه على سبيل الخيلة والتليس والمغالطة. كما لا يستطيع الحصول على إذن يسمح له يعرض كلام غير مستساغ ولا جندوى مه. ولا يمكن أن يعرض عليه موضوع غير منطقي لا فائدة مه، أو أن يطلب إليه البت فى أمر على سبيل العجلة والتسرع؛ فلم يأتى بأن يعرضوا عليه كلاما فى مثل هذه الأحوال.

كذلك أمر السلطان بأن بعد الأمراء صور المراسيم بعد عرصها عليه، إذ إنهم يعرفون مصاح الملك، ويتركون كل أمر. وإذا كانت هذه المراسيم غير معقولة وبعيدة عن العمل الذى يمارسونه، فعليه ألا يكتبوها بناء على التماس كل شخص. وهناك أيضا كثير من المهمات التى يعنى أن تراجع بشأنها للسجلات الديوانية مع ذكر المواضع والمبالغ. ويجب الاحتياط عند كتابة المسودة، فيقرأونها لفظا بلفظ بحضور كتاب المعول، ثم يعرضونها على الخصرة، حتى إذا نزم إصلاح فإنه يصحح بقلم السلطان المبارك أو بلفظه المبارك وبعد تبين المسودة يعرضونها عليه مرة أخرى، ثم يخطونها، ويقولون: إن الرسوم العلانية الخاص بعلان قد عرس فى اليوم العلاني وقرئ فى اليوم العلاني، وذلك حتى يؤذن لهم بوضع الدفعة.

وقبل هذا كان معناه صندوق أختام الدفعة الكبيرة على يد الكتاب. أما الآن فهو فى عهدة الخصرة المباركة، ويسلم وقت الحاجة كى يتختم به الكتاب المراسيم متفقين، ثم يعينونه إلى موضعه. كذلك عين السلطان أربعة أمراء من أربع فرق، وأعطى كل واحد منهم على حدة ختما أسود (قرا صعا) حتى إذا ختموا به الرسوم سجلوا ذلك على ظهره بحيث لا يمكن إنكاره مطلقا، أو أن يقولوا: إن ذلك لم يتم بمعرفتنا. بعد ذلك تعرض هذه المراسيم على الوزراء وأصحاب الديوان مرة أخرى كى يخطوا للأمر ويتأكدوا متسائلين: هل حدث تلاعب أو لا؟ وهؤلاء يصنعون أيضا دفعة الديوان على الرسوم، ويسلمونه



للشخص المعين. ثم عين كاتباً كي يكتب في السجل صورة الرسوم لفظاً بلفظ ويختتمه  
ويذكر [ص ٥٠١] اليوم الذي ختم فيه بالدمعة، ومن كتبه، ومن عرصه. وبعد انتهاء العام  
يشأ من جديد سجل آخر تسجل فيه المراسيم؛ بحيث يخصص سجل جديد لكل سنة.  
والمقصود هو ألا يتيسر حدوث تزوير أو تحليط، ولا يستطيع أحد قط أن يكرر عرص  
الرسوم أو كتابته ويختتمه. وكذلك إذا أعطى أحد مرسوموا، ووجده شخص آخر، وأراد أن  
يحصل على حكم يخالف ما نص عليه الرسوم فإنه يرجع إلى السجل كي تعلم الحقيقة، ولا  
يحدث خلاف ما عرص وإذا ما اتهم صاحب الرسوم فإنه من ذلك السجل، يمكن معرفة  
ما إذا كان قد أدخلت زيادة على ما هو مقرر له أم لا. وبما على هذا يؤخذ هو أو من  
اتهمه؛ وذلك حتى تنتظم أمور الأحكام بصورة دائمة، وتعلق أبواب الاعتراضات المرفوعة.  
وامر السلطان كذلك بالأخذ بالرسائل من أحد شيئاً في مقابل ختم الرسوم بالختم الأحمر.  
والحق أنهم بهذه الإجراءات قللوا كثيراً من أولئك الذين كانوا يطمعون بالسبب إلى ما  
كان عليه الحال قبل ذلك.

كذلك عين لكل أمر هام دمة خاصة؛ فالدمعة الكبيرة للصوغة من اليشم<sup>(١)</sup> خصصت  
لحكومات السلاطين والأمراء والملوك العظام ومعظمت الأمور. وخصصت للقضاة والأئمة  
والمشايخ دمة أخرى من اليشم أيضاً، وهي أصغر قليلاً. أما للأمور المتوسطة فقد خصصت  
دمة كبيرة من الذهب وهي أقل قيمة من اليشم. ومن أجل ركوب الجند وروغم تستعمل  
دمة خاصة من الذهب بمعنى ذلك الخط وال نقش المهودين، على أن ينقش على أطرافها  
صورة قوس وهراوة وسيف. وينصي الفرمان بالأمر بركب الجند أو يملأوا بهاء على كلام  
الأمراء أو أى مخلوق ما لم يروا تلك الدمعة، وذلك باستثناء جود الطليعة الذين يقومون  
بمباشرة مهمات الثغور وحراستها. كذلك هناك فئة قليلة من الجند لمراقبة الطرق على سبيل  
الاحتياط، فعلى هؤلاء أن يركبوا ويملأوا بهاء على أوامر أمرائهم، وأنغشوا أيضاً خنما ذهباً  
صغيراً تختتم به حوالات الخزانة والولايات وملحقاتها والمفاوضات والرسائل الديوانية التي  
تكتب بمصوص للعمليات والرى والملاحاة؛ وذلك بعد أن يكون كتاب الديوان قد كتبها  
بموجب التناشيرة، وكتبوا على ظهرها عبارة مختصرة بالخط المعولى حسب التعليمات حتى  
يختتموها بتلك الدمعة.

(١) اليشم مصطلح عام يشمل مجموعة من اللامات الصلبة التي تدرج ألوانها من الأبيض تقريباً إلى الأحمر الأدكن  
وتتكون من سليكات الكالسيوم والفسفور غير قابلت للبرق. (انظر المعجم الوسيط، ج ٢ ص ١٠٦٥)

والآن عندما تتجمع الحوالات والرسائل الكثيرة [ص ٥٠٢] تعرض على المحصرة فيأخذ المسئولون مفتاح الصندوق ليختصها الورراء و صواب الدميوان بمعرفة "صاحب الدفعة" (صماجي). هذا على حين أن الآخرين يشتونها في السجل المفقوط أيضا في ذلك الصندوق حتى تتصح معرفة أى شخص ختمها بالدفعة، وفي أى وقت تم ذلك. ومع توافر مثل هذا الضغط والترتيب كيف يبقى مجال يمكن معه كتابة حوالة بلانق من الذهب دون الإذن لمبارك ؟

وعندما قررت هذه الصوابات وبعثت حطر للمكر المبارك أنه لما كانت مهمات الملك ومصالحه ومتطلبات الناس أكثر من أن تتيح الفرصة الكافية لقراءة كل مسوداتها؛ يسعى أن يفكر في اتخاذ قرار آخر في هذا الشأن حتى لا تعطل مصالح الناس، ولا تدقق مشقة بأرباب الحاجات لهذا السبب. وحيث إنهم أيضا يكتبون صورة لكل مهمة فلا بد ألا تبقى في ذهن الكتاب مصاصيها لكثرة ما يكتبون؛ ومرة أخرى يحدث اختلاف في العبارات ويظهر الاختلاف في تلك الأحكام التي تكون قد كتبت لمهمة واحدة. ولتلافي هذا القصور أمر بأن تصبط أنواع المهامات ومتطلبات الناس مما قد يمكن وقوعه؛ وذلك اعتمادا على القياس وإعمال المكر، وأن تكسب لكل منها صورة تشتمل على جملة الشروط اللازمة لتلك المهام بصيغته تام وعناية قاطنة.

وعندما درست كل هذه القواعد والشروط، استدعى السلطان الأمراء وقال لهم: إن الأحكام التي تصدر إما هي بأمرى، وتعرض بواسطتكم. وحيث إنه يجب على كل مخلوق ألا يكون قادرا على إحداث تغيير في هذه الشروط بسبب تلونه وعدم ثباته يلزم أن نقرأ هذه المسودات، ونعمل المكر في كل باب من تلك الأبواب، بحيث نحاط للأمور، ولا يبقى أى شيء مهما دق لو صغر، ونترك مهملا وغير مرعي. وبذلك يكون ما نقره موافقا لرأيها ورأيكم، ونجعله دستورا لنا. بعد هذا يست في كل القضايا على هذا النحو، وبحكم بناء على ذلك، حتى تجرى كل الأمور على موال واحد وقانون واحد، ولا يتطرق اختلاف إلى أقوالنا. ويجب على المسئولين أن يشاوروا في الأمر. وعلى سبيل الاحتياط يصلحون ما يرونه في حاجة إلى إصلاح؛ بحيث يستقر رأيكم بالإجماع على قرار واحد. وبعد ذلك يقرأ ما كتب مرة أخرى بمصوركم؛ فإذا ما بدا لكم شيء من حيل فعيكم أن تشاوروا وتصلحوه. [ص ٥٠٣]

وبعد إتمام هذه الخطوات الإصلاحية استقر للرأى حسب الأوامر الصادرة على أن تكتب كل تلك المسودات فى سجل، سماها "قانون الأمور"، وأمر بأن تسح الأحكام فيما بعد من تلك المسودات دون رهادة أو نقصان وإذا اتفق - وهذا نادر - أن وجدت صورة لم تذكر فى السجل فإنه تعد لها مسودة ثم تعرض. وأحيانا إذا لزم إصاغة جديدة تتناول الشخص والموضع واقتضاء الحال والوقت فإن على المسئول أن يكتبوا - على حدة تلك الألفاظ البليغة، ثم يعرضونها.

وحيث إن مثل هذا الصبغ والتزيين لم يكن لهما مثيل فى أى عهد سدت أبواب الجداول والمراجعات التي كانت تحدث فى الأحكام نتيجة اختلاف العبارات. وبذلك انتهت حيرة أصحاب الحاجات، ونهيات لهم العرض المناسبة، واستراح الخلق، وتحقق للجميع وثوق تام فى مثون الأحكام، ورسخت حرمة المراسيم وعظمتها فى القلوب. وقد رال سعى وأراجيف المفلسين والعقوليين الذين كانوا يستنبطون الأحكام وعن أمرائهم ووصحت مراتب الخواص والعوام والحكام والمحكومين والظالمين والمظلومين ولا شك أن صافح هذه الصوابط أكثر من أن توصف.

أما بمقصود ترتيب وتبدير منح الأمانات<sup>(١)</sup>، فقد أمر السلطان بصنع بائرات كثيرة خاصة بالسلامين والثلوك والشحن، وهى مستندة على هيئة رأس الأسد، ومكوب عليها اسم ذلك الشخص الذى يمنح البائرة ثم يسجل ذلك فى السجل، وتظل فى يده طوال مدة عمله. ثم تسترد بعد عرله؛ إذ إن البائرة تظل سنوات عديدة مخصصة لتلك الولاية. ومن الملقطوع به أنها تسح ملك بعبه، ولا تعطى شخصا آخر غيره. وكان المعتاد قبل ذلك أنهم إذا كانوا يرسلون - خلال عشرين سنة - عشرين حاكما إلى إحدى الولايات، فإنهم يمنحون كل واحد منهم بائرة. وكان كل حاكم يعتقد حتى بعد عرله أن البائرة أصبحت ملكا له، فكان يرسلها فى الخفاء إلى أحد الأماكن لإعمار مهماته الخاصة.

(١) البائرة لوحة من الذهب أو الفضة أو الخشب حسب رتبة المهنة إليه. وهى تشبه الميدالية فى العصر الحديث وتكتب على وجهها اسم الله واسم صاحب الشأن الناتج. وعلامة خاصة. وقد أمر خازن بأن يكتب عليها أيضا اسم الشخص الذى يمنح البائرة فسمى أمرائها ما كانت تزيه صورة الأسد. وهذه خاصة بالملك. وتهدى البائرة إلى من يثق بهم للعمل من كبار الشخصيات ورجال الدولة، ويمنح حاملها بادئرات خاصة فله الطاعة على كل من فى دولة للفرل.

وأما بخصوص المنوك والشحن دوى الرتبة المتوسطة، فقد خصص لهم بايرت أصغر من السابقة. وهى ذات نقش مخصوص ومكتوب عليها اسم الشخص الذى صبح له البائرة وفقا للصوابط المذكورة، ومنع ما كانوا يعطونه قبل هذا من وسائل كفى يصنعوا البائرات فى الولايات وعين السلطان صائعا بلامز البلاط، وهو الذى يصعب البائرات. وعد تسليم البائرة المصنوعة من الفولاذ ينقش عليها نقش معين بحيث لا يستطيع شخص أن يقلده بسهولة ويشترط أن يتم ذلك فى حصرة السلطان، ثم يطرق بالطريقة حتى يثبت عليها [ص ٥٠٤] والمقصود هو أن تظهر البائرة المرورة بواسطة تلك العلامة.

وبخصوص الرسل الذين يركبون خيول البريد فقد خصصت لهم نفس البائرات المستديرة، ويكتب عليها بايرة الخزانة ثم يسجل اسم الرسول فى السجل. وعد عودته تسترد منه.

وأما بخصوص الرسل الذين يدهون بالبريد الرسمى للدولة، فقد أمر لهم السلطان ببائرة مستطيلة على رأسها صورة القمر، وصح هذه البائرة أيضا وتسترد وفقا لهذه القاعدة وعندما تقرر إبعاد أمراء الثعور دعت الضرورة إلى استخدام البريد الرسمى، كما تقرر أن يصبح كبارهم خمس بايرات مصنوعة من النحاس أما دوى الرتبة المتوسطة، فيسمحون ثلاث بايرات يسلمونها للرسل الرسمى العلوي.

وقبل هذا كان أمام كل واحد من الأمراء الأتيمال والخواشي والأمراء أنواع من البائرات. وكان هؤلاء يسرون الرسل تباعا إلى الولايات لإعجاز كل عمل يريدونه وقد ثبت واتضح للجميع كيف ظهر أثر هذا التدبير المحكم وكيف ظفر الناس بأى نوع من الراحة.

أوصى الحق تعالى بركات هذا العدل والإنصاف إلى أبام السلطان المباركة.

## الحكاية الثالثة والعشرون

### في تدابير استعادة المراسيم والبايرتات المكررة التي كانت في أيدي الناس

تقتضي طبيعة العالم أنه في عهد كل ملك توجد طائفة من الناس تناسب أساليب حكمه، وتتفق مع عاداته وميوله. وهؤلاء القوم صاروا مقدمين على غيرهم، وإليهم تنوّه شئون تلك والولاية، وهم يتصدون الأحكام على طريقة ذلك الملك إن عدلا وإن جورا ويسلمون للناس المراسيم والفرمانات. وعندما ينتقل الحكم إلى ملك آخر فلا يمر من أنه يرغب في إحالة تلك المهمات إلى أشخاص يسيرون وفقا لعاداته ورسومه، ويصدرون أحكاما بصورة تناسب مع طبيعة عهده؛ ذلك أن كل عهد يقتضي نوعا خاصا من الحكم. والمشاهد قبل هذا أنه في عهد آباء وأجداد سلطان الإسلام حلد ملكه أن كل ملك إذا ما أراد أن يجمع المراسيم والبايرتات السابقة التي كانت في أيدي الناس بالحق أو بالباطل فإنه يسيّر [ص ٥٠٥] رسلا مشهورين يحملون الأوامر المحكمة العظيمة والمصوغة في أسلوب من المبالغة والتهويل. ويحمل الفرمانات هو أن من يخفي مرسوما من المراسيم أو بايرة من البايرتات يعتبر مجرما وكان هؤلاء الرسل يعقون عقوبات باهظة في طريقهم إلى الولايات بحيث لا يحتويها الحصر والعد، وصاروا يحتفلون جميع من عندهم مراسيم ومن ليس عندهم. وكانوا يصرونها ويرتكبون في ذلك المخالفات، ولكن حامل المرسوم الذي سحب منه فإنه على الرغم من أن هذا المرسوم لم يكن يصلح له، لكنه في سبيل المحافظة على كرامته، وحتى لا يبدو في نظر الناس خفيا يتفق عقوبات باهظة كي يعيدوا إليه المرسوم. وبذلك يتحقق له الإجلال والاحترام.

وتنحصر البايرتات كان يحدث مثل هذه التصرفات. وكان الرسل يطوفون حول العالم بصورة مستمرة، ويحصلون بهذه الطريقة على أسئلة طائفة. ومع هذا لم يكونوا يستطيعون إحضار مرسوم واحد من مائة مرسوم. ومع ذلك كانوا يحضرون هذه المراسيم في تلك السوات. ثم يكتب الكتاب مراسيم أخرى لتأييد المراسيم التي بأيديهم. ومع أنهم كانوا يستردون المراسيم الباطلة صاروا يعطون كل شخص مراسيم كثيرة مختلفة متناقضة

لأن الطريقة المتبعة في ذلك الزمان فيما يتعلق بإعطاء المراسيم، كانت تتطلب لجوء كل واحد من الناس في العالم إلى أحد الأمراء، ويأخذ مرسوما حسب رغبته. وبسبب اختلاف المتابعين، وتعصب الحماة كانوا يرسلون كثيرا من المراسيم المتتالية المتعاقبة مما لا يمكن شرحه. وهكذا كانت نصفي الأيام بتلك الطريقة، ويموت هؤلاء الخصوم وهؤلاء الأسراء ثم يمى أبناؤهم، ويسلكون نفس السلوك، ويد كل واحد منهم يحسون مرسوما، بحيث إنهم إذا حضروا للتحقيق معهم فإنه - خلال عشرة أيام - لا تصح صورة أحوالهم، ولا كمية حصولهم على المراسيم. وسة بعد أخرى لا يهمونها، وإذا ما فهموها اتضح أنها كلها على غير أساس وباطلة. وقد كتبوا بدافع التعصب، أو أنها عرضت عن طريق الرشوة، أو أنها صدرت بعمر إذن السلطان، ودون إشارته. وكثيرا ما كان يحدث أيضا أن يتفق الأمراء الكبار، ويعرضوا مرسوما مبنيا لمصلحة أحد الأشخاص، فكانوا يعطونه التأشيرة، وتكتب صورة المرسوم على وجه التحقيق. ولكن ذلك الشخص يصيب عدة أخطاء مختصرة يدخلها على المرسوم، فيتغير ذلك القرار الذي اتمق عليه الأمراء تعبيرا كليا [ص ٥٠٦] يوافق مصلحته. وكان يخال كي يصيب هذه الريادة إلى الصورة، أو يعطي الكتاب هدية قيمة حتى يكتبها ثم يمسك بها. وكثيرا ما انتهر الكتاب الصغار العريضة وأعطوا كل شخص مرسوما وفق رغبته دون مشورة الأمراء الكبار كذلك الحال عندما يعطي أحد مرسوما بأمر السلطان، ووجد شخص آخر يماثله في مرثله وصعته، فإن الكتاب يتشبثون بذلك، ويعطون أيضا ذلك الشخص مرسوما على غرار رميله؛ فكان يترتب على تلك القضاها الأغف المتناقضة مائة ألف إشاعة وفنة بين الناس. ولما كان الخصوم جميعهم أصحاب مراسيم فإن الشققين والحكام والقضاة مهما أرادوا أن يتنوا في قصة واحدة، ويحكموا فيها حكما قاطعا، احتلط عليهم الأمر وعمضى، وذلك لكثرة ما يد كل واحد منهم من المراسيم والهايات. وقد أدت الممارعات إلى حد أنه فى كل سنة كان يقتل كثيرون من الأشخاص بعضهم بعضا. بالإضافة إلى ذلك صار تجميع تلك المراسيم وإظهارات المكررة واستردادها أمرا عسيرا. ومع هذا كانوا يعطون الناس عددا كثيرا منها بنفس الطريقة المذكورة

أما الآن فقد أصبل السلطان عازا - خلد ملكه - فكره المبارك فى تدارك هذا الخلل وأمر بإصدار المراسيم إلى كافة للمالك، وكلها مصوغة فى عبارة واحدة مضمونها أنه على

الشحن والملوك وحكام الولايات أنهما ألا يقلوا على الإطلاق ما يقدم إليهم من الهيازين القديمة والحديثة التي في أيدي الناس، وألا يهتموا بها؛ إذ إننا أصدرنا أمرا بالاعتناء كلها وكذلك المراسيم التي صنعها، وصدرت خلال الأعوام الثلاثة الأولى من حكمنا عندما كنا لا نلنا مهمكن في تدبير وترتيب شئون الحنة، وإزالة المعاسد، والقضاء على الاضطرابات والعش التي حدثت، ولم نشغل بجزئيات الأمور ولا شك أن تنفيذ الأحكام السابقة كان أمرا ضروريا لتطبيع خواطر الخلق كي تستقيم الأمور.

وبناء على هذا فإن المراسيم التي صنعها الناس سرور وصدر الدين والسواب الأخرى وفق مرادهم وهواهم [ص ٥٠٧] كلها باطلة حتى هذا التاريخ الذي باشرا فيه بأنفسا صبط أمور الممالك؛ فقررنا أن يعرض المرسوم علينا، ثم يسلم للناس. وبني أن يعترف الجميع بصحة كل ما يصدر من المراسيم بعد هذا التاريخ المذكور، وألا يهتموا قط بالمراسيم الأخرى التي صدرت عما وعى السابقين علينا، فتقدم كلها إلى حصرنا لنقرر ما فيه المصلحة. ولا شك أن مراسيم الملوك السابقين كانت حسنة ومعتمدة، وما دما قد وقعا على المراسيم التي ينبغي أن تكون حماية وسندا وباموسا وبركة، فكيف يجوز لنا أن نستردها؟ إننا سوف نصع دمة معينة على ظهرها، ونعطيها الرؤساء لتكون في أيديهم وتكون أكثر تدعينا وسوف بعد بارة بشكل آخر. وكل من يجوز بارة، عليه أن يحصرها ويسلمها خلال ستة أشهر، وذلك حتى نعطي بارة جديدة كل من يسلك طريق الصواب. وبعد ستة أشهر سوف يقص على كل شخص تكون في حيازته بارة قديمة، ويعتبر مذبا ونسرد مه.

ولما أصدرنا هذا القرار دعت الضرورة جميع الناس إلى إحصار مراسيمهم لتجديدها وكل ما كان منها صحيحا يعتمد بالتوقيع، وكل ما لم يكن صحيحا يسترد من حائزه. وبهذا الإجراء ظهر الحق من الباطل والصدق من الكذب، وتخلص أرباب المراسيم من عار خسة الدلاء. وحيث إنه لم تعد هناك أهمية للمراسيم القديمة لا سيما المكرر منها، لم يستطع أحد أن يظهرها إذا كانت لا تزال في يده، فمضنا على أنه لن يلتفت إليها، توقع صاحبها في الدسب. ونخصص الهيازين أيضا لكل هذا النظام. وما أن نفذ هذا القرار حتى اختفت مجموعة تلك المراسيم والهيازين؛ لأن أصحابها أخذوا بعضها بمجداء ولم يجرؤوا

على إبراز بعضها الآخر. ولقد دأب القروا وانتشر، وبمصر صراحة على عدم الانتفاع إلى المراسم والپايرت القديمة فى أى عهد من العهود؛ إذ إن الناس يعلمون على وجه التحقيق أنه لو كان هذا الإجراء صحيحا لاتبع على الأمور فى عهد مثل هذا السلطان العادل. ولاشك أن هذه الطريقة الصحيحة هى دستور جميع الملوك والأمراء والحكام فى كل عصر. وإذا كانت قد بقيت هائرة ذهبية أو فضية فى حوزة أحد الأشخاص فإنه ما لم يسلمها فليس يعطى أخرى عوضا عنها. وإذا كان متبصرًا بعواقب الأمور فإن عليه أن يبادر بتسليمها [ص ٨٠٥]، وإلا فإن عليه أن يصهرها ويمق ما صهره

ومن المؤكد أنه سوف يصل الأمر عن قريب إلى حد أنه لن تبقى واحدة من الپايرت التي أحدثت خلال مدة سحيى صة بطل وأسباب مصللة. وهكذا بعد سلطان الإسلام مثل هذا العمل العظيم بتدبير يسر قرره بعظته وكياسته. أدام الله ظل معدته والسلام.



## المكايبة الرابعة والمشرون

### فى منح جند المغول الإقطاعيات فى كل ولاية

قبل هذا لم يكن لكافة جنود المغول مرتبات وملابس وإقطاعيات ومؤن. وكان بعض الأثكابر منهم يأخذون قسرا من الرزاد، والأعلوية لا يأخذون شيئا. كما أنه فى العهد السابق عندما كانت عادات المغول ورسومهم لا زالت مرعية كان جميع الجنود يمنحون كل سنة مراعى للخيول والأعصام والأبقار، وتزود المسكرات كما يرزاد الجنود الفقراء المعدمون باللباد واللين الخثير

بعد ذلك فى أوائل عهد هذا السلطان كانوا يعطون الجنود المراتطين فى أقرب مكان قليلا من الكتوة، ثم ترداد تدريجيا، وأصاف إليها سلطان الإسلام - حمد ملكه - مقادير أخرى ولما كانت تلك المؤن تحول إلى الولايات، ويحتاج المتعهدون فى صرفها، كان المغول يتعصبونهم وبسبب مطالبة هؤلاء المتعهدين بالمؤن كان الظلم العادى يلحق بسكان الولايات لأنهم يتحملون نفقات باعطة يدفعونها باسم اللواب والرزاد والعلف. وعصلا عن أن الحكام والمتعهدين كان يلحقهم نصب ومشقة من جراء ذلك فإن الرعايا كانوا يصيقون درعا بما يطالبون به من تقديم المؤن ومع هذا لم تكن تصل مؤن كافية إلى الجنود وكان بعضهم فى نصب بسبب عماطة المتعهدين، وبعضهم بسبب الشرفى على تنوين الجيش، إذ إنهم كانوا يأخذون هدايا شبة ويحملون أداء واجبه، وبعضهم بسبب أن الكتاب المسكرين لم يعدوا الحوالات فى وقتها المناسب، فبعض الجنود عن التحصيل. [ص ٩٠٥]

وأخيرا كان المتعهدون يشتررون المؤن لأنفسهم بنصف النمس. وكانت الحوالات دائما بيد الجنود، وهم فى براع وجدال مع المتعهدين وكانوا دائما يعرضون تلك الأحواص على السلطان فترجع لذلك مسامحة المباركة، وتكون عاتبة الأمر أن أكثرها يسقط من الحساب ويضاف إلى القصاصيا القديمة هذا على حين أنهم كانوا يحوررون حوالات كثيرة مستحقة للصرف.

شاهد السلطان هذه الأوضاع مدة أربع سنوات أو خمس، فأمر بأن يجمعوا المؤن فى كل ولاية أثناء الشتاء والصيف، وقت جني المحاصيل ويقوموا بتخزينها فى المخازن وتودع فى

عهدة شحنة الولاية، ثم تسلم من المحارن إلى المستوليين بعد سداد قيمة الخوالة نقدا، ولا يأخذ المشرفون على تنصيب الجيش هديا هي مقابل أداء واجبهم، ولا يظلمون رادا ولا علما. فكانت تسير الخوالات على هذا السؤال وكان السلطان يعطي نقدا ذهبيا من الخزانة، بحيث إنه خلال ثلاث سنوات أو أربع لم يستطع أحد أن يقول: لقد بقي لي على الديوان من واحد من الثروة. وبعد ذلك في أوائل شهور سنة ثلاث وسبعمائة هجرية (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) هذه تفكيره المبارك إلى أن يصرح قائلا: إن كمية المؤن التي عيشت للوجود لا تكفي شخصي من كل عشرة أشخاص. وبني أريد أن يكون إعانا عاما للجميع. كما أن أخذ عبد مسير الاحتياطيين منهم إلى الولايات يسبون المتعصب لسكان الولايات وأيضا يقول كل واحد منهم سواء بالحق أو بالباطل: إني لا أملك شيئا، فيحدث الإحباط والمعجز ويقول أيضا: لقد عفت ذنوبنا بسبب العبد وانتشار طاعون الماشية والأفات الأخرى. وهذا تدعو الضرورة إلى جمع المال في كل وقت وإعطائه للتصريح؛ لأن العالم لا يخلو من الأحداث وقد يجيء وقت لا يسير فيه تحصيل المال بسرعة. وهذا ما يحتم العمل دائما على تدبير وترتيب نفقات الجند ومؤونتهم وهناك ولايات هي الممالك تقع على طريق عبور الجند، وفيها مصالبتهم ومشابهم، ودائما ما يسلكون سلوكا معيا في تلك الولايات ويستولون على القرى قرة واقتدارا، ويستولون بالرعايا. وإذا من المصلحة أن تقطعها بأكملها للجند، ويعين نصيبا لأفراد كل كتيبة، ليكونوا هم المتصرفين في هذه الأراضي ويعبرونها ملكا لهم. وبذلك تنبع عيونهم وقلوبهم

ولما كان أكثر الجود في هذا العهد يميلون إلى اقتناء الأملاك والزراعة فلا شك أنهم يحققون رغبتهم عندما يملكون إقطاعا. وبذلك لا تكون هناك حاجة إلى الخزانة [ص ٥١٠] للإعانة على مصالحهم؛ لأن كل واحد منهم يحصل على حصته ومعاشه من الإقطاعية، وتتوافر لهم عمارات كثيرة أخرى، ويكون لهم أتباع وخدم وأهبار وبنوور ويحصلون على النبي والشعر. وإذا حدث أيضا وباء بين النواب فإن كل واحد يستطيع أن يربط نسي أو ثلاثة من الخيول، يحتفظ بها بدهة قوية، حتى يستطيع - عند الحاجة - ركوبها في وقت أسرع؛ إذ إن أكثر الخلل الذي يلحق بجنودنا إنما يتبع عن هلاك النواب لأنهم في هذا العهد لا يبنونها بالماء والعلب بالقدر الكافي

وإذن نحن إذا سلمنا الولايات للجد بوجه من الوجوه، وأعدنا محطات القوائم  
الضرورية، ووفرنا الطعام للأسماء الأجيال والحوادث، وكذلك اللواتم الأخرى الضرورية  
وسلمناهم لهم وأصبحت كلها تحت تصرفهم، فسوف نقل ثقافتنا، ونقل المتقاصون وأرباب  
الحاجات. أما الولايات الأخرى التي ليست معبرا ومقاما للجد فإنها تبقى في موضعها  
لشد التعقات الخاصة، وهذه يمكن ضبطها دون تعب أو مشقة، ويكون المال الذي يحصل  
مها كافيا. وعلى هذا النحو تصيب الأعمال المكسرة التي يقوم بها الجسد وغيرهم. وهذا  
بعد تبقى الأمور مرتبة طبقا لهذه القاعدة، ونعم هو أنها كانت الملوك والأسماء والوزراء  
والجسد والرعابا.

وعلى هذا النمط أصمّل السلطان فكره، وعين لجميع الجسد إقطاعيات من صماف  
جيحون حتى غنوم مصر خلال شهرين أو ثلاثة، وفصلها تفصيلا. وفي هذا الصدد بعد  
حكم المرسوم ونسب صورته في هذا الفصل حتى إذا قرأه الناس، فإنهم يطعنون على  
الدقائق التي روعيت في هذا الباب إن شاء الله العزيز.

## نص المرسوم بخصوص منح جنود الخول الإقطاعيات

بسم الله الرحمن الرحيم

[ص ٥١١] بقوة الله تعالى وميلن الملة المحمدية

فرمان للسلطان محمود غزلان

فتعلم الأمهات، ولعلم الأعماد والمجيدات والحوادث والنون والسات والأصهار ولواد  
المشرة آلاف (نومان) والألف (هراره) والمائة (صده) والعشرة (دهه) والسلاطين والملوك  
والكتاب وعموم أهالي كل الولايات من صماف جيحون حتى غنوم مصر أن جدنا الأكبر  
جنگير خان احتض في بدء المعطرة بالتأييد الإلهي والإلهام الرباني وكان يراعي دستور  
بمائة تامة أدق من الشعر، ولم يترك الجمال لأى مخلوق من بني آدم حتى يحرف برأيه عن  
ريقة أمره لو أن يخرج قلعه عن جادة الاستقامة، فلا جرم أنه استطاع - بهذه الوسائل -

أن يسخر ساحة الدنيا مشارقها ومغاربها، وأن ينتشر على صحائف الدهر اسمه الطيب وصيته الخالد. وقد تحمل كل أنواع المشقات والشدائد في سبيل ريادة رقعة المملكة وفسحتها، وأورث أبنائه ودرته جميع الطوائف والرعايا والممالك، وصيرها لهم بمهدة مرتبة وذكرى حسنة منه.

بعد ذلك سلم أبناؤنا الخيرون تلك الممالك لأبنائهم على نفس السبق والترتيب، فاستطاع كل واحد أن يسيط قوايس الملك ونظمها، ويصمم التكميل بإدارة شئون حكم العالم. بهذا خلد هؤلاء الأبناء لهم ذكرا جيلًا على صفحات الدهر أما أولئك الذين لم يحافظوا على رعاياهم، ومارسوا الظلم والتعدي فإنهم بلا شك قد خلصوا لهم سمعة سيئة.

"إن آثارهم تدل عليهم، فانظروا بعينهم إلى الآثار"، ولما كان صدق هذه المعاني ثابتًا ومقررًا ومعينًا لنا، وعلمنا أن الفناء الأبدى وخلود الحياة هي هذه الدنيا أسر غير محكم للجميع، وأنه لا يتصور أن نكون هناك فائدة من هذه الدنيا سوى ادخار الاسم الحسن. لما كان ذلك كذلك فكرنا عن أبنائنا في هذه الأيام القليلة المعنودة عندما وصلت بومة الملك إلينا هي ادخار السمعة الطيبة، فتشمل بمرشد من الراحة والرعاية مجموع الرعايا الذين سلموا قيادتهم لنا، حتى نكون [ص ٥١٢] قد سجلنا على صفحات الدهر الذكر الجميل والثواب الذي هو عبارة عن الحياة الباقية والعيش لخالده، ويتقى صبت معقلتنا على الأيام دائما ومؤيدا وباقيا ومخلدا. والله يوفقنا بلطمة ويؤيدا بمصره. والآن لا يتبقى على الجميع أنه قبل هذا في عهد آبائنا الصالحين كان رعايا المعول مطلعين بكل أنواع المطالب والالتزامات والمشقات من قبيل سداد صرية المواشي والإهداء بمحاجيات دور النهر يد الكبرى وتحمل أعباء الياسا القاسية، ودفع التبعات اللازمة للمحافظة على سلامة الجسود، تلك الأعباء ألبهاها كلها دفعة واحدة في زماننا هذا.

في ذلك الوقت كان الرعايا محرومين مما احتوت عليه المخازن من الذخائر والمؤن. ورغم وجود تلك الأعباء كانوا يرحلون برضاء الخطاير، ويقومون بواجب الطاعة ويتحملون مشقات الأسفار البعيدة. ومع هذا كانوا فائمين والأمر الذي لا شك فيه أنه حتى هذه اللحظة لم يتوانر لجد المعول ريادة ملموسة في الحياة والمال.

والآن وقد أنعم الحق تعالى علينا بالرعاية والممالك التي حكمها أبائنا، ومحا سرير ملك العالم وعاصمته الكبرى، بدلنا كل الفضة، وصرفنا كل حرصا السلطاني في سبيل الإصلاح حتى نظم ورتب مصالح الرعايا الكثيرين على نحو بطمنش إليه بحيث إنه بعد ذلك لا يسي أبدا جميع أفراد القوات الاحتياطية في جيوش المعول - ما نوالدوا وتاسلوا - هذه الجهود، ويقضون أياهم في رفاهية ورغد من العيش. وبعد أن يحل دور غيرا يكون قد سلما له الملكة والجيش؛ بحيث لا يقف في سبيله أى عائق، ويحل وصح يزدى إلى الاستقرار واستقامة أمور المملكة والرعية، ويؤدى إلى الخلود والذكر الجميل ودوام حسن السمعة، وازدهار دعوات الخير. ولا يصى على الجميع أنه قبل عهدنا كان المشركون يعطون جميع المتطوعين من جود المعول من يقيمون في المناطق الممتدة من ضفاف نهر جيحون إلى نهر مصر قلدا محمدا من المزن، وينادوا ما كانوا يعمون على بعض منهم في كل وقت هذا على حين أن أكثرهم ظلوا محرومين وبقوا يعمر نصيب [ص ١٣٥] ولعلاج هذا الوضع أمرنا في الوقت الحاضر بمعاملة أفراد قوات المعول الاحتياطية معاملة واحدة فتشملهم عاطفيا وتحمهم عطائنا؛ حتى لا يبقى أى واحد منهم محروما من إعاضة. وعند رحيل الجود ورحيل الجيش تتوافر لهم القدرة والحركة والطاقة للمحافظة على الممالك ذلك أن استقامة شئون الملك وانتظامها متروكة بهم

وبناء على هذه التقدّمات أمرنا بأن يقطعوا لهم الأراضي في الولايات والقرى، ويهروا لهم المياه مما يكون قريبا ومسابا لهم من أسلاك الخاصة وأملاك الديوان والبرارغ العامة والحربة حسب ما هو مثبت في السجلات والقوانين، ويعيها باسم الإقطاع في كل كتبة مكتوبة من ألف جدى، ثم يسلمونها لهم كي يتصرفوا فيها؛ وذلك على النحو المفصل في الكتية الغلاتية.

وأما عن الأحكام الخاصة بهذه الإقطاعية وشروطها وكتبة كل قسم من أقسامها فإنها تكون على النحو الذى نشرحه فيما يأتى.

أولا: ما يتعلق بأحكام الخاصة وأملاك الديوان من اللواصع: تقرر أن تبقى فيها تلك الجماعة من الرعايا الذين كانوا يقطعونها من قديم الزمان، وكانوا يزعمونها. فهؤلاء يستمرون في رزاعتها جريا على تلك القاعدة بشرط أن يعطوا الجود المتطوعين نصيبهم

بصدق وأمانة، وأن يسلحوا دون زيادة أو نقصان الضرائب والرسوم الديوانية، وذلك حسب التعهدات والتفصيل الذي مر ذكره.

ثانياً: يجب ألا يتدخل جلود الاحتياط في شئون أملاك الملاك ومباهمهم وأراضيهم وأصحاب الأوقاف، ولا يتصرفون فيما تنتجه، وأن يدفعوا بصدق وأمانة الأموال والضرائب والرسوم الديوانية بموجب سجلات القانون وطبقاً للتفصيل المذكور.

ثالثاً: القرى والمزارع والمواضع التابعة للديوان التي تخرب، وتدخل في حيز مواطن هؤلاء الجلود، عليهم أن يخرجوا منها ما صار مزارع صالحة للزراعة، ويتركوا الأراضي الباقية لأسراهم وعلمانهم يررعونها ويحصدون محاصيلها، ومعهم أبقارهم وثيرانهم وبنورهم. وإذا ظهر مالك لتلك الموضع الخرب، وأقام دعوى بملكه لو بتوليه وقيته [ص ٥١٤]، وظل مدة طويلة تحت تصرفه، وثبت استحقاقه له بموجب الشرع المطهر. وكان هؤلاء المتطوعون قد ررعوه بواسطة أسراهم وعلمانهم، فإن عليهم أن يدفعوا العشر من عوائده للمالك، ويأخذوا الباقي لهم ولأرعايهم.

رابعاً: السكان الذين مسحوا قرى علمرة أو حرية، ثم تعرفت مد ثلاثين عاماً، ولم تدخل في حساب وقانون الولايات الأخرى ولا زال يحتفظ بها كل واحد منهم، عليهم أن يعيشوها. وإذا كان سكان الولاية الأخرى يعملون عندهم أيضاً فإن عليهم أن يعيشوهم. ومن لتقطع به ألا يبقوا بأي وجه سكان الولايات والمواضع الأخرى وألا يرتبطوا بالعرماء بحجة أنهم سكان الولايات البعيدة، ولا يجمعوهم بأي وجه ولا يجمعوهم، ولا يسمحوا لهم بالدخول في قرأهم. وعلى للمتطوعين ألا يبقوا سكان القرى التي أنقطعت لهم من غيبتهم في إحدى القرى إلى القرى الأخرى، ولا يقولوا إن كلنا المرعطين والقرعطين صمن إقطاعنا، وسكانها هم رعائنا. وعلى سكان كل قرية أن يرعوا في مناطقهم المحددة لهم، ولا يقولوا إن سكان هذه المناطق التي أنقطعت لنا إنما هم أسرانا؛ إذ إنه ليس للجلود على الرعايا أكثر مما لهم على زراعة قرأهم، وعليهم أن يأخذوا سهم بالحق ما هو مقرر عليهم من المال ورسوم الديوان، وألا يسخروا السكان في عمل آخر سوى أن كلا سهم يررع في الموضع المخصص له. أما السكان الذين لا يرعون الزراعة أو لا يمارسونها فلا أصحاب الأراضي قد تسلموا حقهم من المال المعين المقرر لهم من الديوان لا يصح أن يخرجوا هؤلاء السكان على الزراعة بالقرى والعنف ولا يظلموهم، بل يعاملوهم بالمسئ

خامساً: على المتطوعين من الجود ألا يتدخلوا في شئون القرى الواقعة على حدود قراهم والمجاورة لهم، فلا يمرعوها، ولا يستولوا على الماء والأرض بحجة أنها واقعة في موطئهم، [ص ٥١٥] وألا يسموا ذلك المقتدر من الأعشاب التي هي مرعى لأبقارهم وأغنامهم وحيرهم.

سادساً: حيث إننا مسحنا المتطوعين الأنعام والعطاء، وعينا لهم هذه المواضع باسم الإقطاع، وأنعمنا عليهم بها، يكون غرضنا هو راحة كافة اخلائق، وابتغاء الذكر الجميل والقنون والعدل وهم جميعاً مؤيدون ومعتبطون بهذه النعمة وتلك الرعاية. وقد قدم قواد الفرق المكونة من عشرة آلاف وألف ومائة وعشرة، والمتطوعون الكثيرون وثيقة خطية يتعهدون فيها بأنهم بقدر ما في وسعهم وقدرتهم سوف يدلون جهدهم في تعاد العدل وبشر الصديق، ولا يتحرفون من بعد عن جادة الصواب ولا يتدخلون ولا يسطهون الناس، ولا يفتنمون على أنواع الظلم والجور وتلك الأعمال التي كانوا يمارسونها من قبل هذا وبمهي أن يكونوا عند كلمتهم، ولا يطلبون من الرعية شيئاً باسم الهدايا والمؤن والصرائب على السلع وغير ذلك.

سابعاً: نقرر كذلك ألا يكتبوا لأى سبب من الأسباب حوالات من الدهوان على الإقطاعيات، وألا يحولوا إليه شيئاً أبداً. وبموجب ما نقرر يسلم لكل شخص من الجود المتطوعين خمسين ما يورن تبرير من المستودعات الخاصة، ولا يطلبون من الرعايا شيئاً آخر غير ذلك.

ثامناً: أمرنا كذلك بأن تورع الإقطاعيات وما يلزمها من ماء وما تشتمل عليه من أراض خربة وعامرة على أفراد الكتبة المكونة من ألف جندي، وذلك على النحو الذى سبق تمصيله. ثم يحضر جماعة من تلك الولاية ممن هم أهل الخبرة مع هذا الكاتب فلان الذى عياده، وتقسّم هذه الإقطاعيات إلى عشرة أقسام ثم تجرى قرعة بالوسط. وبعد ذلك تقسم بين الفرق المكونة من مائة، وتجرى القرعة أيضاً بالوسط.

وهذا الكاتب الذى عياده باسم "العازم" يسجل في السجل نصيب كل واحد من المائة والعشرة خراباً كان أم عامراً، وذلك على انفراد وبالأسم، ويحفظ بالسجل، ويسلم نسخة منه للديوان الأعظم، وأخرى لأمر العرقة. ثم تسلم سجلات الفرق المكونة من مائة لأمرائها.

بعد ذلك يتعبر ذلك للكتاب المعارض هذه السجلات كل سنة ويعرض عليها اسم ذلك الشخص الذى حد واجتهد فى الزراعة، أو اسم ذلك الذى قصر. كما يعرض عليها ما سجله عن حراب وعمران كل جزء محدد حتى يتخصص برعايتنا ذلك الشخص الذى أبدى اجتهدا وبشاطا أما ذلك الذى قصر وخرّب، فإنه يؤخذ بدينه.

**[ص ٥١٦]** ولا يجهون هذا الإقطاع الذى منحناه إياهم، ولا يعطونه هذا أو ذاك، ولا العبد والكبار والصغار والأقارب والأصهار وغيرهم. وكل من يقدم على هذا العمل يعتبر مجرما وبقتل.

وإن صدق المرأة بمقتضى الحديث النبوى الشريف كما بعدناه بصورة مستقلة بمقتضى المرسوم الصادر من هذا الباب، وهو ما تقرر أن يكون تسعة عشر دياراً ونصف<sup>(١)</sup>

ناساً. ليكن معلوماً أيضاً أن هذا الإقطاع قد خصص للجود المتطوعين الذى صاروا حراساً ثم رحلوا وإذا توفي شخص من تلك الجماعة، فإنه يقوم مقامه أحد أبناء أو أسرته فيقطع إقطاع المتوفى ثم يسجل وإذا لم تكن له ذرية فإنه يسلم لأقدم علمائه وإذا لم يكن له علام أيضاً فإنه يعطى من يكون أجدر من بين العرقة المكونة من مائة جندي. وإذا كان من بين المائة أو العشرة من يحرر الفقائون، فإنه أمراء الأغلف والمائة يعتبرونه مديناً، فيعطون الإقطاع شخصاً آخر يستطيع للتفعل ويسجل باسمه. ثم يعرض السجل عليها كل عام. كذلك أمرنا بأنه إذا طالب المتطوعون بشيء يريد عما هو مفصل من الأموال والنصائب وغير ذلك، وعما هو مذكور فى سجلات القوات والتمهيدات، فإن المعارض يسمعهم من ذلك. وإذا ما أخذوا الإقطاع بالقص والمقوّة، فإن على المعارض ألا يتخفى بالحقيقة، بل يسجل اسمه ويعرضه عليها.

عاشراً. عندما يسير هؤلاء المتطوعون بعد عرضهم بموجب حكم المرسوم بطلع الكتاب العلائقي أولاً أمير المائة، وبعد ذلك أمير الأغلف، ثم أمير النومان - على السجل المخصص الذى كتبه، ويواجههم ويعرض عليهم. ثم يطلع عليه قائد المتطوعين. وتقرر أيضاً أنه عندما

(١) الحديث هنا عن صدق المرأة به استطراد وبعد عن الموضوع الرئيس الذى يعالجه رشيد الدين، وهو الذى تناول مع غزاف خان جنود لفرل الإقطاعيات، هنا من جهة ومن جهة أخرى لم يرد من صريح عن النبي صلى الله عليه وسلم بتعدد به صدق المرأة، وإنما معنى من للمالاة فى الصدق، وحث على المباشرة وانظر قصبة غنبد قنداق، تكليف الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، ص ٦٦، (قوة ١٣٩٦هـ).



يعني إقطاع أمير الألف ويخصه له، لا يتصرف في إقطاع المتطوع وحيث إننا أقطعنا المعارض كذلك من ولاية أخرى، لا يكتب حواله على إقطاع المتطوع، ولا يحول إليه شيئا. لقد قررنا كل هذا، وأنعمنا على المتطوع بإقطاع على النحو المذكور. وإذا ما أخذ المتطوعون أيضا شيئا من المزارعين يريد عما هو مذكور ومدون بالتفصيل في سجل القوايين، [ص ٥١٧] أو تعرضوا للمزارعين الذين لم يدعهم تحت رحمة المتطوعين، أو أنهم حووا المزارعين في الولايات الأخرى وآووههم، أو أنهم اعتدوا على مواضع الماء والأراضي الواقعة على حدود قراهم أو اعتصموا الأراضي الزراعية ومراعى الأبقار والأغنام ولحمير ولا يعلون كل سنة عدد الحيوانات وإنتاجها ويتكاثرون ويتحطون الأعشار، ويرسلون أشخاصا آخرين بدلا منهم تحت اسم المتطوعين. وإذا حدث شيء من هذا فإن هؤلاء أيضا يصيرون مجرمين.

وعلى الشخص العلامى الذى عياه للقيام بأعمال الكتابة في الكتيبة المكونة من ألف جندي أن يهبط جيدا كل الأقسام التي ذكرت في هذا المرسوم، ويس كذلك المواضع التي لم تدخل فيها، وكل من قام بتعمير وإصلاح في عمال الإقامة، ويكتب أيضا بالتفصيل كل ما صار يوار تماما من الأراضي، وذلك على حدة وبالتحديد والتفصيل، ثم يهصر هذه المعلومات إلى الديوان كي يثبت في السجلات، وتجمع في قسم الإضافات.

ولقد سلمنا هذا المرسوم للكتيبة العلامية حتى يعتبر الجميع من الآن مصاعدا نشاء مؤبدا ومخلدا، ولا يدخلون عليه تعيرا ولا تبدلا (عسى يقله بعد ما سمعه قابلا إياه على الذين يفلونه إن الله سميع عليم) <sup>(١)</sup>.

حرر هذا المرسوم في الشهر العلامى والسنة العلامية وفي المكان العلامى.

(١) سورة البقرة، آية ١٨١

## الحكاية الخامسة والعشرون

### فى كيفية إعداد جيش خاص مستقل للسلطان غازان خان

قبل هذا كان جيش المغول اقل منه الآن مسييا، مراد سلطان الإسلام - خلد ملكه - بتدبيره وكما أنه جنود المغول والتاريك، وقال إن حدودنا وتصور ممالكنا هي: عراسان وعارس وبعناد وديار بكر وبلاد الروم ودربد<sup>١١</sup>، وهى متباعدة جدا الواحدة عن الأخرى. ورغم أنه قد أقيم فى كل موضع من تلك المواضع جيش مستقل للدفاع عنه، فإنه إذا ما دعت الحاجة إلى انتقال جند من ناحية لمدد ناحية أخرى يتأخر وصول [ص ٥١٨] القوات بسبب بعد المسافة وفصلا عن أن الخود كانوا يتعرضون للصوص والعربى، وتهزل دوابهم وتنعى، لا يؤدى هذا بالقطع إلى نتيجة حاسمة ولهذا السبب أمر السلطان بتعيين شخص واحد أو اثنين إسمائين من كل منزل فيه ولدان وأخ وسائس خيل، ويكون من مجموعهم جيشا مستقلا، وعيهم مددا للأطراف ليرابطوا مع الآخرين. كما عين جند التاريك للمراقبة على المصايق والأماكن الوعرة على الحدود التي يمكن أن يسلط عليها المشاة، ومسح الجميع المرتبات والإقطاعات ولم يكن هؤلاء الجود يصنعون من قبل لأى نظام مع أن قوادهم كانوا يتقاضون عدة مرتبات وذلك بانتحال الأعداد المختلطة. هذا على الرغم من أنه لم يكن هناك جنود قط.

وفى هذا الوقت أيضا أمر بتعيين الكتائب والفرق منهم، وكتابة أسماء الجود ورتبهم فى السجل، وهم مطالبون بالعرض فى كل شهر لتعقد عندهم وعددهم من فرسان ومشاة بموجب الصبط والقانون السارى، وبحكم المرسوم الصادر فى هذا الشأن. كذلك أمر بإعداد جيش المغول على هذا النمط الذى يراه فى الفصل السابق وفى المرسوم الذى سجلناه بخصوص إقطاعات الجود فما الحاجة إذن إلى التكرار؟

كذلك عين لكل ثمر عددا من الجند يمكن لحمايته أما الجود الذين لهم موطن ومحل إقامة فى الولايات فقد عين منهم من يكون أقرب إلى الثغور، ليكونوا عونا للجود الذين

(١١) "دربد" يسبها الغرب باب الأبواب، وتقع فى أقصى شمال بلاد شروم وهى أعظم موطنى نهر فروم. (انظر

بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢١٤ ٢١٥)

يدفعون عنها وقت الحاجة. وهكذا نظم الأمور بحيث إنه في أى وقت لا يسرع طرف  
لجدة طرف آخر بشر ضرورة ملحة. وزيادة عن اليهود أعد جودا آخرين ليكسروا  
مرايطين وعلى أمة الاستعداد.

بهذه الإجراءات استمال السلطان الحراس والنفوذ وحشهم على أن يختار كل منهم  
واحدا أو اثنين من إخوانه وأولاده الذين ليسوا ضمن تعداد الجيش الرسمي، فزاد بذلك كل  
ألف جندي مائة أو مائتين، وأحصروهم جميعا خلال عام واحد. وفقد أمر لهم سلطان  
الإسلام خلد ملكه بالإتعامات والمرتبات والإقطاعات [ص ٥١٩] ومنذ عدة سنوات  
نشأ راع وخلاف بين أعقاب جوجي و جيتاي وأوتكاي الذين هم من أعمام السلطان  
خلد ملكه، فكان جنودهم يفر بعضهم على مواطني البعض، ويأسرون أبناءهم ويعتقونهم  
للتجارة، بل إنه بسبب الغفر كان كثير منهم يبيعون أولادهم أيضا فأخذت سلطان الإسلام  
العيرة من تلك التصرفات، وقال: كيف يجوز لأقوام الملوك، وأغلبهم من نسل الأمراء  
العظام الذين رحلوا في عهد چنگيز خان، وأعقابهم في هذا الزمان ولا الرأيا يبيعون  
أنفسهم عبيدا للتاريك، أو أن أغلبهم يضطرون إلى السؤل؟ ولإزالة هذه الأمور السيئة يلزم  
رعاية حقوق تلك الجماعة، والحفاظة على شرعهم؛ إذ إنه بدون هذا تتحطم الصلوات  
وتضيع هبة جود الملوك التي كانت قد وصلت إلى نجم الميوق (أى إلى عائد السماء)  
ويصبحون معتقري في نظر التاريك، ويحمل أكثرهم أيضا إلى الولايات النائرة.

لذا كله أمر بأن يشتروا لحساب الحصرة كل من يحصره من أبناء الملوك، وأن يدفعوا  
أثمانهم بالقدر الذي حتى يحصل الذكر الطيب، ويتحقق الثواب، ويتكون منهم الحرس  
للجيش الخاص الملازم للحصرة. وقد اشترى السلطان خلال هذه السنين كثيرا من أبناء  
الملوك، وعين لهم المرتبات والمؤن، وأمرهم في ولاية "مراعة" وعهد بإمارة كنيتهم المكونة  
من عشرة آلاف جندي إلى يولاد جينگسانك. كما عين قواد الفرق المكونة من الألف  
والمائة من المقربين إلى الحضرة. وبذلك اجتمع ما يقرب من عشرة آلاف جندي وهم  
يشترون وفقا لهذه القاعدة كل من يجلبونه معهم حتى كانوا منهم كنية كاملة، بل ما يريد  
على ذلك، وصار جميعهم حرما خاصا وملازمي السلطان، وفي أى عهد من العهود لم  
يكن هالك جيش يمثل هذا الإعداد والترتيب على النحو المتبع الآن في هذا الزمان. وقد

## الحكاية السامسة والمشرون

### فى منع إقراض المال بالربا والقضاء على التعامل بالربح الفاحش

عندما بسط سلطان الإسلام حلد ملكه ظل معدته وتمحص بظر البصيرة مصالح الخاص والعام عرف على وجه التحقيق أن الإقراض بالربا وأنواع المعاملات غير المشروعة تؤدى إلى اختلال أحوال الجمهور، وعصفاً في هذا الرمن الذى انعرف فيه الناس دفعة واحدة عن جادة الإنصاف، وامتدت أيديهم إلى ممارسة الأعمال غير المشروعة. فقال فى هذا الصدد، إن تدارك هذا الخلل من الواجبات حتى لا يؤثر ولا يسرى شؤم هذا العمل غير المشروع، ولتؤدى إلى الخلل إلى كل الشئون. وقد تعد السلطان أحكام المرسوم المطاع فى العالمين حتى لا يقدم أى مخلوق على تلك الفعلة المدعومة غير المشروعة ولما كانت الفوائد العظيمة التي تصبها هذا الحكم ليست غامضة على أبناء هذا الرمان وإنما إذا ذكرت فى الكتاب فإن الجميع يدركون أنها محض الصدق وسيرمون فى المستقبل أن حكم سلطان الإسلام حلد ملكه يقضى باستشصال معاصد عديدة استحصالاً كنيا

هذا السبب تسجل هنا عدة أنواع من المعاصد، حتى يعرف أهل العلم أن ارتكاب عمل واحد منها أمر غير مشروع، ويتولد عنه كثير من الخلل والفساد والاعتراف. وتوصيح ذلك على النحو الآتى:

أولاً: فى عهد أبأ قاجان الذى اشتهر بين الجمهور بأنه كان ملكاً عادلاً. وفى أيامه كان الناس آمينين مستريحين، لأنه أبقى على نظم والده هولاكو خان الذى كان فى الحقيقة "صاحب قران"<sup>(١)</sup> العهد، وذلك من حيث مراعاة القوايين وتوخي العدل، وانشاج سياسته. وكان الأمراء وأركان الدولة ووزراء أبيه، وبعض من دخل الخدمة فى أيام حكمه يزاولون

---

(١) لقب يوصف به من تشدد بطقه أو يترك عند اقتران كوكبى المشتري ورجل على حسب الأصول الملكية القديمة وتأثيرها فى الزوجات؛ فكانوا يعتقدون أن مثل هذا للولود سيكون له شأن عظيم (الفاشوس القريه من العصر الجديد، تأليف الشيخ أحمد النجى، جلد دوم (د، ط) ص ٨٨٢، تهران ١٣٥٤ هـ).

أعمالهم وفي ذلك الوقت أعد بعض التجار على بيعتهم الخاصة عدة مجموعات من الأسلحة تصمم الجواشن والخيول المدرعة وآلات الحرب [ص ٥٢١] وبعضاً من الخيول العارضة، وقدموها إلى حصرة أباتاقان. وبواسطة أمراء السلاح والمشرعين على الاصطبلات أحنوا أنشائها بطريقة كان فيها ربح لهم. وعندما شاهد الآخرون تحقق ذلك الكسب اقتنوا بهم. وقد وصل الأمر إلى حد أن هؤلاء الذين لم تكن لديهم ثروة، كانوا يفترون الأموال بالربا، وأخذوا ينفقونها في هذا العرض ظانين أنهم سوف يسددون الدين من الربح ويحققون من رأس المال مبالغ لهم. وقد جرت العادة أن كل ما يودعونه بحملة السلاح والمشرعين على الاصطبلات إلى الديوان، ويأخذون به الخوالات ويطلبون بتحصيل قيمتها نقداً. وبهذه الوسيلة أتبع لكثير من الرعايا وكذلك الأشخاص الذين لم يكونوا يملكون شيئاً قط في عالم الله أن يحصلوا على أرباح طائلة سدّدوا بها ديونهم، وصاروا من حملة الأثرياء، وفجأة ركبو الخيول العربية والعمال المربحة السريعة وارتدوا للملابس الفاخرة وجمعوا حولهم العلماء الملاح والخدع الكثيرين وكانوا يسبغون بالعمال والإبل الحمولة ويطوفون بالطرق والمدن والأسواق. فكان الناس يتعجبون من أحوالهم ويسألون: من أين وكيف توافر هؤلاء بهذه السرعة مثل هذه السلطة؟! وعندما يقومون على حقيقة الأمر تحرك في عوس الشجاذين والمفلسين ولع ممارسة ذلك العمل، ويسيطر على رؤوسهم ذلك الغيام والولع وهناك عدة آلاف من المسلمين واليهود من الخصافين والبائسين الجائلي الذين كانوا يعلقون في أعناقهم العنترات المحتوية على الكمون والكزبرة والأشياء البالية ويبيعونها. وكذلك صغار الساجين الذين لم يكونوا قد رأوا مطلقاً بأعينهم دافقاً واحداً من النقود، ولم تكن بطونهم قد شبعت من الخبز. هؤلاء أيضاً قد شغلوا باقتراض المال بالربا ولم يبقوا ما يفتروضه في تهيئة السلاح وإعداد الخيل، بل صاروا يصرعون كل أموالهم في شراء ملابسهم والاهتمام بمظهرهم، أو يقدمونها رشوة إلى الأمراء المدكورين، ويأخذون صكاً بعض مثلاً على أن ألف مجموعة كاملة من السلاح وعدداً كبيراً من الخيل قد تم تسليمه. ثم يحصلون ذلك الصك إلى الكتاب. [ص ٥٢٢] ورغم أن هؤلاء كانوا واقفين على حقيقة الأمر فإنهم التزموا الصمت، لأنهم أخذوا شئ صحتهم، فكانوا يكتبون المراسيم والخوالات بالأموال النقدية للولايات. ونظراً لأن الأمور قد تسرت لتلك الجماعة، وصاروا في نعمة

وثراء، شرعوا يقرضون الآخرين بالربا. ولهذا السبب اغتدوا أغلب الناس هذا العمل حرفة لهم وسلموا كل ما كان لديهم من الدراهم والدينار والمشعولات الذهبية والآلات والملايس، وأنواع الأموال من "صامت وناطق"<sup>(١)</sup> للناس الذين كانوا يطعمون في تحقيق الفائدة. وما كان يرعى الشحاذون بيعة بعشرة تومات أي مائة ألف دينار، وصل إلى درجة أنهم لم يرضوا بيعة بمائة تومان. ولولئك الصابون الذين أطلقوا على أنفسهم اسم تجار ورجال أعمال أخذوا يجلسون في الدار كل مخلوق كان له إلمام بمعرفة الخط المولى كي يكتب هم الصكوك كما يريدونها، وليصح تأشيرة كل أسر كانوا يطلبونها، ثم يحملونها إلى الكتاب الذين كانوا على علم بمقدار ما يدفعه هؤلاء الناس عن كل تومان حتى يكتبوا لهم المراسيم والحوالات. وقد تصادفت قيمة التومان؛ بحيث إنهم «عشرونه لا شيء»

بعد ذلك كانوا يقدمون تلك الدعاوى إلى الديوان، وعرضوها على حاضرة آباءقاجان. وكانت الحوالات والصكوك من الكثرة؛ بحيث إنهم لو جمعوا كل ما في ممالك العالم من الذهب والفضة، وضموا إليه كل ما هو في باطن المناجم لما رعى بهذا المقدار والمعجب في الأمر أننا إذا فرضنا أن ألف رجل يحملون في إحدى الصحارى مجموعة من الأسلحة تبلغ ارتفاع جبل فإنه لا يستوعبها مائة مستودع، لو أن عشرة آلاف حصان تكاد تستوعبها إحدى الصحارى والمزارع، فكيف أن مائتي أو ثلاثمائة ألف رجل مسلح، ومائة ألف أو مائتي ألف رأس من الخيول، وهم كانوا يدعون أصناف ذلك مائة مرة ورمادة، وكانت يدهم المراسيم والحوالات؟!!

ولما كانت علو الغمة والعظمة من شيم الملوك، لم يفكر آباءقاجان في أن يسأل أي عرضوا كل هذه الخيول والأسلحة التي لا حصر لها؟! [ص ٥٢٣] وعلى أي الجيوش ورعوها؟ وفي أي خزانة؟ أودعوها؟ وفي أي مرعى يرعوها؟ أما الأمراء وأركان الدولة الذين كانوا واقفين على حقيقة الأمر؛ فقد رصوا بحق السكوت المختصر، ولم يكن هم مجال لتذكرك الأمر بسبب ثلوثهم. وكان كل واحد من أولئك الأماني قد تشبث بأحد الأمراء

(١) فصامت: الخشب والفضة، والناطق: الإبل والقمم. ونظر الصحاح للجوهري، ج ١، إصناف وتصنيف ملهم مرعشلي، وأربعة مرعشلي، ص ٧٣٢، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٤م.

أو بإحدى الخواتين، وصار يؤدي لها أحقر الخدمات كي يبال رصاعها بما يقدمه لها من حروف أو قبة شراب. ولما تجاوز الأمر حده، أراد صاحب السعيد الخواجة شمس الدين صاحب الديوان - رحمه الله عليه - أن يتذكر هذا الخلل، فجمع هؤلاء الأعماس، وقال لهم: إن هذه الأموال التي تطالبون بها، لا توجد في العالم كله. وأنا أعرف أنكم لم تتعقوا شيئا أكثر من تقديم الهدايا، والآن أصبح شريكاً لكم، وسوف آخذ من الملك المقصود أباقاخان) مائتي دينار في مقابل كل ألف دينار تقاسمها فيما بينا وحيث إنهم لم يكونوا قد صرفوا نصف دينار في مقابل كل ألف دينار، وصي الجميع بذلك. واسترعى هو نفسه الأمراء، وعرض عليهم قتلاً سوف أوفر ثمانية توماتات، وأكتب حوالة على الولاية بتوماتين، بحيث تسلم لتجار، فوقع هذا الحل موقع الاستحسان. وكان صاحب الديوان يتسلم مراسيم ويكتب في الحوالة توماتين في مقابل كل عشرة توماتات بالنسبة إلى المبالغ التي يأمل تحصيلها. ولما كان يصعب عثماً إليه كان يعطيهم حصتهم من البضائع التي لم تكن تساوي ربع ثمنها، ويتسلم هو نصيبه نقداً أما الجماعة الذين كانوا يقرضون النصابين بالربا فقد ظفروا بطلالون مدة بقرض أخرى، حتى إذا استوفوا مطالبهم من المال، سدّدوا ما عليهم دفعة واحدة، لكن الدائنين كانوا يأتين من الحصول على الربح ورأس المال، فلم يدفعوا لهم شيئاً.

في هذا الوقت الذي حدث فيه هذا السلوك مع صاحب الديوان وراجت هذه الإشاعة التي تقول: إن الأموال تصل تباعاً، فسر جميع التجار، وأعطوهم كل ما معهم من البضائع بالمشاركة. فكان هؤلاء المحتالون لشدة حرصهم وجرائتهم يكتفون في بيوتهم، ويحرمون الصكوك ويحملونها إلى كتاب المعول، ويأخذون المراسيم والحوالات. فأدرك صاحب الديوان هذا الأمر. ولكنه ظل عاجزاً. ومن بين تلك الجماعة، كان هناك رجل يهودي يعمل خصاصاً<sup>(١)</sup>، التجأ إلى المعسكرات في عهد هولاكو خان [ص ٥٢٤] وأحضر معه جمعا من المعول إلى صاحب الديوان بطلالون بأموال المشاركة فسأله صاحب: كم مستحقاقت؟ أجاب خمسمائة تومان وأطعنه على المرسوم والحوالة، فتعجب صاحب الديوان، وسأله: أشكك منزلاً في تبرير؟ قال: بلى. فعاد وسأله: أكبر هو أم صغير؟ أجاب: صغير. فقال

(١) الخصاص من تصف النمل. (الجميع الوسيط، ج ١، ص ٢٢٨).

المصاحب لو حمل مبلغ خمسمائة تومان من الذهب إلى سطح مراك لتتبرها عليه فهل يستوعبها أو لا؟ اعترف اليهودى بأنه لا يستوعبها، وهكذا كان نصف هؤلاء القوم على هذا النمط. وقد أحمق صاحب الذهبان أيضا فى معالجة أمثال تلك القصايد، ولم يستطع تداركها. ولما انتشرت هذه الإشاعة كان الناس يتفقون يوما بعد يوم كل ما فى أيديهم فى هذا الشأن. وإذا لم يكن لديهم مال كانوا يقرضون؛ إلى أن صار أكثرهم فقراء معدمين وعلى أمل الحصول على تلك الترميمات الكثيرة فى الحوالات، صاروا يصيبون وقتهم عشا وبعد مدة نظرا لأن تلك الأموال لم تكن تصل إلى التجار بشى التعاملون معهم، وكموا عن مساعدتهم لسد حاجاتهم، وذلك بالحصول على قرص أو نقد. وأخيرا انتهز الصابون هذه الفرصة وقانوا لعملائهم: إما لا نعطى عليكم شيئا، ولأن لكم أنواعا من الحقوق علينا لن سبب لكم صائفة مالية. لقد أعطونا بموجب الرسوم حوالات مختومة بالدمعة لصرف مبالغ كبيرة من الأموال العمية محولة على حساب الممالك، هشار ككم فيها. وسوف بأحد رسولا من الخاتون العلانية أو من الأمير العلانية حتى يحصل على أموالنا، ونعطىكم نصيبكم. ولكن الخرص كان يسيطر عليهم عندما يرون للراسيم والحوالات التى كانت تنضج أصعاف اللبالع التى اقترضوها، والتى انفقوا على مشاركتهم فيها فصاروا يذبحون ما يحتاج إليه هؤلاء القوم. ولما كان يتحتم عليهم أن يقرضوا بالزيادة باعوا أملاكهم، وذهب معهم أكثر عملاتهم إلى الولايات. وهكذا اتبعوا هذه الطريقة، فكانت عاقبة الأمر أنهم لم يصلوا إلى شىء قط وحسروا ديارهم ومقومات حياتهم، وظلوا معلسين مدميين.

وبعد عهد السلطان آلقاغان أى فى عهد أحمد (تكودار) وأرعون وكيحاتو استمرت تلك الجماعة تحت وتسمى فى طلب الأموال. وكان كل من الخواتين والأمراء الأعمال والأمراء يتعد رسلا يقبلون عروضاً جوعاء، وينهبون إلى الولايات، فكانت الأموال التقديفة اللازمة للارتحال إلى الممالك تستهلك فى توفير الطلع لدوابهم وسداد نفقاتهم. كما أن حكام الولايات راحوا يذبح الطمع يعطون النصف الذى يساوى عشرة دنانير بثلاث ديارا أو أربعين. ويسعى أن تسدد الأموال نقدا للخزانة. [ص ٥٢٥] ومن مظاهر طمعهم أيضا أنهم كانوا يعطون العملاء الأحرمة المرصعة واللؤلؤ والأصناف الأخرى بأثمان مرتفعة هؤلاء كانوا أيضا يرصون بذلك لأنهم إذا كانوا يأخذون حتى الحجارة والخزف لسداد



تلك التعققات، فإنهم يعتبرون ذلك بلا مقابل. ولهذا السبب كانوا هم أيضا يمحرون تلك المرصعات بشئ محس، وكانوا يرهونها في مقابل شئ حقيق. وقد ترتب على شؤم تلك التصرفات انحطاط قيمة الجواهر وكساد سوقها كسادا تاما، ومع هذا لم يستطيعوا الحصول على دخل أكثر من هذا؛ بحيث بقي بسداد منفقات الرسل وتمهيناتهم.

وعاقبة الأمر أن التجار المحرفين وعملائهم ظلوا جوعا عراة. ولهذا السبب كانوا محجرون عن القيام بأى عمل يحصلون به على الكفاف لمعيشتهم. وكانت أموال الخزانة تعرض لتصف والتبديد، ولم يستطع شخص قط أن يتذكر هذا الخلل.

وعندما وصلت نوبة الحكم إلى سلطان الإسلام غازان خان خلد ملكه أمر

لولا. بعدم إقراض المال بالربا، فكفت تلك الجماعات أيديها عن التعامل به، ولم تكن لديهم أية حبة أخرى يمحرون إليها. وفي هذه السنوات القليلة اختفى المرابون العديون مع كل المراسيم والحوالات، وتركوا تلك المعاملات التي لم يكن لها سد ولا أساس على الإطلاق، ولم يذكرها أحد. وهكذا انصرفت تلك الجماعة التي كانت تراول هذه الأعمال وعاد كل منهم إلى حرفته الأولى، وظهر العرق بين الكريم والشحاد، والشريف والوصيع. وقد اتحدت تلك الطوائف الباعية شعارا لها، وهم يتوجهون بالدعاء لنبوة سلطان الإسلام - خلد ملكه -.

وبعد، فهذه كانت إحدى مسؤولى التعامل بالربا على النحو الذى شرحناه.

ثانيا: الأشخاص الذين كانوا يتعاملون بالربا خلال هذه الفترة الطويلة أكثرهم من المعول والأويعور. والحقيقة أن الناس إذا اقترضوا المال بالربا، فكيف يستطيعون أن يكونوا سعداء؟ عاقبة الأمر أنهم كانوا محجرون عن أداء ديونهم، فيظلون في دأس مديونهم مع سائرهم ولولا ذلك. ولكن بين معدلة سلطان الإسلام خلد ملكه رأت تلك المدلة على أهل الإسلام.

ثالثا: مسألة أخرى تتعلق بخلل حطير كان يحدث خلال هذه الفترة الطويلة حينما لم يستطيع الملوك وحكام الولايات من كانوا أناسا يتصرفون بالأصالة والشرف - أن يتعهدوا بتحصيل أموال الولايات حسب المقرر. [ص ٥٢٦] وكانوا يتجنبون تلك الأعمال. وإذا كان الشحاذون والأشرار يستطيعون أن يعيشوا عشرة أيام في تجم الملوك بدلا من عشر

صوات يقصونها مجلس فإنهم كانوا يأخذون المال بالربا، ويقدمون الهدايا الثمينة ويتسلمون الحكم في الولايات، ويصلون إلى مناصب الملوك والسلطين للشهوريين ويجمعون لأنفسهم صرائب ياعطة من الولاية. ولما كان عليهم أن يدفعوا عقبات المعسكر وشن العلماين والجنواب والملابس العاغرة والكماليات الأخرى كان من الضروري أن يقتصدوا المال بالربا. وحيث إن ذلك الشخص الذى كان يقرض المال يعرف أنه يمرض ماله لتلف فإنه لا يعطى هذا المال إذا لم يتصور أنه يحقق له ربحا كثيرا إلى أقصى حد فلا شك أنهم كانوا يستطيعون أن يأخذوا ثلاثة دنانير أو أربعة نظير كل دينار يقرضونه وعندما كانوا يذهبون إلى الولايات كان مجموع إيرادات الديوان لا يعنى بسداد فروضهم. ولهذا كان من الضروري أن يأخذوا من الرعايا أصحاف المقرر عليهم فتقع آلاف عديمة من الناس من عباد الله وممولى الصرائب فى نصب ومشقة، ويقولون معدبين. ولما كان أصحاب الديوان مطلعين على عدم استقامة تلك الجماعة ولأنه كان يبنى أن تكون الأموال موجودة، فبندما كلها هنا الحاكم، ولوث سمعتهم. وما دام ذلك كذلك فإنهم ما كانوا يستطيعون معه. وقد كان هو أيضا شخصا معسلا وبالإضافة إلى ذلك سمح مصطفا للرعايا العديدين بأن يأخذوا مالا أرعد مما يستحقون. وقد أبدى فى ذلك إهمالا وتعاقلا. كذلك كان يلزم أن يقدم هدايا شبة للشحنة وكتاب الولايات حتى لا ينعوه. وإذا لم يأخذوا لما تيسر اللعج. ومع هذا لم يكن يصل مطلقا أى مبلغ من القصد إلى الخزنة وإذا أحصروا أحيانا بعض البصائع فإنه لم يكن شها يساوى ربع قيمتها. ولهذا السبب كانت شئون الجيش مضطربة بسبب ندرة الثوبة. وسة بعد أخرى كانوا يتسلمون منهم الولاية بهذه الطريقة. وكان الكبار المحترمون مطلعين على أفعال أولئك المفسدين الأحساء. ومع هذا لا يسد إليهم عمل مطلقا. وقد قال كبار الحكماء. إن الملك يمثل ويرول عندما يحى الأشخاص الأكماء عن مزاوله الأعمال المناسبة لهم، وتسد إلى غير الأكماء. [ص ٥٢٧]

وقد ظلت هذه الطريقة متبعة فترة من الزمن. وعندما صار صلبر الجاوى ورياء وصل أمر الإقراض بالربا إلى حد يصعب تصديقه إذا حاولنا الشرح والإفصاح. بيد أنا نرى أن ذكر بلة عن الموضوع أمر ضرورى، إذا ما أردنا الإحاطة به. وحيث إن جميع أهل الرمس الحالى قد شاهدوا هذه الأحداث لا يمكن أن نقول جرافا أما بالنسبة إلى القراء فى الأزمان

الثقل، فسوف يلو لهم ذلك أمرا مستعجلا وتوصيح ذلك أنه في عهد الورير صدر الدين كان المتعهدون في الولايات أعنى أبناء عصرهم وحيث إنهم كانوا يعرفون عادته، وهي أنه يبيع بقره بمعدل صمير. وكان المتعهد يقرض المال بالربا، ويقدم الهدايا على سبيل الرشوة؛ فما كان يساوى عشرة دنانير بأحده صدر الدين بعشرين ديناراً. ثم يعطيه له بثلاثين، فكان يرضى بذلك. ثم يقول له: يعنى أن يدفع قسط من المال للديوان، فيطلق المتعهد قتالا. فما يقرض المال بالربا. وإن ذلك المقتدر الذى أعطيته على سبيل الهدايا قد تيسر بصعوبة بالغة (بالب حيلة)، فكان الورير يقول له: لى يصيبك ضرر. وإذا أخذت مالا فسلمه لنا وبمجرد أن كان ذلك الشخص يسلم القبالة وبموجب الأصل والربح من المال بأحد بسهولة كل ما يساوى عشرة دنانير بثلاثين ديناراً. ثم يعطيه إياه بأربعين. وفى الحال يصرف ثلث الدنانير العشرة المتوافرة. ولما كان صدر الدين يريد الحصول على المال بسرعة قال بوابه إن هذا الشيء يساوى عشرة دنانير، لكنهم لى يشتروه بأربع من ستة دنانير ويحصلون لأعصمهم على الدنانير الأربعة الباقية.

والخلاصة أنه لم يكن يصل إلى صدر الدين أربع من ستة دنانير من أربعين ديناراً هو أصل المال. وذلك أيضا هو مآل الديوان الذى كان ينده. وكان من بين عملائه شخص اشترى من أحد التجار عدة آلاف من العم خاصة صدر الدين، ثم كل رأس منها خمسة دنانير. وقد أعطى التاجر مهلة شهرين لسداد الثمن ولما حل ميعاد الدفع لم يكن النقد موجودا وكان أكثر ما تبقى من تلك الأعم قد صار هريلا عجيما فأمر ببيعها كلها بثمن بخس، وإعطاء التاجر ربح شهرين بالإضافة إلى ثمنها. ثم أحالوا القبالة الأصلية وفق هذا القرار إلى شهرين آخرين. فلا جرم أنه يشؤم تداول مثل هذه الأرباح تبذرت أموال الممالك، ولم يسلّموا للخزينة شيئا منها قط. وكل حوالة أصدرها جيخاتو باسم المروءة والسخاء لم يكن يصل منها مطلقا دنانق واحد [ص ٢٨٥] لشخص من الأشخاص. وكذلك الحال بالنسبة إلى المؤن والمرتبات والعقبات المقررة. ولهذا السبب أمر الجند من جيخاتو ورغم كل هذا ظل صدر الدين مقلبا دائما. ولما قتل كان فى عقه الآلاف المؤلفة من مظالم الخلق. وما أكثر الدمار الملبى بالأموال والحم التى صيرها خاوية على عروشها. أما ولاية الأتاقيم من السلاطين والملوك الذين كانوا يقصدون البلاط فقد صاروا

بهذه الطريقة مدعى يفترضون من مائة ألف مسلم ومقولي. وعلى هذا النحو تبدلت أموالهم جميعا. وتقد توفى بعض هؤلاء القوم والمظالم في أعناقهم. وعلى هذا المنوال حسر بعضهم أهلهم وأموالهم وأتاتهم مثلما رأى الجميع بأعينهم وسمعوا بأذانهم. وقد أدرك الجميع أنه لم تكن هناك مبالغة بل إن هذا القول إنما هو مثال وقيل من كثير بالنسبة إلى الواقع.

وعلى هذا النحو صار من الصعب تدارك مثل هذه الأمور العظام التي رسحت في أدمغة الخواص والعوام. وبسبب الأغراض والأهواء المذكورة، فإن جميع الأمراء الأتباع والخوارج والأمراء والوزراء والكاتب والأكابر والأثباع كانوا يرفعون هؤلاء المفسدين وكان لبعضهم ديون عليهم، وكان بعضهم يقبل الهدايا منهم. وليس هذا فقط، بل إن بعضهم صاروا شركاء لهم. ومهما يكن السلطان عادلا وذا سياسة وصاحب شوكة فإنه يكون من الصعب أن يستطيع التغلب على هذه الصعاب إلا إذا كان مرودا بالحكمة والكفاءة والعقل الكامل.

أما سلطان الإسلام خلد ملكه فقد فكر في فكرة مباركة؛ إذ عرف أن أس كل هذه المعاهد هو التعامل بالربا. فإذا منع ذلك فإنه يكون قد غوى الشرع الإسلامي من جهة، وأخرج الخلق من وروطة الضلال إلى جادة الهداية من جهة أخرى. وببركة مع الربا قصى السلطان على كثير من الأضرار الجسيمة.

وعلى أثر اعتدائه إلى تلك الفكرة أصدر مرسوما في شعبان سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م) يقضى بأن لا يتعامل أى شخص بالربا فاستكر ذلك أكثر الناس الذين كانوا قد اعتادوه، وصار بعض الأكابر من دوى النعوذ يقولون. إنه يصحور هذا المرسوم سوف يعلق طريق المعاملات نهائيا. فرد عليهم سلطان الإسلام - خلد ملكه - إننا قررنا إغلاق طريق المعاملات الممنوعة. كذلك قال بعض الجهال من أصحاب العرض والهووى [ص ٥٢٩] إنه يلزم للخزينة أموال نقدية في كل وقت، وإذا لم يقرصوا حكام الولايات فيصرون عن أداء المال، فقال سلطان الإسلام وورثاه: إننا لن ندع أى شخص يتعامل بالربا في مصالغ الديوان، أو أن يأخذ أى شيء من أصل المال أو ربحه. وقد به السلطان مرارا على الخوارج والأمراء الأتباع والأمراء بأن لا يقرصوا على الإطلاق تلك الجماعة.

وعلى هذا أمر المشولين بأن يهادوا صراحة بألسن مدع أحدا قط يفرض هذه العنة مالا، أو أن يطلب شيئا منهم أثناء حياتهم أو من تركاتهم بعد مماتهم؛ لألسا لا نريد منهم مالا بأحده كسفعة وإذا ما بددوا أموال الديوان، فسوف يصادر أمصتتهم وأموالهم في مقابل ذلك.

رابعاً، مسألة أخرى هي أن المعارضين قالوا، إن القروض ضرورية لأرباب الحاجات لإعمار مهماتهم، وقد رد عليهم السلطان بقوله: لماذا يبيع الشخص الذي لا يملك عقارات الطريق وما يحتاج إليه السمر؟ أية فائدة تعود عليها مه، أو تعود عليه ما؟! يجب أن يخلص مسترخياً من مرله لا يبرحه. وحيث إنهم كانوا يسوقون تبريرات أخرى من كل نوع، كان يرد عليهم بقوله: إن الله تعالى والرسول عليه السلام يعلمان مصالغ العالم أفضل ما أو كان يسعى أن رد عليهم عى بالضرورة بهذا المعنى مفلول. هذا ما أمر به الله<sup>(١)</sup> ورسوله، ونسأ أسمع قط كلاماً بخالف ذلك. وسد ذلك التاريخ لم يعطوا مالا أى مخلوق أراد الافتراض بالربا وإذا ما استبد شخص ذو تعود فإهم يسعونه بحكم الرسوم.

ولأن الناس جميعاً في زماننا هذا لا يتعاملون بالربا بمحمد الله ومعه زالت كل الأضرار التي كانت تحدث، واستقامت التعاملات، وعم الإنصاف الناس، وصار أكثر الأموال النقدية يصل إلى الخزنة دها أخرى؛ لأن القانون لا يسمح تسليم الأموال العبية بدلاً من النقدية. كذلك ثبتت قيمة الجواهر والرصعات. وكل من يملك مالا لا يسلمه ليد مصد من المعدنين فيتزه بالحيلة. وبذلك صار أكثر أوراق الخلق حلالاً، وعمت البركة، واشتعل **[ص ٥٣٠]** أكثر الناس بالزراعة والتجارة والحرف الباعقة. وبهذه الوسيلة انتظمت أمور العالم من جديد، ووجدت رونقاً وبهاء. ولا شك أن أهل هذا الزمان يدركون قيمة هذه الأمور؛ إذ إنهم شاهدوا هذه المأساة. أما الذين يعيشون بعد هذا، ولم يروا حقيقة ما حدث فأنى هم أن يدركوا فائدة هذا القانون؟! وحلال هذه المدة التي بعد فيها هذا الحكم كان بعض الناس عس صيغرت عليهم لدة التعامل بالربا يبيعون بالثغوص كثيراً من البضائع بأشبان باهظة، بحجة أن ذلك من قبيل التعامل والبيع المشروع، ولأنه لم يتحدد شكل الربا.

(١) عى الله خلقه عى التعامل بالربا فقال عى حكم كابه ﴿لنيس يأتون الربا لا يقرسون إلا كما يقوم لدى يتبعه التيهان من لنس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا عى حاشه موعظه عى ربه فاتبعى فله ما سلف ولره إلى الله وس عده فلو كنت أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (سورة البقرة، آية ٢٧٥).

وعاقبة الأمر أن هؤلاء العرماء كانوا يأتون إلى الدعوان ويقولون لقد باعوا لنا بعضائع بهذه الطريقة، وأنهم يطلبون شها، فعصب السلطان خلد ملكه وقال إنهم إذا لم يتركوا هذه الخيل والتزويرات فإننا سوف بأمر بأن كل شخص بأحد قرضا بهذه الطريقة لا يعيد على الإطلاق رأس المال ولا ربحه فإذا وجد المال متوافرا إمام الناس عما الداعى لإقراضه ١٢٠٠ يجمي أن يشتروا به أملاكاً، ويستثمروه فى التعمير والزراعة والتجارة فصار الناس يحافضون من ذلك، وقل التعامل بالرباء كما قلت المعاملات المصححة. ومن المؤكد أنه سوف يقضى نهائيا على هذه الطريقة وفى أسرع وقت.

فليرفق اخن تعالى هذا السلطان كى يقضى دائما على هذه الرسوم المذمومة، وحتى يجعل قواعد الشرع الشريف مجهدة وراسخة.

## المكايبة السابعة والعشرون

### فى منع المغالة فى صداق الزواج

قال سبطان الإسلام: إن الحكمة الإلهية فى تشريع الزواج هو أن يكون هناك تناسب وتوازن بين الآدميين. ولهذا السبب فإن حكم الشرعية يقتضى بأنه إذا تموه شخص بكلمة الطلاق سواء أكان جادا أم هازلا، وسواء أكان راعيا لم عاصيا فإنه يقع الطلاق فى الحال لأنه إذا لم يكن هناك اتفاق بين الزوجية وروجها [ص ٥٣١] فالأولى أن يفصلا، وإلا فسوف يؤدى عدم التوافق إلى الحدة والمصعب وإن استمرار الحياة مع العصب هى عادة الوحوش، ولا محالة أن ذلك يؤدى إلى المصير، ولا يتحقق التوالد والناسل مع وجود المصير. ولهذا السبب أصبح طريق الطلاق مفتوحا دون مانع قط.

أما إذا عقد الكاح على امرأة بصداق باعظ طس يستطيع أى مخلوق أن ينادى بطلاق روحته، وذلك خشية أن يقع المال الكثير وإذا كانت علاقة الزوج بروحته ليست على ما يرام وغير مطمئة فإن الزوج يضطر إلى التحمل وهذا الأمر خلاف الشروع والمقول ذلك أنه بموجب ما تقرره تقتضى حكمة الشارع أنه إذا ما تردد شخص فى إظهار المحبة لزوجته، ولم يحرص على اتفاق وجهات النظر بينهما فإنه يستطيع أن يفصل عن روحته دون جدال أو تفكير أو مانع.

كذلك تقتضى حكمة الشارع أن تكون رعاية الناس لأبائهم وتوفير مؤنهم ولولائمهم أمرا واجبا على الآباء. وهؤلاء الآباء معرضون فى كل وقت لمسح الإعانات عنهم، أو أن يفصلهم بمرحل كجود احتياطيى بعيدا عن أولادهم. فإذا ما استهلك صداق الزوجية فمن ليس بتواضع المال لتربية الآباء، وسد حاجات الباقى ورعاية شؤونهم؟

وبناء على هذه المقدمات، ولأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد استحسّن المهر القليل فى الزواج بسعى أن يخلص الناس الصداق إلى أقصى حد بحيث لا تجب عليه الزكاة. وبناء على هذا تقرر ألا يبرء كل الصداق على تسعة عشر ديارا ونصف؛ ذلك أنه ليس هناك إثم قط فى الصداق القليل ولا شك أن الشخص الذى يحب روحته لا يمكن التبريق بينهما

مهما بلغ التحايل والإجبار أما الزوجان اللذان لا يوجد بينهما وفاق فليس الأولى أن  
بمعصلا بأسرع وقت ممكن كي يتحلصا من اللتاعب، ويستفيد كل منهما لأنه ثبت  
بالتجربة أن بعض الزوجات لا يحسن لزوجهن، فإذا ما طلق فإن الآخرين يتزوجون منهن  
ومحبوهن، فتكون هناك فائدة للطرفين

لهذا السبب أصدر السلطان مرسوما بخصوص هذا الموضوع  
والسلام.



## المكايبة الثامنة والعشرون

### فى إقامة المساجد والحمامات فى القرى بكل البلاد

لا يخفى أن احتياج الناس إلى الحمامات والمساجد من الأمور الضرورية. وهى بعض من ولايات الممالك لم يمس فى القرى شئ من كلا النوعين، ولم يدير ملوك الإسلام ذلك من قبل. ومن المؤكد أن الأهالى فى تلك الأماكن لا يقيمون صلاة الجمعة، ولا يتيسر لهم غسل الجنبه والتنظيف، كما هو مشروط شرعاً، مما يسبب خطراً فى دينهم.

ولعلاج هذا النقص أمر السلطان وأصدر مرسوماً يقضى بإقامة مسجد وحمام فى كل قرية من قرى كل الممالك. ويعتبر عمرهما وأثنا من لا يبعد هذا الأمر وخلال ما يقرب من عامين أقيمت فى كل البلاد المساجد والحمامات فى الأماكن التى لم يكن فيها مساجد ولا حمامات. وفى هذا الزمان غُصِّلَ أجور مرتفعة من تلك الحمامات، فأمر السلطان بأن يمدح منها على ما يلزم ملك المؤسسات، وعلى شئون المساجد من تعمير وفرض وإدارة وصرف أجور للخدم.

وبمجرد أن تم هذا النموذج النبأ على حسن التدبير الذى أمر به السلطان جرى مثل هذا العمل الخيري فى عدة بقاع من بقاع الممالك، وظهر شعار الإسلام، ونعم الناس بالهدوء والراحة.

أوصل الحق تعالى بركات ومثوبات ذلك إلى أئمة السلطان المبارك.

## الحكاية التاسعة والعشرون

### في منع الناس من احتساء الشراب

حيث إن أكثر الخلق في الممالك يفتنون على شرب الخمر وتناول المسكرات وكانوا يسهكون في العريضة والعمى بسبب سكرهم في الأسواق والمجمعات؛ فيؤذي بعضهم البعض، أو يُجرح بعضهم أو يخل بهم الإعياء والإرهاق مما يوجب محاكمتهم. والمسكرات حرام ومنهى عنها في كل المذاهب والمثل<sup>(١)</sup>. وبسبب ما تقرر عنها، وما ورد من ذمها بحصر المفاسد التي تنتج عنها، رى أنه لا داعي إلى الإطراب في ذلك. يكفي أن أطلق عليها "أم الخبائث".

وبخصوص تدارك هذا الخلل، قال سلطان الإسلام خلد ملكه بما أن المشرع عليه السلام وسائر الأنبياء قالوا بتحريم الخمر [ص ٥٢٣] وأن النصوص قاطعة في ذلك الشأن هنا على حين أن الخلاق لا يهجعون ولا يتركون الشراب، وإذا نحن أبصنا معا الشراب مطلقاً، فمن المؤكد أنه لن يمتد ذلك. بناء على هذا قررنا أن يكفي حالاً بأن يقيص على كل شخص يحدوه شلاً في المدن والأسواق، وأن يصرى، ثم يربط إلى شجرة<sup>(٢)</sup> وسط السوق حتى يمر عليه الناس، ويوتجوه هتبه ويترجر.

وبخصوص هذا الموضوع أصدر مرسوماً وأرسله إلى أطراف الممالك. وفي هذا الرمان لا يجرؤ أي مخلوق على أن يخرج إلى الطرق شلاً. وإذن فكيف يصل به الحال إلى حد الجنون والعريضة؟! وبهذا قضى السلطان على الفساد الناجم عن احتساء الشراب وعلى مشاجرات السكاري وخصوماتهم في الأسواق والمجمعات.

---

(١) ورد في الحديث الشريف قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر". ورواه الحاكم والبيهقي عن أبي حنيفة ورواه الطبراني عن الحسن بن بشير بنقط. "اجتنبوا كل مسكر" (انظر كشف الغطاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على لسان فاس القبطي، الجزء الأول، ص ٤٩، حلب بدون تاريخ)

(٢) يذكر الوصاف أنه في عهد غازان بنا ركنب شخص شراب الخمر، فإنه يعذب في السوق، ويقام عليه الحد الشرعي، ويطلق في شجرة يطلق عليها لعل شير "مروس السكاري" (مروس مسنان) وانظر تاريخ الوصاف ص ٢٧٨، طبع ببيروت.

كذلك أمر الشيطان ألا يدخل أى مخلوق منازل الناس للبحث عن السكاري حتى لا يسلط العسس سلوكاً يتجاوز حد الاعتدال، وحتى لا تغل المتاعب والمشقات بالخلق. ليوفق الله تعالى هذا الشيطان الخاسى الدين حتى يصدر دائماً هذه الأحكام.

والسلام

## المكايبة الثلاثون

### فى إعداد نفقات الطعام الخاص والشراب لجيش السلطان المعظم

ليكن معلوماً للجميع أنه قبل هذا كان يسود الجدل والراع دائماً بخصوص إعداد نفقات الطعام. وكان الكتاب والمهندسون يوقع بعضهم بعض، ويتهمون بعضهم بعضاً. وكانوا يغالون فى ذلك الأمر، فكان على الأمراء أن يشعروا باستجوابهم ومحاكمتهم وكانت نفقات الشراب والطعام فى المبدى جماعة يعقون مبالغ تزيد كثيراً عما صرفوه بالفعل. كذلك كانوا يصيغون بعض النفقات التى لم تكن لها صلة بتوفير الطعام وذلك من قبيل الصدقات ومعاشات الناس وعناء الحيوانات والعهود وكذلك العلف ومشروب الرسل ورواتب بعض الأمراء الأعيال والخواتين ولوازم البيوت وأدوات الطابع وأمثال ذلك وغيره الأسباب تصخم ثرواب طائفة من هؤلاء المستغنى يضاف إلى ذلك ما كان ينفق على شئون المآذب وإقامة الحفلات وأكثر هذه الأموال لم تكن فى الحقيقة تنفق فى هذا المرمى كذلك حددوا للأوصاف المختلفة أسعاراً مرتفعة. [ص ٥٣٤] وكانوا يحيلون كل تلك النفقات على الولايات لتتولى تدبيرها وفى نفس الوقت كانت الشئون المتعلقة بأموال الديوان غير مبسطة ومضطربة وفى مية الحكام والمهندسين ألا يعطوا الديوان شيئاً قط وذلك على النحو الذى وصفا فيه أسباب تلك المعاسد.

لكل هذا اختلت شئون الولايات اختلالاً كبيراً. ولم تكن النفقات اللازمة لتوفير الطعام تصل فى وقتها. وكان الرسل الذين يذهبون لتحصيل تلك النفقات يهملون أداء واجباتهم مقابل ما كانوا يأخذونه من هدايا على سبيل الرشوة كذلك كانوا يعطون المتعاملين معهم فرصاً كثيرة لئساد ما عليهم، وأيضاً كانت الحوالات تصدر مرة ثانية إلى ولايات أخرى، وهكذا سار الرسل على نفس الطريقة. وفى كل عام كان يذهب العديد من الرسل لتحصيل نفقات الطعام، وكانت تزيد نفقاتهم وعلف ذوابهم على أصل المال المخصص للعداء ومع هذا لم يكن المال يصل أيضاً ورغم أن نفقات توفير الطعام قد حدثت؛ بحيث تكفى كل من يعمل لتحصيلها، بل كانت تكفى أشخاصاً كثيرين آخرين. ولكن حيث إنها

لم تكن تصل في وقتها، وكان المتعهدون يفترضون المال بربح فاحش. وقد قوموا بمائة مئة من الشراب بعشرة دنانير وإذا كانوا يعملون بتدبير، فإن المتحصل يصير بحسبة دنانير. وأحياناً كانوا يشترون مائة مئة بعشرين أو أربعين ديناراً.

ونتيجة لذلك فإن المال الكثير الذي كان يصل إليهم، والمبالغ التي كانت تزيد على نفقات توفير الطعام، أصبحت غير كافية. إذن فكيف تكون قيمة المحاولات التي كانت في أيديهم، وتأخر سدادها عامي؟ ومن جملة ذلك ما كان لا يزال باقياً على الأساكين المحتلطة. وأما الخلل الأكبر حقاً، فإنه يتمثل عندما كان الكتاب يسألون عن النفقات الخاصة بتوفير الطعام. عندئذ كان حكام الولايات يتدخلون بحجة أن أمر تدبير الطعام مسألة خطيرة، ويقولون إننا سادر بمصر تلك الأموال، ويكلمون الرسل بمهمة أخرى. وهذه العملية أيضاً لا تخرج إلى حيز التنفيذ. وهكذا كانت تصبح العقبات الأخرى، فتعم الخسارة. وبسبب تعطيل الرسل وتأخيرهم كانت تصبح سدى المبالغ المخصصة للمصروفات. وإذا عرل الحاكم في نهاية العام فإنه كان يتحمل عذراً قائلاً: إن المال في عهدة الولاية، أو أنه صاع. وإذا لم يعرل فإنه يتحجج بالحساب والتحقيق ومراقبة رؤساء الديوان بحجة مشاركتهم الرسل، وأخذهم الهدايا على سبيل الرشوة. وهكذا يمضي الوقت عبثاً.

ولا شك أن أثر تلك القصصا وسوء التدبير إما كان يرجع إلى تصرف المتعهدين الذين كانوا في راع دشم مع موظفي الديوان. وكان كلا الطرفين يتبادل التهم، [ص ٥٣٥] ويلقى بالثبته والذنب على عاتق الطرف الآخر، وظلت الوشائات والسمايات قائمة فيما بينهم. ولم يتفق مطلقاً أن تعد المئونة عشرة أيام متتالية ولو أنهم رجعوا إلى السجلات واحتاطوا للأمر، لوجدوا أن الأموال الكثيرة قد ضاعت بهذه الطريقة بحيث إنه لا يمكن شرح ذلك. وكيف يمكن أيضاً إدراك حال المئونة التي تعد بهذه الطريقة؟ كذلك كانوا دائماً يتفلقون الأطعمة والمشروبات مكرهين. وكانت توار الشاحات والمشاجرات بشأنها. وعندما كانت تصل إلى الجند وقت معادرتهم للعسكرات، كانت تبقى متروكة مهملة. وعند الانتقال إلى المصاهب والمشتات كانوا يهتمون بتقديم الهدايا أكثر من اهتمامهم بتوفير المئونة. وفي أثناء ذلك كانت تصبح العقبات المخصصة لها وتذهب. وعندما كانوا يشترون

للمشروبات من بائعي الشراب، والأعنام من القصابين، فإنه كثيرا ما يحدث ألا يدفعوا لهم شيئا. ودالما كانت تلك الجماعة تصيح وتوح ظلمهم. كما كانوا يركعون أمام الأمراء في دلة ومسكة، ولكن دون جلوى. ولهذا السبب أشهر كثير من بائعي المشروبات والقصابين إفلاسهم. وهكذا فإن لمثال هذه للعائد كانت تزيد على الوصف.

ولتدرك هذا القصر قرر السلطان أن يكون الإصلاح على هذا النحو الذي بنفسى بتوفير صفقات المذن والأطعمة يوميا لمدة ستة أشهر، على أن تعطى هذه الصفقات بشدا من الخزانة كسفة لشراء ما يحتاجون إليه من السلع ثم ينقل كل ما يكون معدا في إحدى الولايات. وكل ما يشتري بشئ أرخص يبقى مرقى السعر رصيدا للخزانة. ولا يتوقع أى محلو أن يستفيد من تفاوت أسعار المشروبات والأعنام والسلع وبمعى أن يشتروا أرخص من الأسعار المتعددة فى السجلات لما ما كانوا يأخذونه قبل هذا من الصفقات عبر الضرورية ومن المآذب والجماعات المعدلة التى لم يمتق عليها كثيرا، وكل ما يتبقى من أيام تقبل فيها الصفقات، فإن هذا كله يكون رصيدا للخزانة. ومن مهورات ذلك كله، تجمععت فى مدة عامين أموال كثيرة اشتروا منها خمسمائة مائة وخمسمائة بعل، وأودعوها لدى المحالين والسياس الرضاء حتى تكون دالما معدة لتلبية متطلبات المشروبات والأطعمة وكل ما كانوا يدفعونه كل سنة لتأجير الدواب، يعقون بعضها منه فى شراء العليق ورعاية الدواب، [ص ٥٣٦] ويشترون بأقل من خمسة دنانير الشراب الذى يقدر بمائة من وكانوا يتناغونه قبل ذلك بثلاثين أو أربعين دنارا

والآن صارت المشروبات المذن والأعنام والمحاريج والذولرم الأخرى معدة ومتوفرة وإذا أرادوا الحصول على أضعاف المقرر فإنهم يحشونه بسهولة ودون صراع أو نزال. وقبل هذا كان سعر الشراب الذى يشتريه المتعهدون من بائعي المشروبات مرتفعا جدا. هذا على حين أنه الآن متوافر فى الأسواق وفى حالة كساد. كذلك لا يدفع أى رسول أو محصل إلى الولايات للمطالبة بصفقات المذن. ولهذا السبب لا تلزم مصروفات ولا تنبذ أموال، بل يأتى النفد إلى الخزانة. كذلك أصبحت الشئون المتعلقة بتوفير المذن ونهتية أسبابها وترتيبها ونقلها تتم بصورة منسقة ومضبوطة لم يسبق لها مثيل دون شك فى عهد أى سلطان من السلاطين. ومن المنطوق به أنه لا يصرف أكثر من ربع ما كان يتبدد قبل هذا. ولو وضع

في الحسبان أيضًا العقبات التي كان يتطلبها إعداد الرسل، قلن تكون المصروفات الحالية أكثر من العشر.

ولا شك أن ترتيب هذه الشؤون إنما هو أمر متوسط باهتمام النواب ووزير البلاد الخواجه سعد الدين، فهو لا يدع دائمًا واحدًا يتعرض للتلعب والصباغ.

ليسط الحق تعالى أهد الدهر ظل هذا السلطان الكامل العقل، الصائب الرأي.

والسلام

## المكايمة الحادية والثلاثون

### فى إعداد نفقات المؤن للحواتين والجنود

فى عهد هولاء كان كانت نفقات توفير المؤن للجنود والحواتين تجرى على مس  
المول وعادتهم، ولا يمكن زيادة هذه النفقات وتلك المقررات. وعندما كانت تجلب  
العائم من حروبهم فى ولايات الأعداء يعطى الجنود شيئاً منها، وكان لكل واحدة من  
الحواتين عدد من التجار يقدمون لها شيئاً من المال كربح أو أن شخصاً يهديها هدية.  
وكانت مثلك عدة قطمان ولها أيضاً تاجها وماسعها. ومن هذه الأشياء كانت تتوافر  
للحواتين النفقات اللازمة لتوفير المؤن وما يخص إليه. وكى قاعات بذلك.

وفى أواخر أيام آباقاجان ظهرت زيادة طفيفة فى المؤن. وبعد ذلك فى عهد أروعون  
حصص لكل معسكر مبلغ من المال. وكانت هذه النفقات تحول على الولايات لتحويلها.  
[ص ٥٢٧] وعندما كان الرسل ورؤسائهم يذهبون لتحويل هذه المبالغ، لا يدفعها  
الحكام، متبرعين ببعض الأعشار التى شرحاها فى عدة مواضع وكانوا يشعلون أوقانهم  
بأحد السعف والالتزام بتتبع العود وتقديم الهدايا وإذا حصلوا على مبلغ ضئيل، كانوا  
يملحونه فيما بينهم. وحيث إن نفقات توفير الطعام للجنود تجرى على هذا النمط، فإنه  
ينبى لنا كيف كانت تسير الأمور فى ظل هذه الأوضاع وفى عهد كجياتو كان الحال  
أيضاً يجرى على هذا النمط. وهكذا صاعت مبالغ كثيرة من الأموال على يد حكام  
الولايات وكبار الشخصيات.

أما فى العهد المبارك لسلطان الإسلام خلد سلطانه فقد وقعت الخصومة بين قواد  
الجيش. ولهذا كان يكيد الواحد منهم للآخر، فتم صوا للاتهامات والمحاكمات بسبب هذه  
التصرعات. وقد بقى بعض تلك الأموال دما على الولايات، وتبدد بعضها بين كبار  
الموظفين، فكان السلطان يأمر بمعاقبتهم وعزل بعض منهم. بعد ذلك صرح قائلاً: لا  
يصح أن تصبغ الأموال بهذه الطريقة، أو تحتلها حكام الولايات. وبذلك لا تنظم الشئون  
المتعلقة بتوفير المؤن للجنود، ولا تصل الأموال إلى الخزانة أو إلى الجند.



ولملاح هذا النص أمر السلطان بتعيين إحدى الولايات لكل جيش من أملاك الخاصة  
تعصل عن الديوان وتسلم لهم كذلك تقرر أن تصرف الأموال المخصصة لتلك الجهات من  
الديوان، ويكتب تعهد لكل فئة تعصل فيه العفقات الخاصة بتوفير المؤن والعلف، وما تحتاج  
إليه الخواتين من ملابس ودواب وكذلك للعفقات اللازمة لتدوير الشرب والاصطبلات  
والإبل والبعال وملابس البات والسادة والعراشين والطباخين والحمالين والمكاريين وغيرهم  
من الخدم والمخشم كما يصح أيضا على ما يبغي الحصول عليه من اللوازم الأخرى، وأن  
يحسبوا كلها ضمن مجموع العفقات حسب هذا الترتيب. ثم أمر بإبداع ما تبقى في حراة  
كل خاتون، وأن تضبط الحسابات تماما ثم تختم بختم الأميرين المعين على رأس كل  
جيش. وعلى الجميع ألا يتحركوا عن حكم مرسوم السلطان حتى يكون هناك دائما رصيد  
في حراة الخواتين يستعاد منه عند الضرورة. ثم أضاف السلطان قائلا: إن أملاكى الخاصة  
تصير من بعدى ملكا خاصا لأبناء الخواتين على أن توقف على أولادهم الذكور دون  
الإناث<sup>(١)</sup> وإذا لم يكن لتلك الخاتون أولاد ذكور [ص ٥٣٨] فإنها تكون من نصيب أبناء  
الخواتين الأخرى. والآن فإن كل تلك الولايات والأملاك في يد نواب الخواتين وذلك  
بموجب تعهدات الديوان وقد صارت كلها عامرة، وتدر أموالا تزيد عما سبق.

أما العفقات الخاصة بتوفير المؤن للوجود وما تحتاج إليه المصالح فإنها صارت كلها معدة  
ومرتبة، وتصل في وقتها كذلك وصحت وتمتعت الأموال المودعة بحراة الخواتين. وفي  
هذا الوقت الذى كانت تدعو فيه الحاجة إلى زيادة العفقات لتصريف مصالح الجند، أمر  
السلطان بإعطائهم مبلغ ألف ألف دينار، وحوله إليهم بموجب هذا القرار. وكان هذا مددا  
كاملا للجند. وفي الحقيقة لم يتراعى مطلقا مثل هذا الضبط في أى عهد من العهود.

إن شاء الله تعالى سيظل ملك هذا السلطان وطيدا ومردحرا أبد الدهر

والسلام

(١) هذا الإجراء مخالف للشريعة الإسلامية التى لا تحرم الإناث من أن يرثن أيضا لهن، قال تعالى ﴿وَصِيغَتُكُمْ اللَّهُ فِي

لَوْلَاكُمْ لَنَنكَرُكُمْ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَى﴾ (سورة النساء: آية ١١).

## المكايبة الثانية والثلاثون

### في ضبط شئون الخزنة وترتيب مهماتها ومصالحها

قل هذا لم يكن معتادا تلويح حسابات الخرائن الخاصة بسلاطين العول، أو يكون لها دخل وخرج ثابتان. ولقد تصورا عددا من الخزنة كي يأخذوا منهم كل ما يحصلون عليه من أموال، ثم يودعونها متصلاصين، ويدعمون كل ما يلزم من نفقات بمعرضهم جميعا. وعندما يئسد الرصيد يقولون. إنه بعد. وكان المرادون يحرصون تلك الخرائن، ويحملونها ثم يلقونها بصف. وقد بلغت الأمور من عدم الدقة وسوء النظام درجة كبيرة إلى حد أنه لم تكن هناك خيمة نوصح فيها هذه الخرائن، بل كانت تكندس في الصحراء، ويكتفى بتعطيتها بلباد. وهكذا يمكن القياس على سائر الأحوال. ومن جملة العادات الشبعة عندهم أنه عندما كان يذهب جماعة الأمراء ومعهم أصدقاء الخزنة ويطلبون منهم اغدايا، كانوا يعطون كل واحد منهم شيئا على قدر مرتبته. كما أن الطهارة والسقاة والخدم وسياس الخيل، كان كل منهم يحمل إلى الخزنة كمية من للأكل والمشروب وغير ذلك [ص ٥٣٩]، ثم يطلبون شيئا، فكان الخزنة يتشاورون فيما بينهم، ويملون طلباتهم. ولأن المراديين كانوا حراسا للخزنة صار المسئولون بقبولون ملتزماتهم، ويعطون كل واحد منهم نقودا كذلك كان الخزنة يتبادلون الغدايا، ثم يتشاورون فيما بينهم، وأخيرا يتفقون على أن يحمل كل منهم شيئا إلى مرله. وبهذه الطريقة كان يوضع من تلك الخرائن كل سنة شاة أعشار ما تحتويه، ويصل فقط العشران الباقيان من النقود إلى الجهة المطلوبة، فكان السلطان يأمر بإعانتها. ولأن حكام الولايات قد هموا هذه الأمور جيدا، كانوا إذا سلموا أموالا لإبداعها في الخزنة، فإنهم يأخذون بدل الشيء الواحد شيئين. وعندما يحصرون مالا أقل إلى الخزنة فإن ما يحصرونه يجري ضبطه على هذا السط. ومن هنا يتضح الموقف فتسائل كيف يستطيع السلطان أن يعق عندما تدعو الحاجة إلى الإنفاق؟! وهكذا كان الحال يجري على هذا السؤال دائما.

وحيث إن حراس الطرق أمروا بالاحتياط، وباعتقال أى شخص يخرج ثوبا أو شيا آخر من الخزانة، صاروا يحتفلون واحدا كل بضع سنين، وذلك أيضا لعرض خاص فى أنفسهم فكانوا ينتهرون العرصة كى يوقعوه فى الدسب، ويقدموه إلى المحكمة. وهذا لم يحدث فى كل المهود أكثر من مرتين أو ثلاث مرات ولهذا السبب يستولون على المرصعات والذهب الأحمر. وإن شرح تلك الأحوال يتجاوز حد البيان.

أما الآن فلنصط هذه الأوضاع ونصحبها، قرر السلطان أن تكون الخزانة مستقلة فى إدارتها، وأن يصبع بيده المباركة كل ما يوجد من المرصعات فى صندوق، بحيث إنه لو يحدث أى تصرف فيها، يعلمه فى الحال كما قرر أن يثبت فى السجل كل صغيرة وكبيرة بقلم الورير بالخير والقطير ثم أعلن هذا الصندوق بالنقل وحتمه بجنمه، وعين شخصا من الخزانة ومعه أحد الخدم من الحصص ليحافظ على الصندوق، ويكون فى عهدتهما، وبإستثناء هذين الاثنين لا علاقة لأى مخلوق آخر بهذا الصندوق.

أما كل ما يكون من الذهب الأحمر والذهب الخاصة التى تصنع فى المصانع، أو الأشياء التى يحضرونها من الولايات البعيدة كالنحف والندايا فإن الوزير يسجلها بالتفصيل جريا على القاعدة المتبعة، وتبقى كذلك فى عهدة هذين الشخصين المذكورين، وقطعا لا يتصرفان فى أى منها قط ما لم يصرح بذلك سلطان الإسلام تصريحاً مطلقاً. [ص ٥٤٠].

وأما كل ما يكون نقداً فضياً، وكذلك أنواع الثياب التى تورع دائماً فقد نصب السلطان حازماً وخادماً حصياً آخرين لتكون هذه الأشياء فى عهدتهما، على أن يتولى الوزير إحصائها ثم يثبتها فى السجل. كذلك أمر السلطان بأن يكتب الوزير إذا بما يتقرر صرعه، ويعرضه حتى يؤشر عليه بقلمه المبارك. ثم يثبت ذلك نائب الورير فى السجل. وما لم تكن التأشير مثبتة على أدوات الصرف، لا يصرف شيء قط لأى مخلوق. وتسمى الخزانة الأولى "ناريس" والثانية "بيدون" وحتى لا يلزم التأشير على الأدوات فى كل لحظة تقرر أن يكتب الورير كل شهر أدوات الصرف بالتفصيل جريا على المتبع، ثم يعرضها واحدا فواحدا على السلطان وقت الخلو وانتهاء العرصة حتى يؤشر عليها

كما أن على الورير أن يطلب جرد الخزانة كل ستة أشهر أو كل عام حتى يتأكد من أن كل المبالغ موجودة بالخزانة أو لا؛ وذلك خشية أن تكون هذه المبالغ قد نضدت من الخزانة

لسبب من الأسباب الكثيرة. وقبل هذا كان بعض العظماء والأصدقاء يلتصقون أن يصرف  
هم قرص من الخزانة. ولكن لأن المرسوم قد صدر بعدم التصرف في الأموال بعير الإذن  
البارك، رفض ذلك الالتئاس كذلك أمر السلطان بصح حتم خاص يختم به في الحال كل  
ثوب بمصروبه إلى الخزانة، حتى لا يمكن إبداله.

وعن السعاة الذين كانوا قبل هذا يتدخلون في شئون الخزانة، أمر السلطان بأن  
يشتعلوا بالعرشة فقط، لأن الخزانة في عهدة هؤلاء الأشخاص الأربعة فقط. وتصبية  
الحساب يعني أن تكون بموجب الإذن الذي يعطى لهم. وأشار السلطان أيضا بأن يكون  
في الخزانة عيار الورن العادي، بل يكون فقط العيار القانوني المحتوم الذي بموجه يكون  
التسليم والصرف. وليس لأى مخلوق الحق في أن يعطى أصحاب الخواتم درعاً من  
الكرباس في مقابل نقد ذهبي، أو أن يماطل في الدفع لحظة واحدة، بل يعني أن يدفع المال  
في الحال نقدا لأصحاب الخواتم أو العماش. ويعني أن يسلم نفس النصف المطلوب  
الدموع بدمعة الخزانة، ولا يتوقع المقاتلون عليها أن يبالغوا شيئا من أحد في سبيل تسهيل  
مهمته. [ص ٥٤١] وقد تقرر تحصيل ديارين كرسوم للخزانة عن كل مائة دينار من النقود  
التي بمصروبها من الولايات ولا يأخذون زيادة قط عن المطلوب.

كذلك أمر بتخصيص خزنة أخرى، نصب عليها أحد الخصيلان، وعليه أن يأخذ دينارا  
عن عشرة دنانير من النقود التي بمصروبها إلى الخزانة وأن يسلموه ثوبا واحدا على حدة  
عن كل عشرة أثواب ليضعه في الخزانة أيضا. كذلك أمر السلطان بإحصاء أموال  
الصدقات الموجهة إلى الخزانة كي يسلمها بيده المباركة للمستحقين. وقد تم ضبط ذلك بعض  
الترتيب الذي سبق شرحه. وهذا النظام يطبق أيضا وبعض السق المذكور على الخزانة  
المحصصة لمستودع الأسلحة. ولا يمكن أن تحفظ بهذه الصورة وتلك الثقة أموال أى  
حاكم أو صراف أو تاجر كبير ممن هم مشهورون بالمحافظة على المال، فكيف بمرالس  
الملوك؟! وقطعا لا يمكن أن تتصور الحياة ولو بدائق واحد من النقد.

وعندما يتوجه السلطان إلى الصيف أو إلى المشتى تراجع الخزانة بنفسه عدة أيام قبل  
تحركه، ويشقى كل ما يريد نقله معها. ثم تسجل بالتفصيل الأثمان والأحمال بخط الوزير  
ويتركها في تبرير في صناديق مغلقة ومختومة. وعندما يريد السلطان أن يعرف أحوال

الحرارة من حيث الكم والكيف وقد دخل والخروج، يسأل الورع، ويرجع بفكره إلى السجلات، ويعرض المطلوب في الحال وحيث أن سلطان الإسلام حلد ملكه مؤيد بالتأييد الرباني. كما أن إمداد اللواهب الإلهية بشأنه كامل ضاماً، واتفق أن ورعه أبصراً مع وجود كمال كفايته وكياسته وعلمه وعمله، لا يوجد لوثق منه، فلا جرم أنه لا يمكن أن يصبح دنيق واحد من القدر أو ذراع من الكرياس ولم يعد لأي مخلوق مجال لنجاسة.

وإنه ليس وبركه هذا الصبط، وهذا الصدق اللذي أمر بهما سلطان الإسلام. ويعصل الأمانة والديانة، صارت القود الذهبية تخرج من الخزانة بكثرة هائلة بحيث إنها لو كانت يوماً تعد ماؤه وليس هناك في سجل قديم أو حديث مطالعة ذكر لمثل هذه الأموال الطائلة والنياب التي لا حصر لها. كما أنه لم يعط أحد مثل هذه المقادير من غرامة أي ملك من الملوك

ليوصل الحق جل وعلا هذه المرات إلى أيام السلطان المبارك بحق النبي وآله وسلم.

## فى ترتيب شئون المؤسسات ودور الصلاح

قبل هذا كان بين فى كل مدينة وولاية صناع كثيرون من قبيل القواسم وشاحدى  
السهم وصناع الخبثات والسيوف وغيرهم. كما كان للعمول مثل هؤلاء الصناع وكان  
كل واحد منهم يصنع آلة أو اثنين. وكانوا يتقاصون أجورهم ومراتبهم. كما كانوا  
يتعملون بتقديم كمية كبيرة من الأسلحة. وكانوا يأخذون شها من الخوالات المكتوبة  
على الولايات. وفى بعض المدن، كانت هناك مصانع يعمل فيها صناع مهرة. وقد  
خصصت مبالغ من الأموال لهذا الغرض. وكان على رأس هؤلاء نواب الأمراء حاملى  
الصلاح. ومن كل الأموال التى تنفق، لم يستطيعوا أن يحصلوا منها على واحد من عشرين  
وذلك بسبب أن بعض هذه الأموال يتم صرفها بواسطة الخوالات. ومع أن مائة من اتباع  
الرسول يذهبون إلى الولايات لتحصيلها، كان يضيع أيضا ما يساويها أو ما يزيد عليها شأ  
للعلف وسد نفقات هؤلاء الأتباع ونفقات دوابهم. وبواسطة الخيل التى ذكرناها كان يقى  
بعض تلك الأموال تنصرف فيها أحكام الولايات، وبعضها يتبدد نتيجة أطماع وتصرفات  
النواب وكتاب المؤسسات، وبعضها يصبح هدرا بسبب كثرة الأمراء المشرعين على هؤلاء  
وهؤلاء. وبأى على هذا كان كل واحد يتصرف حسب هواه.

ولما كان الصناع يرون الأمور تجري على هذا السؤال، تقاعسوا وصاروا لا يؤدون  
أعمالهم أداء كاملا على نحو ما يملى عليهم الحق والواجب، وصارت أوقاتهم مستفرقة فى  
النزاع والخسومة فيما بينهم. وكان يجرى أن تنصرف فى السعى والعمل كذلك دبت  
بينهم المشاحنات، وكثرت الرشاشات. وقد وصلت مازعاتهم إلى حد أن الأمراء - بشؤم  
هذه التصرفات - احتلوا فيما بينهم، وانقسموا على أنفسهم وتخاصموا. وكانت  
التحقيقات تجري دائما مع الصناع، ويستخدم الصراع والجدل، فترتب على ذلك ظهور  
العيوب والمعاذ فى شئون الملك. وعندما كانوا يذهبون لمراجعة الحسابات، لم يكن هناك  
شئ قط - فلا مفر إذن من أن يبقى عاجز فى السجلات يتقدر بثلاثمائة أو أربعمائة ألف  
دينار كل سنة، ولا يظهر ما يدل على إنعاق دائق واحد منها.

وعاقبة الأمر أن الثواب وكتاب المؤسسات كانوا يقتلون. وعلى أثر ذلك خرجت ديارهم. ثم أعقب ذلك الفحص على أسرهم. [ص ٥٤٣] وقد آل أمر المباشرين تلك الأعمال إلى أن صاروا مجلسا وأشرارا وساءت سمعتهم وتدارك ذلك كله سلطان الإسلام بخلد مدكه. وقرر على هذا الأساس أن ينضم أهل كل حرمة من الحرف في كل مدينة إلى بعضهم البعض، وأمر بالآل يعطوا شيئا من العلف والملاص. وقرر كذلك إعداد كميات خاصة من كل نوع من الأسلحة وتقدير شهاه. وقال: رغم أنهم عمالنا وأسرى لنا ويجهون ما يصعبونه في الأسواق بأشياء يتفاسونها مثلما يبيع الآخرون إتناجهم فإنهم يحاسبون على ما يصعبون، وذلك على نفقة الديوان. وكذلك نصب على رأس كل طائفة شخصا أمينا وموثوقا به يشرف عليهم ويكون صلحا بإخلاصهم وأمانتهم. وهؤلاء يباعدون أجورهم ستة بسنة، ويسلمون الأسلحة حسب المقرر المفصل، ويسلمون بها إحصالا. وقد حدد السلطان إحدى الولايات لتتولى سداد نفقات كل تلك الأسلحة حتى لا تدعو الحاجة إلى إبعاد الرسل إلى كل الولايات لتحصيل هذه الأموال

بهذه الطريقة تقرر أن تعد الأسلحة الكاملة لعشرة آلاف رجل كل سنة هذا على حين أنه قبل هذا لم يكن يرى أحد مطلقا حتى ألقى من الرجال المسلحين. كذلك عين السلطان لحرسه الخاص خمسين رجلا احتارهم من غواص غواصه. وبالإضافة إلى ذلك أعد عدة آلاف قطعة من الأقواس والأسهم والدروع على نفقة الخزنة لتستعمل عند الحاجة. وعندما عفتت مقارنة بين الماصي والخاص، تبين أن ما كان يعق قبل هذا على يد العلف وأجور الحرفيين لا يبرء على نصف ما يذهب الآن شيا للسلاح. كما أنه لهذا السبب قد استمعى بهالبا من النفقات التي كانت تحملها الولايات. ولكن قبل هذا وهي أوقات أخرى، لم يكن يوجد سلاح فط من هذه الأسلحة التي يتوافر وجودها وبجس التدبير هذا تجهز المعدات كل سنة وفق النظام المذكور، وتسلم بموجب إحصال. وبهذا انتهى الصراع ورالت الخصومات، وقضى على محاكمات الحرفيين والكتاب الذين كانوا يعدمون هذا السبب. وهم الآن معتمرون وموفرون، ويعيشون في راحة وطمأنينة. أما الأمراء الذين كانوا - بشؤم هؤلاء - يمارع بعضهم بعضا فإنهم الآن جميعا متصامون متآلفون وأحباب أضياع

وحيث إنه خلال هذه السنوات جرت الأمور على هذا النحو المقرر فكانت مرتبة جيدة، عرض أسراء السلاح على السلطان قتلت. [ص ٥٤٤] من أكثر الآلات التي

بصنعها الخرفيون موجودة في الأسواق، ويمكن أن تشتري منها بصورة أنسب وأفضل  
وقبل هذا لم يكن الصاع يعرف رسم وتزيين الآلات للعلوية. أما الآن فقد عرفوها في  
الأسواق بعد أن كانوا مشغولين بالمعاهد والصراعات والخصومات طوال اليوم، وكانوا  
يستولون على الأموال والمؤن، ولا يؤدون عملاً يذكر. وأخيراً رأوا من الضروري أن  
يشغلوا بحرفهم عندما وجدوا أنفسهم معزولين وهم الآن في الأسواق بصنع الآلات  
والأسلحة على عقبتهم، ثم يبيعونها ولهذا السبب فإن أنواع هذه الأسلحة موجودة في  
الأسواق على نحو أحسن وأفضل مما نصنع نحن الآن. وما أحسن من أن ندفع أموال التعامل  
قديماً. وبناء على هذا يرى أنه بدلاً من أن نمد نحن الأسلحة ونعطيها الجلود، نوزع عليهم  
المال كي يشتروا به الأسلحة اللازمة لاستعدادهم، وبأسعار رخيصة، ولا تنصف أبداً.  
فاستحسن سلطان الإسلام خلد ملكه هذا الرأي، وأمر بصنع عدة أنواع من الأسلحة  
بدر وجودها في الأسواق. أما باقي الأسلحة تشتري بالمال نقداً.

هذه الحالات من المعاهد والفتن التي ذكرناها كانت منتشرة بين الخرفيين الذين كانوا  
يصنعون السروج واللحم ومعادب الاصطلاب وكذلك انتشرت بين الصاع الذين كانوا  
يصنعون آلات عديدة تتعلق بأصحاب اللطلات والخزنة. وهؤلاء أيضاً قد تدركهم السطانات  
وأصلح شأنهم على النحو المذكور.

بهذه الإصلاحات استقامت الآن كل تلك الأعمال، وصارت مرتبة. وكانت العادة قد  
جرت قبل هذا أنه إذا احتاج السلطان إلى القليل من الآلات أو أدوات أخرى تبلغ  
قيمتها خمسين ديناراً أو مائة دينار، كانوا يوفدون رسولا لإنجاز هذه المهمة البسيطة. وما  
يفقه هذا الرسول يريد على خمسة آلاف دينار لتوفير الشواب والعلف بالإصاصة إلى  
مصرفاته الخاصة.

أما الآن فقد تقرر أن يشتري الخازن كل ما يلزم ثم يحضره، أو أن يدفع ثمنه نقداً  
ليشتره شخص آخر، ويسلمه له، وبهذه الطريقة انقطع مجيء خمسائة من أتباع الرسل  
والخصلي كل سنة من الولايات، وبدلاً من خمسائة ألف دينار [ص ٥٤٥] كانت تنفق  
مع مائة ألف من المشتقات والاضطرابات والتخريب. والأمر الذي لا شك فيه أن ما يلزم لا  
يتكلف ما يزيد على خمسة آلاف دينار لإنجاز تلك المصالح.



بذلك رأت مهالبا تلك العادات والرسوم، واستمرت القوائم المستحقة. وإن هوائك  
هذه الإصلاحات لتبدو في أن هذه الطريقة سوف تنتهج من بعد، وتستمر سنوات عديدة.  
إن شاء الله العزيز.

## الحكاية الرابعة والثلاثون

### فى ترتيب شئون دواب الخفان

قبل هذا كانت إبل الخفان وأعامه فى البلاد تحت إشراف العمال ولم يكرس لها حساب وصبط. وكان ينبغى أن يحافظوا على كل ما سلم لهم بفصل ما توافر من أماكن جيدة وكثرة الخراس والرعاة المتفرعين لهذه المهمة. فكان من المتوقع أن تتكاثر، فيصبح كل منها أكثر من مائة. ولكن عندما تفحصوا الأمر وغروا الحقيقة لم يجدوا واحدا من بيها، فانتحل المسئولون الأعذار مدعى أنها نفقت وهلكت بسبب البرد. فأمر سلطان الإسلام - حلد ملكه - بأن يظفروا فيما إذا كان يوجد لديهم عدد من إبل وأعام الخاصة أم لا؟ فلما تفحصوا الأمر أمدوا بأن لديهم الكثير منها - فرد عليهم السلطان قائلا: إن دواب الخفان كانت أصعاف دوابهم، فكيف هلكت كلها. هذا على حين أن دوابهم لم تهلك بفعل البرد وطاعون الماشية؟ وبهذا تخفى أنهم يكذبون، وأنهم سرقوها كلها ثم باعوها

وبناء على هذا صدر المرسوم بإحصاء الدواب، ولكن لم يتيسر ذلك وترك العمال عملهم. ثم إنه بعد تلك التجربة أمر بأن تسلم الإبل والأعام لأشخاص ثقات يعتمد عليهم. وحيث إنه توافر أماكن جيدة وعمال هم عبيد لنا ومتفرعون لهذه المهمة، أى عدد يمكن أن يتحلوه بعد ذلك؟ وعلى هؤلاء المشرفين أن يتعهدوا مع العمال بتنفيذ الأصول لهذه المهمة، وإعطاء نتائج تلك الحيوانات عدة مرات كل سنة وذلك على النحو الذى يحقق المنفعة بعد أن كانت صائمة. [ص ٥٤٦] والآن يكون للعمال العائلة والوفر فى الأموال. كما أن الأشخاص الذين ليس لهم مواطن خاصة، ولم يكونوا أى زمرة العيد يفصلون على الآخرين، وتلقى طلباتهم بشروط أحسن من غيرهم حتى لا يستطيعوا انتحال الأعذار. وعلى هذا النحو يتقرر إقناعهم وسنة بعد سنة يزداد نتاج هذه الدواب ويكثر ثوالدها. هذا وقد عيس السلطان الإبل التى يمكن استخدامها على حدة - لنقل الأحمال. كما خصص مجموعات أخرى لنقل الخراس والملابس وما تحتاج إليه المسكرات، وعهد بالإشراف على ذلك إلى أشخاص ثقات. وكذلك الأمر فيما يتعلق بنقل محتويات أماكن الشراب ولوازم المارل. وقد بلغ ضبط هذه الأعمال وترتيبها بحمد الله تعالى وسنة درجة لم يسبق لها مثيل

هي عهد أي سلطان من سلاطين الممولى والمسلمين من حيث التنظيم والتسيق. ولم يتوافر  
 هذا المقدار من الإبل لنقل البضائع وتوزيعها. وكثير من الإبل ترمى في مراعيها دون الحاجة  
 إليها في حمل الأحمال وهي فلما هي لربها يوماً بعد يوم. كما أن ترويضها بالمعدات  
 والآلات أصبح أمراً في غاية الحس والجودة.  
 إن شاء الله يكون تقديم العون إلى هذه الدولة دائماً متواصلاً.

## الحكاية الخامسة والثلاثون

### فى ترتيب شئون البازدارية وحراس القهود

قبل هذا كان البازدارية وحراس القهود يصطادون الحيوانات فى الولايات وكان يعين لهم أيس يذهبون فى كل عام، وفى أى موضع يصيدون ثم يحضرون ها ما يصيدونه ويسلمونه لأمرأ البازدارية وحراس القهود. وكان مقررا لهؤلاء فى كل ولاية مبالغ من القود يتسلمونها باسم العلف والمثونة والملابس. وكانوا يربطون هذه المبالغ فى كل سنة عما قبلها عند تحصيلها من الرعايا الأكثر رواجاً، وذلك بصرب العصا وعرض عقبات إصافية على العلف والمثونة، وبأحقون منهم تعهدات يسداد ما عليهم. هذا على حين أنهم يحضرون عند صيلا من الحيوانات إلى محطات البريد. وفى الطريق حيثما كانوا يصونون إلى كل مدينة أو محطة للبريد أو قرية، يستولون على خيول كثيرة، فيكون بعضها، ويحملون بعضها أمتعة خاصة بأنباعهم ومراقبيهم. [ص ٥٤٧] كما كانوا يسحبون أصدقائهم ومعارفهم، بل أيضا كل شخص مقرب إليهم من تلك الحيوانات التى يحضرونها. وبواسطة اثنين أو ثلاثة من الطيور المعتزة المدربة على الصيد أو ثلاثة من القهود يصيدونها، كانوا يحصلون على عقبات كثيرة يحتاج الناس إليها فى الولاية. ثم يندوبها فى الطريق متدرعين بحجة الإنعاق على غناء خيول البريد وتلك الحيوانات، ولا نهاية لما كانوا يستولون عليه لأنفسهم زورا وبهتانا من القرى وطرق عبور المارة والمسافرين وكانوا يأخذون الأموال حسب إحصائهم هم للحيوانات. ولم يكن يحدد نوعها وعددها وما تقرر صيده منها. وعلى هذا لم يكونوا يحضرون كثيرا من الحيوانات والقهود. كذلك لم يخصوا عند ما يملكون من حيوانات. وإذا ما اصطاد شخص صال حيوانا فى صحراء بإحدى الولايات أو أنه اشتراه، وأراد بهذه الذريعة أن يحصل على مرسوم يثبت أنه يمتلك حيوانا، أو يدعى أنه شخصية متميزة فإنه بهذه الطريقة يجوز على الناس، ويريد فى اضطهادهم، ويحصل على مرتب وعلف ومثونة. وفى كل عام كان يعي عدة أشخاص يحضرون اثنين أو ثلاثة من الحيوانات، ويأخذون مرسوما يثبت أنهم يمتلكون حيوانات، تنص لهم المرتبات والمؤن والعلف ثم يعطون. فأى إنسان يوجد، ولا يختار هذه المهمة؟

وهكذا كان هذا النظام يرداد سوما سنة بعد أخرى. وكان كل واحد من هذه الجماعة يحضى مائة من الناس ويعصب أتما. أما البازدارية وحراس العهد وأمرأهم الدين كانوا يلازمون المسكر، ويبتلون طيورا مفرسة مدربة على الصيد، فإن بعضهم كان يروى الحصرة السلطانية بالحيوانات دون حاجة إليها وكان هؤلاء يكونون عدة من الأمراء ومجموعة من الرجال والأثباع يضم إليهم بعض الطوائف من سياس الحيل والمكائير والحمالين والقرويين سكان القرى. وقد شد كل منهم عدة رهشات حول وسطه، وهم يصحون في أحزمتهم دوسا حديدية يصربون به رأس كل من يصادهم عدة صربات، ثم يتحدثون إليه ويخطمون عمامته لو فلسوته. وكان بعضهم يقول ليس هناك قانون (ياسا) يسمح بأن يخط كل شخص رهش اليوم على فلسوته، ويندفع بهذه الخجة، ويخطف الفلسوة. وكان بعضهم يفعل كل ما يريد دون احتيال أى عذر. [ص ٥٤٨] وإذا مر أحد بيوار حيام أو مارل أصحاب حيوانات الصيد، فإنه يرى بعينه ما يرى أما إذا مر شخص من أفراد القاطلة أو غيرهم بماوى البراة والبازدارية فى إحدى القرى، فإنه يتعرض لحالة لا تقل عن السلب والنهب. وفي كل قرية كانوا يملكون بها، يستولون على الأعمام والطيور لطعامهم وطعام حيواناتهم كل على حدة. ناهيك عما كانوا يأخذونه من التبن والشعير لنوابهم.

وعند سيرهم إلى المصايف والمشتات، كانوا لا يرضون بتلك الكمية، بل كانوا يكتفون رؤساء القرى الواقعة على معابر الطريق بتقديم الأعمام والذئبق والشعير، وما يحتاجون إليه فضلا عن المئونة والعلف. وكانوا يقلونها على دواب الناس إلى مناطق إقامة هؤلاء السادة. وكانوا يحصلون على مبالغ من الأموال عن طريق اعتصابهم الدواب الكثرة ثم يبعها. كذلك كانوا يطمعون في الحميز من المصائل الجيدة، ولا يهدونها إلى أصحابها. وكانوا يهبون أيضا كل من رأوه في الطريق. وحتى يشتهر اسمهم ويرهبهم الناس كانوا يملفون لحي بعض الرؤساء والعظماء في الولاية لأى سبب ناه. وحيثما يوجد شخص فتان يتمتع بمحافظتهم، كان له أن يمتد كل عمل يريده سواء أكان سليما أم معوجا حتى ضرب الناس بالعصا بمؤازرة الحكام ودوى التعوذ من الرعايا. وإذا اتفق أن طالب بعض الشجن والحكام أتابهم بشيء كانوا يكسرون ليلا جناح أحد طيور الصيد، ويدعون أن الرعاع هم الذين

جرحوا هذا الطائر. ويشهد الواحد منهم مع الآخر. ولا بد أن للوك إذا ما سمعوا أن شخصا شاعب وكسر جناح طائر الصيد، فإنهم يعصبون، فيكون ذلك حجة ودرعة للشحى والنواب والحكام لأن يقولوا لقد أقمنا حيمة قاصدين الصيد هي الموضع الملاهي. لكن الرعاع شرعوا في الصيد في ذلك المكان أو أنهم مروا من هناك ففرعت الطيور. وهكذا انتهروا هذه الفرعة فكان إذا مر شخص على تلك الحيمة، وكان بعيدا أو قريبا منها، يأخذون منه على الفور، ودون مناقشة - حصانة وملاسه - أو يستولون على مبيع من المال على سبيل الهدية؛ فكان المسكين يخلص نفسه من تلك الورطة بعد صراع طويل ومشقة بالغة. وتوجد حكايات كثيرة من هذا القبيل بطول شرحها

فكر سلطان الإسلام - خلد ملكه - في تدارك هذه الأمور، فقرر أولا [ص ٥٤٩] أنه يكفى ألف حيوان من حيوانات الصيد وثلاثمائة من المهود مما يحضروه من الولايات. ثم أمر الباردارية وحراس المهود بأن يعمروا الأشخاص الذين يروهم لا تقبل للقيام بهذه المهمة في الولايات وأن يكتبوا ذلك بالتعصيل، ولا يؤذن لأى باردار آخر بممارسة الصيد في الولايات ثم حدد مئلا من المال لما يأتون به من الحيوانات المدربة وغير المدربة؛ بحيث يكفى حاجتهم، ويدخل ضمن ذلك مفاقت طعامهم أثناء إقامتهم ورحيلهم وما يلزم ذوابهم.

شرح السلطان هذا كله بالتعصيل بطريقة لم يبق معها أى عذر. وقرر بعد ذلك مرتبا لكل من يعهده ألف من حيوانات الصيد هذه، وثلاثمائة من المهود. ثم أصدر مرسوما محتوما بالحقن الذهبي، وأعطاه تعهدا نص فيه على ألا يؤخذ من أحد في الطريق مثوة أو علف أو أى شئ آخر. ثم أرسل هذه الأحكام إلى كل للمالك حتى يصادوا بضرورة تعيدها وصدا حسوا التكاليف، وجلبوا أن هذا القدر - الذى قرر لهذه المجموعة من الحيوانات والمهود والنؤز والطف، وكذلك طعام النواب ويدخل في ذلك أيضا ما يحتاجون إليه - قد بلغ كل هذا نصف ما كان يجرى عليه الحال من قبل، رغم أنهم لم يكونوا يحضرون ثلث هذه الحيوانات. وكان ما يتفق على الطعام يبلغ ما يزيد على ضعفين أو أكثر مما عليه الآن. وإذا فكيف يمكن حصر المحالقات وريادة الأعياء التى كانت تقع على الرعية نتيجة هذا السلوك؟؟

أما الآن فإنهم يحضرون كل سنة دون مشقة للما من حيوانات الصيد، وثلاثمائة من الفهود ويسلمونها. ولما دأب في البلاد أنه لا يحق هؤلاء أن يطلبوا بشيء من الدواب والعلف والطعام سواء أكان هذا سرا أم علنا وعلى الرعية ألا يعطوهم شيئا، ولا يستطيع أحد المطالبة بشيء من أمثال هذا، فإحدى لا يساع له أحد الرهانات أنى يمكنه أن يسد الطريق، ويسمى السر فيه لو أراد؟! وإذا طالب بشيء من الناس، فالأمر الذى لا شك فيه أنهم لن يعطوه. ومن الضرورى تسليم هذا المقدار للمضى كل سنة، وإلا فسوف يصرفوه إلى ما تبقى عليهم ويسترد منهم ونتيجة لهذا تعطل كثير من الباردارية والصيدان، ولم يعودوا يمارسون هذه المهنة. ومن تاريخ صدور هذا القرار لم ينظم أحد مطلقا فى سلك الباردارية والصيدان، ولم يستطع هؤلاء أن يقدموا ملتمسا فى هذا الشأن؛ لأن هذا القرار قد شملهم جميعا. أما الذين كانوا فى حمايتهم، فقد دخلوا فى رمة الأتباع والأمر الذى لا شك فيه (ص. ٥٥) أنه إذا أراد شخص أن يبقى موقعه ثابتا، فإن عليه أن يهى بما عليه من التزامات مالية. وقطعا ليس هناك أى استبعاد أو مشقة وقد نسبت تلك الطائفة هذه الأساليب المعوجة، وصاروا من جملة العقلاء المتصعين من الشر.

لما عن تدارك حال الباردارية للترتين فقد أمر بأن ينص بالتفصيل على مرتباتهم وطعام الحيوانات التى فى عهدة كل منهم، وأن تدفع لرئيسهم مرتباتهم نقدا من الخزنة، وذلك سنة بسنة، وبالتمام والكمال. ولهذا السبب لم يبق لهم أى عذر أو حجة. وعندما يقسمهم ويسيرهم للصيد فى إحدى الجهات، فإنه يعطى معهم عددا من الباردارية والطيور المعترسة للتدربة على الصيد، ويأمر بإعطائهم عيولا خاصة كى يستخدموها فى حمل لوارهم على أن يدربوها ويخربوها حتى لا تبقى متراحة مهكرة وغير مدربة. ثم عليهم أن يحسبوا ما يستعرقونه من ربح فى الذهاب والإياب كذلك قرر أن تكتسب فى الخريف والشتاء الحوالات المختومة بالحنم الذهبى والخاصة بالعلف والمؤمن مما بهم تلك المواضع. ولما كانت الخبرات بالإضافة إلى الطعام العادى تحتاج فى تدربها على الصيد، وإبان مرضها - إلى الدجاج والحمام، فإنه قرر أيضا أن تسهوا لها بقدر الحاجة هذه الطيور بموجب حوالات، وأن توضع هذه الطيور فى الأقفاص. وكذلك تكتب الحوالات حيث تحمل هذه الحيوانات، موصحا بها العدد المقرر منها

وحيث إن الأمور تجري على هذا النحو، لم يبق أى سبب للانحراف عن الطريق المستقيم. ولما كانت هذه الأحكام قد انتشرت وداعت تنبئ بأن كل المبالغ من الأموال التى يحتاجون إليها قد عبت وقررت، وأنهم يعطون ثقتنا من الخيانة، أو أنهم يكتبون حوالاات مختومة بالختم الذهبى لما كان ذلك كذلك فإن هؤلاء الصيادين لا يستطيعون أيضا مطابقة أهالى المواضيع المختلفة بشيء يريد عن المقرر وإذا طالبوا بذلك فإن الناس لوقوفهم على الحقيقة، لا يعطونهم شيئا. وهى أول الأمر حدث مرة لو مرتين أن بعض أمراء الصيد طالبوا بالزيادة أثناء سيرهم فى إحدى الولايات على الرغم من أنه قد عبت لهم المؤن والعلف والشعير لإطعام الخيل. وكانت الحوالاات قد كتبت لهم وختمت بالختم الذهبى، وأخذ عبيهم تعهد بالآ يتقاصوا شيئا. ومع هذا وصل خبرهم بأنهم تقاصوا ما يريد عما هو مقرر لهم، فسير إليهم السلطان رسولا موثوقا به، ذهب إلى تلك الولاية التى وقعت بها المخالعة، وحقق معهم، وأثبت إدانتهم، وصرب كلا منهم بالعصا سعا وسبعين مرة، فاعتبر الجميع. [ص ٥٥١] وتركوا ذلك السلوك. والآن نادرا ما يحدث أن يسلك مباردار أو حارس للمهود سلوكا معوجا. ومع أنه لا يمكن أن يتحول الذهب إلى حمل، إلا أن ظلمهم العادح قل كثيرا عن ذى قبل.

ولا شك أنه بفضل هذا العدل والوثوق التام سوف يسى سكان العالم وهى أسرع وقت الظلم والتعدي إن شاء الله وحده.



## المكايبة السادسة والثلاثون

### فى ترتيب شئون كل الممالك

#### (الإصلاح الزراعى)

قل هذا كان ولاية الأتالييم بصرحون دائما: إن أكثر الولايات قد صار خربا، والرهايا أصبحوا فقراء مستضعفين؛ بحيث لا يستطيعون أن يعتمدوا اعتمادا كليا فى رراعتهم على ثيرانهم وبنورهم. وقد بقيت كميات كبيرة من المياه، ومساحات شاسعة من الأراضي مهملة، ولا يهتم أحد بمطالب الزراعة، ولا يتشارك أمورهم كما أن للمقادير المحدودة من البنود التي حصلوا عليها من الديوان فى المعهود السابقة قد استهلكوها كلها أيام العلاء فكان هذا سببا فى الإصرار بالديوان والرحمة.

فتدرك سلطان الإسلام غلذ ملكه الأمر على هذا الوجه الذى يتحصن فى أن يؤخذ من كل حاكم وصاحب إقطاع مقدار معين من المحصول شيا للمعدات والبنود، وما تحتاج إليه الزراعة، وذلك من مجموع ما يجب عليه تقديمه للديوان، وبأحد إيصالا بذلك حتى يباشر المسئولون العمل فى الولايات بموجب تلك العوامل، وحتى تريد الرقعة الزراعية. وقرر أيضا أن يكون للمزارع بلا مزارع النصف أو الثلث من الربيع والإنتاج إذ إن الخفاكم أو الوالى كليهما يمكنه أن يروع الأماكن الأكثر صلاحية للزراعة. كما نتاج له فرصة أكبر للحصول على لوازم الزراعة والعمارة. ثم صرح السلطان قائلا لكنا نلجأ لرعية الناس، ولكنى يكون للحاكم موارد إصاكية قريبا أن يسلم له المزارع ثلث أو ربع المحصول. وكل ما يريد على ذلك، يصبح ملكا له. وقد دفعهم الحرص والطمع من أجل الحصول على كسب ومير إلى بدل الكثير من الجهد والاجتهاد فى باب التعمير والتشييد. وعندما تيسر الزراعة ستين أو ثلاث سنوات، وتستقيم أمورهم عندئذ يعود ربح المحصول إلى الخزانة، [ص ٥٥٢] وذلك على النحو المثلث فى تعهدهم. كذلك راجت العملة النقدية

ومن حملة الدين استغلوا العوز، كان هناك بعض الحكام من يسرون على نهج الأقوام السابقين، ويتعمون بعض الأساليب الملتوية التى ورد ذكرها فى عدة مواضع. وقد اعتادوا

ذلك، ولم يكونوا يذكرون مطلقاً في وجوب تسديد أموال الديوان. وكانوا يعتبرونها ملكاً خاصاً لهم لا يمارعون فيها أحد مطلقاً. وفي أول سنة يبدؤوا تلك الأموال. وفي النهاية عندما طولبوا بالسداد لم يبق هناك شيء قط لا من الربح ولا من الأصل. وقد انصرف تعكيرهم في أنه إذا كان لراسا عليهم أن يسددوا شيئاً ولو اسبياً مما عليهم، فإنهم يعتبرونه من ممتلكات الثيران والدور<sup>(١)</sup> [ص ٥٥٥]<sup>(٢)</sup>

والخلاصة أنهم كانوا يتحللون الأعداء عن القصاص والخسائر بسبب حدوث الأزمات السماوية والأرضية. ولكن أكثر هذه الأعداء لم تكن تقبل منهم، وعود كل ما كان يملك هؤلاء من أملاك ومتاع وتحت طائفة منهم تحت الحراسة وكان للنص الآخر أدوات وبدور. وقد حققوا لأنفسهم ربما وعائلة. وهذه الثروات لا زالت باقية وقائمة. وقد استراح بذلك كثير من الناس من الرعايا وغيرهم، وشغلوا بالعمارة والزراعة، وكانت تلك المواضيع هي التي حرت العادة بإملاكها بالدور ولكن دوى النعمود كانوا قد أنفقوها بالخيال أو بسوء التدبير ثم باعوها.

وقب هذا لم يحاول أحد تدارك هذا الخلل. لذلك أمر السلطان بأن تسلم الدور من جديد للزراع جميعاً ولهذا السبب راد الدحل في بغداد وشيراز عن خمسمائة ألف دينار عن الأموال المقتصة. ولقد أشرب تلك الدور مرة أخرى كما تحقق للرعايا انصاف مضاعفة من تلك الفوائد، وقوى شأنهم، وظهر العمران في كل مكان وعم الرخص وما كان السلطان يسمح الخلد الإقطاعيات عمر كثير من المواضيع بهذه الوسائل وقد وقر في ذهنهم أنه إذا لم تكن هذه الإقطاعيات موجودة، فإنه كان بمعنى مسح ولايات عديدة وأملاك كثيرة وقد ظل باقياً كثير منها حتى الآن تحت تصرف الديوان، ويصل إليهم ربعها. (يقول المؤرخ رشيد الدين) إنني لم أر ولم أسمع مطلقاً أن أحداً في أي عهد، قام بمثل هذا التنذير الحسن، ولم تكن لديه الرغبة والتعكير في إقامة مثل هذه العمارات، وفعل هذه الخيرات.

(١) حاشية مطروقة لتدفق صحاح ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤

(٢) الأفعال هنا من صفحة ٥٥٢ إلى صفحة ٥٥٥ بسبب الحاشية للطول التي سقطت بقية صفحة ٥٥٢ وصحفي

٥٥٣، ٥٥٤ وهذه الحاشية ترجمت ووضعت عقب ترجمة نص تاريخ غفران بأكمله.

وبخصوص الدواب والطيور التي أمر بتسليمها لكل شخص قرر أن تجري أيتها على هذه القاعدة، أي أنها تعادل ثلث الإنتاج، لتحقق لهم عائدة من ذلك وليوفروا لهم ثروة، وتكون الدواب والطيور ولكافة الناس في حماية تلك الدواب والطيور الخاصة بالسلطان. وبذلك لا يستطيعون أن يخنوا أيديهم إليها مطلقاً، ولا يمكن لأحد أن يسمهم من ممارسة حقوقهم في المواطن والنفاع ومع هذا كان للديوان أيتها فائدة من هذا الوضع وعندما تصل الرايات السلطانية إلى إحدى الولايات، ولم توفّر بعض الدواب للاردارية وغيرهم. قرر أيتها أنه لا ينبغي أن تؤخذ الحمير والخيول من الرعايا. وكذلك الحال إذا ما دعا الأمر إلى توفير الطيور والحمام لإطعام الحيوانات أو لاستعمالها في المطبخ فإنها تعد لازمة لخاصة الديوان. وكان حال هذه القصبة مثل حال قصبة الوسطاء، مرفست بذلك عبادة الاستيلاء **[ص ٥٥٦]** على الحمير. وقبل هذا كان كل من أراد شيئاً يستولى عليه دون حياء وإذا كانت هناك ضرورة فإنهم يتداركون الأمر من الديوان عن طريق هؤلاء الوسطاء، ولا يمكن شرح ذلك، ويمكنهم أنهم كل سنة، كانوا يستولون على عدد من الحمير يحتسبونها من الرعايا والتجار وغيرهم. وكان الملاحون دائماً في دھول وحيرة خوفاً على دوابهم. وكان بعض الصيادين يأخذون الدواب بهاتياً ولا يردونها، ويتخلف بعضها في الطريق ويهلك، فينتج عن ذلك انصراف الملاحين عن الرعاة والملاح.

وحيث إن سلطان الإسلام مع الباردارية من الاستيلاء على الحمام والدجاج من الناس وأباح لهم أخذها من طيور الخاصة، أصدر قراراً يوجب تطبيق الأحكام والقوانين على الأمور الصغيرة. وبالصورة تجري هذه الأحكام أيتها على الأعمال الكبيرة ثم يقول: إذا لم نستطع مع الصيادين من الاستيلاء على الحمام، فإنه يكون من أشغال أن نقدر على منعهم من الاستيلاء على الأعمام. ويكون أكثر تعذراً إذا ما حاولوا منعهم من الاستيلاء على الأبقار.

وعلى هذا النحو أصدر السلطان مرسوماً يقضي بالآتي يلتقي الصيادون شياكم بنائاً حيثما يوجد الحمام وفي الحقيقة للسلطان في حق الناس الكثير من أمثال تلك التدابير الحسنة والشفقة الوعرة. يبدو ذلك واضحاً في اهتمامه بمنع شر الظالمين والقضاء على فساد المفسدين، وفي مراعاته مثل هذه الكات الدقيقة الصغيرة.

بكل هذا يتحقق ويتصح كمال حمى الأخلاق والسمرة الحسة والعدل والإنصاف لهذا  
السلطان الراعى العدل أبعاه الله أبدا الدهر ولا شك أن لعمل العالم فيما بعد سوف  
يتعجبون من هذه الحالات.

فليستجب الله الدعاء الذى يطلقه كافة الخلق ليلا ونهارا يمر وإقبال دولة هذا السلطان

## في ترتيب الشئون المتعلقة بتعمير الأراضي البور

لا يغنى على من تتبع التواريخ الصحيحة، وسلك الطريق المقبول، أنه لم تكن البلاد مطلقاً أكثر خراباً مما كانت عليه خلال هذه السنوات خصوصاً في المواضع التي وصلت إليها جيوش المماليك؛ [ص ٥٥٧] إذ إنه منذ ابتداء ظهور آدم حتى قيام جينغيز خان ودرجته لم يتيسر لأى ملك مثل هذه المملكة المسيحة التي سخرها، وجعلوها تحت تصرفهم، ولم يقتل أحد من العالم من الخلق مثلما قتل هؤلاء.

وإن ما قيل عن الإسكندر إنه قد استولى على بلاد كثيرة، فهو خبر غير صحيح؛ فقد كان يفتح البلاد، ثم يرسل عنها ولا يقيم فيها. وعندما يبلغ الناس دموع صيته، كانوا يسارعون إلى الخضوع له والدخول في طاعته، وذلك لهيبته وصلاته. وكانت مدة عمره ستاً وثلاثين سنة. وفي السنة الرابعة والعشرين من عمره استولى على ملك إيران، وقتل داراً<sup>(١)</sup>. بعد ذلك أخضع العالم مدة اثنتي عشرة سنة وعاد عودته توفي بالقرب من بابل وقد استولى على بلاد كثيرة خلال فترة الاثنتي عشرة سنة، لكن لأنه كان دموياً على السير دائماً، ولا يتوقف، كان الناس يتورعون عليه مرة أخرى بعد رحيله وحيث إنه لم يكن له ابن ودرية لم يبق الملك في أسرته، وآل الأمر من بعده إلى ملوك الطوائف كما سوف يأتي شرح تلك الحكايات في تاريخه.

---

(١) هذه الرواية تتفق مع ما ذكره للمسعودي إذ يقول: لما قتل الإسكندر من قبل "مئرا بن دار"، تغلب كل رئيس ناحية على ماله، وكاتبهم الإسكندر عنهم فارس ووسط وغرب. وكان مراد الإسكندر من ذلك تثبيت كل منهم وغربهم، وعليه كل رئيس منهم على الخضع الذي هو به معهم نظام تلك والانتباه إلى ملك واحد يجمع كل منهم ليرجع إليه الأمر (سروج الذهب، تحقيق محمد يحيى القزويني، ج ١، ص ٢٢٤، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م).

وأما الطبري فيذكر أن الإسكندر حارب داراً وخرقه. فلما رأى تلك رجلاً من حرسه ضللاً ليلالاً المظلة عند الإسكندر إلا أنه لم يصر بهما وصلبهما، وأن ينادى عليهما هذا جزار من أجراً على ملكه، وعش لعل يلقه (تاريخ الرسل والملو، الجزء الأول، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ص ٥٧٤ - ٥٧٧، القاهرة ١٩٧٩ م).

أما وضع چنگير حان فقد كان على تقيصه؛ إذ إنه فتح البلاد، وسخر العباد بشأن وحذر، حتى جميعهم مطيعين ومقادير له. ثم حافظ على هذا الملك أسبؤه ودرجته وأحصوه لمشيئتهم وكما هو معروف استولوا على ثلاثين مملكة أخرى بالإضافة إلى ما كان قد استولى عليه چنگير حان. وعندما استولوا على الولايات والمدن العظيمة ذات الطول والعرض، قتلوا كثيرا من الخلق، بحيث إنه لم يبق منهم أحد إلا نادرا وهذه المدن من قبيل بلخ وشورغان وطالقان ومرو وسرخس وهراة وتركستان والرى وهمدان وقسم واصمهان ومرامه وأردبيل ويردع وگنجه وبغداد والموصل وإربيل، وأكثر الولايات التي ترتبط بهذه المواضع. أما بعض الولايات التي كانت تعثر شعورا، وصارت طريقا لصور الجود الكثيرين فقد قصي على أهلها قضاء ميرما، أو أنهم هربوا. وقد بقيت هذه الأماكن خرابا مثل ولايات ايجورستان والولايات الأخرى التي صارت حلا فاصلا بين الخاقان وقابندو. وكذلك بعض الولايات الواقعة بين درسد وشروان وبعض أقاليم أيلستان ودبار بكر [ص ٥٥٨] مثل حران وروحه وسروح والرفقة، ومدن كثيرة على حاشي العرات كلها صارت خربة وغير صالحة وكذلك ما دمر من بلاد تقع بين الولايات الأخرى، ونتيجة للقتل والسعك مثل خرابب بغداد وأذربيجان وغيرهما في تركستان وبلاد إيران والروم من المدن والقرى المخربة مما هو ماثل أمام الناس وكل هذا يزيد عما يمكن حصره

وصعوبة القول أنهم إذا أرادوا القياس عن طريق النسبة فإنه لن يكون العمران في الممالك واحدا من عشرة، والباقي كله خراب. ولم يكن أحد في هذه المجهود يعكر في سد التعمير وهو أمر نادر إن شرع البعض في تعمير أحد المواضع لإرضاء لأهوائهم مثل هولاكو حان وآباقاخان وأرغون حان وگيخاتو حان، فإنهم عندما أرادوا تشييد عدة قصور في الأتاع وأرمية وسقورلوق وسجاس وجوجان ورجمان وسراي المنصورية في إيران، وتعمير تلك الأماكن، أو أنهم يشقون سوقا أو مدينة ويحورونها، أو يجررون فيها نهرا من الماء، فإنه نتيجة لهذا صارت ولايات كثيرة أكثر خرابا مما كانت عليه رغم ما أنفق عليها من أموال بغير حساب. كما برح عن الولايات الأخرى رعايا كثيرون دفعة واحدة. وقد خرجوا منها مجبرين، ولم يعمروا واحد من تلك الأماكن ولم يقف الأمر عند هذا الحد كما مشاهد بل إنه إذا نمت تلك العمارة فإنه يظهر إلى حاشها ارتفاع نسبة الدمار الذي يلحق بالولايات

ثم أراد الحق تعالى أن يكون إحياء الملك وتقوية دين الإسلام بواسطة الوجود المبارك لسلطان الإسلام عازان خاتم خلد الله ملكه. وفي الأزل جعل الحق تعالى على يديه تحقيق الخير العميم وإعمار العمل العظيم وقد أعلى بحمد الله ومه شئون الإسلام على النحو الذي أوردنا شرحه. وأما ما يتعلق بشئون العمارات والخيرات بصفة خاصة، فقد سجلناها على حدة على النحو الذي مر ذكره. وكذلك أخبار ضبط أمور المملكة ورعاية الرعية وبشر العدل والإنصاف حسب ما يباين. ولا بد أن السبب الأكبر لعمران الولايات يمكن أن يكون نتيجة لتلك الأمور، كما أننا نعاين وشاهد في المدن التي صارت خربة أنه لم يكن في كل عشرة منازل خمسة منها مسكونة. [ص ٥٥٩] وهذه أيضا خربت رغم أنها كانت عامرة.

والآن يمس عدل السلطان الشامل يشهد في كل سنة، وفي كل مدينة ما يريد على الألف منزل. فالنار التي كانت تقوم بمائة دينار، تساوي الآن ألف دينار وريادة. ولقد شرحنا هذه الأمور في الفصول السابقة.

وأما حال الأملاك الخربة فلم يكن أحد يميل إلى تعميرها، ولا تتوافر لشخص قط القدرة على التعمير من ماله الخاص بسبب واحد من ألف من تلك الخرائب هتارك لسلطان تلك الأوصاف برأيه الصائب وحسن تدبيره. فكان أن أحصر الأمراء والوزراء وأركان الدولة، وقال لهم إن هذه الولايات الخربة والقرى القاحلة، والتي كانت ملكا لأبائنا هي الآن ملك لنا، ولها سمة أملاك الدولة والخاصة، وبعضها ملك للناس ومن عهد هولاء خاتم إلى الآن لم يمل أحد منها ما من الثمار أو دافعا من المال. ولو أراد أحد أن يعمرها بنون إبن، فإنها تنتزع منه بعد تحمل المشقات الكثيرة والمعقات الباهظة. وعلى هذا لا يقدم الناس على تعمير تلك الأملاك. وإذن فلم لا تعد خطة لتعمير هذه الخرائب بحيث تصل حصص معينة إلى الديوان مما يخص أملاك الدولة والخاصة، وتخصص حصص للمالك مما يعتبر ملكية خاصة. وكذلك يعطى حصص للديوان وللأشخاص الذين يقومون بالتعمير بحيث تكون لهم عونا بصفة دائمة ومدخرات صالحة لأولادهم وأحفادهم، ويكون لهم في ذلك كسب موفور، ويقلون على عملهم بصورة أنهم وأهلهم

وهم إذا ما وجدوا في الزراعة فوائد كثيرة، فإنهم يتجسسون متاعب التجارة وتعمل مشقات السعر والعمالات الأخرى، ويبتلون دفعة واحدة إلى التعمير والزراعة، ذلك أن جمهور الناس يهرون وراء ما فيه منعمهم وكسبهم. فلو نفذت الخطة على هذا النحو فسوف تعمّر أكثر الخرائب في زمن قصير. وإسّا يتسرّ تعمير مثل هذه الخرائب بقوة جميع أهل العالم وتضاهيهم. ومحال أن تعمّر بهمر هذا الطريق. وعندما تعمّر تلك الأراضي البور ترحس العلال، ويتسرّ الحصول على الثؤن الكثرة عند مسير الجيوش للقيام بهمهم ضرورة [ص ٥٦٠] في المناطق المتاخمة للبحور، وتتدفق الأموال أهباً على الخزانة، ويعود من جديد التقدم والازدهار على أصحاب الأراضي والملاك، وينعم الرعايا بالاستقرار والرخاء ويحصل لنا الأجر والثواب كامليين، ويبقى ذكرنا الحسّ مؤبداً ومخلداً. فتعجب جميع احاصريه وظلوا متحيرين من هذه الأفكار الصائبة والكلام اللطيف. وبعد أن أجمعوا على الشاء والمدح، قالوا: إنه لم يهكر شخص آخر في العالم في طريقة خير من هذه الطريقة وهي تدبير نفيد من هذا التدبير. فأنت تعمّر ما خربه أبناؤك. وإن العرق سي هذه المرة وتذك لمعلوم وعحقق عقلاً وعرفاً وشرعاً. فأنت تحيي ما أماته الآخرون بصورة مطلقة. وإن هذا الفكر من الكلام فيه الكفاية. فمادنا نقول نزيد من هذا؟

بعد ذلك أمر السلطان بكتابة الشروط والرايميم. وباء على هذا قرر أن ما كان قديم البوار من أملاك الدولة، وما لم يكن مزروعاً من القرى والمزارع وقت جلوسه المبارك، تعتبر جهتها من الأراضي البور، وأمر بأن تكتب الشروط وتتم بمضم الدولة الذهبي، وتنص على أن كل شخص يرغب في امتلاك تلك الأراضي وتعميرها عليه أن يراعى الأقسام الثلاثة الآتية.

### القسم الأول:

ما كان موجوداً به الماء والهر، ولا يستلزم ريادة في المقات والجهد، لو أنه يزرع بواسطة مياه الأمطار، وليس في حاجة إلى القنوات والأنهار والسدود. هذه الأراضي عندما يشرعون في تعميرها لا يعطون الديوان شيئاً قط في السنة الأولى من زراعتها. أما في السنة الثانية فيدفعون دافئين مما هو مقرر من الحقوق الديوانية على أن تحسب لهم أربعة دوايق جراء سعيهم وكدهم. ولما في السنة الثالثة فيدفعون أربعة دوايق ونصف من حقوق



الديوان كالمعتاد في كل ولاية، وما يريد ذلك فهو حق المزارع وكذلك ما فيه من ربح يكون كله ملكاً له. [ص ٥٦٦].

### القسم الثاني:

ما يكون إعمارُه من السور المتوسط، وإصلاح الأسهار، واستخراج الماء منها قليل ويتكاثر، وشروطه على نحو ما ذكر، إلا أن المزارع يسلم الديوان أربعة دنانير من الرسوم المقررة.

### القسم الثالث:

ما يكون إعمارُه صعباً وعسيراً. وبمعي أن يقام سد على نهره وما تكون فوائده خيرة. وبمعي إعادة تعميرها. وذلك القسم أيضاً تطبق عليه الشروط المذكورة. ولكن على الشخص الذي يصلح أرضاً من ذلك النوع أن يسد نصفاً من حقوق الديوان، ويكون له النصف الباقي تقديراً لجهوده. وقد اشترط السلطان أن تؤدي حصة الرسوم هذه باسم الخراج.

وكل شخص يقوم بإصلاح تلك الأراضي، تصير ملكاً له، وتبقى له عسى الديوان، ثم تنزل إلى أولاده من بعده. وإذا أراد أن يبيعها لشخص آخر، فإنه يجوز ذلك. وفي هذه الحالة يأخذ الديوان الخراج المقرر من المشتري. واشترط أن كل أرض بور لا تستمد ماؤها من نهر خاص بأرض عامرة، ما دام المالك لتلك الأرض لا يريد أن يعطي غيره الماء، حتى لا يقع نزاع بهذا السبب.

بعد ذلك صرح السلطان قائلاً: لما كنا قد أبطلنا الخيابة والقسامة، فإنه ينبغي أن تقدر وتمنح حصة الديوان أيضاً على الأراضي البور في كل ولاية حسبما يحدد الخسراء، وتستد باسم الخراج. ولا يكون للمختصين والظالمين سلطة الاستيلاء والمشاركة والإتقال على أراضيها وبهذا يقضى نهائياً على تلك المشقاة. وحيث إن رقعة ممالك السلطان خلد ملكه عظيمة ومتنوعة وفسيحة، فكري أنه إذا كان على كل راعب يريد أن يأتي إلى المحرم كي يأخذ الوثيقة المبي بها الشروط، فإن كثيرين من هؤلاء الناس لا يقدمون على ذلك بسبب بعد المسافة وتحمل المعقات، وبعض منهم يسبب العجز وعدم القدرة على السفر، وبعضهم لا يعرف ما في ذلك من مائدة فيحجم عن الذهاب. لكل هذا أمر

السلطان بتعيين واحد أو اثنين من كبار الشخصيات الثقات، وسلمهما وثائق الشروط وعيّن لهما السلطان نموذجاً وقاعدة يسيران عليهما، وأذن لهما في أن يعطيا كل راضٍ نسخة من تلك الشروط على أن تكتب على ظهرها صورة مرسوم الوثيقة وبذلك يكون ذلك الحكم مؤيداً وعلمك ولا يكون لأى مخلوق اعتراض على ذلك حتى يتعد ذلك العمل بسهولة فى كل ولاية.

وحيث إنهم باشرُوا الأعمال بموجب هذه التعليمات، توطدت هذه القاعدة، وسار هذا الأمر نحو العناية المرسومة، [ص ٥٦٢] وكانت له صفة الدوام والاستمرار. وقد سموا ذلك الديوان (ديوان التخليص) وحتى هذا الوقت أعطى نواب ذلك الديوان الناس كثيراً من سجلات الشروط، فتوافر العمران، وصار في ازدياد يوماً بعد يوم.

أما ما يخص أملاك الناس، فكل ما كان قريباً من العمران، قرر السلطان أن كل شخص يريد تعميره، عليه أن يشاور مع صاحبه. وأما ما كان قديم البوكر من الأراضي، فإنه يقدم على تعميره دون استشارة وإذا ما ظهر مالك الأرض، وتحددت ملكيته لها تماماً عن طريق الشرع والشهرة، فإنه يست في أمرها كما لو كانت عامرة. لكن مقدار ما يسنده من الرسوم، هو ما يص عليه في القسم المخصص بالديوان، وعليه أن يدفع للمالك نصف المبيع المقرر، والنصف الآخر للديوان. وتلك الصوابط إنما تطبق على الولاية التي كانت قبل هذا وحتى الآن حكراً، وكان يدفع للديوان عشر شها. أما الولاية التي كانت في الأصل خالية من القيود، ولم يكن عليها رسوم وغير خاصة لنظام الحكر، فإنها تسلم للمالك بأكملها. وليس للمالك أن يعترض لأنها تكون في حكم من عمر الأراضي الديوانية، فهي باقية ومعدلة.

أما المواضع الخربة التي تقع في مناطق الممول، وقاموا بتعميرها بأنفسهم، فإنه يطبق عليها ما شرعاه في القسمين: الخاص والديوان.

لكن السلطان أصناف قائلًا: حيث إن الممول هم المالبون لس يؤدوا قطعاً حقوق الملاحين في الولايات، ولن يقوموا بتعمير هذه المواضع سواء جاءت في عداد الأماكن الأخرى أم لم تأت، ولن يسمحوا لأى شخص من الملاحين بطلبهم بأى حق من الحقوق بل إنهم سوف يعمدون بتعميرها إلى أسراهم وعيبتهم. وكذلك التاريك فإنهم لا يعمرونها

بواسطة الملاحين الذين ورد ذكرهم في موضع آخر. وإذا لم يأت الفلاحون للدونة  
 أسماؤهم في القائمة إلى موضع من الموضع، فإنه يجوز جمعهم. وطبقا لهذا القرار أصدر  
 سجلات الشروط الوثيقة. ونحن لم نذكر أكثرها مراعاة للاختصار، وهي مذكورة بأكملها  
 في قوائم الشروط [ص ٥٦٣] والجميع مشغولون في كل البلاد في وقتنا هذا بتعمير  
 الأراضي، والعميران في أردباد يوما بعد يوم. وبهذه الإصلاحات يشتد أثر كثير من الناس  
 ويرددهر بذلك شأن (دهوان التخليص) أردهارا كبيرا وترداد محاصيل الأراضي كل عام.  
 وعلى هذا سوف تقل الخراب في أسرع وقت.

كذلك أمر السلطان بأن تسجل في السجلات كل الأراضي البور في كل ولاية، ثم  
 يؤتى بها إلى الديوان حتى إذا سلعت للناس، يمكن عرصها كل عامين للتأكد من أنها قد  
 عمرت بأكملها، أو أن بعضها قد بقي دون تعمير. وإذا ما موه أحد البواب، وحاول إفساد  
 الأمور، وأخفى بعض الأراضي البور، واعتصمها لنفسه أو أنه شارك أحدا، ولم يصر في  
 السجلات على نصيب الديوان، فإنه يكتشف أمره نتيجة المراجعة وإعادة العرص.  
 ليواصل الحق تعالى ثواب هذه الخيرات إلى عهد السلطان المبارك به وكرمه.

## الحكاية الثامنة والثلاثون

### صدور الفرمان بإقامة دور خاصة للرسل في الجبلاد ومنع الشحن والحكام من النزول في منازل الناس

قبل هذا كان ينزل دائما في كل مدينة في سارل الرعايا والملاك ما يريد على مائة أو مائتين من الرسل. وكذلك الحال عندما كان يصل الوافدون من غير الرسل إلى إحدى المدن، فإن الشحن والحكام يرلونهم في بيوت الناس بدافع الصداقة والمعرفة. وإذا ما وصل الرسل، فإن مهمة الأدلاء أن يصحبوهم إلى بيوت الناس فائزين لأصحابها. إن هؤلاء الرسل يرلون صيوفا عندكم. وفي مقابل ذلك كانوا يأخذون شيئا. وفي ذلك اليوم يستعرضون ما لا يقل عن مائة منزل. وعاقبة الأمر يرلونهم في منازل الأشخاص المتصاقين منهم كي يتشاهم الآخرون. وكانوا يأخذون للرسل من بيوت الناس السجاجيد وملابس النوم وأدوات المطبخ وأكثر هذه الأدوات كان يستولى عليها إما الرسل وأتباعهم وإما الأدلاء بحجة أن الرسل قد استولوا عليها ولم يردوها. وإذا أعيد بعضها [ص ٥٦٤] فآية قيمة لها بعد أن ظل الرسل يستعملونها مدة طويلة. وكان كل حاكم يقبض إلى إحدى الولايات يسلب ما لا يقل عن مائة منزل. وكل هؤلاء الرسل كانوا يرلون في سارل الملاك والرعايا وقد علم مؤلف هذا الكتاب أنه عندما عزل تعالى بن يسودر من شحنة يرد، فإن أعوانه وقت معادرتهم المدينة احتاطوا للأسر، واحتل أتباعهم سبعمائة وبضعا من المساكن وبالضرورة كانت دائما أحسن المنازل تلك التي اتخذوها مقرا لنزول الرسل والشحن. وقد ترتب على هذا أن أحدا لم يكن يقدم على بناء منزل من المنازل. وهؤلاء الذين شيدوا بيوتا حولوها إلى مقابر، وأطلقوا عليها اسم أربعة أو مدارس. ولكن لم يجد هذا فضلا. كذلك استعصى كثير من الناس عن استعمال أبواب سارلهم، واتخذوا لهم ممرات شائكة تحت الأرض حتى تكون سرا مجهولا. وكانوا أيضا يشقون الجدران، ويرلون منها. كما أن الرسل كانوا يسلمون دوابهم للأدلاء، وهؤلاء يرسلون أشخاصا لحكم أسوار حقائق الناس، ثم يسوقون إليها الدواب. وفي اليوم الذي يعاد فيه الرسول المنزل، كانوا يحملون آجر محله، وما ذلك إلا لأن الرسل كانوا دائما يصلون تباعا، ولا يقطعون. وحشما يرل رسول في إحدى

المخلات، كان السكان هناك يقعون في عذاب ومشقة إذ إن غلمان هؤلاء الرسل وخدمهم يدخلون منازل الجيران عن طريق أسطحها، ويستولون على الأشياء التي يرونها، ويرشقون حمامهم وطيورهم بهائمهم وكثيرا ما كانت هذه السهام تصيب أطفالهم. وكانوا يستولون على كل ما يجنبونه من المأكولات والمشروبات وأصناف علف الدواب مما يمتلكه أى مخدوق. وبسبب ذلك يتعرض الناس للمشايخ والمشقات. ومهما كانوا يصرخون ويوحون، لم يصل صياحهم إلى أى من الأمراء والوزراء والحكام.

وحدث يوم قدم إلى الدهقان رجل هرم من الأعيان من قوى الشرف والهمة، وشرع يقول: أيها الأمراء والوزراء والحكام: "هل تسيحون أن أكون رجلا هرمًا، ولي روجة شابة وأولادى مسافرون. وقد ترك كل منهم روجة شابة حساء. كما أن لي بيت. وهما هم الرسل قد رلوا في منزلي، وجميعهم شباب قوى شيط [ص ٥٦٥] يتصنعون بحمال الوجه. وقد مضى عليهم زمن يقبضون عدى هيشاهندهم أولئك السوء، ولن يستطيع أن يقبض بي وأولادى المسافرين. وحيث إننا في دار واحدة مع هؤلاء الرسل، لا أستطيع مراقبتهم ليلا ونهارا. وكما أرى فإن أغلب الناس معرضون لهذا الموضع. وحيث إن الأمور تجري على هذا النمط، فإنه لعدة سنوات أخرى لن يوجد طفل شرعى في هذه المدينة، وسيكون جميعا أبناء أتراك غلغلين.

ولقد ذكرت عدة حكايات في هذا الصدد على سبيل التمثيل، ففي عهد أحد سلاطين السلاجقة، كان السلطان مقيما على تخوم بسابور وكان الأمراء والأثراك يترلون في دور الناس، ليس على هذه الشاكلة التي تحدث في هذه الأيام. وحدث يوم مرل تركي في أحد المنازل، وكانت روجة رب الأسرة عروسا جميلة وعقيمة، وفي أول عهدها بالروح، قطع فيها التركي، وأراد أن يتدفع بحجة لإخراج الزوج من الدار حتى يخلو له الخلو، فعرف الرجل قصد التركي، ولم يبادر مرله. فأخذ التركي يضرب الرجل قائلا: "سر بجوادى وارو ظمأه. ولم يكن الروح يستطيع أن يخلص زوجته، ولم تعد هناك حيلة يلجأ إليها. وأخيرا قال لزوجته: "أنا سوف أبقى في المنزل. لدهى أنت بالخواد إلى شاطئ النهر لتسقيه. وجريا على عادة المروس في الأيام الأولى من حياتها الزوجية، كانت ترتدى ثيابا أنيقة، وازدانت أحسن ربة. وتصادف أن السلطان كان يمر، فوقع نظره على تلك المرأة، فاستدعها وسألها

فقال: كيف أتت امرأة حديقة العرس، وتقودين الحواد كى تسقيه؟! أجابت المرأة: بسبب جورك وظلمك أتت أبها السلطان، فتعجب من قولها وأسأها عن السبب، فأعادت عليه شرح قصتها فأثر ذلك الكلام، وثارت عبرته بسبب تلك الحالة، وأمر على العور بالآ برل أى مخلوق منهم منزلا على الحدود هاك [ص ٥٦٦]. ولهذا السبب أقاموا شادهاخ التابعة ليسابور التي أصبحت مدينة فى هذا الزمان. كان ذلك الشيخ يتحدث عن تلك الهى وهو يبكى دون أن يؤثر ذلك فى الأمراء والوزراء قط.

وقصارى القول أنه عندما كان سلطان الإسلام يدبر شئون الممالك كان أول قرار له فيما يتعلق بموضوع الرسل هو أنه أمر بالآ يرسل رسول واحد من كل مائة أو مائتين من الرسل والأنبياء الذين كانوا من قبل يهيمون عينا إلى الولايات إلا إذا كان إيماده لتصريف مصالح الملوك الصرورية، وأن يذهب لأداء هذه المهمة الرسل المدايون وسعاة البريد الذين لا يرون غربة ولا مدينة، ويكون توقفهم فقط لطعام يتناولونه على عجل، أو لركوب حواد آخر، أو لقضاء حاجة. وإذا دعت الصرورية إلى إبعاد أحد الرسل لتحصيل الأموال وهذا نادرا ما يحدث فإنه أمر بتشييد دور خاصة لصياغة الرسل كى ينزلوا فيها فى المدن وقد رودت هذه الدور بالفراش وملابس النوم، وكل ما يحتاج إليه. كذلك خصصت مبالغ من الأموال تنفق دائما على هذه الدور وتعمرها. وأمسر أيضا مرسومها يقضى بأن يقيم الحكام لأنفسهم ولأتباعهم سارل خاصة بهم، أو يستأجرونها.

وبحمد الله وسه رالت تلك للشعاب، واستراح الناس، وسوا ذلك التعذاب وتلك المشقات، ولم يمرر أى وسيط على أن يطلب من أحد رعيها واحدا من الخير أو ما من التين. وبهذا قضى قضاء مبرما على اسم الوسطاء. ونتيجة لهدوء البال ورهاية الخاطر شيد الناس قصورا رائعة، وخططوا لها الإبناتات وشعلوا بالتعمير وإقامة الحدائق المماء. وقطعا لم يمرر أى مخلوق على أن يدخل دابته فى حدائق الناس والذلل التي كان نشها قبل هذا مائة دينار، صارت تباع الآن بألف دينار. أما جمهور العالمين من السكان الذين كانوا قد مرحوا ص أوطانهم منذ أكثر من خمسين سنة، وكانوا يتقلون مشردين من مدينة إلى أخرى، فإنهم جميعا قد أخذوا يعودون بسحبهم لإرادتهم إلى مدنهم وديارهم القديمة، [ص ٥٦٧]

والستهم تلحج بالدعاء لعولة سلطان الإسلام بإخلاص تام من جميع قلوبهم.

فليستجب الله دعائهم.

## الحكاية التاسعة والثلاثون

### فى منع المكارين والجمالين والسعاة من إيذاء الناس

قبل هذا كان كل رجل شريف أو سيد يريد الذهاب إلى السوق لينادل المتبع أو للاستحمام، يلتصق حوله عدد من المكارين قائلين له "يجب أن تعطيا مالا كثيرا سعة اليوم على عشيقاتنا وسقاتنا ومطربينا وغيرنا ولحمنا وحوادثنا ولوارسنا الأخرى. فانت عليك أن تدفع الثمن". فإذا لم يعطهم أو اعتذر لهم، يادروهم بالسعافة والرفاحة وتكون عاقبة الأمر إما أن يأخذوا منه مالا، وإما أن يصرهوه صرعا مريحا. وكثيرا ما كان هذا الرجل المسكين لا يملك مالا، فيضطر إلى الاقتراض وبذلك يفسد ماله وعرضه وكرامته، ولا يستطيع معاداة السوق.

وكان هؤلاء الصعاليك يقومون على معزق الطرق أهواجا أهواجا ومن استطاع من الصغايا التخلص من فوح، وقع في يد فوج آخر. وكان الحال يجرى على هذا المثال فإذا ما وصل إلى طائفة الجمالين، وجد بعض السلوك، وكذلك الحال إذا ما وصل إلى فريق الرسل والسعاة، فإنه يجد منهم أسوأ مما وجد من الآخرين. وكثيرا ما تصادف أن شخصا واحدا يقع في يوم ما فريسة لجميع هذه الطوائف؛ لأنهم احترقوا هذا العمل [ص ٥٦٨] وكان هؤلاء يقومون مترصدن صيدهم. كما كانوا جميعا على صلة بالخواتم والأمراء الأتباع والأمراء. وإذا كان لأحد القدرة على مقاومتهم والتمتعب عليهم فإنه لم يكن يرى من المصلحة مبارعتهم ومجاہنتهم؛ لأن هؤلاء الكبار كانوا يتصالحون ويعكرون في إيجاد ماصب تنبج هؤلاء المكارين والجمالين والسعاة ممارسة هذه الأساليب وهم قادرون على ذلك. وكانوا يزبون الدواب في أيام الأعياد ومسابقات التورور والحفلات وأمثال ذلك. ثم يذهبون فوجا فوجا إلى مارل العظماء. فإذا ظهر لهم رب البيت، فإنهم كانوا يأخذون منه بالخاص كل ما يطلبون. وكانوا يتلطفون بالأماط غابة في الرفاحة والهديان، ويكلمون له الشائم والسباب حتى يحصلوا منه على مطالب أكثر وبالضرورة كانوا يسلبون كرامة الناس كما يستولون على الأشياء التي تخصهم. وإذا لم يكن رب البيت حاضرا، أو أنه اختفى خوفا منهم، فإنهم يرهبون كل ما يجدونه بمبالغ كبيرة لدى السكارى المدمنين

أو أنهم بأخلاقها بالإلحاح والإصرار. وفي بعض البلاد كان هناك رسل كثيرون وعلماء وصباط بحيث إنه في الواقع وحقيقة الأمر كان كل واحد من الرعايا يقابله إنسان من هؤلاء

وأنا عبد الدولة ومؤلف هذا الكتاب أذكر أنه في سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م كان اللعين عني خواجه بن عمر شاه السمرقندي حاكما على ولاية يزد، فذهب إلى قرية تدعى فيرورآباد من أكبر القرى هناك والتي بسبب ارتفاع أبنيتها وفخامتها يمكن الاستعادة منها واستغلالها. ورضع ما يذله هذا الحاكم من جهد خلال ثلاثة أيام كاملة لم يستطع أن يجد شخصا قط من الرؤساء. وقد رابط في القرية سبعة عشر محصلا من محصلي الحوالات والسدات. وأخيرا اعتقلوا من الصحراء أحد الحراس وثبى من الرعايا، وأحصروهم إلى القرية مقيدس بالحبال، وصاروا يصربونهم حتى يحضروا أشخاصا آخرين ليردوهم بالأطعمة الكافية وقطعا لم يتيسر لهم هذا

كذلك كان ينبغي توفير العلف والمؤن والشراب وللمشوقات لجموع هؤلاء المحصلين وأتباعهم. وقياسا على هذه التصرفات كيف يمكن الوقوف على الأنواع الأخرى من المظالم التي كانت تقع على كامل الرعايا؟!

كذلك ينبغي التفكير في أد البدع العديدة والرسوم السيئة إذا تعود عليها الناس الأشرار على مر الأيام، فكيف يمكن تداركها في زمن قصير؟! خصوصا أن المراسيم قد أرسلت إلى كل الأطراف في كل مكان لاستمالة الرعايا ومنع بعض هذه المظالم عنهم. ولكن لم ينفذ هذا بأى وجه من الوجوه، وثبى الخلق جميعا من تعيد ذلك.

**[ص ٥٥٣]** أما في هذا الوقت الذي حل به العهد المبارك لسلطان الإسلام خلد الله سلطانه، وأدام عدله وإحسانه - فإنه يكون تفكيره المبارك مصبا على ما هو بحسب خير ومستهدفا العدل. فبدل كل همة كى يتدارك الخلل الذى تطرق إلى شئون المملكة، وعمل على أن يقضى قضاء مبرما على البدع والمفاسد، وسعى فى أن يكون الناس دائما فى راحة وطمانينة. وفى هذا الصدد صرح قائلا: "إن فوائد محصول العمر الإنسانى فى الدنيا هي تحقيق هذه الأمور".



ولقد تعهد السلطان غاران خان بأن يمدى في هذا الشأن سعيًا حديًا واجتهادًا تامًا فعمل على تدارك هذه العيوب في البلد الذي يدفع الضرائب وقال في هذا الشأن: إنه في الوقت الذي عدل فيه عن اتباع نصوص الياسا وتطرق الخلل التام إليها، يسعى المبادرة بإصلاح تلك الأوضاع، والبدء بمعالجة الأمور الصغيرة، حتى يعلم الخلق أنه ما دامت المؤاخدة والمساواة تجري على الأمور الصغيرة وتوقع العقوبة على المقصرين، تكون هذه العقوبة بالضرورة أصعاف ذلك في الأمور الكبيرة، فيكون أيديهم عن ذلك مرعيين. وكان يقول ألباسا: "حيث إن الإحاطة بكل عمل تقتضي الوقوف على أصله ومكوناته، نصير كل جريئته داخلة فيه ولو يشغل الناس بإصلاح حريثاته واحدة واحدة، فيصلحون واحدة ثم يصلحون الأخرى، فإنه يمتل مرة أخرى، ولا يمكن ضبطه. كذلك صرح قاتالا. إن القوم الذين تعودوا هذا الأسلوب مدة طويلة، وصار مألوفًا عندهم لن يستطيع معهم من ذلك الأمر مرة واحدة، ويكون إقلاعه عن لمرأ صعبًا للغاية. كذلك الولاة والحكام قد أصبوا آذانهم في هذه السوات، ولم يحاولوا الإصلاح، بل شقوا على الرعايا، مراحوا يريدون عليهم الأعباء ويأخفون سهم الضرائب، ولا يعطون الديون شيئًا. ثم يحاكمون هؤلاء الرعايا المساكين كل سنة، فيضطر هؤلاء إلى تقديم الرشاوى للخلاص منهم، ويسردون عدة حكايات عن كل ما يحدث لهم. وإذا نكل سهم أيضًا عدة أشخاص، فإن الآخرين يتصورون أن المسألة حدثت بمحض القصد، وأن الشخص اللاتى لم يهتم بهم. وإلا إذا كان هناك حرص على المال والمحافظة عليه، فإنه كان يسعى أن تطبق هذه القاعدة على الطوائف الأخرى.

وقصارى القول أننا إذا عاقبنا بعضًا من هذه الجماعة، فإن ذلك لن يكون ممكنًا؛ إذ إن الآخرين يسلكون نفس السلوك، ولن يكفوا أيديهم عن الظلم والتعدي. وهكذا يبقى الرعايا في عذاب، ولن يصل مال قط إلى الخزانة. وإذا فالصلحة تقتضى بأن نمكر في طريقة نكف بها أيدي حكام الولايات نهائيًا عن التصرف في الأموال وتبديدها، وحتى لا يجندوا قطعًا أى سبب يمنع طريق الاعتناء؛ فيكون مثلهم مثل الثعلب الذي قال: "سوف أستطيع الخلاص من الثعلب بألف حيلة ولكن من المستحسن ألا أراه أنا وهو لا يراني". وإذا فالأفضل في هذه القضية أيضًا ألا يستطيع الولاة أن يكتبوا حوالة حتى ولو بدائق واحد. ثم أمر بأن يسر إلى كل بلد كاتب جلد يكتب بالتفصيل كل ما يضمه ذلك البلد

من قرى واحدة فواحدة. وبموجب الحصر السابق تحدد الضرائب عليهم، ولا تكون خاصة للخصم والتجرتة. وهكذا يعمل على أن يكون الرعايا مرميين مطمئنين كذلك أمر بأن تمنح كل أملاك الخاصة والأوقاف والملاك الذي احتفظوا بملكيتهم مدة ثلاثين سنة بلا مازع، وأن تكتب موضحة بأسماء المحصلين، ثم يثبت ذلك في سجلات القانون حتى إذا فقدت أيضا حجة لأحد الأشخاص؛ أو أن شخصا يريد أن يستولى عليها، فإنه يرجع إلى هذا السجل، ويتم التصرف بموجب القانون المثبت في السجل. وبذلك لا يبقى مجال للتليس والتعدي.

وعلى هذا سار الكتاب إلى البلاد حسب تلك الأوامر وعلى الرغم من أن الساس الثقافت المستقيمين قليلو الوجود، فإنهم سعوا بقدر الإمكان في تسجيل قوانين البلد في سجلات خاصة ثم إحصاؤها إلينا.

بعد ذلك أمر بالآلا يكتب على الإطلاق أي ملك لو وال لو كاتب حوالة أو سندا على ورقة من الأوراق. [ص ٥٥٤]. وإذا حررت حوالة فإنه يعهد الحاكم الذي أعطى التصريح. كما تقطع يد الكاتب الذي كتبها حتى يراه الكتاب الآخرون فيتعطون ويعتبرون. ثم عي لكل بلد كاتبها يلازم اللديوان الكبير، وعليه أن يكتب في أوائل كل عام المبالغ التي دخلت ذلك البلد، وذلك بمقتضى القانون، ويكتب ذلك بالتحديد والتعصين في كل قرية، ويؤشر على هذا السجل بواب اللديوان الكبير، ثم يوثق بحتم الدولة الذهبية ويرسل إلى البلد حتى يسلم الرعايا ما عليهم على قسطنطين مع نصف العشر ورسم الخزانة وذلك عن طريق المحصل الذي عين في كل بلد. وهذا المحصل يعطى أصحاب الولايات بعضا من المال نقدا بمقتضى الحوالة المحتومة بالتحتم الذهبية، ثم يرسل الباقي إلى الخزانة العامة، ويسلم الخزانة هذه المبالغ بالإصافة إلى الرسم المقرر. وإذا حصل - أحيانا - أحد المحصلين أو الرؤساء مبلغا أكبر فإن عليه أن يسلم الخزانة نصف دينار كرسوم للخزانة عن كل مائة دينار وعشرة دنانق، وإلا فإن على المحصلين أن يحصروا المبالغ التي حصوها ويودعوها مع رسم الخزانة لدى الخزانة.

وأمر كذلك بأنه عندما يحصل مبلغ نقدي من الرعايا في البلاد، لن يسمح مطلقا بأى وجه من الوجوه أن يسلموا الخزانة شيئا من البضائع القيمة ولو بقدر دينار واحد. وإلا فإن

على الشخص الذى يحضر بصلح عبية أن يحملها إلى السوق ويبيعها، ثم يودع فى الخزانة مالا نقديا. ويراعى أن تدفع المبالغ نقدا للمعربات والعملات والعمقات التى يجرى العمل بها فى كل مكان، ولا يقصر المسئولون فى تائق واحد حتى يريد الخلق جميعا من دعائهم لليلة طالت أيامها.

وبواسطة الحوالات المفصلة والمحسنة بالحنم الذهبى، وثنى غملى من هنا إلى البلاد صار جميع الرعايا فى الأماكن المختلفة مطلعين على المبالغ المقررة عليهم، وهم يعرفون جيدا أنه لا ينهى أن يدفعوا دائقا واحدا زيادة عن المطلوب. وأيضاً لديهم رسالة رجال القانون الموضح بها المبالغ التى عليهم وكيفية سدادها.

ولما بعد هذا القرار المسجل، طس ملك رود آور من أعمال همدان أنه من قبيل الأحكام السابقة التى صدرت ولم تعد، فصرح لأحد الكتاب بأن يكتب - مع إيقاف التنفيذ - عدة حوالات على إحدى الولايات فصدر الحكم بقتله. وبقطع يد الكتاب الذى حرر الحوالات فلما علم الكتاب بذلك القرار لاذ بالفرار. وبعد ثلاث سنوات توفى فى الموضع الذى هرب إليه كذلك قبض بعد مدة على أحد الكتاب فى سهاوند وقطعت يده. وفى همدان كتب أحد القائلين من الأثرياء حوالة على شريكه بمس من السماق<sup>(١)</sup>، فقص عليه، وصدر الأمران بقتله وبمريد من الشعاعة، جمعت عنه عقوبة الإعدام، وحسب مائة وعشرين عصا، ودفع ألف دينار غرامة جزاء جرمه.

واقربا من هذا الوقت، كانوا يحلون للحصيرة قيلة من الهند. فلما وصلوا إلى همدان حل الشتاء، ولم يكن يوجد علف، فقال الحكام هناك: ينبغي أن يحصل على العلف من الخدائق. فلما بلغ هذا الكلام السمع الأشرف للسلطان، قال: إسا دائما نحتاج للأمر، وبعد فى حسابنا ما يلزم من العلف والمؤن لليلة، فكيف نؤخذ من خدائق الناس؟ ولكننا نتجاوز هذه المرة. أما إذا أقدم المسئولون بعد ذلك على مثل هذا التصرف فسوف نعاقبهم.

وصفوة القول أنه خلال هذه السنوات لم يكن هناك مجال ولى يكون لأى مخلوق أن يكتب فى حوالة شس من واحد من اثنين وبهذا سد نهائيا طريق تحرير الحوالات. وقد علم

(١) حب يوصح فى بعض الأقسام ليكتبها حوصه.

في العام الماضي أنه لما لم يكن في مقدور الحكام أن يريدوا شيئاً على الملح المقرر، صار  
الرؤساء وعمد القرى يلتزمون بسداد الريادة، ويقسمونها فيما بينهم،  
وهكذا عندما يعلم كل واحد من الرعايا الملغ المقرر عليه، لا يعطى شيئاً ريادة عن  
المطلوب. كذلك لا يستطيعون مطالبة قمرباء والأشخاص الآخرين الذين لم ترد أسمائهم  
في الكشف.

## النصوص الإضافية

### (النص الأول)

#### حكاية مسير الأمير نوروز إلى تركستان لدى قيدوفان

[ص ٥٧٧] عبر نوروز مع بحر خنبل من المطرودين نهر جيحون عن طريق بدخشان وصمم على المسير إلى الأمير قايانو<sup>(١)</sup> بن قاشين بن فوكتاي قائ وقال لنفسه، "إن الراجل لا يصير خيرا وعمرها ما لم يسافر ويرحل". وعندما وصل نوروز إلى حضرة الأمير قايانو أظهر له الصديق والطاعة والإخلاص. ولما سأله قايانو عن سبب جلالة عن وطه المألوف وترك مسكنه المعروف وعن الباعث على قدومه ووصوله إلى هاه أجاب قائلا: "إن أميتي وورعتي ودعائي إلى الله أنا العبد للحطص والمحجب دون إكراه هي أن أتشرف وأسعد بمشاهدة صاحب البلاط الملكي وطفلة عرته الليمومة. وحمدا لله ومه فإن آثار الرقعة وعلو الشأن وأجبار رعاية الرعية وآيات السياسة والكياسة وذكر العظمة وصيت الملك لهذا البلاط العالي القدر قد طبق الأفاق". ثم شرح أحواله دون تردد ودعشة وبحشية، وختم كلامه قائلا: "إن علام المحبوب مطلع وعليم بأنتي يرى من اللذب والحيانة اللذين اتهمت بهما أكثر من براوة اللذب من دم يوسف. كما أنني أظهر من صفاء السماء.

(بيت من الشعر المارسي ترجمته:)

لم يمر على لساني ولم يمر بمخاطري

ولم تكن قسط هذه نيتي أنا العبد

(١) يكتب أيضا قيدوفان، وهو ابن قاشين بن فوكتاي قائد. ربي في معسكر چنگيز خان. وبعد وفاة جده فوكتاي لازم منگوقاغان وبعد كان يلزم لربك بوكا، وسى في إجلاله على عرش الخانية فلما خضع أربك بوكا لأخيه قوبلاي خان وأطاع أمره، استدعى قايانو عوقا من قوبلاي، كبار عليه، وطني وبني، وأرتكب عدة الخلفيات وقد حصر دحرا قوبلاي إلى أن توفي متأثرا بمرضه من إحدى الأمراض التي خلصها صد تصور قائم حفيد قوبلاي فكان (انظر جامع التواريخ. تاريخ خلفاء چنگيز خان من فوكتاي خان إلى تيمور خان، الترجمة العربية، ص ٣٢١ ١٣٢٢ رحلات ساركو بولو، ترجمتها إلى الإنجليزية وشرها ولهم مرسندة، ورجعها إلى العربية عبد العزيز توميق جاويد، ص ٣٥١، ٣٥٢، قبل نشر الترجمة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٧ م).

عبدلله قال قاينو: "إذن ما سب الإهزام والفرار والاضطراب؟" أجاب بورور: "حقاً إنها مثل أسطورة الثعلب الذي كان يفر هارباً مسرعاً. فسأله أس آوى عن سب إيهرامه. فأجاب الثعلب: إن الملك قد يكون عبياً سادجاً كالخمار فقال أس آوى. حيث إنك لست حميراً فلماذا تهرب؟" قال يا صاحبي إلى أن يثبت أنني لست حميراً، لا بد أن يصيبني كثير من الجراح المؤلمة القاسية. [ص ٥٧٨] فأعجب قاينو بهذه القصة إعجاباً شديداً، وشمله برعايته التامة وأجلسه إلى جانبه، وقدم له كل ما يلزم للإقامة والتكريم

وهكذا ظل نورور حائراً مدة ثلاثة أعوام متتالية في إقليم تركستان كالخمار في فوحويل والحرماء في الماء وكان يرجئ إياهه التي لا نهاية لها. ولما كان مجبولاً عسى العباد والكبراء، لم يكن يسجم في غربته ووحشته وكرهته مع أمراء قاينو وخواصه جرباً على قاعدة العرياء والصيوف. والسب في ذلك أن بورور عاش ثلاثين سنة كاملة وسط ممالك إيران، وقلب ديار خراسان في هاء ومعيم وحرمة وتعظيم في دولة خانات المغول وكان الطي والنشر والقص والسط والخل والعقد في الإقليمين الثالث والرابع في قصة والده أرغون آقا<sup>(١)</sup>. وكان قد ترك له الشيء الكثير من المساع والأمالك والنفود والنفود والحواسي وللواسي التي لا حصر لها

لكل هذا رعم دوال الحرمة والحشمة وضياع الأمالك والأسباب والجللاء عن الأهل والديار، لم يعد يحتمل صولة أمراء قاينو ومسلطونهم. وهم أيضاً لم يكونوا يسلكون معه طريق العزة والحرمة، وجادة الوفاق والرفاق. ورغم وجود كل هذا لم يحط أحد من قومه، بل ظل يعيش موفراً ومعظماً حتى مل طول الإقامة وسأمة البقاء؛ فاستأذن في العودة.

(١) هو من قبيلة لوريان وأبوه تاجور الذي كان أميراً لألف جندي وتعد قبيلة لوريان من أشهر قبائل المغول. تولى أرغون حكم إيران من قبل خاناتات المغول قبل مجيء هولاكو خان، نظام بهمنه خير نظام، وألقي بالنسبة مرقص الكفاء كان منهم المؤرخ عطا ملك الجويني. قام أرغون بحملة إصلاحات، وخفف قسراته عن كاهل الرعايا وشعروا في عهد بالأس والأمان. وأنشأ نظام بهمنه تمر من حملات مصر من قبل الخاقان الخاقانين الطامعين في منصبه، ولكنه كان يلزمهم الحجة وينتصر عليهم. وهكذا استمر يلزدي واجبه إلى أن قدم هولاكو بحملته على إيران فاستقبله لرؤخ استقبال، وأقام له سرعفاً فحسباً بمسجوناً بخروط الذهب. وصار واحداً من أخصى أتباعه. تحدث عن أرغون قفا المؤرخ عطا ملك الجويني في صفحات عديدة ومتفرقة من كتابه تاريخ جهانگشاي (انظر ترجمة الدكتور محمد القوي في هذا الكتاب، المجلد الثاني، جلد ٥، ١٤١ هـ - ١٩٨٥ م).

وبعد أن شمله قابدو بقطعه ورعايته، سَيرَ لمساعدته ثلاثين ألف فارس مع الأميرين  
الجبين أوكان وأركتمور والأميرين ساور وكوبك وغيرهم، وذلك بقصد الذهاب إلى  
دهار خراسان وقمع أعداء مورور. ثم أوعز أيضاً إلى الجيوش التي تقيم في منطقة نهر  
جيحون بتقديم المساعدة له. كذلك أرسل مع مورور جنوداً بقيادة ابنه ساربان وكانوا  
بمصون الشتاء والصيف على صفا نهر جيحون، وفي بادغيس وشورغان بعد ذلك سار  
نوروز في الطليحة.

## إسلام غازان وكيف تم ذلك

[ص ٦٠٤] كان غازان المبارك النظر، الميمون للتقدم يتشاور مع الأمراء في تدبير  
الفصاء على الأعداء وقهرهم وقمعهم، وبأية وسيلة يمكن ذلك حتى يصير الخصم قريباً  
للبرار ومقضيّاً عليه بالصاء. وكان كل أمير يذل بملوه في هذا الشأن بقدر وسعه وطاعته  
ويحكم أن الأمير نوروز سبق أن قدم هدبة لغازان - إجلالاً وتعظيماً - عرض على رأى  
السلطان ملجأ للعالم فائلاً:

(شعر فارسي، ترجمته)

هكذا قال: أيها الملك السعيد المقدم  
بعلبك يصير الجو ربيعاً في شهر "ردى"<sup>(١)</sup>  
فلنبق دائماً موفّقاً في العالم  
وليكن هذا العالم مثلي عبداً مطيعاً لك

لقد أثر عن علماء الإسلام والمجمعين وأرباب التصوف أنه سوف يظهر خلال مئة سنة  
وتسعين هجرية (١٢٩١م) سلطان عظيم يكون ظهيراً للدين الإسلامي، يصير الإسلام -  
بعصل رعايته وعنايته - ناصراً مردهم بعد أن كان مدرساً ويسبب عدل هذا السلطان في  
ملكه تصير الشاه آمنة ومستريحة من بطش الدلب، ويتخلص العرّال من حور العهد.  
ولشمول إصافه تسلم الصعوة<sup>(٢)</sup> الصعيمة من صلاية الصقر، ويسجو (القيج)<sup>(٣)</sup> من شوكة  
ومهايته ويظل التاج وعرش الملك لسنوات عديدة في مكانهما اللائق بهما. وأحياناً كان  
يحول بخاطر العبد أن يكون ذلك المعامل هو غازان عان إذ أن إشارات هذه العلامات ومخائل  
هذه الشمائل تبدو في صورة الحال وصفحة آثار الجيس المبين للأمر السجل المانع الدر.

(١) دى: الشهر العشر في السنة الإيرانية. فيه يقصد البرد، وهو يماثل شهر ديسمبر وأيضاً من شهر يناير من السنة  
البلادية.

(٢) الصعوة والصعوة واحد، وهو طائر صغير أبيض الرأس.

(٣) (القيج) الخجل، عرب كيك وانظر كتاب الألفاظ الفارسية القديمة، تأليف السيد آتق شير، ص ١٢٣، بيروت  
١٩٠٨.



وإنه لظاهر وواضح أنه لو تقلد الأمير الجبل قلادة الإسلام، والترم عقائد الإيمان وطريقه، فلا بد وأن يكون مثلاً لأولى الأمر في عهده فيصح رعاياه المسلمين - الذين ظلوا قائمين في حصص المدالة وهبوط الوبال - بشو الإيمان وسماء الرعاية؛ حتى يتيسر لهم بعد ذلك نصر المزال وقهر الأعداء عن طريق مشر الدين وبسط العدل بعد بدل الطاعة التي لا مفر منها، والتي تكون في الأعمال فرص عيش، بل عين فرص. ويصير جميع المسلمين مريدين ومحبين. وبسبب صلته وإخلاصه هتته وتوجه القلوب إليه [ص ٦٠٥] بنصره الحق سبحانه وتعالى. وإن الدين الإسلامي الذي اندرس واطوى بسبب تلعب كفار السار واستيلاء الظالمين والعاسقين لحياتها يمس تقوية الأمير الجبل.

وحيث إن الحق سبحانه وتعالى كان قد ربي وأبار في الأزل قلب الأمير الجبل بمور التوحيد، وصارت داته الشريعة مخزن أسرار القدس وحاملة المعرفة، وطلع عليه صبح السعادة الأبدية، ورفع عن بصيرته غشاوة العيوب والريب - أثر في قلبه المبارك كلام نورور للعقول، وتفتحت رهرة قلبه لحديته، وظهرت "يد موسى البيضاء من جيب العيب"، وأزال عن عيه وأدبه حجاب الظلمة وغطاء العفلة، واختار الور بدلاً من الظلمة، فقال: إن حديث هذا الدعية وشعنة هذا الباحث كانا نصب عيني وصميري إذ كيف يقتضي العقل أن يسجد رجل عاقل لجماد مصوع موصوع على الأرض ولا يتوسل إليه مباشرة، بل يستمد الحمة من شخص آخر يمرر إليه بهذا الصم. وإن الخصوع أمام جماد وشروط لئمه ومراسم تقبله لأمر مستكف.

وإذن فعبادة الأصنام والسجود للأوثان كلاهما أمر في غاية الضلالة والجهالة ومادة للاحتقار والاستهزاء. وإن الدين الإسلامي هو ردة جملة الأديان وخلاصة البوايسب الإلهية؛ لكن العلائق والعوائق المتواترة والمتوالي كانت حائلة دون هناية نور الإيمان. وحشما يوجد الماء قريباً لا تدعو الحاجة إلى حبل طويل.

وهكذا صار اقتراح نوروز مسموعاً ومقبولاً ثم طلب إحضار قطعة اللؤلؤ التي كان قد أودعها خزانته وفي اليوم الرابع من شبان سنة أربع وتسعين وستمائة (١٢٩٤م)، في جوسق كان يوجد فيه عرش أرغون "بهرغزار لار دوماند" أعملوا حفلاً كبيراً، ثم احتفل الأمير الجبل وفي الشريعة الإسلامية، وليس ملابس عظيمة. بعد ذلك صعد فوق قصر مرتفع

ووقف على درجة العرش، مظهرًا الخضوع لحضرة الرمي. ثم لقيه كلمة الشهادة الشيخ  
 "صدر الدين إبراهيم" خلف صدق الشيخ صدر الدين حمويه - رحمه الله .  
 وهكذا أخذ عازان يرم صاقي يظم من صميم قلبه الصادق كلمة الإخلاص. وقد ردد  
 عدة مرات كلمة التوحيد بلمط التكبير.

(بيت من الشعر للعارسي ترجمته)  
 رقم ذلك الأمر النجل بإصبعه  
 فذكُـسره بوحـدانية الله

وقد أسلم معه جميع الأمراء والجنود، وعددهم يقرب من "مائة ألف" (١) مشرك متمرد.  
 ورغم أن الالامات (مبشرين) قد علموه أيام الصبا ورمضان الطفولة عبادة الأصنام وتقديم  
 الأوتن، وكان ثابتا وراسخا في هذه العقيدة فإنه عندما دخل في الدين الإسلامي، أصعب  
 بأذن العقل وصنع الرضا إلى أمة الإسلام والدين الحنيف، عاشق في سكية صدره. وكان  
 في الإخلاص [ص ٦٠٦] أسبق من لويس وسمان، وصار الجميع مشغولين بهذه الأفرار  
 والمسرات الكثيرة وإقامة الحفلات والمآدب وكان كل الأمم من الترك والعجم يثرون على  
 عرشه المبارك الدرهم والدنانير وفضائل الجنات وروائب العائس وكانوا يشدون

(شعر عارسي ترجمته)

ليظل باقيا باقيا في ملكك على الاستقرار والهدوء...  
 المال والغال والرمز والمال والأصل والسل والخلف والعرش  
 وليبق المال الوافر والحال المحس والمال السعيد والسهة المباركة  
 وليسلم للأصل - ثلاثين نسلا - الحظ الباسم والعرش المطاع

ثم وقف الأمراء والقواد (يوهان) والأئمة والمشايع. وانتداء بسلطان الإسلام، وباعتقاد  
 صادق مبركا من شوائب الكندر ومصطفى من الرماء، دخلت - في دين الإسلام أفواجا -  
 طوائف التتار من الأطراف والواسعي والبولادي والفضواحي؛ من الكافر والكافرة ابتداء من  
 س السابعة إلى سن السبعين، وذلك بدافع فرجة ومحس الاختيار، وشرعوا بتشريه هداية

(١) يذكر ملازغ عبد الله قسري اللقب بوضاف المحصرة في كتابه "تاريخ وضاف" ص ٣١٧ طبع ببيروت  
 أسلم من القتل يزيد على مائة ألف مفرد.

مور الإيمان، ليظل توالدهم وتاسلهم مؤمنين ومؤمنات حتى تُفخ الصور وصار اعتقاد الموحدين بإعجاز أمة أحمد وإظهار دين محمد عليه الصلاة والسلام أكثر صهيبة. كما صار صدق إخلاص المؤمنين أكثر تأكيداً.

وفي ذلك اليوم أمر جماعة الأئمة والمشايخ والسادات بالإدراوات والإنعامات والمزريات والمناصب. كذلك بدل الدور والصدقات في حق الفقراء والمساكين. ثم توجه إلى قبور الأولياء ومزارات "الأبدال"<sup>(١)</sup> وكان يطلب بتصرع وإنشغال من - حضرة دى الجلال - القوة للانتقام من الأعداء ودفع الحساد. كذلك أنشأ الخواص والفقير.

بعد ذلك سهر - بهذه البشري - العناني وسعاة البريد إلى أطراف البلاد وأرجائها وأحائها وإن حلالة هذه السعادة التي هي أصل الحياة وثمرتها شجرة التوفيق الخالدة باقية. وهكذا أوصل هذا البيا إلى سكان الأماق. فتوجه إلى حضرة عازان من أطراف العراق وغراسان المشايخ والأئمة في حصوع تام. ثم استقبل شهر رمضان ركس الصيام بدلاً من الأصنام، وكل ليلة كان الخلق الكثيرون من التاريك والبرك والأمصار يتناولون طعام الإفطار على بساط سباطه.

وهكذا فإن عروة حل الدين التي كانت قد وجدت الانعصام والانصرام عادت إلى التنظيم والقوة، وصارت همة عازان مقصورة على تأسيس قواعد الدين وشهيد مباني اليقين، وتقوية أساس الشرع ورعاية قوانين الأصل والفرع وكانت همة باعثة على الترام طريق الورع وبهتمة متجهة إلى العمة والتقوى

جعل الله سبحانه وتعالى الوجود المبارك لسلطان الإسلام غاران خان - في طوقان الطوارق والحدثان - [ص ٦٠٧] كملاً لمصالح العباد ومجاهم وسبباً لأمن الحق وأمانهم

(١) الأبدال جمع بدل. وبعد التصورة أن خلق تعالى جعل الأرض سبعة عقاليم واختار لكل إقليم من عباده الصالحين و(١) فيه يسمى "بدلاً" ليحفظه. ويقال إنهم صرور روحانية محبة يتلون فيها وهم قولها: إنا سات أمتهم خلفه غيره فكان بدلاً منه. كتب أن حجاب قلعة الخواري مرفوع عنهم. ولعلك يتدون في شكل مختصة متباينة، وهم معروفون باستقصاء الدور وتصحيح الإرادة وسلامة العصر للعالم والصحبة لهم. إنظر دكتور حسني عيسى المصري، المعجم الفارسي العربي الحديث، ص ٢٧، طبعة ١٩٨٢ دكتور سيد جعفر سجادي، فرهنگ لغات واصطلاحات وتسميات عرفاني، چاپ دوم، ص ٩، تهران ١٣٥٤ هـ ش.

حتى تصان آلاف النفوس الطاهرة من أذى العذاب والخوف من مخالب التار الكفار؛ فلا  
 جرم أن صار صيت أبيهم معلته وسمعة سوق مكرمه طين آذان العالم.  
 وصعوبة القول أنه بعد ذلك صارت طاعته واجبة ولارمه على ملوك الإسلام وسلاطيهم  
 بموجب قوله تعالى: ﴿... وأولى الأمر منكم﴾<sup>(١)</sup>.  
 (نعت الترجمة بحمد الله وفضله)

---

(١) إشارة إلى الآية المذكورة ﴿لها فيها فدى لسوا الميعاد﴾ والحقوا الرسول وأول الأمر منكم من تنازعهم في شىء.  
 فرموا إلى الله والرسول إن كنتم تعلمون بالله واليوم الآخر. ذلك غير وأحس تأويلها ﴿(سورة النساء الآية ٥٩).

## قائمة المراجع أولاً: المراجع العربية

- ابن الأثير الجزري (على بن أحمد أبي الكرم):  
- الكامل في التاريخ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب الجار، القاهرة ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ - ١٩٣٩ م.  
ابن إلياس الخطي (محمد بن أحمد):  
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول القسم الأول، تحقيق الدكتور محمد مصطفى، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.  
ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر)  
- تذكرة السيه في أيام المصور ومنه: حوادث وتراجم (٦٧٨ - ٧٠٨ هـ / ١٢٧٩ - ١٣٠٨ م)، حققه دكتور محمد محمد أمين وراجع دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٦ م.  
ابن حجر العسقلاني (الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد):  
- الدرر الكامنة، نشر دار الجيل، نسخة مصورة من طبعة دائرة المعارف ببيروت ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م.  
ابن زيد آل محمود (عبد الله) الشيخ:  
- قضية تحديد الصداق، فطر الدوحة ١٩٧٦ م.  
ابن شاذان الكشي (فخر الدين محمد بن أحمد):  
- فوات الوفيات، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥١ م.  
ابن العبري (غريغوريوس أبو المرح بن أروون الطيب للقطي):  
- تاريخ مختصر النول، بيروت ١٩٥٨ م.

ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى):

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. دولة المماليك الأولى (٧٠٠ هـ / ١٣٠١ - ١٣٤٩ م): دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي ترجم التمهييد المطول عن الألمانية الدكتور رضوان السيد، الطبعة الأولى، الناشر المركز الثقافي للبحوث، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد):
  - الخواص الجامعة والتجارب الجامعة في المائة السابعة (٦٤٢ - ٧٢٣ هـ / ١٢٤٤ - ١٣٢٣ م)، وقف على تصحيحه والتعليق عليه مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل):

- المختصر في أخبار البشر (تأريخ أبي الفداء) نشر مكتبة النشئ، القاهرة بدون تاريخ.
- تقويم البلدان، تصحيح رينود مدرس العربية ولبازون ماك كوكين ديسلان، باريس ١٨٤٠ مسيحية.

إدريس (محمد محمود):

- رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣ م أرنولد (سير توماس):
- الدعوة إلى الإسلام، ترجمه إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم وآخرون الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٧ م.
- الإصطخري (أبي إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي):
- المسالك والممالك، تحقيق الدكتور محمد جبار عبد المال الحيسى، مراجعة محمد شفيق غريال، القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

## بارتولد (فاسيلي فلاديميروفيتش):

- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان  
راجعه إبراهيم صبرى، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة  
١٩٥٨م.

- تاريخ الحصار الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، الطبعة الثانية، الناشر دار  
المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٨م.

- تركستان من العنق العربي إلى العزو المعزى، نقله عن الروسية صلاح  
الدين عثمان هاشم، الناشر قسم التراث العربى بالمجلس الوطنى للثقافة  
والفنون والآداب، الكويت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

بلر (مصطفى طه) دكتور:

- مغول إيران بين المسيحية والإسلام، القاهرة بدون تاريخ  
البديسى (شرف خان):

- شرفنامه. ألّفه بالمعارسة شرف خان البديسى، ترجمه إلى العربية، محمد  
على عونى، راجعه وقدم له يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٦٢م.

براون (إدوارد جرافيل):

- تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، نقله إلى العربية  
الدكتور إبراهيم أمين الشواربى، القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

بروكلمان (كارل):

- تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية الدكتور نبيه أمين فارس  
ومير المليكى، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٤٩م.

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):

- الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الجزء الأول، الطبعة  
الثالثة، بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

الجراحى (إسماعيل بن محمد العجلوني) الشيخ المفسر:

- كشف الخفاء ومرهل الإلياس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، الجزء الثاني، دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٣٥٢هـ.ش.  
جرجى ليهذان:

- تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٣١م.

جمال الدين (محمد السعيد) دكتور:

- علاء الدين عطا ملك الجوى حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.  
جديد شيرازى (معين الدين أبو القاسم):

- شد الإزار فى حط الأوزار عن زوار المزار، بتصحيح وتحشية محمد قزوینى وعباس إقبال، طهران ١٣٢٨هـ.ش.

حتى (فيليب): دكتور

تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمه الدكتور جمال اليازجى أشرف على مراجعته وتحريره الدكتور جبرائيل جبور، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٢م.

الخميرى (محمد عبد المنعم):

- الروص المعطار فى خير الأقطار، حققه إحسان عباس، الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٠م.

غصباك (جعفر حسين) دكتور:

- العراق فى عهد الإبلخانيين ٦٥٦ - ٧٣٦هـ / ١٢٥٨ - ١٣٣٥م:  
المنهج الإدارة الأحوال الاقتصادية الأحوال الاجتماعية، بغداد ١٩٦٨م.



## تحليل أدعهم:

- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، نقله عن التركية الدكتور أحمد السيد سليمان، الناشر دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢م.

الدواقر (ببرص):

- التبعة المملوكية في الدولة التركية: تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ ٧١١ هجرية، تحقيق دكتور عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

- رتبة العكرة في تاريخ الهجرة، الجزء التاسع، تحقيق الدكتورة ربيعة محمد عطا، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ

عنتار الأخبار: تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ، تحقيق دكتور عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

الدواذري (أبو بكر عبد الله بن أبيك):

كثر الدرر وجامع الدرر، وهو الدرر العاشر في سيرة الملك الناصر تحقيق هانس روبرت روبر، القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م.

ديماند (م س):

- القون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم الدكتور أحمد فكري، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٨٢م.

رشيد الدين (فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة):

- جامع التواريخ، تاريخ المعول المجلد الثاني الجزء الأول تاريخ هولاء مع مقدمة كاترمير، نقله عن المارسية إلى العربية الأستاذ محمد صادق شأت والدكتور محمد موسى هلاوي والدكتور فؤاد عبد للعطي الصياد، وترجم مقدمة كاترمير عن المارسية الدكتور محمد

محمد القصاص، القاهرة ١٩٦٠م.

- جامع التواريخ، تاريخ المعول، المجلد الثاني، الجزء الثاني: تاريخ أساء هولاءو خان من أباخان إلى هجراتوخان، نقله عن المارسية إلى العربية الأستاذ محمد صادق مشأت والدكتور هؤاد عبد المعطى الصياد القاهرة ١٩٦٠م.

- جامع التواريخ، تاريخ خلفاء چنگيز خان من لوكائى قذآن إلى تيمور قان، نقله عن المارسية إلى العربية الدكتور هؤاد عبد المعطى الصياد الناشر دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣م.

زكى محمد حسن (دكتور):

- التصوير فى الإسلام عبد العرس، الناشر دار التراث العربى، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

- فنون الإسلام، الناشر دار التراث العربى، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.  
الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، الناشر دار التراث العربى، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

- التصوير وأعلام المصورين فى الإسلام، مقالة نشرت فى هدية المفتطع السوية بصوان "نواح مجلة من الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٩٤٨م.  
السباعى محمد السباعى (دكتور):

- عطا ملك الجوبى وكتابه جهانگشا، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.  
ستيفن ونسيهان:

- تاريخ الحروب الصليبية، الجزء الثالث، ترجمة الدكتور السيد البارز العربى، الجزء الثالث، بيروت ١٩٦٩م  
شبولو (برتولد):

- العالم الإسلامى فى العصر المعول، نقله إلى العربية خالد أسعد عيسى راجعه وقدم له سهيل زكار، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

الصياد (فؤاد عبد المعطي) دكتور:

- مؤرخ المعول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، الطبعة الأولى  
القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

- المعول في التاريخ (من چنگيز خان إلى هولاكو خان)، القاهرة  
١٩٧٥م.

- الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو خان)، مشورات  
مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، الدوحة ١٤٠٧هـ  
١٩٨٧م.

- الدورور وأثره في الأدب العربي من مشورات جامعة بيروت العربية  
بيروت ١٩٧٢م

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):

- تاريخ الرسل والملوك: الجزء الأول، تحقيق "محمد أبو الفصّل إبراهيم"  
الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م  
المعول (صالح توفيق) دكتور:

- الدولة الخوارزمية: نشأتها علاقاتها مع الدول الإسلامية نظمها  
العسكرية والإدارية ٤٩٠ هـ/٦٢٨ - ١٠٩٧ / ١٢٣١م، بغداد  
١٩٧٨م.

الغراوي (عباس):

- تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الأول، حكومة المعول، بغداد  
١٣٥٢هـ - ١٩٣٥م.

- التعريف بالمؤرخين في عهد المعول والترجمة (١٦٠١هـ / ١٢٣٤م إلى  
٩٤١هـ / ١٣٥٤م)، بغداد ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

عطا ملك الجويني:

- تاريخ فاتح العالم (جانگشاي)، نقله عن العارسية وقارمه بالسحة الإنكليزية الدكتور محمد التوجي، المجلدان الأول والثاني، الطبعة الأولى، حلب ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

على إبراهيم حسن (دكتور):

- دراسات في تاريخ الممالك البحرية، وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٤٨م.

القزاز (محمد صالح) دكتور:

- الحياة السياسية في عهد السيطرة للمربية، الجف ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

القرويني (زكريا بن محمد بن محمود):

- آثار البلاد وأخبار العباد، نشر دار صادر، بيروت ١٣٠٨هـ - ١٩٦٠م.

القلقشندي (أبو العباس أحمد):

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م.  
كراشكوفسكي (الغناطيوس يوليانونوفتش):

- تاريخ الأدب الجغرافي العربي: القسم الأول، نقله إلى اللغة العربية صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة ١٩٦٣م، والقسم الثاني نقله نفس المترجم، القاهرة ١٩٦٥م.

كراشكوفسكي (دوروتيا):

- العرب وإيران: دراسات في التاريخ والأدب من المنظور الأيديولوجي ترجمة الدكتور عصوان السيد، الطبعة الأولى، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

## لستراج (كى):

- بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، وأضاف إليه تعليقات بملادية  
وتاريخية وأثرية، ووضع فهرسه: بشر فرنسيس وكور كيس عواد،  
بغداد ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م

## ماركو پولو:

- رحلات ماركو پولو، ترجمها إلى الإنجليزية وشرها "وليم مارسدن"  
ترجمها إلى العربية عبد العزيز توفيق جابود، الناشر الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م.

الماوردي (أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري):

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م  
- المجتمع العربي، تأليف مجموعة من أساتذة كلية الآداب بجامعة عين  
شمس، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٦م.

## محمود نجيب حسنى (دكتور):

- الموجز في قانون العقوبات: القسم الخاص، القاهرة ١٩٩٣م.

السعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على):

- مروح الذهب ومعادن الجواهر، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد  
الطبعة الثالثة، القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

## المقريزى (قلى الدين أحمد على)

- الخطط للمقريزى السمة المواعظ والاعتبار، طبع بمطبعة الساحل  
الجنوبى، الشياح، بيروت ١٩٥٩م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر وتحقيق الدكتور محمد مصطفى زهادة  
القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٨هـ / ١٩٣٤ - ١٩٣٩م.

المؤرخ الإبرائى الكبير شهاب الدين خوالص كما يبدو فى كتابه دستور  
الوزراء، تأليف وترجمة وتعليق الدكتور حربى أمين سليمان، الهيئة  
المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.

النسوى (نور الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي).

- سيرة السلطان جلال الدين سكبرتي، نشر وتحقيق حافظ أحمد حدي  
القاهرة ١٩٥٣م.

نظام الملك الطوسي (خواجه):

- سياستنامه أو سير الملوك، ترجمة الدكتور يوسف حسين بكار، الطبعة  
الثانية دولة قطر، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

ليندهام (جوزيف):

- موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ترجمة محمد غريب جوده  
المهنة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.

هارولد لام.

- تشيغيو سخا وجحافل المغول، ترجمة متري أنيس، مراجعة وتقديم  
الدكتور زكي نجيب محمود، القاهرة ١٩٦٢م.

هنتس فالتر:

- المكايل والأوزان الإسلامية، وما يعادها في النظام المتري، ترجمه عن  
الألمانية الدكتور كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان  
١٩٧٠م.

ياقوت الحموي:

- معجم البلدان، نشر دار صادر، بيروت ١٣٧٦ هـ ١٩٧٦م.

## ثانياً: المراجع الفارسية

القبال (عباس):

تاریخ معصل ایران استیلای معول تا اعلان مشروطیت، جلد اول: از  
حملة چنگیز تا تشکیل دولت تیموری، طهران ۱۳۱۲ ه.ش.

- مقالة بهسون: "چساو چاپ اسکناس" بشرت ضمن مجموعه  
مقالات عباس اقبال آشتیانی: شامل یکصد و یک مقاله باسقمه  
و تصحیح دکتر محمد دبیر سیاقی، تهران ۱۳۵۰ ه.ش

القبال یغمائی:

بسطام و بایرید بسطامی، تهران ۱۳۱۷ ه.ش

یارتولد.

- تذکره جغرافیای تاریخی ایران، ترجمه حمزه سردادور (طالب راده)  
طهران ۱۳۰۸ ه.ش.

براون (ادوارد):

- از سعدی تاجلی: تاریخ ادبی ایران از سیمه قرن هفتم تا آخر قرن نهم  
هجری: عصر استیلای مغول و تاتار، ترجمه و حواشی بقلم علی اصغر  
حکمت، تهران ۱۳۲۷ شمسی = ۱۹۴۸ میلادی.

بیان (شیوین: اسلامی نفوشن):

- دی و دولت در ایران عهد معول، جلد دوم: حکومت ایلخانی: نبرد  
میان دوفرهنگ، چاپ اول، تهران ۱۳۷۱ ه.ش.

پطروشفسکی:

- کشاورزی و مناسبات ارضی در ایران عهد مغول، ترجمه کریم  
کشاورز، تهران ۲۵۳۵ شاهشاهی.

## پیکر لوسکایا (ن و) وآخرون:

تاریخ ایران اردوران بامستان تاپایان سنه هیجدهم میلادی، ترجمه  
کریم کشاورز، تهران ۱۳۵۴ هـ.ش.

جروسیه:

- امپراطوری صحرانوردان، ترجمه عبدالحسین میکده، چاپ سوم  
تهران ۱۳۶۸ هـ.ش.

جززجانی (أبو عمرو منهاج الدین عثمان بن سراج النیس، معروف  
به منهاج سراج):

- طبقات ناصری (ألف فی الفترة ما بین ۶۵۷ - ۶۵۸ هـ) تحقیق  
عبدالحی حبیبی قندهاری، کابل ۱۳۴۳ هـ.ش.

الجوبنی (علاء الدین عطاء ملک بن قاء الدین محمد):

تاریخ جهانگشای (ألف ما بین سنه ۶۵۰ - ۶۵۸ هـ) بشر وتصحیح  
محمد بن عبد الوهاب الفروبی، لیدن ۱۳۲۹ / ۱۳۵۵ هـ / ۱۹۱۱  
م. ۱۹۳۷.

حافظ آبرو:

- دیل جامع التواریخ رشیدی (ألف سنه ۸۳۳ هـ / ۱۴۲۹ م شامل وقایع  
۷۰۳ - ۷۸۱ هجری قمری)، باهتمام دکتر خاتابا بیانی، تهران  
۱۳۵۰ هـ.ش.

عزالدین (غیاث الدین محمد بن همام):

- حبیب السیر فی اخبار افراد البشر (ألف سنه ۹۳۰ هـ / ۱۴۲۳ م چاپ  
أول، تهران ۱۳۳۳ هـ.ش) چاپ دوم عکسی، تهران ۱۳۵۳ هـ.ش.

- رجال حبیب السیر: از حمله مغول تا مرگ شاه اسماعیل اول، نگرده  
آوردۀ عبدالحسین نوالی، با مقدمه و سه فهرست، طهران  
۱۳۲۴ هـ.ش.



رشید الدین فضل الله بن عماد الدوله أبی الخیر بن موفق الدوله همدانی:

- تاریخ مبارک خارانی (داستان عازان خان) بسمی و اهتمام أقل العباد "کارل یان"، هرنفورد اربلاک انگلستان سنه ۱۳۵۸ هجری مطابق سنه ۱۹۴۰ مسیحی.

- جامع التواریخ، جلد دوم در تاریخ پادشاهان مغول از اوگتای قاآن تا تیمور قلآن، نشر و تحقیق ادگار بلوشیه، لندن ۱۳۲۹هـ/۱۹۱۱م.

- جامع التواریخ: مغول ایران، جلد سوم، متن علمی و انتقادی فارسی بسمی و اهتمام عبد الکرم علی لوعلی علی زاده، نشر معهد الدراسات الشرقيه بآذربایجان السوفیة، باکو ۱۹۵۷م.

- جامع التواریخ، جلد اول از آغاز پیدایش قبایل مغول تا پایان دوره تیمور قلآن، نشر و تحقیق بهمن کریمی، طهران ۱۳۲۸هـ.ش.

- جامع التواریخ رشید الدین فضل الله همدانی، به تصحیح و تحشیة محمد روش مصطفی موسوی، جلد اول، تهران ۱۳۷۳هـ.ش.

- جامع التواریخ: قسمت اسماعیلیان و فاطمیان و زاریان و داعیان و رفیقان، بکوشش محمد تقی دانش پزوه و محمد مدرسی (رجایی) بنگاه ترجمه و نشر کتاب، چاپ دوم، تهران ۲۵۳۶ شاهنشاهی.

- تاریخ افریج بالفصلی از جامع التواریخ، با مقدمه و حواشی و بهارس بکوشش محمد دبیر سیاقی، مدخل کارل یان، تهران ۱۳۳۹هـ.ش = ۱۹۶۰م.

- جامع التواریخ، جلد ۲، جزء ۵: ذکر تاریخ آل سلجوق، بسمی و اهتمام أحمد آتش، انقره ۱۹۶۰م.

- مکاتبات رشیدی، بسمی و اهتمام و تصحیح أقل العباد محمد شفیع، بإضافة حواشی و بهارس، لاهور ۱۳۶۴هـ ۱۹۴۵م.

- وقعهامه ربع رشیدی: الوقعة الرشیدیه بحط الوقف فی بیان شرائط  
أمور الوقف والمصارف. اثر رشید الدین فصل الله بن ابی الخیر بن  
علی الممدانی مشتهر برشید الطیب، جاب عکسی از روی نسخه  
اصل، زیر نظر مجتبی میسوی ابرح افشار، سلسله انتشارات انجمن  
آثار ملی، شماره ۸۷، تهران ۱۳۵۰ ه.ش.

زاده (هاشم رجب) دکتر:

- آئین کشور داری در عهد وزارت رشید الدین فصل الله همدانی،  
تهران ۲۵۳۵ شاهنشاهی:

ستوده (منوچهر):

- قلاع اسماعیلیه در رشته کوههای البرز، تهران ۱۳۴۵ ه.ش.

شیانکاری (محمد بن علی بن محمد):

جمع الأنساب به تصحیح میر هاشم عدت، تهران ۱۳۶۳ ه.ش.

شپولر (برتولد):

- تاریخ معول در ایران: سیاست، حکومت و فرهنگ ایلخانان، ترجمه  
دکتر محمود قناب، تهران ۱۳۵۱ ه.ش.

صفا (ذبیح الله) دکتر:

- خلاصه تاریخ سیاسی واجتماعی وفرهنگی ایران تا پایان عهد صفوی  
تهران ۲۵۳۶ شاهنشاهی.

القاشانی (أبو القاسم عبد الله بن محمد)

- تاریخ اوجایتو (بادشاه سعید حیث الدین والدین اوجایتو سلطان  
محمد - طیب الله مرقد - به اهتمام مهین همیلی، بکاه ترجمه ونشر  
کتاب، تهران ۱۳۴۸ ه.ش.

لوی (حبیب)

- تاریخ یهود ایران، نشر کتابروشی بروخیم، تهران ۱۳۳۹ شمسی =  
۱۹۶۰ میلادی.

- مجموعه خطابه های تحقیقی دربارهٔ رشید الدین فضل الله همدانی که در مجلس علمی مربوط به او از ۱۱ تا ۱۶ آبان ۱۳۴۸ هـ.ش در دانشگاه های تهران و تبریز خوانده شده است، طهران ۱۳۵۰ هـ.ش. **لججوائی (محمد بن هفتوشاه):**
- دستور الکاتب فی تعیین المراتب، جزء اول از جلد یکم، نشر و تحقیق عبد الکريم عبي اوعلی راده، مسکو ۱۹۶۴ م. **نصير الدين طوسي (خواجسته):**
- تنسوح نامه ابلخانی، با مقدمه و تعلیقات مدرس رضوی، تهران ۱۳۴۸ هـ.ش.
- وصاف (أديب شرف الدین عبد الله بن فضل الله شیرازی الملقب بوصاف الحضرة):
- تاریخ وصاف، طبع بمبای، ۱۲۶۹ هـ.
- تحریر تاریخ وصاف، به قلم عبد المحمد آیتی، انتشارات بنیاد فرهنگ ایران، تهران ۱۳۴۶ هـ.ش.

## ثالثاً: المراجع الأوروبية

Arberry:

- Classical Persian Literature on Rashid Al Din, London 1958.

Barthold.W.

- Mir Islama, St Petersburg, 1912.

Berthold Spuler:

- Die Mongolen in Iran, Leipzig, 1939.
- The Cambridge History of Iran. Vol 5, The Saljug and Mongol Periods, edited by J Boyle, Cambridge 1968.

M. Le Baron.

- Histoire Des Mongols depuis Tchinguiz-khan Jusqu' à Timour Bey ou Tamerlan, Paris, 1824.
- Encyclopaedia Judaica, Vol 13, Second Printing, Jerusalem, 1973.

Grousset Ren:

- L'Empire des Steppes. Paris, 1948.

Howorth H.H:

- History of the Mongols. London, 1875.
- Proceedings of the Colloquim On Rashid Al Din Fadlallah: Tehran, Tabriz, II - 16 Aban 1348 (27 November 1969), Tehran 1971
- Rashid al Din,s Knowledge of Europe, by Karl Jpan.
- Rashid al Din Fazl Allah and India, by k. A Nizami.

Walter J. Fischel:

- *Jews in Economic and political Life of Mediaeval Islam*,  
Royal Asiatic Society Monographs, Vol. XXII, London, 1937.



## فهرس الموضوعات

### صفحة

٧

### مقدمة

#### المواصلة

١٧

لولا: رشيد الدين وكتابه جامع التواريخ

التعريف برشيد الدين المؤرخ

تأليف كتاب جامع التواريخ

أقسام هذا الكتاب

أعمقه

٣٢

ثانيا: رشيد الدين وتاريخ غارن خان

الأقسام الرئيسية الثلاثة التي اشتمل عليها هذا التاريخ

٣٤

#### القسم الأول

مشاة غاران وتربيته تمييه حاكما على خراسان اعتناقه

الإسلام

توليه العرش واتحاده الإسلام دينا رسميا للدولة النتائج

التي ترتبت على ذلك تدليل المؤرخ على صحة إسلام

غارن

٣٨

#### القسم الثاني

التاريخ السياسي للفترة التي حكم فيها غاران

موقعه من مورور الحملات التي شهدا على الشام

٤٧

#### القسم الثالث

الإصلاحات التي قام بها غاران خاد يوحى من إسلامه

وإحلاصه لعقيدته

## الترجمة

٧٧ تاريخ عاران خان بن أرغون خان بن أيلقاخان بن هولاكو  
خان بن تولوي خان بن چيگيز خان  
وهو يشتمل على ثلاثة أقسام:

٧٨ **القسم الأول من تاريخ غزلان خان:**

في تقرير نسبه العظيم، وذكر أحواله منذ الوقت المبارك  
لولادته حتى زمان جلوس والده أرغون خان على عرش  
السلطنة، وذكر روجاته وأبائه وجدول شصهم الشريعة

٨٧ **القسم الثاني من تاريخ غزلان خان:**

في مقدمة جلوسه المبارك، وصورة العرش والخواص  
والأمراء الأتباع والأمراء عند جلوسه على عرش السلطنة  
وتاريخ زمان حكمه، والحروب التي قام بها، والفتوحات  
التي تسمرت له

مقدمة جلوسه المبارك منذ أن عهد إليه والده أرغون خان  
بأن يكون نائباً عنه في حكم خراسان إلى وقت تعلقه على  
بابلو

وهذا القسم يشتمل على عدة حكايات

١٠٢ - حكاية حاله في خراسان بعد وفاة أبيه أرغون خان حتى  
وقت مسيره إلى ناحية أدريجان في عهد كيهخانو ثم  
عودته من تبريز إلى خراسان

١٠٦ - حكاية توجه غاران إلى ناحية آلتاغ قاصداً مقابلة  
كيهخانو وعودته من تبريز وهزيمة نوروز وفتح نيسابور

١١٠ - حكاية خصوع نوروز ومثوله مرة أخرى أمام غازان  
والاحتمال بهذه المناسبة وتقديم الهدايا



- ١١٣ - حكاية توجه غاران من ناحية خراسان إلى عراق العجم وعمارته بابهو في منطقة "هشترود" و"قربان شيرة"
- ١٢١ - حكاية انشراح المصدر المبارك لسلطان الإسلام عاران بخان بور الإيمان، واعتاقه الإسلام هو والأمراء بحضور ابن الشيخ صدر الدين حمويه الجوهني دامت بركته
- ١٢٥ - حكاية توجه الرهايات المباركة لسلطان الإسلام عاران بخان للقاء بابهو للمرة الثانية، وحضور أمرائه
- ١٣٠ - حكاية الشروع في ترتيب شقون الجيش والبلاد، وذلك عقب الجلوس المبارك لسلطان الإسلام
- ١٣٢ - حكاية تمرد "سوكا" و"بارولا" ووصوح ذلك وتوجه الجيش للقضاء عليهما ومآل تلك الحال
- ١٣٦ - حكاية أحوال "نوريس نقا" وموقف الأمير نوروز منه وبداة اختلال أمور نوروز
- ١٣٩ - حكاية توجه الرهايات السلطانية إلى بغداد وإعدام "أفراسياب لير" و"جمال الدين المستجرداني ومولانا عز الدين مطهر الشيرازي وولادة الأمير الجبل "اولخاي"
- ١٤٢ - حكاية حال "قيصر" غلام الأمير نوروز، وقتل أبناء نوروز وإخوته، والقضاء على بقوده نهائيا، وقتله في هراة
- ١٤٩ - حكاية ارتفاع منزلة صدر الدين الرجباني، وازدهار شأنه بعد قتل الأمير نوروز، ووصول الرهايات السلطانية من ألاتاغ إلى تبريز، وتشيد القبة العالية في "شم تبريز"
- ١٥١ - حكاية اختلال أحوال صدر الدين الرجباني وإعدامه

- ١٥٥ - حكاية توجه الرايات السلطانية من دار الملك تبريز إلى  
مشتى بغداد وتعويض منصب الوزارة إلى الخواجه سعد  
الدين، ووصول حير شرد "سولاميش" ومسير الجيش  
لإخضاعه
- ١٥٩ - حكاية توجه سلطان الإسلام إلى الشام ومصر، ومحاربة  
المصريين وهزيمتهم، وفتح بلاد الشام
- ١٦٧ - حكاية توجه سلطان الإسلام إلى الشام ومصر للمرة  
الثانية
- ١٧٠ - حكاية تكريم الخواجه سعد الدين صاحب الدموان  
وإعلاء حاشيته
- ١٧٢ - حكاية توجه سلطان الإسلام عاران خان إلى ناحية  
"الأتاغ" ثم تحركه من هناك عن طريق نخجوان إلى مشتى  
"أران"، ووصول الرسل الذين كانوا قد أوفدوا إلى مصر
- ١٧٤ - حكاية الخفل العام لدى تقامه سلطان الإسلام في المحيم  
الذهبي بموضع يستأن أوجان، وختم القرآن هناك  
والإنعام العام
- ١٧٧ - حكاية توجه الرايات السلطانية من مدينة الإسلام  
"أوجان" إلى بغداد، وشرح الأحوال التي حدثت في  
الطريق، ثم الوصول إلى واسط والحلة، والتصميم على  
السير إلى الشام
- ١٨٤ - حكاية وصول قتلغشاه بوبان للقاء جيش مصر، ثم  
رجوعه من هناك، وعودة الرايات السلطانية إلى أوجان
- ١٨٩ - حكاية محاكمة الأمراء والجوذة الذين هادوا من الشام، ثم  
عقد مجلس الشورى (الغوريقتاي) بموضع أوجان وتشرف  
الأمراء بقاء غازان

- ١٨٧ - حكاية إصابة سلطان الإسلام بالرمم، ووصول الأمراء  
الأنجال من حراسان، ثم توجه الرهائن السلطانية إلى  
بغداد، ونزولها في "هولان موران"
- ١٨٩ - حكاية اعتكاف سلطان الإسلام في مشفى "هولان مران"  
وظهور "الأفرنج" وشرده، وإعدام جماعة المؤمنين للفتنة
- ١٩١ - حكاية إقامة الحفل في مخيم "إلتوزميش خاتون"  
للاحتمال بعيد ميلاد الأسير المحل "أسى يزهد"، وخروج  
سلطان الإسلام من معتكفه الأرميني (جهله)
- ١٩٢ - حكاية تكريم الخواجه سعد الدين صاحب الديوان لما  
أبداه من إخلاص في قصة "الأفرنج"
- حكاية وفاة "كرمون خاتون"، ونقل جثمانها إلى تبريز  
والكلمات العديدة الحكيمة التي تفوه بها سلطان الإسلام  
في شئون الخلق والحياة

#### ١٩٩ القسم الثالث من تاريخ غفران خان:

- في أخلاقه الحميدة وسيره المستحسنة، وأثار عدله وإحسانه  
وحبراته وميراته وفتون أذابه وأفضل عاداته وكلماته التي  
صرح بها في كل وقت، يحتاج الأمر فيه إلى تحقيق وتلخيص  
والحكم الرصينة والقوانين السائدة للمتصصة رعاية مصالح  
كافة الخلق، والتي نعدها في كل شأن من الشئون، ونوازل  
الحكايات والأحوال مما لم يذكر في القسمين السابقين.  
وهذه ينضمها موضوعان: أحدهما تم تبويه وتسجيله  
وهو عبارة عن أربعين حكاية وثانيهما يمرر حسب القضايا  
والحوادث المختلفة والمتفرقة
- ٢٠٢ الحكاية الأولى - في فنون كمالات وعلوم سلطان الإسلام  
خلد ملكه ومعرفته الصناعات  
للمختلطة، ووقوفه على أسرارها

- ٢١١ الحكاية الثانية في عفة سلطان الإسلام وعصمته
- ٢١٢ الحكاية الثالثة في فصاحة سلطان الإسلام وبلاغته،  
وحسب سؤاله وجوابه للقريب والبعيد والترك  
والثأزيك
- ٢١٤ الحكاية الرابعة في صبر سلطان الإسلام وثباته وصدق  
عهده وميثاقه
- ٢١٨ الحكاية الخامسة في أن كل كلمة تخرج على اللسان  
المبارك لسلطان الإسلام تكون دقيقة  
وعصيدة
- ٢١٩ الحكاية السادسة في بذل سلطان الإسلام وعطائه وجوده  
وسخائه على وجه مستحسن قائم على  
المعرفة
- ٢٢٥ الحكاية السابعة في إبطال الديانة اليهودية وتغريب معابد  
البوذيين وتعطيم كل الأصنام
- ٢٢٧ الحكاية الثامنة في محبة سلطان الإسلام لأسرة الرسول  
عليه السلام
- ٢٢٨ الحكاية التاسعة في شجاعة سلطان الإسلام وإعداد الجيش  
للقتال، والمثابرة والنيات في الحروب
- ٢٣٣ الحكاية العاشرة في إبداء سلطان الإسلام الصبح إلى  
القضاة والمشايخ والرهاد وأهل العلم  
والتقوى
- ٢٣٦ الحكاية الحادية عشرة في مع سلطان الإسلام الجود  
وغيرهم من النعماء بكلمات الكفر
- ٢٣٨ الحكاية الثانية عشرة في ميل سلطان الإسلام إلى التعمير  
وحث الناس على ذلك

- ٢٤٣ الحكاية الثالثة عشرة في أبواب البر التي أنشأها وأحدثها  
سلطان الإسلام في تبريز وهمدان  
والولايات الأخرى، والأوقاف التي أوقفها  
عليها، والترتبات التي أعدها لذلك
- ٢٥٢ الحكاية الرابعة عشرة في القضاء على التزوير والدعاوى  
الباطلة ومنع غيابة الخائنين والمارقين
- نص الرسوم الخاص بتفويض القضاة
- نص الرسوم الخاص بعدم الظفر في  
القضايا التي مضي عليها ثلاثون سنة  
وذلك بالشروط المقررة في هذا الشأن
- نص الوثيقة المكتوبة على طهر الرسوم
- نص الرسوم الخاص بإثبات ملكية البائع  
قبل البيع
- نص الرسوم بخصوص تأكيد الأحكام  
السابقة وتسهيل الشروط اللاحقة
- ٢٧٣ الحكاية الخامسة عشرة في إتلاف القسالات غير القانونية  
وإبطال الجمع البالية
- ٢٨٠ الحكاية السادسة عشرة في إبطال الحكر والاستيلاء بغير  
الحق على ملك الغير والقضاء على أنواع  
المصادرات
- نص الرسوم الخاص بتحويل مقررات  
الولايات التي كتبها الدهوان الأعلى  
بالتصويل، ومنع حكام الولايات منها  
باتنا من تحرير المحاولات

- الحكاية السابعة عشرة في المحافظة على الرعايا ورعايتهم  
 ٣٠٦ ودفع الظلم عنهم
- الحكاية الثامنة عشرة في إبطال دواب البرد، وعدم إيفاد  
 ٣٠٨ الرسل وكف أذاهم عن الخلق
- الحكاية التاسعة عشرة في القضاء على اللصوص وقطاع  
 ٣١٥ الطرق وتخليص الناس منهم
- الحكاية العشرون في تخليص عيار الذهب والفضة من  
 ٣١٩ النش بطريقة غريزة لم تكن موجودة من  
 قبل على الإطلاق، ولم يكن من الممكن أن  
 يكون هناك ما هو أفضل منها
- الحكاية الحادية والعشرون في تعديل أوزان الذهب  
 ٣٢٤ والفضة والأحمال والمقاييس والمكاييل وغير  
 ذلك
- الحكاية الثانية والعشرون في ضبط الأمور المتعلقة بشئون  
 ٣٢٩ المراسيم والبايزات التي تمنح للناس
- الحكاية الثالثة والعشرون في تدبير الشئون الخاصة  
 ٣٣٤ باسترداد المراسيم والبايزات المكررة التي  
 كانت موجودة في أيدي الناس
- الحكاية الرابعة والعشرون في منح جنود المغول  
 ٣٣٨ الإقطاعات في مختلف المواضع من كل  
 ولاية
- الحكاية الخامسة والعشرون بخصوص كيفية إعداد جيش  
 ٣٤٧ خاص للسلطان
- الحكاية السادسة والعشرون في تحريم التعامل بالربا والغش  
 ٣٥٠ الفاحش

- الحكاية السابعة والعشرون في منع المغالاة في دفع مهور  
الزواج ٣٦١
- الحكاية الثامنة والعشرون في إقامة المساجد والحمامات  
في جميع القرى التي تضمها البلاد ٣٦٣
- الحكاية التاسعة والعشرون في منع الخلق من احتساء الخمر ٣٦٤
- الحكاية الثلاثون في إعداد الطعام الخاص والشراب  
للمتهم المعظم ٣٦٦
- الحكاية الواحدة والثلاثون في إعداد النفقات الخاصة  
بطعام الخواتم والعسكرات ٣٧٠
- الحكاية الثانية والثلاثون في ضبط شئون الخزانة وترتيب  
مهامها ومصالحها ٣٧٢
- الحكاية الثالثة والثلاثون في ترتيب شئون المؤسسات  
المسكية ومصانع الأسلحة ٣٧٦
- الحكاية الرابعة والثلاثون في ترتيب شئون دواب الخاقان ٣٨٠
- الحكاية الخامسة والثلاثون في ترتيب الشئون المتعلقة  
بالبصادين ومروضى الفهود ٣٨٢
- الحكاية السادسة والثلاثون في ترتيب شئون كل الممالك  
(الإصلاح الزراعي) ٣٨٧
- الحكاية السابعة والثلاثون في إعداد الشئون الخاصة بتعمير  
الأراضي البور (تابع الإصلاح الزراعي) ٣٩١
- الحكاية الثامنة والثلاثون بشأن صدور الرسوم المتعلقة  
بإقامة دور في الممالك خاصة بالرسول،  
ومنع الشحن والحكام من النزول في  
بيوت الناس ٣٩٨
- الحكاية التاسعة والثلاثون في منع الكافرين والجمالين  
والسمعة من إيذاء الناس ٤٠١

- ٤٠٤ الحكاية الأربعون في منع إجبار الجوارى على الإقامة في  
دور البغاء

### القصص الإضافية

- ٤١٠ النص الأول -حكاية مسير الأمير نوروز إلى تركستان لدى  
قيدوغان
- ٤١٤ النص الثاني -حكاية اعتناق غازان الإسلام، وكيف تم  
ذلك

- ٤١٩ قائمة المراجع



هذه ترجمة كاملة لتاريخ غازان خان الذى يكون  
قسطها مهماً من كتاب جامع التواريخ، تأليف، رشيد  
الدين فضل الله الهمذانى، مؤرخ المغول الكبير  
والكاتب الموسوعى الذى احاط علمه بكثير من أنواع  
المعارف والثقافات. ولكن شهرته كمؤرخ كانت تأتي فى  
المقدمة دائماً.

وتبرز أهمية الكتاب فيما نقرؤه عن المغول فى  
الأحداث التى كان يعايشها المؤرخ، فقد عاصر هذا  
المؤرخ دولة المغول فى أبهى فتراتهما، وشاهد حصار  
بغداد وفتحها على يد هولاكو خان، والتحق بخدمة  
أعظم سلاطين الإيلخانيين وبلغ أسمى المراتب فى  
عهد غازان وأولجايتو وفترة من حكم أبى سعيد بهادر  
خان، ولعب دوراً هاماً فى سياسة دولة المغول وإدارتها.  
فإذا جاء هذا المؤرخ وأرخ لهذه الفترة، فإنه يؤرخ  
لأحداث كان يعاصرها ويشهد لها يعنى رأسه، ويصفها  
وصف المثقف الخبير بشئون الحياة، كذلك استطاع  
الاطلاع على الوثائق المكتوبة والإفادة منها. وهذه  
ميزة كبيرة لم تتوافر لغيره ممن كتبوا عن تاريخ  
المغول من السابقين أو المعاصرين له.

Bibliotheca Alexandrina



0413741

ISBN 977-3675-70-8



90000



9 789773 875709